

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . وَخَصَّهُ دُونَ
الْخَلْقَاتِ بِشَرَفِ التَّكْرِيمِ . وَوَهَبَ لَهُ عَقْلًا يَتَدَبَّرُ بِهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ مِنْ آيَاتٍ ، لِيَسْلُكَ بِإِلَارْشَادِهِ أَوْضَحَ الْمَجَاجِاتِ ، وَيَمْحُو
بِنُورِهِ ظُلْمَاتِ الرَّيْبِ وَالْإِلْبَاسِ ، قَائِلًا : وَتِلْكَ الْأُمَّاثَالُ
نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ . وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ بَيْنَ مَعَالِمَ الْعِرْفَانِ ،
الْمُخْتَصِ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ فِي غَایَةِ الْبَیَانِ ، سَيِّدُنَا مُحَمَّدُ الْمَبْعُوثُ
رَحْمَةً لِلْعَالَمَيْنَ . وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . (أَمَّا بَعْدُ) فَإِنَّ أَنْحَافَ
الْعَوَارِيفِ ، وَالْطَّفَ المَعَارِفِ ، عِلْمٌ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى صَدِيقِ
الْفِرَاسَةِ ، وَيُسْتَبَطُ مِنْهُ حُسْنُ السِّيَاسَةِ . وَمِنْ أَحْسَنِ مَا لَاحَ
عَلَى صَفَحَاتِ ذَلِكَ الْوَجْهِ وَجَنَّهُ ، كِتَابُ «كَلِيلَةَ وَدِمنَةَ» ،
مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي تُرْجِمَتْ فِي صَدِيرِ الدَّولَةِ الْعَبَاسِيَّةِ مِنَ اللَّغَةِ
الْأَعْجَمِيَّةِ إِلَى اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، لِأَنَّهُ فِي ضُرُوبِ السِّيَاسَةِ أَكْبَرُ آيَةٍ ،
وَفِي جَوَامِعِ الْحِكْمَ وَالْآدَابِ مِنْ أَبْلَغِ غَايَةٍ . حَرَى يَأنِ يُكَتَّبَ
بِسَوَادِ الْمِسْكِ عَلَى بَيَاضِ الْكَافُورِ ، وَحَقِيقَ يَأنِ يُعلَقُ بِحُبُوطِ

النور على نحور المُهُور . ولذلك عَكَفَ عَلَى الاعتناء بِهِ أصنافُ
النَّاسِ ، فَتَرَجَّمَهُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى لُغَاتِهِم مِنْ سَائِرِ الْأَجْنَابِ .
ثُمَّ آغْتَالَتْ نُسَخَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ أَيْدِي الدَّهُورِ وَالْأَعْصَارِ ، وَطَارَ بِهَا
مِنْ رِيَاحِ الْمَوَادِيثِ إِعْصَارً . فَقَيَّضَ اللَّهُ صَاحِبَ الْفُتوْحِ السَّنِيَّةَ ،
وَالْهِمَّةِ الْعَلِيَّةِ الْعَلَوِيَّةِ ، حَامِيَ ذِمَارِ الْمُسْلِمِينَ وَالْإِسْلَامِ ،
مَادَ سُرَادِيقَ الْعَدْلِ عَلَى كَافَةِ الْأَنَامِ ، قَاهِرَ الطُّغَاءِ وَالْجَبَابِرَةِ ،
وَمُرْغِمَ أُنُوفِ الْمُتَمَرِّدَةِ الْفَاسِحَرَةِ ، أَمِيرَ أَمْرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَسَيِّفَ اللَّهِ الْمَسْلُولَ عَلَى أَعْنَاقِ الْمُعْتَدِينَ ، الْمَحَاجَّ مُحَمَّدٌ عَلَى بَاشَا ،
لَا زَالَتْ يُذَبَّابِ سَيِّفِهِ مُهَجَّ العِدَا تَتَلَاشَى ؛ وَلَا بَرِحَتْ أَلْوِيَّتِهِ
بِالنَّصِيرِ مَنْشُورَةً ، وَعَسَارِكُهُ فِي كُلِّ وِجْهَةٍ مُظَفَّرَةً مَنْصُورَةً ؛
فَأَعْمَلَ فِي خِدْمَةِ الشَّرِيعَةِ الْغَرَاءَ ، وَسُلُوكِ الْمَحَاجَّةِ الْوَاضِحةِ الْبَيِّضَاءَ ،
كُلًا مِنْ حَدَّ السَّيِّفِ وَسِنَانِ الْقَلْمَ ، حَتَّى بَخَرَ بِمُتُونِ الصَّفَائِحِ
وَالصَّحَائِفِ يَنَابِعَ النَّصِيرِ وَالْحِكْمَ ، وَتَصَدَّى لِإِخْيَاءِ رَمِيمِ
الْمَكْرُومَاتِ الدَّوَارِسِ ، وَانتَدَبَ لِإِعَادَةِ دَارِسِ الْعُلُومِ بِإِنشَاءِ
المَدَارِسِ ؛ جَامِعًا بَيْنَ دَانِي الشَّرَفِ وَقَاصِيهِ ، حَقِيقًا بِمَا
قُلْتُ فِيهِ :

مَاذَا أَقُولُ وَكَيْفَ الْقَوْلُ فِي مَلِكٍ
 قَدْ فَاقَ كُلَّ مُلُوكِ الْأَعْصَرِ الْأَوَّلِ
 مُحَمَّدٌ أَنْتَ إِنْ أَحْمَدُكَ مُبْتَهِلًا
 وَإِنْ طَلَبْتُ لَكَ الْعُلْيَا فَأَنْتَ عَلَى
 قَدْ أَبْغَزَ الْبُلَغَاءَ اللَّسْنَ مَنْقَبَةً^(١)
 عَنْهَا رَوَّا يَبْنُ صِدْقَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
 وَمَا تَقَرَّ سُيُوفُ فِي مَالِكِهَا
 مِثْلُ الْمَلِيكِ بَغَى أَمْرًا فَقَرَبَهُ
 وَعَزَّمَهُ بَعْثَتَهَا هَمَّةُ زَحْلٍ^(٢)
 عَلَى الْفُرَاتِ أَعَاصِيرُ وَفِي حَلَبِ^(٣)
 تَتَلُّ أَسِنَتُهُ الْكُتُبُ الَّتِي نَفَدَتْ
 يَلْقَى الْمُلُوكَ فَلَا يَلْقَى سَوَى جُزُرِ^(٤)
 الْفَاعِلُ الْفِعْلُ لَمْ يُفْعَلْ لِشَدَّدِهِ^(٥)
 وَالْبَاعِثُ الْجَيْشُ قَدْ غَالَتْ بَعَاجِتهُ^(٦)
 الْجَوَّ أَضَيقَ مَا لَاقَاهُ سَاطِعُهَا
 وَمَقْلَةُ الشَّمْسِ فِيهِ أَحِيرُ الْمُقْلِ^(٧)
 وَمَقْلَةُ النَّهَارِ فَصَارَ الظَّهَرُ كَالْطَّفَلِ^(٨)

(١) أى الفصحاء لسن كفرن فهو لسن وألس . (٢) زحل مبتداً وخبره بمكان والجملة صفة همة والمعنى همة دونها زحل . (٣) في العراق فمن لا يحمد نارها سوى جيشك البرار وسيفك البثار وفي حلب همية لا يسلم حدتها غير مسائف ماضي عزمك وستان رمحك .

(٤) الجزر : جمع جرور وهو البعير . (٥) النفل : الغنيمة . (٦) غال : كاغتال أهلك ، والمراد بحسب . (٧) العجاجة : الغبار . (٨) الطفل بالحرثيك : دنق الشمس للغروب .

يَنْسَأُ أَبْعَدَ مِنْهَا وَهِيَ نَاظِرَةٌ فَتُقَابِلُهُ إِلَّا عَلَى وَجَلِيلٍ
 قَدْ عَرَضَ السَّيْفَ دُونَ النَّازِلَاتِ بِهِ
 وَظَاهِرَ الْحَزْمَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالْغَيْلِ
 وَوَكَلَ الطَّعْنَ بِالْأَسْرَارِ فَانْكَشَفَتْ
 لَهُ صَمَائِرُ أَهْلِ السَّهْلِ وَابْحَابِلِ
 هُوَ الشَّجَاعُ يَعْدُ الْبُخْلَ مِنْ جِبِيلٍ
 يَعُودُ مِنْ كُلِّ فَتْحٍ غَيْرَ مُفْتَخِرٍ
 وَقَدْ أَعْدَ إِلَيْهِ غَيْرَ مُخْتَفِلٍ
 وَلَا يُخْصِنُ دِرْعَ مُهْجَةَ الْبَطَلِ
 إِذَا خَلَعْتُ عَلَى عِرْضِ لَهُ حُلَّا
 يَذِي الغَبَاوَةِ مِنْ إِنْسَادِهَا ضَرَرٌ
 لَقَدْ رَأَتْ كُلُّ عَيْنٍ مِنْهُ مَالِهَا
 فَتُكَشِّفُكَ الْأَعْدَاءُ عَنْ مَلِيلٍ
 وَكَمْ رِجَالٍ بِلَا أَرْضٍ لِكَثْرَتِهِمْ
 (١)
 مَا زَالَ طِرْفُكَ يَجْرِي فِي دِمَائِهِمْ
 يَامَنْ يَسِيرُ وَحْكُمُ النَّاظِرَينَ لَهُ
 إِنَّ السَّعَادَةَ فِيهَا أَنْتَ فَاعِلُهُ وَفُوقَتَ مُرْتَحِلًا أَوْ غَيْرَ مُرْتَحِلٍ

أَبْرِي بِالْجِيَادَ عَلَى مَا كُنْتَ مُجْرِيَهَا
يَنْظَرُنَّ مِنْ مُقْلِ أَذْمَى أَجْتَهَـا^(١) قَرْعُ الْفَوَارِسِ يَا نَعَسَالَةَ الدُّبُـلِ
فَلَا هَجَمْتَ بِهَا إِلَّا عَلَى ظَفَرٍ وَلَا وَصَلتَ بِهَا إِلَّا إِلَى أَمْلِ^(٢)

وَمِنْ جُمْلَةِ مَا جَعَلَهُ لِلَّدِينِ وَالدُّنْيَا زِينَةً وَعِيدًا ، وَلِأَرْبَابِ
الْخُرُوبِ وَالْحَارِيبِ مَوْسِمًا سَعِيدًا ، دَارُ الطُّبَاعَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا
بِبُلَاقَ : إِذْ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهَا فِي سَائِرِ الْأَقْطَارِ وَالْأَفَاقِ . لِأَنَّ
الْكُتُبَ تُطْبَعُ فِيهَا مِنْ سَائِرِ الْعُلُومِ ، يُكْلِلُ لُغَةً وَيُكْلِلُ رَسْمًا مَعَ
تَلَوْنِ الْمِدَادِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ . فَصَادَفَ سَعْدُهُ الْمُقْتَرِنُ مِنَ اللَّهِ
بِالْمِسْنَةِ ، وُجُودَ نُسْخَةٍ مَطْبُوعَةٍ بِالْعَرَبِيِّ فِي غَيْرِ بِلَادِ الْعَرَبِ مِنْ
كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدِمْنَةَ . وَهِيَ الَّتِي تَرَجَّمَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَقْفعَ
الْكَاتِبُ الْمُشْهُورُ ، فِي أَيَّامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ .
وَكَانَتْ تَرَجُّمَهَا مِنَ الْلُّغَةِ الْبَهْلَوِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ، وَاتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى
صِحَّةِ تِلْكَ النُّسْخَةِ : لِشُهْرَةِ مُصَحِّحِهَا يَا الْمُلْعِيَّةِ . إِذْ قَالَ

(١) أَجْجَةٌ : جَمْ جَاجْ وَمِنْ مَعَانِيهِ عَظَمٌ يَنْبَتُ عَلَيْهِ الْحَاجِبُ وَهُوَ الْمَرَادُ هُنَّا . (٢) هَذِهِ الْقُصِيدَةُ
يُجْعَلُهَا مَا عَدَ الْأَبْيَاتُ الْلَّذِيَّةُ الْأَوَّلُ مَا خُوذَةٌ مِنْ قُصِيدَةِ لَأَبِي الصَّلَبِ فِي مَدِيعِ سَبِيفِ الدُّوَلَةِ .

(٣) الْفَارِسِيَّةُ الْقَدِيمَةُ .

فِي دِيَبَاجَتِهَا : "اجْتَمَعَ عِنْدِي مِنْ كِتَابِ كَلِيلَةَ وَدَمْنَةَ نُسْخَةً شَتَّى مُتَفَقَّهَةُ السِّيَاقِ وَالاِنْسِظامِ ، مُخْتَلِفَةُ الْعِبَارَةِ وَالْأَلْفَاظِ . وَكَانَ مِنْ عَدَدِهَا نُسْخَةٌ قَدِيمَةُ الْعَهْدِ ، بِعِجَيبَةِ الْخَطِّ ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يُوجَدُ فِيهَا مَعَ جَوَدِهَا بَعْضُ الْغَلَطَاتِ . وَقَدْ ذَهَبَ مِنْهَا أَيْضًا بِتَضْرِيفِ الشَّهُورِ وَالْأَيَّامِ ، أَوْرَاقٌ جُعِلَتْ عِوْضًا عَنْهَا أَوْرَاقٌ غَيْرُهَا جَدِيدَةُ الْعَهْدِ ، رَدِيءَةُ الْخَطِّ لَيْسَتْ عَلَى هَيْثَةِ الْبَاقِي . وَالنُّسْخَةُ المَذْكُورَةُ هِيَ الَّتِي آخِرَتْهَا حَتَّى تَكُونَ هِيَ الْأَصْلُ الْمُعْتَمَدُ عَلَيْهِ عِنْدَ طَبِيعِهَا الْكِتَابِ . غَيْرَ أَنِّي كُلَّمَ عَزَّزْتُ فِيهَا عَلَى غَلَطَةِ ، أَوْ مَا أَشْتَبَهَ عَلَى الْقَارِئِ فَهُمُهُ ، قَابَلَتْهَا بِمَا عِنْدِي مِنْ النُّسْخَ غَيْرِهَا ، وَأَثَبَتُ مَا رَأَيْتُ لِفَظَهُ أَفْصَحَ ، وَمَعْنَاهُ أَوْضَحَ" اَنْتَهَى كَلَامُهُ . ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ النُّسْخَةَ الْمَطْبُوعَةَ عُرِضَتْ هِيَ وَغَيْرُهَا عَلَى شَيْخِ مَشَايخِ الْإِسْلَامِ ، وَقُدوَّةِ عُمَدِ الْأَنَامِ ، مَوْلَانَا الشَّيْخَ حَسَنِ الْعَطَّارِ أَدَامَ اللَّهُ عُمُومَ فَضْلِهِ مَا دَامَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ . فَقَالَ : يَصِحُّ أَلَا يُوجَدَ لَهَا فِي الصَّحَّةِ مِثَالٌ : لِشَهْرَةِ مُصَحِّحِهَا بِالضَّيْطِ وَسَعَةِ الْطَّلَاعِ عَلَى الْأَقْوَالِ . وَحِينَئِذٍ اتَّفَقَتْ الْآرَاءُ عَلَى أَنَّ

يَكُونَ الْمُعَوَّلُ فِي طَبْعِ ذَلِكَ الْكِتَابِ عَلَيْهَا ، وَمُنْتَهَى الْخِتَالَفِ
النَّسْخَ وَوِفَاقِهَا إِلَيْهَا . فَبَادَرْتُ إِشَارَةَ الْأَمْرِ بِصَرِيعِ الْإِمْتِنَالِ ،
وَسَرَّحْتُ فِي رِيَاضِ تِلْكَ النَّسْخَ سَائِمَ الظَّرْفِ وَالْبَالِ .
فَوَجَدْتُ الْمَطْبُوعَةَ أَفْصَحَهَا عِبَارَةً ، وَأَوْضَحَهَا إِشَارَةً ، وَأَصَحَّهَا
مَعْنَى ، وَأَحَكَمَهَا مَبْنَى ؛ غَيْرَ أَنَّ فِيهَا لُفَيَظَاتٍ حَادَثَتْ عَنْ
سَنَنِ الْعَرَبِيَّةِ وَبَعْضَ مَعَانِي مَا لَتْ بِهِ الرَّكَاكَةُ عَنْ أَنْ يَفْهَمَ
بِطَرِيقَةٍ مَرْضِيَّةٍ . فَقَرَيْتُ أَضْيَافَ الْمَعَانِي بِأَيْ لَفْظٍ تَسْتَهِيهِ .
وَصَاحِبُ الْبَيْتِ أَذْرَى بِالَّذِي فِيهِ . خُصُوصًا مَعَ وُجُودِ الْمَوَادِ
الَّتِي تَكْشِفُ عَنْ وُجُوهِ الصَّحَّةِ نِقَابَ الْإِشْتِبَاهِ . وَمَنْ كَانَ
ذَا مُكْنَةٍ فَلَيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ، مُسْتَعِنًا عَلَى ذَلِكَ بِمَا لَدَى
مِنَ النَّسْخَ الَّتِي بَخْطَ الْقَلْمَ ، مُعَوَّلًا عَلَى عِنَاءِي مَنْ عَلَمَ الْإِنْسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ . حَتَّى أَنْهَرَتْ بِإِشَاعَةِ ذَلِكَ الْكِتَابِ مَعَ غَایَةِ
الْتَّحْرِيرِ ، حَدِيقَةً تِلْكَ الْمَطْبَعَةِ الْمُشْرِقَةِ بِطَوَالِعِ التَّنْوِيرِ ؛ عَلَى
يَدِ مُصَحَّحِ مَا بِهَا مِنَ الْكُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ ، الْمُسْتَمِدُ مِنْ مَوْلَاهُ

الإعانة والمعية ، راجي من للفضل يوثق ، عبد الرحمن الصقفي ؛
 غفر الله ذنبه ، وستر في الدارين عيوبه ، مع سائر المسلمين .
 بمحمة طه ويس . عليه الصلاة والسلام . وعلى آله وصحبه
 الكرام .

بَابُ مُقَدَّمَةِ الْكِتَابِ

قَدَمَهَا بَهْنُودُ بْنُ سَحْوَانَ وَيُعْرَفُ بِعَلَى بْنِ الشَّاهِ الْفَارِسِيِّ . ذَكَرَ فِيهَا السَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ عَمِلَ بِيَدِهِ الْفِيلِسُوفُ الْهِنْدِي رَأْسُ الْبَرَاهِيمَةِ لِدَبْسَلِيمَ مَلِكِ الْهِنْدِ كَابَهُ الَّذِي سَمَاهُ كَلِيلَةُ وَدِمْنَةُ ، وَجَعَلَهُ عَلَى أَلْسُنِ الْبَهَائِمِ وَالْطَّيْرِ صِيَانَةً لِغَرَضِهِ فِيهِ مِنَ الْعَوَامِ ، وَضَنَّا بِمَا ضُمِّنَهُ عَنِ الطَّغَامِ ، وَتَزَرَّيَا لِلْحُكْمَةِ وَفُنُونِهَا ، وَمَحَاسِنِهَا وَعَيُونِهَا ، إِذْ هِيَ لِلْفِيلِسُوفِ مَنْدُوحةٌ ، وَنِخَاطِرِهِ مَفْتوحَةٌ ، وَلَمْ يُحِبِّهَا تَثْقِيفٌ ، وَلَطَالِبِهَا شَرِيفٌ . وَذَكَرَ السَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَنْفَدَ كِسْرَى أَنُوشِروانَ بْنَ قَبَادَ بْنَ فِرُوزَ مَلِكَ الْفُرْسِ بِرَزَوِيَّهِ رَأْسَ الْأَطْبَاءِ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ لِأَجْلِ كِتابِ كَلِيلَةُ وَدِمْنَةُ ، وَمَا كَانَ مِنْ تَلْطِيفِ بِرَزَوِيَّهِ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْهِنْدِ ، حَتَّى حَضَرَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ الَّذِي اسْتَنْسَخَهُ لَهُ سِرَا مِنْ نِخَانَةِ الْمَلِكِ لَيْلًا ، مَعَ مَا وُجِدَ مِنْ كُتُبِ عُلَمَاءِ الْهِنْدِ . وَقَدْ ذَكَرَ الَّذِي كَانَ مِنْ بَعْثَةِ بِرَزَوِيَّهِ إِلَى مَمْلَكَةِ الْهِنْدِ لِأَجْلِ نَقْلِ هَذَا الْكِتَابِ ، وَذَكَرَ فِيهَا

(١) البراهيم: قوم لا يجوزون على الله بيعة الرسل .

ما يَلْزَمُ مُطَالِعَهُ مِنْ إِتْقَانِ قِرَاءَتِهِ وَالْقِيَامِ بِدِرَاسَتِهِ وَالنَّظَرِ إِلَى
بَاطِنِ كَلَامِهِ؛ وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَمْ يَحْصُلْ عَلَى الْغَايَةِ مِنْهُ.
وَذَكَرَ فِيهَا حُضُورَ بَرَزَوَيَّهِ وَقِرَاءَةَ الْكِتَابِ جَهْرًا. وَقَدْ ذَكَرَ
السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ وَضَعَ بُزُورَ جَهْرِ بَابًا مُفْرَدًا يُسَمَّى بَابَ
بَرَزَوَيَّهِ الْمُتَطَبِّبُ، وَذَكَرَ فِيهِ شَأنَ بَرَزَوَيَّهِ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِهِ وَأَنِّ
مَوْلِدِهِ إِلَى أَنْ بَلَغَ التَّأْدِيبَ، وَأَحَبَّ الْحِكْمَةَ وَأَعْتَبَ فِي أَقْسَامِهَا.
وَجَعَلَهُ قَبْلَ بَابِ الْأَسْدِ وَالثَّوْرِ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ الْكِتَابِ.

قَالَ عَلَىٰ بْنُ الشَّاهِ الْفَارِسِيُّ : كَانَ السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ وَضَعَ
بِيَدِهِ الْفَيْلَسُوفُ لِدَبَشَلِيمَ مَلِكِ الْهِنْدِ كِتابَ كِلِيلَةَ وَدِمْنَةَ، أَنَّ
إِنْسَكَنْدَرَ ذَا الْقَرْنَيْنِ الرَّوِيَّ لَمَّا فَرَغَ مِنْ أَمْرِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ كَانُوا
بِنَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ، سَارَ يُرِيدُ مُلُوكَ الْمَشْرِقِ مِنَ الْفُرْسِ وَغَيْرِهِمْ؛
فَلَمْ يَزَلْ يُحَارِبُ مِنْ نَازِعَهُ وَيُوَاقِعُ مِنْ وَاقِعَهُ، وَيُسَالِمُ مِنْ وَادِعَهُ
مِنْ مُلُوكِ الْفُرْسِ، وَهُمُ الطَّبَقَةُ الْأُولَى، حَتَّى ظَهَرَ عَلَيْهِمْ وَقَهَّ

الْخِيلَةِ وَالتَّذَبِيرِ لِأَمْرِهِ، وَكَيْفَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقْدِمَ عَلَى الْإِيقَاعِ بِهِ .
 فَأَسْتَدْعَى بِالْمُنْجَمِينَ، وَأَمْرَهُمْ بِالِإِخْتِيَارِ لِيَوْمِ مُوَافِقٍ تَكُونُ لَهُ
 فِيهِ سَعَادَةٌ لِحَارَبَةِ مَلِكِ الْهِنْدِ وَالنُّصْرَةِ عَلَيْهِ . فَأَشْتَغَلُوا بِذَلِكَ .
 وَكَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ لَا يَمْرُرُ بِمَدِينَةٍ إِلَّا أَخَذَ الصُّنَاعَ الْمَشْهُورِينَ مِنْ صُنَاعِهَا
 بِالْحَذْقِ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ . فَانْجَهَتْ لَهُ هُمَّتْهُ وَدَلَّتْهُ فِطْنَتْهُ أَنْ يَتَقدَّمَ
 إِلَى الصُّنَاعِ الدِّينَ مَعَهُ فِي أَنْ يَصْنَعُوا خَيْلًا مِنْ نُحَاسٍ مُجَوَّفَةً ،
 عَلَيْهَا تَمَاثِيلُ مِنَ الرِّجَالِ ، عَلَى بَكَرٍ تَجْرِي ، إِذَا دُفِعَتْ مَرَّتْ
 سِرَاعًا . وَأَمْرَ إِذَا فَرَغُوا مِنْهَا أَنْ تُحْشَى أَجْوَافُهَا بِالنَّفْطِ وَالْكِبْرِيتِ ،
 وَتُلْبَسَ وَتُقْدَمَ أَمَامَ الصَّفَّ فِي الْقَلْبِ . وَوَقْتَ مَا يَلْتَقِي الْجَمَاعَانِ
 تُضْرَمُ فِيهَا النَّيْرَانُ . فَإِنَّ الْفِيلَةَ إِذَا لَفَّتْ حَرَأَ طِيمَهَا عَلَى الْفُرْسَانِ
 وَهِيَ حَامِيَةٌ ، وَلَتْ هَارِبَةٌ . وَأَوْعَزَ إِلَى الصُّنَاعِ بِالْتَّشْمِيرِ وَالِإِنْكِاشِ
 وَالْفَرَاغِ مِنْهَا . بَقَدُّوا فِي ذَلِكَ وَعَجَلُوا . وَقَرُبَ أَيْضًا وَقْتُ اخْتِيَارِ
 الْمُنْجَمِينَ . فَأَعَادَ ذُو الْقَرْنَيْنِ رُسْلَهُ إِلَى فُورِبِهَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ
 طَاعَتِهِ وَالْإِذْعَانِ لِدِولَتِهِ . فَأَجَابَ جَوابَ مُصْرُ عَلَى مُخَالَفَتِهِ ، مُقْبِحٍ

عَلَى مُحَارَبَتِهِ . فَلَمَّا رَأَى دُوَّالْقَرْنَيْنِ عَزِيزَتَهُ سَارَ إِلَيْهِ يَأْهُبَتِهِ ، وَقَدَمْ فُورُ الْفِيلَةَ أَمَامَهُ ، وَدَفَعَتِ الرِّجَالُ تِلْكَ الْخَيْلَ وَمَا شَيْلَ الْفُرْسَانِ ، فَاقْبَلَتِ الْفِيلَةُ نَحْوَهَا ، وَلَفَتْ نَحْرَاطِيمَهَا عَلَيْهَا . فَلَمَّا أَحْسَتْ بِالْحَرَارَةِ الْقَتْ مَنْ كَانَ عَلَيْهَا ، وَدَاسَتْهُمْ تَحْتَ أَرْجُلِهَا ، وَمَضَتْ مَهْزُومَةً هَارِبَةً ، لَا تَلْوِي عَلَى شَيْءٍ وَلَا تَمْرِي أَحَدٍ إِلَّا وَطَعَتْهُ . وَتَقْطَعَ فُورًا وَجْهُهُ ، وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ الْإِسْكَنْدَرِ ، وَأَنْجَنُوا فِيهِمُ الْحَرَاجَ . وَصَاحَ الْإِسْكَنْدَرُ : يَا مَلِكَ الْهِنْدِ آبْرُزْ إِلَيْنَا ، وَأَبْقَى عَلَى عَدَتِكَ وَعِيَالِكَ ، وَلَا تَحْمِلُهُمْ عَلَى الْفَنَاءِ . فَلَيْلَهُ لَيْسَ مِنَ الْمُرُوَّةِ أَنْ يَرِيَ الْمَلِكُ بِعُدَّتِهِ فِي الْمَهَالِكِ الْمُتُلْفَةِ وَالْمَوَاضِعِ الْمُجْبِحَةِ ، بَلْ يَقِيمُ بِعَالِهِ وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ بِنَفْسِهِ . فَآبْرُزْ إِلَيَّ وَدَعَ الْجُنْدَ ، فَأَيْنَا قَهْرَ صَاحِبِهِ فَهُوَ الْأَسْعَدُ . فَلَمَّا سَمِعَ فُورًا مِنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ذَلِكَ الْكَلَامَ دَعَتْهُ نَفْسُهُ لِلِّا لَقَاتِهِ طَمَعاً فِيهِ ، وَظَنَّ ذَلِكَ فُرْصَةً . فَبَرَزَ إِلَيْهِ الْإِسْكَنْدَرُ فَتَجَاوَلَ عَلَى ظَهْرَى فَرَسَيْهِمَا سَاعَاتٍ مِنَ

النهار ليس يلقى أحد هما من صاحب فُرصةً، ولم يز الاتئمار كان. فلما أعيَا الإسكندر أمره ولم يجد له فُرصة ولا حيلة أوقع دُو القرنين في عسكريه صنيحة عظيمة ارتجح لها الأرض والعساكر، فالتفت فوراً عند ما سمع الرُّعْقة، وظنها مكيدة في عسكريه، فعاجله دُو القرنين بضربيه أمالته عن سرجه، وتبعه بآخرى؛ فوقع على الأرض. فلما رأى الهند ما نزل بهم، وما صار إليه ملوكهم؛ حملوا على الإسكندر فقاتلوه قتالاً أحبوه معه الموت. فوعدهم من نفسه الإحسان، ومنحه الله أن يكافهم؛ فاستولى على بلادهم، وملك عليهم رجلاً من ثقائه. وأقام بالهند حتى استوثق بما أراد من أمرهم واتفاق كلمتهم؛ ثم انصرف عن الهند وخلف ذلك الرجل عليهم. ومضى متوجهاً نحو ماقصد له. فلما بعد ذوالقرنين عن الهند بجيشه، تغيرت الهند عما كانوا عليه من طاعة الرجل الذي خلفه عليهم؛ وقالوا ليس

(١) استوقي هنا : أخذ الثقة مما أراد والذى فى صفحة ١٥ استوقي الأمر من الوسق .

يَصْلُحُ لِلسيَاسَةِ وَلَا تَرْضَى الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ أَنْ يُكْلُكُوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا
لَيْسَ هُوَ مِنْهُمْ وَلَا مِنْ أَهْلِ بُيُوتِهِمْ . فَلِإِنَّهُ لَا يَزَالُ يَسْتَدِّهُمْ
وَيَسْتَقْلُهُمْ . وَجَتَّمَعُوا يُكْلُكُونَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ أَوْلَادِ مُلُوكِهِمْ ،
فَكَلُكُوا عَلَيْهِمْ مَلِكًا يُقَاتَلُ لَهُ دَبْشَلِيمُ ، وَخَلَعُوا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ
خَلَفَهُ عَلَيْهِمُ الإِسْكَنْدَرُ . فَلَمَّا اسْتَوْسَقَ لَهُ الْأَمْرُ ، وَاسْتَقَرَ لَهُ
الْمُلُكُ ، طَغَى وَبَغَى وَتَجَبَّرَ وَتَكَبَّرَ ، وَجَعَلَ يَغْزُو مَنْ حَوْلَهُ مِنَ
الْمُلُوكِ . وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ مُؤَيَّدًا مُظَفَّرًا مَنْصُورًا . فَهَبَّتْهُ الرَّعِيَّةُ .
فَلَمَّا رَأَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُلُكِ وَالسُّطُوةِ ، عَيْتَ بِالرَّعِيَّةِ وَاسْتَضَغَ
أَمْرَهُمْ وَأَسَاءَ السِّيرَةَ فِيهِمْ . وَكَانَ لَا تَرْتَقِي حَالُهُ إِلَّا ازْدَادَ عُتُّوا .
فَكَثَرَ عَلَى ذَلِكَ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ . وَكَانَ فِي زَمَانِهِ رَجُلٌ فِيلِسُوفٌ
مِنَ الْبَرَاهِمَةِ ، فَاضِلٌ حَكِيمٌ ، يُعْرَفُ بِفَضْلِهِ ، وَيُرْجَعُ فِي الْأُمُورِ
إِلَى قَوْلِهِ ، يُقَاتَلُ لَهُ بَيْدَبَا . فَلَمَّا رَأَى الْمُلُكَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ
لِلرَّعِيَّةِ ، فَكَرَّفَ وَجْهِ الْحِيَلَةِ فِي صَرْفِهِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ ، وَرَدَهُ إِلَى
الْعَذِيْنِ وَالْإِنْصَافِ ؛ بَعْمَعَ لِذَلِكَ تَلَامِيذَهُ ، وَقَالَ : أَتَعْلَمُونَ
مَا أُرِيدُ أَنْ أَشَارِكُمْ فِيهِ ؟ إِعْلَمُوا أَنِّي أَطَلَّتُ الْفِكْرَةَ فِي دَبْشَلِيمَ

(١) استوسق: اجتمع.

وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ الْعَدْلِ وَلَزُومِ الشَّرِّ وَرَدَاءَةِ السِّيَرَةِ
 وَسُوءِ الْعِشْرَةِ مَعَ الرَّعِيَّةِ ؛ وَنَحْنُ مَا نَرُوْضُ أَنفُسَنَا لِمِثْلِ هَذِهِ
 الْأُمُورِ إِذَا ظَهَرَتْ مِنَ الْمُلُوكِ، إِلَّا لِنَرْدَهُمْ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرِ وَلَزُومِ
 الْعَدْلِ. وَمَتَى أَغْفَلْنَا ذَلِكَ وَأَهْمَلْنَاهُ لَزِمَّ وَقْوَعُ الْمَكْرُوهِ بِنَا، وَبُلُوغُ
 الْمَحْذُورَاتِ إِلَيْنَا؛ إِذْ كُنَّا فِي أَنفُسِ الْجَهَالِ أَجْهَلَ مِنْهُمْ؛ وَفِي
 الْعُيُونِ عِنْهُمْ أَقْلَى نِسْبَتِهِمْ. وَلَيْسَ الرَّأْيُ عِنْدِي الْجَلَاءَ عَنِ الْوَطَنِ.
 وَلَا يَسْعُنَا فِي حِكْمَتِنَا إِبْقَاوَهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السِّيَرَةِ وَقَبْحِ
 الطَّرِيقَةِ. وَلَا يُمْكِنُنَا مُجَاهَدَتُهُ بِغَيْرِ السِّيَنَتِنَا. وَلَوْ ذَهَبْنَا إِلَى أَنْ
 نَسْتَعِينَ بِغَيْرِنَا لَمْ تَتَهَيَّأْ لَنَا مُعَانِدَتُهُ. وَإِنْ أَحَسَّ مِنَ الْجُنُاحَ فَقِتَهِ
 وَإِنْ كَارِنَا سُوءَ سِيرَتِهِ كَانَ فِي ذَلِكَ بَوَارُنَا. وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مُجَاوِرَةَ
 السَّبُعِ وَالْكَلِبِ وَالْخَيْرِ وَالثَّوْرِ عَلَى طِيبِ الْوَطَنِ وَنَضَارَةِ الْعَيْشِ
 لَغَدْرُ بِالنَّفِيسِ. وَإِنَّ الْفِيلِسُوفَ لَحَقِيقٌ أَنْ تَكُونَ هِمَتُهُ مَصْرُوفَةً
 إِلَى مَا يُحَصِّنُ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ نَوَازِلِ الْمَكْرُوهِ وَلَوَاحِقِ الْمَحْذُورِ؛
 وَيَدْفَعُ الْمَخْوَفَ لِاِسْتِجْلَابِ الْمَحْبُوبِ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّ
 فِيلِسُوفًا كَتَبَ لِتِلْمِيزِهِ يَقُولُ: إِنَّ مُجَاوِرَ رِجَالِ السُّوءِ وَمُصَاصِ جَهَنَّمِ

كَرَاكِبُ الْبَحْرِ : إِنْ سَلِمَ مِنَ الْغَرَقِ لَمْ يَسْلِمْ مِنَ الْخَاوِفِ . فَإِذَا
هُوَ أَوْرَدَ نَفْسَهُ مَوَارِدَ الْهَلَكَاتِ وَمَصَادِرَ الْمَخْوَفَاتِ ، عُدَّ مِنَ الْجَاهِيرِ
الَّتِي لَا تَنْفَسُ لَهَا . لِأَنَّ الْحَيَّانَ الْبِرِّيمِيَّةَ قَدْ خُصَّتْ فِي طَبَائِعِهَا
بِعَرِيفَةِ مَا تَكْتَسِبُ بِهِ النَّفْعُ وَتَتَوَقَّى الْمَكْرُوهَ : وَذَلِكَ أَنَّا لَمْ نَرَهَا
تُورِدُ أَنفُسَهَا مَوْرِدًا فِيهِ هَلَكَتْهَا . وَأَنَّهَا مَتَى أَشْرَفَتْ عَلَى مَوْرِدِ
مُهْلِكِ لَهَا ، مَالتْ بِطَبَائِعِهَا الَّتِي رُكِبَتْ فِيهَا — شَحَّا بِأَنفُسِهَا وَصِيَانَةً
لَهَا — إِلَى النَّفُورِ وَالْتَّبَاعُدِ عَنْهُ . وَقَدْ جَمَعْتُمُكُمْ هَذَا الْأَمْرَ : لِأَنَّكُمْ
أَسْرَتُمْ وَمَكَانُ سِرْيٍ وَمَوْضِعَ مَعْرِفَتِي ؛ وَبِكُمْ أَعْتَضِدُ ، وَعَلَيْكُمْ
أَعْتَمِدُ . فَلِإِنَّ الْوَحِيدَ فِي نَفْسِهِ وَالْمُنْفَرِدَ بِرَأْيِهِ حَيْثُ كَانَ فَهُوَ ضَائِعٌ
وَلَا نَاصِرَ لَهُ . عَلَى أَنَّ الْعَاقِلَ قَدْ يَبْلُغُ بِحِيلَتِهِ مَا لَا يَبْلُغُ بِالْخَيْلِ
وَالْخُنُودِ . وَالْمَثَلُ فِي ذَلِكَ أَنَّ قُبْرَةَ الْمَخَذَّثِ أَدْحِيَّةً وَبَاضَتْ فِيهَا
عَلَى طَرِيقِ الْفِيلِ ؛ وَكَانَ لِلْفِيلِ مَشْرُبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ . فَرَّ ذَاتَ
يَعْرِمَ عَلَى عَادَتِهِ لِيَرِدَ مَوْرِدَهُ فَوَطَئَ عُشَّ الْقُبْرَةِ ؛ وَهَشَّمَ بَيْضَهَا
وَقَتَلَ فِرَاخَهَا . فَلَمَّا نَظَرَتْ مَاسَاءَهَا ، عَلِمَتْ أَنَّ الَّذِي نَالَهَا مِنَ

(١) الحيوان: الحياة . قال تعالى: وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهُوَ الْحَيَّانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ -

(٢) الأفضل فيها قبرة وهي طائر . (٣) ملا تبيض فيه .

الفيل لا من غيره . فطارت فوقعت على رأسه باكيه ، ثم قال :
 أيهما الملك لم هشمت بيضي وقتلت فراخي ، وأنا في جوارك ؟
 أفعلت هذا استصغاراً منك لأمرى واحتقاراً لشأني ؟ قال :
 هو الذي حملني على ذلك . فتركته وانصرفت إلى جماعة الطير ،
 فشككت إليها ما نالها من الفيل . فقلن لها وما عسى أن يبلغ منه
 ونحن طيور ؟ فقالت للعفاعق والغربان : أحب منك أن تصرن
 معي إليه فتفقآن عينيه ، فلما أحتال له بعد ذلك بحيلة أخرى .
 فاجبنتها إلى ذلك ، وذهبن إلى الفيل ، ولم يزلن ينقرن عينيه
 حتى ذهبنا بهما . وبقي لا يهتدى إلى طريق مطعمه ومشربه
 إلا ما يلقمه من موضعه . فلما علمت ذلك منه ، جاءت إلى
 غدير فيه ضفادع كثيرة ، فشككت إليها ما نالها من الفيل . قالت
 الضفادع : ما حيلتنا نحن في عظم الفيل ؟ وain يبلغ منه ؟ قالت :
 أحب منك أن تصرن معي إلى وهدة قريبة منه ، فتنققن فيها ،
 وتضيّجن . فلما إذا سمع أصواتك لم يشك في الماء فيهوى

(١) جمع عقق وهو طير أبلق بسوده بياض . (٢) أرض منخفضة .

فِيهَا . فَأَجَبَنَا إِلَى ذَلِكَ ، وَاجْتَمَعْنَا فِي الْهَاوِيَةِ ، فَسَمِعَ الْفِيلُ
نَقِيقَ الصَّفَادِعَ ، وَقَدْ أَجْهَدَهُ الْعَطَشُ ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَعَ
فِي الْوَهْدَةِ ، فَارْتَطَمَ فِيهَا . وَجَاءَتِ الْقُبْرَةُ تُرْفِرِفُ عَلَى رَأْسِهِ ،
وَقَالَتْ : أَيُّهَا الطَّاغِي الْمُغْرِبُ بِقُوَّتِهِ الْمُحْتَقِرُ لِأَمْرِي ، كَيْفَ رَأَيْتَ
عِظَمَ حِيلَتِي مَعَ صِغَرِ جُحْشِي عِنْدَ عِظَمِ جُحْشِكَ وَصِغَرِ هَمَّتِكَ ؟
فَلَيْشِرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يُمْكِنُ لَهُ مِنْ الرَّأْيِ . قَالُوا
بِأَجْمَعِهِمْ : أَيُّهَا الْفِيلِسُوفُ الْفَاضِلُ ، وَالْحَكِيمُ الْعَادِلُ ، أَنْتَ
الْمُقْدَمُ فِينَا ، وَالْفَاضِلُ عَلَيْنَا ، وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مَبْلَغُ رَأْيِنَا عِنْدَ
رَأْيِكَ ، وَفَهَمْنَا عِنْدَ فَهْمِكَ ؟ غَيْرَ أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّ السَّبَاحَةَ فِي الْمَاءِ
مَعَ التَّمْسَاحِ تَغْرِيرٌ ، وَالذَّنْبُ فِيهِ لِمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ .
وَالذِّي يَسْتَخْرُجُ السُّمُّ مِنْ نَابِ الْحَيَّةِ فَيَبْتَلِعُهُ لِيُجَرِبَهُ جَانِ عَلَى
نَفْسِهِ ، فَلَيْسَ الذَّنْبُ لِلْحَيَّةِ . وَمَنْ دَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فِي غَابَتِهِ ،
لَمْ يَأْمَنْ مِنْ وَثَبَتِهِ . وَهُذَا الْمَلِكُ لَمْ تُفْزِعْهُ النَّوَافِرُ ، وَلَمْ تُودِعْهُ

(١) وَقَعْ وَلَمْ يَكُنْ لِلْخَروجِ .

التجاربُ . ولَسْنَا نَأْمَنُ عَلَيْكَ وَلَا عَلَى أَنفُسِنَا سَطْوَتَهُ وَإِنَّا نَخَافُ
 عَلَيْكَ مِنْ سَوْرَتِهِ وَمُبَادَرَتِهِ بُسُورٌ إِذَا لَقِيَتْهُ بِغَيْرِ مَا يُحِبُّ . فَقَالَ
 الْحَكِيمُ بَيْدَبَا : لَعَمْرِي لَقَدْ قُلْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ ، لَكِنَّ ذَا الرَّأْيِ
 الْخَازِمَ لَا يَدْعُ أَنْ يُشَارِرَ مَنْ هُوَ دُونَهُ أَوْ فَوْقَهُ فِي الْمَتْزِلَةِ .
 وَالرَّأْيُ الْفَرْدُ لَا يُكْتَفِي بِهِ فِي الْخَاصَّةِ وَلَا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي الْعَامَّةِ .
 وَقَدْ حَثَتْ عَزِيزَتِي عَلَى لِقَاءِ دَبَشَلِيمَ . وَقَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ ،
 وَتَبَيَّنَ لِي نَصِيبَتُكُمْ وَالإِشْفَاقُ عَلَى وَعَلَيْكُمْ . غَيْرَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ
 رَأْيَا وَعَزَّمْتُ عَزْمَاً ، وَسَتَرِفُونَ حَدِيثِي عِنْدَ الْمَلِكِ وَمَجَاوَبِي إِيَاهُ
 فَإِذَا آتَتَصَلَّ بِكُمْ خُرُوجِي مِنْ عِنْدِهِ فَاجْتَمِعُوا إِلَيَّ . وَصَرَفْهُمْ
 وَهُمْ يَدْعُونَ لَهُ بِالسَّلَامَةِ .

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا أَخْتَارَ يَوْمًا لِلَّدُخُولِ عَلَى الْمَلِكِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ
 ذَلِكَ الْوَقْتُ أَلْقَى عَلَيْهِ مُسَوِّحَهُ وَهِيَ لِبَاسُ الْبَرَاهِمَةِ ، وَقَصَدَ بَابَ
 الْمَلِكِ ، وَسَأَلَ عَنْ صَاحِبِ إِذْنِهِ وَأَرْشَدَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ،

(١) سطوهه واعتدائه . (٢) جمع يسح وهو الكساء من الشعر .

وأعلمته و قال له : إن رجل قصدت الملك في نصيحة . فدخل
 الآذن على الملك في وقته ، وقال : بالباب رجل من البراهيم يقال له
 بيدبا ، ذكر أن معه لملك نصيحة . فأذن له ، فدخل ووقف
^(١)
 بين يديه وكفر وسجد له وانتوى قائماً وسكت . وفكَّر دنسليم
 في سُكُونِه ، وقال : إن هذا لم يقصدنا إلا لأمرَين : إما
 لالتماس شئٍ منا يصلح به حاله ، وإما لأمرٍ تحقق فلم تكن
 له به طاقة . ثم قال : إن كان للملوك فضل في ملوكها فإن
 للحكماء فضلاً في حكمتها أعظم : لأن الحكمة أغنىاء عن الملوك
 باليعلم وليس الملوك بأغنىاء عن الحكماء بمالهم . وقد وجدت
 العلم والحياة إلفين متالفين لا يفتر قان : متى فقد أحد هما
 لم يوجد الآخر ، كالمتصافيين إن عدم مِنْهُمَا أحد لم يطِب صاحبه
 نفساً بالبقاء بعده تأسفاً عليه . ومن لم يستخف من الحكماء
 ويذكر مهُم ، ويعرف فضلهم على غيرهم ، ويصنفهم عن

(١) الحاجب . (٢) عظم والكفر من معانٍ تعظيم الفارسي للكل و التكبير من معانٍ
 إيمان الذى برأسه .

المَوَاقِفُ الْوَاهِنَةُ، وَيُنَزَّهُمْ عَنِ الْمَوَاطِنِ الرَّذْلَةِ كَانَ مِنْ حُرِمَ
 عَقْلَهُ، وَخَسِرَ دُنْيَاهُ، وَظَلَمَ الْحُكَمَاءَ حُقُوقَهُمْ، وَعُدَّ مِنَ
 الْجُهَابِ. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى بَيْدَبَا، وَقَالَ لَهُ : نَظَرْتُ إِلَيْكَ
 يَا بَيْدَبَا سَاكِنًا لَا تَعْرِضُ حَاجَتَكَ، وَلَا تَذَكُّ بُغْيَتَكَ، فَقُلْتُ :
 إِنَّ الَّذِي أَسْكَنَهُ هَبَبَةً سَاوِرَتْهُ أَوْ حَيْرَةً أَذْرَكَتْهُ، وَتَامَّتْ عِنْدَ
 ذَلِكَ مِنْ طُولِ وُقُوفَكَ، وَقُلْتُ : لَمْ يَكُنْ لِبَيْدَبَا أَنْ يَطْرُقَنَا عَلَى
 غَيْرِ عَادَةٍ إِلَّا لِأَمْرٍ حَرَكَهُ لِذَلِكَ، فَإِنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ زَمَانِهِ.
 فَهَلَّا نَسَأَلُهُ عَنْ سَبِّ دُخُولِهِ ! فَإِنْ يَكُنْ مِنْ ضَيْمٍ نَالَهُ، كُنْتُ
 أُولَئِنَّ مِنْ أَخْدَدِ بَيْدِيهِ وَسَارَعَ فِي تَشْرِيفِهِ، وَتَقَدَّمَ فِي الْبُلُوغِ إِلَى
 مُرَادِهِ وَإِعْزَازِهِ، وَإِنْ كَانَتْ بُغْيَتِهُ غَرَضًا مِنْ أَغْرِاضِ الدُّنْيَا
 أَمْرَتُ بِإِلَارْضَائِهِ مِنْ ذَلِكَ فِيهَا أَحَبَّ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْ أَمْرِ
 الْمُلْكِ، وَمِمَّا لَا يَنْبَغِي لِلْمُلْوِكِ أَنْ يَبْذُلوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَا يَنْقَادُوا
 إِلَيْهِ نَظَرْتُ فِي قَدْرِ عُقُوبَتِهِ، عَلَى أَنَّ مِثْلَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِيَ عَلَى
 إِذْخَالِ نَفْسِهِ فِي بَابِ مَسَالَةِ الْمُلْوِكِ، وَإِنْ كَانَ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ
 الرَّعِيَّةِ يَقْصِدُ فِيهِ أَفْ أَصْرِفُ عِنَّا يَتِي إِلَيْهِمْ، نَظَرْتُ مَا هُوَ ?

فَإِنَّ الْحُكْمَاءَ لَا يُشِيرُونَ إِلَّا بِالْخَيْرِ ، وَابْنُهَا يُشِيرُونَ بِضِدِّهِ .
وَأَنَا قَدْ فَسَخْتُ لَكَ فِي الْكَلَامِ . فَلَمَّا سَمِعَ بَيْدَبَا ذَلِكَ مِنَ
الْمَلِكِ أَفْرَخَ رَوْعَهُ^(١) ، وَسُرِيَ عَنْهُ مَا كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ مِنْ خَوْفِهِ
وَكَفَرَ لَهُ وَسَجَدَ^(٢) ، ثُمَّ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ : أَوَّلَ مَا أَقُولُ أَسْأَلُ
اللَّهَ تَعَالَى بَقَاءَ الْمَلِكِ عَلَى الْأَبْدِ ، وَدَوَامَ مُلْكِهِ عَلَى الْأَمْدِ : لِأَنَّ
الْمَلِكَ قَدْ مَنَحَنِي فِي مَقَامِي هَذَا مَحَلًا جَعَلَهُ شَرَفًا لِي عَلَى جَمِيعِ
مَنْ بَعْدِي مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَذِكْرًا بَاقِيًّا عَلَى الدَّهْرِ عِنْدَ الْحُكْمَاءِ .
ثُمَّ أَفْبَلَ عَلَى الْمَلِكِ بِوَجْهِهِ ، مُسْتَبِشِرًا بِهِ فَرِحًا بِمَا بَدَأَ لَهُ مِنْهُ ،
وَقَالَ : قَدْ عَطَفَ الْمَلِكُ عَلَى بِكَرِمِهِ وَإِحْسَانِهِ . وَالْأَمْرُ الَّذِي
دَعَانِي إِلَى الدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ ، وَحَمَلَنِي عَلَى الْخُسَاطِرَةِ لِكَلَامِهِ ،
وَالْإِقْدَامِ عَلَيْهِ ، نَصِيحَةً أَخْتَصَصَتْهُ بِهَا دُونَ غَيْرِهِ . وَسَيَعْلَمُ
مَنْ يَتَصِلُّ بِهِ ذَلِكَ أَنِّي لَمْ أُقْصِرْ عَنْ غَايَةِ فِيهَا يَحْبُّ لِلنَّمَوْيَ عَلَى
الْحُكْمَاءِ . فَإِنَّ فَسَحَ فِي كَلَامِي وَوَعَاهُ عَنِّي ، فَهُوَ حَقِيقٌ بِذَلِكَ

(١) يُقال : أَفْرَخَ رَوْعَهُ وَرُوعَهُ . أَيْ ذَهَبَ فَزَعُهُ وَخُوفُهُ . وَقَالَ أَبُوا الْهَيْثَمَ إِنَّمَا هُوَ :
أَفْرَخَ رُوعَهُ وَمَعْنَاهُ نَرْجُ الرَّوْعِ وَالْفَرْعُ مِنْ رُوعَهُ وَهُوَ الْقَلْبُ . (٢) زَالَ عَنْهُ .

وَمَا يَرَاهُ ، وَإِنْ هُوَ الْقَاهُ ، فَقَدْ بَلَغْتُ مَا يَلْزَمْنِي وَخَرَجْتُ مِنْ لَوْمِ يَلْحَقُنِي . قَالَ الْمَلِكُ يَابْيَدَبَا تَكَلَّمَ كَيْفَ شِئْتَ : فَلَيَتَنِي مُضْعِفٌ إِلَيْكَ ، وَمُقْبِلٌ عَلَيْكَ ، وَسَامِعٌ مِنْكَ ، حَتَّى أَسْتَفِرَغَ مَا عِنْدَكَ إِلَى آخِرِهِ ، وَأَجَازِيَكَ عَلَى ذَلِكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ . قَالَ بَيَنَدَبَا :

إِنِّي وَجَدْتُ الْأُمُورَ الَّتِي آخْتُصَّ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْحَيَّانِ أَرْبَعَةً أَشْيَاءً ، وَهِيَ جُمَاعُ مَا فِي الْعَالَمِ ، وَهِيَ الْحِكْمَةُ وَالْعِفَةُ وَالْعُقْلُ وَالْعَدْلُ . وَالْعِلْمُ وَالْأَدَبُ وَالرَّوِيَّةُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْحِكْمَةِ . وَالْخَلْمُ وَالصَّبْرُ وَالْوَقَارُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْعُقْلِ . وَالْحَيَاةُ وَالْكَرْمُ وَالصِّيَانَةُ وَالْأَنْفَةُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْعِفَةِ . وَالصَّدْقُ وَالْإِحْسَانُ وَالْمُرَاقَبَةُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْعَدْلِ .

وَهُذِهِ هِيَ الْمَحَاسِنُ ، وَأَضَدَادُهَا هِيَ الْمَسَاوِيُّ . فَتَنَى كَلَّتْ هُذِهِ فِي وَاحِدٍ لَمْ تُخْرِجْهُ الزِّيَادَةُ فِي نِعْمَةٍ إِلَى سُوءِ الْخَطَّ مِنْ دُنْيَاهُ وَلَا إِلَى نَقْصٍ فِي عَقْبَاهُ ، وَلَمْ يَتَأْسَفْ عَلَى مَا لَمْ يُعِنِ التَّوْفِيقُ بِبَقَائِهِ ، وَلَمْ يُخْزِنْهُ مَا تَجْرِي بِهِ الْمَقَادِيرُ فِي مُلْكِهِ ، وَلَمْ يَدْهَشْ

عند مَكْرُوهٍ . فَالْحِكْمَةُ كَنْزٌ لَا يَفْنِي عَلَى إِنْفَاقٍ ، وَذَخِيرَةٌ
لَا يَضُرُّ بَهَا إِلَامْلَاقٌ^(١) ، وَحُلَّةٌ لَا تَحْلُقُ جَدَّهَا ، وَلَدَّهُ لَا تَصْرُمُ^(٢)
مُدَّهَا . وَلَئِنْ كُنْتُ عِنْدَ مَهَامِي بَيْنَ يَدِ الْمَلِكِ امْسَكْتُ عَنِ
ابْتِداَءِهِ بِالْكَلَامِ ، إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مِنْ إِلَّا لِهِبَتِهِ وَإِجْلَالِهِ .
وَلَعَمْرِي إِنَّ الْمُلُوكَ لَا هُلُّ أَنْ يُهَابُوا ، لَا سِيمَا مَنْ هُوَ فِي الْمَنْزِلَةِ
الَّتِي جَلَّ فِيهَا الْمَلِكُ عَنْ مَنَازِلِ الْمُلُوكِ قَبْلَهُ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ :
إِنَّمَا السُّكُوتَ ، فَإِنَّ فِيهِ سَلَامَةً ، وَتَجَنَّبُ الْكَلَامَ الْفَارِغَ ، فَإِنَّ
عَاقِبَتِهِ النَّدَامَةُ . وَحُكِيَ أَنَّ أَرْبَعَةَ مِنَ الْعُلَمَاءِ صَمُّهُمْ مَجْلِسُ
مَلِكٍ ، فَقَالَ لَهُمْ : لِيَتَكَلَّمُ كُلُّ بِكَلَامٍ يَكُونُ أَصْلًا لِلْأَدَبِ .
فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَفْضَلُ خَلَةِ الْعِلْمِ السُّكُوتُ . وَقَالَ الثَّانِي : إِنَّ
مِنْ أَنْفَعِ الْأَشْيَاءِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُعْرَفَ قَدْرُ مَنْزِلَتِهِ مِنْ عَقْلِهِ .
وَقَالَ الثَّالِثُ : أَنْفَعُ الْأَشْيَاءِ لِلْإِنْسَانِ أَلَا يَتَكَلَّمُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ .
وَقَالَ الرَّابِعُ : أَرْوَحُ الْأَمْرِ عَلَى الإِنْسَانِ التَّسْلِيمُ لِلْمَقَادِيرِ .

(١) لعل الصواب « لا يضر بها الاملاق ». (٢) لا تقبل . (٣) لا تقطع .

وَاجْتَمَعَ فِي بَعْضِ الزَّمَانِ مُلُوكُ الْأَقَالِيمِ مِنَ الصِّينِ وَالهِنْدِ وَفَارِسَ وَالرُّومِ ، وَقَاتُوا يَتَبَرَّغُونَ يَتَكَلَّمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ بِكَلْمَةٍ تُدْوِنُ عَنْهُ عَلَى غَابِرِ الدَّهْرِ . فَقَالَ مَلِكُ الصِّينِ : أَنَا عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ أَقْدَرُ مِنْ عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ . وَقَالَ مَلِكُ الْهِنْدِ : عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلْمَةِ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ لَمْ تَنْفَعْهُ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْهِ أَوْبَقَتْهُ . وَقَالَ مَلِكُ فَارِسَ : أَنَا إِذَا تَكَلَّمْتُ بِالْكَلْمَةِ مَكَثْتُنِي ، وَإِذَا لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهَا مَلَكْتُهَا . وَقَالَ مَلِكُ الرُّومِ : مَا نَدَمْتُ عَلَى مَا لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهِ قَطْ ، وَلَقَدْ نَدَمْتُ عَلَى مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ كَثِيرًا . وَالسُّكُوتُ عِنْدَ الْمُلُوكِ أَحْسَنُ مِنَ الْهَذَرِ الَّذِي لَا يُرْجِعُ مِنْهُ إِلَى نَفْعِهِ . وَأَفْضَلُ مَا اسْتَظَلَّ بِهِ الإِنْسَانُ لِسَانُهُ . غَيْرَ أَنَّ الْمَلِكَ أَطَالَ اللَّهُ مُدْتَهُ ، لَمَّا فَسَحَ لِي فِي الْكَلَامِ وَأَوْسَعَ لِي فِيهِ ، كَانَ أَوْلَى مَا أَبْدَأَ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ غَرِبَى أَنْ يَكُونَ ثَمَرَةً ذَلِكَ لَهُ دُونِي ، وَأَنْ أَنْخَتَصَهُ بِالْفَانِدَةِ قَبْلِي . عَلَى أَنَّ الْعُقَبَى هِيَ مَا أَفْصَدُ فِي كَلَامِي لَهُ ، وَإِنَّمَا نَفْعُهُ وَشَرَفُهُ رَاجِعٌ إِلَيْهِ ، وَأَكُونُ أَنَا قَدْ قَضَيْتُ فَرَضًا وَجَبَ عَلَيَّ فَأَقُولُ :

(١) أَهْلَكَهُ . (٢) وَفِي نَسْخَةٍ رَأَيْتُ مَا ضَلَّ بِهِ الإِنْسَانَ لِسَانَهُ .

أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّكَ فِي مَنَازِلِ آبَائِكَ وَأَجْدَادِكَ مِنَ الْخَبَابِرَةِ الَّذِينَ
 أَسَّسُوا الْمُلْكَ قَبْلَكَ ، وَشَيَّدُوهُ دُونَكَ ، وَبَنُوا الْقِلَاعَ وَالْخُصُونَ ،
 وَمَهَدُوا الْبِلَادَ ، وَقَادُوا الْجُيُوشَ ، وَاسْتَجَاشُوا الْعُدَّةَ ، وَطَالَتْ
 لَهُمُ الْمُدَّةُ ، وَاسْتَكْثَرُوا مِنَ السَّلَاحِ وَالْكُرَاعِ ، وَعَاشُوا الدُّهُورَ ،
 فِي الْغِبْطَةِ وَالسُّرُورِ ، فَلَمْ يَمْنَعْهُمْ ذَلِكَ مِنْ اِكْتِسَابِ جَمِيلِ الْذَّكْرِ ،
 وَلَا قَطَعَهُمْ عَنِ اغْتِنَامِ الشَّكْرِ ، وَلَا آسْتِعْمَالِ الإِحْسَانِ إِلَى مَنْ خَوَلُوهُ ،
 وَالإِرْفَاقِ بِمَنْ وَلُوهُ ، وَحُسْنِ السِّيرَةِ فِيهَا تَقَدُّمُهُ ، مَعَ عِظَمِ
 مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ هُرَّةِ الْمُلْكِ ، وَسَكْرَةِ الْأَقْتِدارِ . وَإِنَّكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ
 السَّعِيدُ جَدُّهُ ، الطَّالِعُ كَوْكُبُ سَعْدِهِ ، قَدْ وَرَثْتَ أَرْضَهُمْ
 وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَمَنَازِلَهُمُ الَّتِي كَانَتْ عُدَّتُهُمْ ، فَأَقْتَلْتَ فِيهَا خُولَتَ
 مِنَ الْمُلْكِ وَوَرِثْتَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْخُنُودِ ، فَلَمْ تَقْتُمْ فِي ذَلِكَ بِحَقِّ
 مَا يَحِبُّ عَلَيْكَ ، بَلْ طَغَيْتَ وَبَغَيْتَ وَعَنَّتَ وَعَلَوَتَ عَلَى الرِّعَايَةِ ،
 وَأَسَأَتَ السِّيرَةَ ، وَعَظُمَتْ مِنْكَ الْبَكِيرَةُ . وَكَانَ الْأُولَى وَالْآشْبَهَ

(١) استجاش الجيش : جمعه . (٢) الكراع : اسم جمع الخيل وقبل الخيل والسلاح .

(٣) عروبة .

يُكَ أَنْ تَسْلُكَ سَبِيلَ أَسْلَافِكَ ، وَتَتَّبَعَ آثَارَ الْمُلُوكِ قَبْلَكَ ،
وَتَقْفُ مَحَاسِنَ مَا أَبْقَوهُ لَكَ ، وَتُقْلِعَ عَمَّا عَارُهُ لَازِمٌ لَكَ ،
وَشَيْئُهُ وَاقِعٌ يُكَ ، مُخْسِنُ النَّظَرِ بِرَعِيَّتِكَ ، وَسَنْ لَهُمْ سُنَّ
الْخَيْرِ الَّذِي يَبْقَى بَعْدَكَ ذِكْرُهُ ، وَيُغْقِبُكَ الْجَيْلَ فَخْرُهُ ؛ وَيَكُونُ
ذُلِكَ أَبْقَى عَلَى السَّلَامَةِ وَأَدْوَمَ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ . فَإِنَّ الْجَاهِلَ
الْمُغْتَرَ مَنْ اسْتَعْمَلَ فِي أُمُورِهِ الْبَطَرَ وَالْأَمْنِيَّةَ ، وَالْحَازِمَ الْلَّيِّبَ مَنْ
سَاسَ الْمُلْكَ بِالْمُدَارَأَةِ وَالرُّفْقِ ؛ فَانظُرْ إِلَيْهَا الْمَلِكُ مَا أَقْرَيْتُ إِلَيْكَ ،
وَلَا يَنْقُلنَّ ذُلِكَ عَلَيْكَ : فَلَمَّا أَتَكُلَّمَ بِهَذَا ابْتِغَاءَ عَرَضِ ثَجَازِينِي
بِهِ ، وَلَا اتِّسَاسَ مَعْرُوفٍ تُكَافِئُنِي فِيهِ ؛ وَلَكِنِي أَتَيْتُكَ نَاصِحًا
مُشْفِقًا عَلَيْكَ .

فَلَمَّا فَرَغَ بَيْدَبَا مِنْ مَقَالَتِهِ ، وَقَضَى مُنَاصَحتَهُ ، أَوْغَرَ صَدَرَ
الْمَلِكِ فَأَغْلَظَ لَهُ فِي الْخَوَابِ اسْتِضْغَارًا لِأَمْرِهِ ؛ وَقَالَ : لَقَدْ
تَكَلَّمَتِ بِكَلَامٍ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مَلَكَتِي
يَسْتَقْبِلُنِي بِمَثْلِهِ ، وَلَا يُقْدِمُ عَلَى مَا أَقْدَمْتَ عَلَيْهِ . فَكَيْفَ أَنْتَ

مَعَ صِغَرِ شَأْنِكَ ، وَضَعْفِ مُنْتِكَ وَبَخْرِ قُوَّتِكَ ؟ وَلَقَدْ أَنْثَرْتَ
 اَنْجَاحِي مِنْ إِقْدَامِكَ عَلَىَّ ، وَتَسْلِطِكَ يَلِسَانِكَ فِيهَا جَاؤَتْ فِيهِ
 حَدَّكَ . وَمَا أَجِدُ شَيْئًا فِي تَأْدِيبِ غَيْرِكَ أَبْلَغَ مِنَ التَّنْكِيلِ بِكَ .
 فَذَلِكَ عِبْرَةٌ وَمَوْعِظَةٌ لِمَنْ عَسَاهُ أَنْ يَبْلُغَ وَيَرْوَمَ مَا رَمْتَ أَنْتَ
 إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا أَوْسَعُوا لَهُمْ فِي مَحَالِسِهِمْ . ثُمَّ أَمْرَ بِهِ أَنْ يُقْتَلَ
 وَيُضْلَبَ . فَلَمَّا مَضَوْا بِهِ فِيهَا أَمْرَ ، فَشَكَرَ فِيهَا أَمْرَ بِهِ فَأَجْحَمَ عَنْهُ ،
 ثُمَّ أَمْرَ بِخَبِيسِهِ وَتَقْيِيدهِ . فَلَمَّا حُسْنَ أَنْفَدَ فِي طَلَبِ تَلَامِيذهِ
 وَمَنْ كَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فَهَرَبُوا فِي الْبِلَادِ وَاعْتَصَمُوا بِجزَائِرِ الْبِحَارِ ،
 فَكَثُرَ بَيْدَبَا فِي مَخِيْسِهِ أَيَّامًا لَا يَسْأَلُ الْمَلِكُ عَنْهُ ، وَلَا يَلْتَفِتُ
 إِلَيْهِ ، وَلَا يَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يَذْكُرَهُ عِنْدَهُ ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ لَيْلَةً مِنَ
 الْلَّيَالِي سَهَدَ الْمَلِكُ سُهَدًا شَدِيدًا ^(١) ، فَطَالَ سُهُودُهُ ، وَمَدَ إِلَى الْفَلَكِ
 بَصَرَهُ ، وَتَفَكَّرَ فِي تَفَلُّكِ الْفَلَكِ وَحَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ ، فَأَغْرَقَ
 الْفَكَرَ فِيهِ ، فَسَلَكَ بِهِ إِلَى اسْتِنْبَاطِ شَيْءٍ عَرَضَ لَهُ مِنْ أُمُورِ
 الْفَلَكِ ، وَالْمَسَأَلَةِ عَنْهُ . فَذَكَرَ عِنْدَ ذَلِكَ بَيْدَبَا ، وَتَفَكَّرَ فِيهَا كَلْمَهُ بِهِ ،

(١) قُوتِكَ . (٢) أَرْقَ أَرْقًا شَدِيدًا . (٣) اسْتِدَارَةٌ مُنْطَرَ النَّجُومِ .

فَارْعَوَى لِذِلِكَ . وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : لَقَدْ أَسَأْتُ فِيمَا صَنَعْتُ
بِهَا الْفَيْلَسُوفِ ، وَضَيَّعْتُ وَاجِبَ حَقِّهِ ، وَحَمَلْنِي عَلَى ذَلِكَ
سُرْعَةُ الْغَضَبِ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : أَرْبَعَةٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ
فِي الْمُلْوَكِ : الْغَضَبُ فَإِنَّهُ أَجَدَرُ الْأَشْيَاءِ مَقْتًا ، وَالْبُخْلُ فَإِنَّ
صَاحِبَهُ لَيْسَ بِمَعْذُورٍ مَعَ دَاتِ يَدِهِ ، وَالْكَذْبُ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ
أَنْ يَجَاوِرَهُ ، وَالْعُنْفُ فِي الْمُحَاوِرَةِ فَإِنَّ السَّفَهَ لَيْسَ مِنْ شَانِهَا .
وَإِنِّي أَتَى إِلَى رَجُلٍ نَصَحَ لِي ، وَلَمْ يَكُنْ مُبْلِغاً ، فَعَامَلْتُهُ بِضَدِّ
مَا يَسْتَحْقُ ، وَكَافَأْتُهُ بِخَلَافِ مَا يَسْتَوْجِبُ . وَمَا كَانَ هَذَا بَحْرَاءُ
مِنِّي ، بَلْ كَانَ الْوَاجِبُ أَنْ أَسْمَعَ كَلَامَهُ ، وَأَنْقَادَ لِمَا يُشِيرُ بِهِ .
ثُمَّ أَنْفَذَ فِي سَاعَتِهِ مَنْ يَأْتِيهِ بِهِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ :
يَا بَيْدَبَا أَلَسْتَ الَّذِي قَصَدْتَ إِلَى تَقْصِيرِ هِمَّتِي ، وَعَجَزْتَ رَأِيِ
فِي سِيرَتِي بِمَا تَكَلَّمَتْ بِهِ آنِفًا ؟ قَالَ لَهُ بَيْدَبَا : أَيْهَا الْمَلِكُ النَّاصِحُ
الشَّفِيقُ ، وَالصَّادِقُ الرَّفِيقُ ، إِنَّمَا نَبَأْتُكَ بِمَا فِيهِ صَلَاحٌ لَكَ
وَلِرَعْيَتِكَ ، وَدَوَامُ مُلْكِكَ لَكَ ، قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : يَا بَيْدَبَا أَعِذُّ عَلَى

- (١) ارعوى ارعواه : نزع عن الجهل ورجع عنه .

كَلَامَكَ كُلَّهُ ، وَلَا تَدْعُ مِنْهُ حَرْفًا إِلَّا جِئْتَ بِهِ . بَفَعَلَ بَيْدَبَا
 يَنْثُرُ كَلَامَهُ ، وَالْمَلِكُ مُضْطَغٌ إِلَيْهِ . وَجَعَلَ دَبْشَلِيمُ كُلَّمَا سَمِعَ مِنْهُ
 شَيْئًا يَنْكُتُ الْأَرْضَ بِشَيْءٍ كَانَ فِي يَدِهِ . ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى
 بَيْدَبَا ، وَأَمْرَهُ بِالْخُلُوسِ . وَقَالَ لَهُ : يَا بَيْدَبَا ، إِنِّي قَدْ اسْتَعْذَتُ
 كَلَامَكَ وَحَسْنَ مَوْقِعِهِ مِنْ قَلْبِي . وَأَنَا نَاظِرٌ فِي الدِّي أَشَرَتَ
 بِهِ ، وَعَامِلٌ بِمَا أَمْرَتَ . ثُمَّ أَمْرَ بِقِيُودِهِ فَلَمْ يَقُولْ . وَأَنَّقَ عَلَيْهِ
 مِنْ لِبَاسِهِ ، وَتَلَقَّاهُ بِالْقَبُولِ . فَقَالَ بَيْدَبَا : يَا إِيَّاهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ
 فِي دُونِ مَا كَلَمْتَ بِهِ نُهْيَةً لِي مِثْلِكَ . قَالَ : صَدَقْتَ أَيْهَا الْحَكِيمُ
 الْفَاضِلُ . وَقَدْ وَلَيْتُكَ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى جَمِيعِ أَقَاصِي
 مَمْلَكَتِي . فَقَالَ لَهُ : أَيْهَا الْمَلِكُ أَغْفِنِي مِنْ هَذَا الْأَمْرِ : فَإِنِّي
 غَيْرُ مُضْطَلِّعٍ بِتَقْوِيمِهِ إِلَّا بِكَ . فَأَعْفَاهُ مِنْ ذَلِكَ . فَلَمَّا انْصَرَفَ ،
 عَلِمَ أَنَّ الدِّي فَعَلَهُ لَيْسَ بِرَأْيِي ، فَبَعْثَ فَرَدَهُ . وَقَالَ : إِنِّي
 فَكَرْتُ فِي إِعْفَاءِكَ مِمَّا عَرَضْتَهُ عَلَيْكَ فَوَجَدْتُهُ لَا يَقُولُ إِلَّا
 بِكَ ، وَلَا يَنْهَضُ بِهِ غَيْرُكَ ، وَلَا يَضْطَلِّعُ بِهِ سِواكَ . فَلَا
 تَخَالِفْنِي فِيهِ . فَأَجَابَهُ بَيْدَبَا إِلَى ذَلِكَ .

وَكَانَ عَادَةَ مُلُوكَ ذَلِكَ الزَّمَانِ إِذَا اسْتَوْزَرُوا وَزِيرًا أَنْ يَعْقِدُوا عَلَى
رَأْسِهِ تَاجًا ، وَرَكِبَ فِي أَهْلِ الْمَلَكَةِ ، وَيُطَافَ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ .
فَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُفْعَلَ بِيَدِهِ ذَلِكَ . فَوُضِعَ التَّاجُ عَلَى رَأْسِهِ ،
وَرَكِبَ فِي الْمَدِينَةِ وَرَجَعَ بِفَلَسٍ يَجْلِسُ الْعَدْلَ وَالإِنْصَافِ :
يَأْخُذُ لِلَّدَنِيِّ مِنَ الشَّرِيفِ ، وَيُسَاوِي بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ ؛
وَرَدَ الْمَظَالِمَ ، وَوَضَعَ سَنَنَ الْعَدْلِ ، وَأَكْثَرَ مِنَ الْعَطَاءِ وَالْبَذْلِ .
وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِتَلَامِيذهِ بِخَاءَوْهُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَرَحِينَ بِمَا جَدَّدَ
اللَّهُ لَهُ مِنْ جَدِيدٍ رَأَى الْمَلِكُ فِي بَيْدَبَا ، وَشَكَرُوا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى
تَوْفِيقِ بَيْدَبَا فِي إِزَالَةِ دَبَشِلِيمَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السِّيَرَةِ ،
وَأَنْهَذُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا يُعِيدُونَ فِيهِ فَهُوَ إِلَى الْيَوْمِ عِيدٌ عِنْدَهُمْ
فِي بِلَادِ الْهِنْدِ .

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا لَمَّا أَخْلَى فِنْكَرَهُ مِنْ اشْتِغَالِهِ بِدَبَشِلِيمَ ، تَفَرَّغَ
لِوَضِيعِ كُتُبِ السِّيَاسَةِ وَنَشَطَ لَهَا ، فَعَمِلَ كُتُبًا كَثِيرَةً ، فِيهَا
دَقَائِقُ الْحِيلِ . وَمَضَى الْمَلِكُ عَلَى مَارَسَمَ لَهُ بَيْدَبَا مِنْ حُسْنِ

السيرة والعدل في الرعية . فرغبت إليه الملوك الذين كانوا في نواحيه ، وانقادت له الأمور على استوائهما . وفرحت به رعيته وأهل مملكته . ثم إن بيدها جمع تلاميذه فاحسن صلتهم ، ووعدهم وعدا جميلاً . وقال لهم : لست أشك أنه وقع في نفوسيكم وقت دخولي على الملك أن قلتم : إن بيدها قد ضاعت حكمته ، وبطلت فكرته : إذ عزم على الدخول على هذا الجبار الطاغي . فقد علمتم نتيجة رأي وصحة فكري . وإن لم آته جهلا به : لأنني كنت أسمع من الحكماء قبل قولي : إن الملوك لها سورة كسوره الشراب : فالمملوك لا تتحقق من السورة إلا بمواعظ العلماء وآداب الحكماء . والواجب على الملوك أن يتبعوا بمواعظ العلماء . والواجب على العلماء تقويم الملوك بأسنتها ، وتأدبيها بحكمتها ، وإظهار الحجة البينة الازمة لهم : ليتردعوا عمما هم عليه من الأعوجاج والخروج عن العدل . فوجدت ما قاله العلماء فرضاً وأرجباً على الحكماء لملوكهم ليُوقظوهم

مِنْ رَقْدَتِهِمْ ؛ كَالطَّيْبِ الَّذِي يَحْبُّ عَلَيْهِ فِي صِنَاعَتِهِ حِفْظُ
الْأَجْسَادِ عَلَى صِحَّتِهَا أَوْ رَدْهَا إِلَى الصِّحَّةِ . فَكَرِهْتُ أَنْ يَمُوتَ
أَوْ أَمُوتَ وَمَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ يَقُولُ : إِنَّهُ كَانَ بَيْدَبَا
الْفَيْلَسُوفُ فِي زَمَانِ دَبْشَلِيمَ الطَّاغِي فَلَمْ يَرُدْهُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ .
فَإِنْ قَالَ قَائِمُ : إِنَّهُ لَمْ يُمْكِنْهُ كَلَامُهُ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ ، قَالُوا : كَانَ
الْهَرَبُ مِنْهُ وَمِنْ جَوَارِهِ أَوْلَى بِهِ ؛ وَالإِنْزِعَاجُ عَنِ الْوَطَنِ شَدِيدٌ ؛
فَرَأَيْتُ أَنْ أَجُودَ بِحَيَاةِي ؛ فَأَكُونَ قَدْ أَتَيْتُ فِيهَا بَيْنِ وَبَيْنَ
الْحُكَّاءِ بَعْدِي عُذْرًا . فَخَمَلْتُهَا عَلَى التَّغْرِيرِ أَوِ الظَّفَرِ بِمَا
أَرِيدُهُ . وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ مَا أَنْتُ مُعَايِنُوهُ : فَإِنَّهُ يُقَالُ فِي بَعْضِ
الْأَمْثَالِ : إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ أَحَدَ مَرَتبَةً إِلَّا يُلْحَدَى ثَلَاثٌ : إِمَّا بِمَشَقَّةٍ
تَنَاهُهُ فِي نَفْسِهِ ، وَإِمَّا بِوَضِيعَةٍ فِي مَالِهِ أَوْ وَكِسٍ فِي دِينِهِ . وَمَنْ
لَمْ يَرْكِبْ الْأَهْوَالَ لَمْ يَنْلِ الرَّغَائبَ . وَإِنَّ الْمَلَكَ دَبْشَلِيمَ قَدْ
بَسَطَ لِسَانِي فِي أَنْ أَضَعَ كَابًا فِيهِ ضُرُوبُ الْحِكْمَةِ . فَلَيَضَعَ كُلُّ
وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَيئًا فِي أَىْ فَنَّ شَاءَ ؛ وَلَيَعِرضَهُ عَلَى لِأَنْظُرَ مَقْدَارَ

(١) التريض للهلاك . (٢) أي أن يكون صاحب عقيدة صحيحة يتسلك بها مع أنه يُؤذى
ويُنتقص في سياها ، فإذا ناله وكس بسبب ذلك فإنه لا بد أن يعرف الناس قدره بعد حين .

عَقْلِهِ، وَأَيْنَ بَلَّغَ مِنَ الْحِكْمَةِ فَهُمُهُ . قَالُوا : أَيَّهَا الْحَكِيمُ الْفَاضِلُ ،
وَاللَّيِّبُ الْعَاقِلُ ، وَالَّذِي وَهَبَ لَكَ مَا مَنَحَكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْعَقْلِ
وَالْأَدَبِ وَالْفَضِيلَةِ ، مَا خَطَرَ هَذَا يُقْلُوبُنَا سَاعَةً قَطُّ . وَأَنْتَ
رَئِسُنَا وَفَاضِلُنَا ، وَبِكَ شَرَفُنَا ، وَعَلَى يَدِكَ اتَّعَاشْنَا . وَلَكِنْ
سَنَجْهَدُ أَنْفُسَنَا فِيهَا أَمْرَتَ . وَمَكَثَ الْمَلِكُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ
السِّيرَةِ زَمَانًا يَتَوَلَّ ذَلِكَ لَهُ بَيْدَبَا وَيَقُومُ بِهِ .

ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ دَبْشَلِيمَ لَمَّا أَسْتَقَرَ لَهُ الْمُلْكُ ، وَسَقَطَ عَنْهُ النَّظَرُ
فِي أُمُورِ الْأَعْدَاءِ بِمَا قَدْ كَفَاهُ ذَلِكَ بَيْدَبَا ، صَرَفَ هِمَتَهُ إِلَى
النَّظَرِ فِي الْكُتُبِ الَّتِي وَضَعَتْهَا فَلَاسِفَةُ الْهِنْدِ لِآبَائِهِ وَأَجَدَادِهِ ،
فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَيْضًا كِتابٌ مَشْرُوحٌ يُنْسَبُ إِلَيْهِ
وَتُذَكَّرُ فِيهِ أَيَّامُهُ كَمَا ذُكِرَ آبَاؤُهُ وَأَجَادَادُهُ مِنْ قَبْلِهِ . فَلَمَّا عَزَمَ
عَلَى ذَلِكَ ، عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقُومُ ذَلِكَ إِلَّا بَيْدَبَا : فَدَعَاهُ وَخَلَّا بِهِ ،
وَقَالَ لَهُ : يَا بَيْدَبَا ، إِنَّكَ حَكِيمُ الْهِنْدِ وَفَيْلَسُوفُهَا . وَإِنِّي فَكَرْتُ
وَنَظَرْتُ فِي نَحَرَائِنِ الْحِكْمَةِ الَّتِي كَانَتْ لِلْمُلُوكِ قَبْلِي ، فَلَمَّا أَرَفِيهِمْ
أَحَدًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ كِتابًا يَذْكُرُ فِيهِ أَيَّامَهُ وَسِيرَتَهُ ، وَيَنْبَغِي عَنْ

أَدِيهِ وَأَهْلِ مَلَكَتِهِ، فَمِنْهُ مَا وَضَعَتْهُ الْمُلُوكُ لِأَنفُسِهَا، وَذَلِكَ
لِفَضْلِ حِكْمَةِ فِيهَا، وَمِنْهُ مَا وَضَعَتْهُ حُكَّامُهَا. وَأَخَافُ أَنْ
يَلْحَقَنِي مَا لَحِقَ أُولَئِكَ مِمَّا لَا حِيلَةَ لِفِيهِ، وَلَا يُوجَدُ فِي نَزَارَتِي
كِتابٌ أَذْكُرُ بِهِ بَعْدِي، وَأَنْسَبُ إِلَيْهِ كَمَا ذُكِرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي
يُكْتُبُهُمْ. وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَضَعَ لِكَابِيَّاً بَلِيغاً تَسْتَفِرُغُ فِيهِ عَقْلَكَ
يَكُونُ ظَاهِرُهُ سِيَاسَةَ الْعَامَّةِ وَتَأْدِيهَا، وَبَاطِنُهُ أَخْلَاقُ الْمُلُوكِ
وَسِيَاسَتَهَا لِلرَّعِيَّةِ عَلَى طَاعَةِ الْمَلِكِ وَخَدْمَتِهِ، فَيَسْقُطُ بِذَلِكَ
عَنِّي وَعَنْهُمْ كَثِيرٌ مِمَّا نَخْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مُعَايَاهِ الْمَلِكِ. وَأَرِيدُ أَنْ
يَبْقَى لِهُدَا الْكِتابِ بَعْدِي ذِكْرًا عَلَى غَابِرِ الدُّهُورِ. فَلَمَّا سَمِعَ
بِيَدَبَا كَلَامَهُ نَحَّرَ لَهُ سَاجِدًا، وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ
السَّعِيدُ جَدُّهُ، عَلَا نَجْمُكَ، وَغَابَ نَحْسُكَ، وَدَامَتْ أَيَّامُكَ،
إِنَّ الَّذِي قَدْ طَبِعَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ مِنْ جَوَدَةِ الْقَرِيمَةِ وَوُفُورِ الْعَقْلِ
حَرَكَهُ لِعَالِي الْأُمُورِ، وَسَمِتْ بِهِ نَفْسَهُ وَهِمَتْهُ إِلَى اشْرَفِ الْمَرَاتِبِ
مَنْزَلَةً، وَأَبْعَدَهَا غَايَةً؛ وَأَدَمَ اللَّهُ سَعَادَةَ الْمَلِكِ وَأَعْانَهُ عَلَى

مَا عَزَّمَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَعَانَنِي عَلَى بُلُوغِ مُرَادِهِ . فَلَيَأْمُرُ الْمَلِكُ
بِمَا شَاءَ مِنْ ذَلِكَ : فَإِنِّي صَارِئٌ إِلَى غَرَضِهِ ، مُجْتَهِدٌ فِيهِ بِرَأْيِي .
قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : يَا بَيْدَبَا لَمْ تَرَأَ مَوْصُوفًا بِخُسْنِ الرَّأْيِ وَطَاعَةِ
الْمُلُوكِ فِي أُمُورِهِمْ . وَقَدْ اخْتَرْتُ مِنْكَ ذَلِكَ ، وَاخْتَرْتُ أَنْ
تَضَعَ هَذَا الْكِتَابَ ، وَتَعْمِلَ فِيهِ فِكْرَكَ ، وَتَجْهَدَ فِيهِ نَفْسَكَ ،
يُغَايِةً مَا تَجِدُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ . وَلَيْكُنْ مُشْتَمِلًا عَلَى الْحُكْمِ وَالْهُنْزِلِ
وَاللَّهُو وَالْحِكْمَةِ وَالْفَلَسَفَةِ . فَكَفَرَ لَهُ بَيْدَبَا وَسَجَدَ ، وَقَالَ : قَدْ
أَجَبْتُ الْمَلِكَ أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ إِلَى مَا أَمَرَنِي بِهِ ، وَجَعَلْتُ بَنِي
وَبَنِيهِ أَجَالًا . قَالَ : وَكَمْ هُوَ الْأَجَلُ ؟ قَالَ : سَنَةً . قَالَ :
قَدْ أَجَلْتُكَ ؛ وَأَمَرَ لَهُ بِجَاهِزَةِ سَنِيَّةٍ تُعِينُهُ عَلَى عَمَلِ الْكِتَابِ
فَبَقَى بَيْدَبَا مُفَكِّرًا فِي الْأَخْذِ فِيهِ ، وَفِي أَىْ صُورَةٍ يَتَدَبَّرُ
فِيهِ وَفِي وَضْعِهِ .

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا جَمَعَ تَلَامِيذَهُ وَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ الْمَلِكَ قَدْ نَدَبَنِي لِأَمْرِ
فِيهِ نَفْرِي وَنَفْرُكُمْ وَنَفْرُ بِلَادِكُمْ ، وَقَدْ جَمَعْتُكُمْ هَذَا الْأَمْرِ .
وَهُمْ وَصَفَ لَهُمْ مَا سَأَلَ الْمَلِكُ مِنْ أَمْرِ الْكِتَابِ ، وَالْغَرَضُ الَّذِي

قصَدَ فِيهِ، فَلَمْ يَقُعْ لَهُمُ الْفِكْرُ فِيهِ . فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ مَا يُرِيدُهُ فَكَرَرَ يَفْضُلُ حِكْمَتِهِ، وَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ إِنَّمَا يَتِمُ بِاسْتِفْرَاغِ الْعَقْلِ وَإِعْمَالِ الْفِكْرِ؛ وَقَالَ : أَرَى السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي فِي الْبَحْرِ إِلَّا بِالْمَلَاحِينَ : لَا نَهُمْ يُعَدِّلُونَهَا؛ وَإِنَّمَا تَسْلُكُ الْجَهَةَ يُمْدَدِّرُهَا الَّذِي تَفَرَّدَ بِإِمْرِهِا؛ وَمَتَى شُحِنَتْ بِالْكَثِيرِينَ وَكُثُرَ مَلَأُوهَا لَمْ يُوْمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْغَرَقِ . وَلَمْ يَزَلْ يُفْكِرُ فِيهَا يَعْمَلُهُ فِي بَابِ الْكِتابِ حَتَّى وَضَعَهُ عَلَى الْإِنْفِرَادِ بِنَفْسِهِ، مَعَ رَجُلٍ مِنْ تَلَامِيذهِ كَانَ يَشْقُبُ بِهِ بِخَلَالِهِ مُنْفَرِداً مَعَهُ، بَعْدَ أَنْ أَعْدَّ مِنَ الْوَرَقِ الَّذِي كَانَتْ تَكْتُبُ فِيهِ الْهِنْدُ شَيْئاً، وَمِنَ الْقُوَّتِ مَا يَقُومُ بِهِ وَبِتَلَمِيذهِ تِلْكَ الْمُدَّةَ . وَجَلَسَ فِي مَقْصُورَةٍ، وَرَدَاداً عَلَيْهِمَا الْبَابَ هُمْ بَدَأُوا فِي نَظْمِ الْكِتابِ وَتَصْنِيفِهِ؛ وَلَمْ يَزَلْ هُوَ يُمْلِي وَتَلَمِيذهُ يَكْتُبُ، وَيَرْجِعُ هُوَ فِيهِ؛ حَتَّى اسْتَقَرَ الْكِتابُ عَلَى غَايَةِ الْإِنْقَانِ وَالْإِحْكَامِ . وَرَتَبَ فِيهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ بَاباً؛ كُلُّ بَابٍ مِنْهَا قَائِمٌ بِنَفْسِهِ . وَفِي كُلِّ بَابٍ مَسَالَةٌ وَابْحَوَابٌ عَنْهَا؛ لِيَكُونَ لِمَنْ نَظَرَ

فِيهِ حَظٌّ مِنَ الْهِدَايَةِ . وَضَمَّنَ تِلْكَ الْأَبْوَابَ كُلَّاً وَاحِدًا ، وَسَمَّاهُ كِتابَ كَلِيلَةَ وَدِمنَةَ . ثُمَّ جَعَلَ كَلَامَهُ عَلَى أَلْسُنِ الْبَهَائِمِ وَالسَّبَاعِ وَالطَّيرِ : لِيَكُونَ ظَاهِرُهُ لَهُوا لِلنِّخَاصِ وَالْعَوَامِ ، وَبَاطِنُهُ رِيَاضَةً لِعُقُولِ النِّحَاصَةِ . وَضَمَّنَهُ أَيْضًا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ ، وَجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَصْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، وَآخِرَتِهِ وَأُولَاهُ ، وَيَحْضُرُهُ عَلَى حُسْنِ طَاعَتِهِ لِلْمُلُوكِ وَيَجْنِبُهُ مَا تَكُونُ مُجَانِبَتِهِ خَيْرًا لَهُ . ثُمَّ جَعَلَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا كَرَيمًا سَائِرِ الْكُتُبِ الَّتِي يَرْسِمُ الْحِكْمَةَ : فَصَارَ الْحَيَوَانُ لَهُوا ، وَمَا يَنْطِقُ بِهِ حِكْمَةً وَأَدَبًا . فَلَمَّا ابْتَدَأَ بَيْدَبَا بِذَلِكَ جَعَلَ أَوْلَ الْكِتَابِ وَصَفَ الصَّدِيقِ ، وَكَيْفَ يَكُونُ الصَّدِيقَانِ ، وَكَيْفَ تُقْطَعُ الْمَوَدَّةُ الثَّابِتَةُ بَيْنَهُمَا بِحِيلَةِ ذِي النِّيمَةِ . وَأَمَرَ تِلْمِيذَهُ أَنْ يَسْكُنَ عَلَى لِسَانِ بَيْدَبَا مِثْلَ مَا كَانَ الْمَلِكُ شَرَطَهُ فِي أَنْ جَعَلَهُ لَهُوا وَحِكْمَةً . فَذَكَرَ بَيْدَبَا أَنَّ الْحِكْمَةَ مَتَى دَخَلَهَا كَلَامُ النَّقْلَةِ أَفْسَدَهَا وَجُهِلَتْ حِكْمَتُهَا . فَلَمَّا يَزَلْ هُوَ وَتِلْمِيذُهُ يُعْمَلَانِ الْفِكْرَ فِيهَا سَأَلَهُ الْمَلِكُ ، حَتَّى فَتَقَ لَهُما الْعَقْلُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُما عَلَى لِسَانِ

بَهِيمَتِينْ . فَوَقَعَ لَهُمَا مَوْضِعُ اللَّهُوَ وَالْهَرْلِ بِكَلَامِ الْبَهَائِمْ . وَكَانَتِ
الْحِكْمَةُ مَا نَطَقَا بِهِ . فَأَصْبَغَتِ الْحُكْمَاءُ إِلَى حِكْمَهِ وَتَرَكُوا الْبَهَائِمَ
وَاللَّهُوَ ، وَعَلِمُوا أَنَّهَا السَّبَبُ فِي الدَّى وُضَعَ لَهُمْ . وَمَاتَ إِلَيْهِ
الْجَهَالُ بَعْجَبًا مِنْ مُحَاوَرَةِ بَهِيمَتِينْ ، وَلَمْ يَسْكُوا فِي ذَلِكَ ، وَاتَّخَذُوهُ
لَهُوَا ، وَتَرَكُوا مَعْنَى الْكَلَامِ أَنْ يَفْهَمُوهُ ، وَلَمْ يَعْلَمُوا الْغَرَضَ
الَّذِى وُضَعَ لَهُ ، لِأَنَّ الْفِيلِسُوفَ إِنَّمَا كَانَ غَرَضُهُ فِي الْبَابِ
الْأَوَّلِ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ تَوَاصُلِ الإِخْرَانِ كَيْفَ تَسَاءَلُ الْمَوْدَةُ بَيْنَهُمْ
عَلَى التَّحْفِظِ مِنْ أَهْلِ السُّعَادِيَّةِ وَالْتَّحَرِزِ مِنْ يُوقِعُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ
الْمُتَحَابَيْنِ : لِيَجُرِّ بِذَلِكَ نَفْعًا إِلَى نَفْسِهِ . فَلَمْ يَرْزَلْ بَيْدَبَا وَتِلْمِيذُهُ
فِي الْمَقْصُورَةِ ، حَتَّى اسْتَتَمَّا عَمَلَ الْكِتَابِ فِي مُدَّةِ سَنَةٍ . فَلَمَّا
عَمِّ الْخَوْلُ أَنْفَدَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ أَنْ قَدْ جَاءَ الْوَعْدُ فَمَا صَنَعَتْ؟
فَأَنْفَدَ إِلَيْهِ بَيْدَبَا : إِنِّي عَلَى مَا وَعَدْتُ الْمَلِكَ . فَلَنِيَأْمُرُنِي بِحَمْلِهِ ،
بَعْدَ أَنْ يَجْمِعَ أَهْلَ الْمَلَكَةِ لِتَكُونَ قِرَاءَتِي هَذَا الْكِتَابَ بِخَضْرَتِهِمْ ،
فَلَمَّا رَجَعَ الرَّسُولُ إِلَى الْمَلِكِ سُرِّ ذَلِكَ ، وَوَعَدَهُ يَوْمًا يَجْمِعُ فِيهِ

أَهْلَ الْمُمْلَكَةِ . ثُمَّ نَادَى فِي أَقَاصِي بِلَادِ الْهِنْدِ لِيَخْضُرُوا قِرَاءَةَ
 الْكِتَابِ . فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ ، أَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُنْصَبَ لِبَيْدَبَا
 سَرِيرٌ مِثْلُ سَرِيرِهِ ، وَكَرَاسِيٌّ لِابْنَاءِ الْمُلُوكِ وَالْعُلَمَاءِ . وَأَنْفَذَ
 فَأَخْضَرَهُ . فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَامَ فَلَيْسَ الثِيَابَ الَّتِي كَانَ يَلْبَسُهَا
 إِذَا دَخَلَ عَلَى الْمُلُوكِ وَهِيَ الْمُسُوحُ السُّودُ ، وَحَمَلَ الْكِتَابَ
 تِلْمِيذُهُ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ وَثَبَ الْخَلَائِقُ يَاجْمِعِهِمْ ، وَقَامَ
 الْمَلِكُ شَارِكًا . فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ الْمَلِكِ كَفَرَ لَهُ وَسَجَدَ ، وَلَمْ يَرْفَعْ
 رَأْسَهُ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : يَا بَيْدَبَا أَرْفَعْ رَأْسَكَ ، فَإِنَّ هَذَا يَوْمَ
 هَنَاءَةٍ وَفَرَجٍ وَسُرُورٍ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَجْلِسَ . فِينَ جَلَسَ لِقِرَاءَةِ
 الْكِتَابِ ، سَأَلَهُ عَنْ مَعْنَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهِ ، وَإِلَى أَيِّ شَيْءٍ
 قَصَدَ فِيهِ . فَأَخْبَرَهُ بِغَرَضِهِ فِيهِ ، وَفِي كُلِّ بَابٍ . فَازْدَادَ الْمَلِكُ
 مِنْهُ تَعْجِباً وَسُرُورًا . فَقَالَ لَهُ : يَا بَيْدَبَا مَا عَدَوْتَ الَّذِي فِي
 نَفْسِي ؟ وَهُدَا الَّذِي كُنْتُ أَطْلُبُ ؟ فَاطْلُبْ مَا شِئْتَ وَتَحْكَمْ .
 فَدَعَاهُ لَهُ بَيْدَبَا بِالسَّعَادَةِ وَطُولِ الْحَدِّ . وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَمَا
 الْمَالُ فَلَا حَاجَةَ لِفِيهِ ، وَأَمَا الْكُسُوهُ فَلَا إِخْتَارٌ عَلَى لِبَاسِي

هذا شيئاً، ولست أخلي الملك من حاجةٍ . قال الملك: يا بيدبأ ما حاجتك؟ فكُل حاجة لك قبلنا مفظية . قال: يا ملك الملك أن يدوني كتابي هذا كما دون آباء وأجداده كتبهم، ويأمر بالمحافظة عليه: فإني أخاف أن يخرج من بلاد الهند، فيتناوله أهل فارس إذا علموا به؛ فالمملوك يأمر ألا يخرج من بيته المحكمة . ثم دعا الملك بتلاميذه وأحسن لهم الخواizer . ثم إنه لملك كسرى أنوشروان وكان مستشاراً بالمكتب والعلم والأدب والنظر في أخبار الأوائل وقع له خبر الكتاب، فلم يقر قراره حتى بعث برسالة الطيب وتلطف حتى أخرجه من بلاد الهند فآقره في نزائين فارس .

باب بعثة برسالة الطيب إلى بلاد الهند

أما بعد فإن الله تعالى خلق الخلق برحمته، ومن على عباده بفضله وكرمه ورزقهم ما يقدرون به على إصلاح معاشرتهم في الدنيا، ويدركون به استنقاذ أزواحهم من العذاب في الآخرة، وأفضل ما رزقهم الله تعالى ومن به عليهم العقل

الذى هو الدعامة لجميع الأشياء ، والذى لا يقدر أحد في الدنيا
على إصلاح معيشته ولا إخراج نفع ولا دفع ضرر إلا به .
وكذلك طالب الآخرة المحتجد في العمل المنجى به روحه لا يقدر
على إتمام عمله وإنما له إلا بالعقل الذي هو سبب كل خير
ومفتاح كل سعادة . فليس لأحد غنى عن العقل . والعقل
مكتسب بالتجارب والأدب . وله غريزة مكتنونة في الإنسان
كامنة كالنار في الحجر لا تظهر ولا يرى صوتها حتى يقدحها
قادح من الناس ، فإذا قدح ظهرت طبيعتها . وكذلك العقل
كامن في الإنسان لا يظهر حتى يظهره الأدب وتقواه
التجارب . ومن رزق العقل ومن به عليه وأعين على صدق
قريمحته بالأدب حرص على طلب سعيد جده ، وأدرك في الدنيا
أمله ، وحاز في الآخرة ثواب الصالحين . وقد رزق الله الملك
السعيد أنوشروان من العقل أفضله ، ومن العلم أجزله ، ومن
المعرفة بالأمور أصوبها ، ومن الأفعال أسدتها ، ومن البحث
عن الأصول والفروع أنفعه ، وبلغه من فنون اختلاف العلم ،

وَبُلُوغُ مَنْزِلَةِ الْفَلَسَفَةِ ، مَا لَمْ يَبْلُغُهُ مَلِكٌ قَطُّ مِنَ الْمُلُوكِ قَبْلَهُ ، حَتَّىٰ كَانَ فِيهَا طَلَبٌ وَبَحْثٌ عَنْهُ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ بَلَغَهُ عَنْ كِتَابٍ يَا لِهِنْدٍ ، عَلِمَ أَنَّهُ أَصْلُ كُلِّ أَدَبٍ وَرَأْسُ كُلِّ عِلْمٍ ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ كُلِّ مَنْفَعَةٍ ، وَمِفْتَاحُ عَمَلِ الْآخِرَةِ وَعِلْمُهَا ، وَمَعْرِفَةُ النَّجَاهَةِ مِنْ هَوْلَهَا ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ وَزِيرَهُ بُزُورٌ جِهْرٌ أَنْ يَبْحَثَ لَهُ عَنْ رَجُلٍ أَدِيبٍ عَاقِلٍ مِنْ أَهْلِ مَلَكَتِهِ ، يَصِيرُ بِلِسانِ الْفَارِسِيَّةِ ، مَاهِرٍ فِي كَلَامِ الْهِنْدِ ، وَيُكُونُ بَلِيعًا بِاللِّسَانَيْنِ جَمِيعًا ، حَرِيصًا عَلَىٰ طَلَبِ الْعِلْمِ مُجْتَهِدًا فِي اسْتِعْمَالِ الْأَدَبِ ، مُبَادِرًا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَالْبَحْثِ عَنْ كُتُبِ الْفَلَسَفَةِ . فَأَتَاهُ بِرَجُلٍ أَدِيبٍ كَامِلِ الْعَقْلِ وَالْأَدَبِ ، مَعْرُوفٍ بِصَنَاعَةِ الطِّبِّ ، مَاهِرٍ فِي الْفَارِسِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ يُقَالُ لَهُ بَرْزَوَيْهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ كَفَرَ وَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : يَا بَرْزَوَيْهُ : إِنِّي قَدِ اخْتَرْتُكَ لِمَا بَلَغَتِي مِنْ فَضْلِكَ وَعِلْمِكَ وَعَقْلِكَ ، وَخِرْصِكَ عَلَىٰ طَلَبِ الْعِلْمِ حَيْثُ كَانَ . وَقَدْ بَلَغَتِي عَنْ كِتَابٍ يَا لِهِنْدٍ مَخْزُونٍ فِي خَزَائِنِهِمْ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا بَلَغَهُ عَنْهُ . وَقَالَ لَهُ : تَجْهِيزٌ فَلَيْنِي مُرْحَلَّكَ إِلَى أَرْضِ الْهِنْدِ ، فَتَلَطَّفَ بِعَقْلِكَ وَحَسْنِ

أَدِيكَ وَنَاقِدِ رَأِيكَ، لَا سُتْخَرَاجُ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ خَزَائِنِهِمْ وَمِنْ
قِبَلِ عُلَمَائِهِمْ؛ فَتَسْتَفِيدَ بِذِلِكَ وَتُفَيِّدَنَا . وَمَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ
كُتُبِ الْهِنْدِ مِمَّا لَيْسَ فِي خَزَائِنِنَا مِنْهُ شَيْءٌ فَأَحْمَلْهُ مَعَكَ، وَخُذْ
مَعَكَ مِنَ الْمَالِ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَبَعْلُ ذَلِكَ، وَلَا تُقْصِرْ
فِي طَلَبِ الْعُلُومِ وَإِنْ أَكْثَرْتَ فِيهِ النَّفَقَةَ، فَإِنَّ جَمِيعَ مَا فِي
خَزَائِنِي مَبْذُولٌ لَكَ فِي طَلَبِ الْعُلُومِ . وَأَمْرَ بِإِخْضَارِ الْمُنْجَمِينَ؛
فَاخْتَارُوا لَهُ يَوْمًا يَسِيرُ فِيهِ، وَسَاعَةً صَالِحةً يَخْرُجُ فِيهَا . وَحَمَلَ
مَعَهُ مِنَ الْمَالِ عِشْرِينَ جَرَابًا؛ كُلُّ جَرَابٍ فِيهِ عَشْرَةُ آلَافِ
دِينَارٍ . فَلَمَّا قَدِمَ بَرْزَوَيْهِ بِلَادِ الْهِنْدِ طَافَ بِبَابِ الْمَلِكِ وَمَحَالِسِ
السُّوقَةِ^(١)، وَسَأَلَ عَنْ خَوَاصِ الْمَلِكِ وَالْأَشْرَافِ وَالْعُلَمَاءِ
وَالْفَلَامِقَةِ؛ بَخَعَلَ يَغْشاهمُ فِي مَنَازِلِهِمْ، وَيَتَلَقَّاهُمْ بِالْتَّحِيَّةِ،
وَيَخْبِرُهُمْ بِأَنَّهُ رَجُلٌ غَرِيبٌ قَدِمَ بِلَادَهُمْ لِطَلَبِ الْعُلُومِ وَالْأَدَبِ،
وَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى مُعَاوِنَتِهِمْ فِي ذَلِكَ . فَلَمَّا يَزَلْ كَذَلِكَ زَمَانًا طَوِيلًا
يَتَأَدَّبُ عَنْ عُلَمَاءِ الْهِنْدِ إِمَّا هُوَ عَالِمٌ بِجَمِيعِهِ، وَكَانَهُ لَا يَعْلَمُ مِنْهُ

شيئاً ، وهو فيما بين ذلك يستر بغيته و حاجته . وانحدَ في تلك
 الحَالَةِ لِطُولِ مُقَامِهِ أَصْدِقَاءَ كَثِيرَةً مِنَ الْأَشْرَافِ وَالْعُلَمَاءِ
 وَالْفَلَاسِفَةِ وَالسُّوقَةِ وَمِنْ أَهْلِ كُلِّ طَبَقَةِ وَصِنَاعَةٍ ، وَكَانَ قَدِ
 انحدَ منْ بَيْنِ أَصْدِقَائِهِ رَجُلًا وَإِذَا قَدِ انحدَ لِسِرِّهِ وَمَا يُحِبُّ
 مُشَاوِرَتَهُ فِيهِ ، لِلَّذِي ظَهَرَ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَدَبِهِ ، وَاسْتَبَانَ لَهُ مِنْ
 صَحَّةِ إِخَائِهِ ، وَكَانَ يُشَاوِرُهُ فِي الْأُمُورِ ، وَيَرْتَاحُ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ
 مَا أَهْمَّهُ . إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَكْتُمُ مِنْهُ الْأَمْرَ الَّذِي قَدِمَ مِنْ أَجْلِهِ لِكَيْ
 يَبْلُوهُ وَيَخْبُرُهُ ، وَيَنْظُرَ هَلْ هُوَ أَهْلٌ لِنُظْلِعَهُ عَلَى سِرِّهِ . فَقَالَ
 لَهُ يَوْمًا وَهُمَا جَالِسَانِ : يَا أَنِّي مَا أُرِيدُ أَنْ أَكْتُمَكَ مِنْ أَمْرِي
 فَوْقَ الَّذِي كَتَمْتُكَ . فَاعْلَمْ أَنِّي لِأَمْرٍ قَدِمْتُ ، وَهُوَ غَيْرُ الَّذِي
 يَظْهَرُ مِنِّي ؛ وَالْعَاقِلُ يَكْتُبُ مِنَ الرَّجُلِ بِالْعَلَامَاتِ مِنْ نَظَرِهِ ،
 حَتَّى يَعْلَمَ سِرِّ نَفْسِهِ وَمَا يُضِيرُهُ قَلْبُهُ . قَالَ لَهُ الْهِنْدِيُّ : إِنِّي
 وَإِنْ لَمْ أَكُنْ بَدَأْتُكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِمَا جِئْتَ لَهُ ، وَإِيَّاهُ تُرِيدُ ؛
 وَإِنَّكَ تَكْتُمُ أَمْرًا تَنْطَلِبُهُ ، وَتَظْهَرُ غَيْرُهُ ؛ مَا خَفِيَ عَلَى ذَلِكَ مِنْكَ .
 وَلِكِنِي لِرَغْبَتِي فِي إِخَائِكَ ، كَرِهْتُ أَنْ أُواجِهَكَ بِهِ . وَإِنَّهُ قَدِ

استبانَ مَا تُخْفِيهِ مِنِّي . فَامَّا اِذْ قَدْ اَظْهَرْتَ ذَلِكَ ، وَأَفْصَحْتَ
بِهِ وَبِالْكَلَامِ فِيهِ ، فَلِيَقُولَيْكَ عَنْ نَفْسِكَ ، وَمُظْهِرُ لَكَ سَرِيرَتَكَ ،
وَمُعْلِمُكَ بِحَالِكَ الَّتِي قَدِمْتَ هَاهَا ، فَلِيَقُولَكَ قَدِمْتَ بِلَادَنَا لِتَسْلِبَنَا
كُنُوزَنَا النَّفِيسَةَ ، فَتَذَهَّبَ إِلَيْهَا إِلَى بِلَادِكَ ، وَتَسْرِيْبَهَا مَلِكَكَ .
وَكَانَ قُدُومُكَ بِالْمَكْرِ وَالْخَدِيْعَةِ . وَلَكِنَّنِي لَمْ رَأَيْتُ صَبَرَكَ ،
وَمُواظِبَتَكَ عَلَى طَلَبِ حَاجَاتِكَ ، وَالتَّحَفِظِ مِنْ أَنْ يَسْقُطَ مِنْكَ
الْكَلَامُ ، مَعَ طُولِ مُكْثِثَتِكَ عِنْدَنَا ، يَشْنُوْءِي يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى سَرِيرَتَكَ
وَأَمْوَالِكَ ، ازْدَدْتُ رَغْبَةً فِي إِخْرَاعِكَ ، وَثِقَةً بِعَقْلِكَ ، فَأَخْبَيْتُ
مَوْدَتَكَ . فَلِيَقُولَ لَمْ أَرَ فِي الرِّجَالِ رَجُلًا هُوَ أَرْصَنُ مِنْكَ عَقْلًا ،
وَلَا أَحْسَنُ أَدَبًا ، وَلَا أَصْبَرُ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَلَا أَكْتُمُ لِسِرِّهِ
مِنْكَ ، وَلَا سِيمَىٰ فِي بِلَادِ غُربَةِ ، وَمَمْلَكَةٌ غَيْرِ مَمْلَكَتِكَ ، عِنْدَ
قَوْمٍ لَا تَعْرِفُ سُنَّتَهُمْ . وَإِنَّ عَقْلَ الرَّجُلِ لَيَبْيَسُ فِي ثَمَانِي خِصَالٍ :
الْأُولَى الرِّفْقُ . وَالثَّانِيَةُ أَنْ يَعْرِفَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ فَيَحْفَظَهَا .
وَالثَّالِثَةُ طَاعَةُ الْمُلُوكِ ، وَالتَّحَرِّي لِمَا يُرْضِيَهُمْ . وَالرَّابِعَةُ مَعْرِفَةُ

الرَّجُل مَوْضِعَ سِرِّهِ ، وَكَيْفَ يَتَبَغِي أَنْ يُظْلِعَ عَلَيْهِ صَدِيقَهُ .
 وَالْخَامِسَةُ أَنْ يَكُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُلُوكِ أَدِيبًا مَلِقَ اللُّسَانِ .
 وَالسَّادِسَةُ أَنْ يَكُونَ لِسِرِّهِ وَسِرُّ غَيْرِهِ حَافِظًا . وَالسَّابِعَةُ أَنْ يَكُونَ
 عَلَى لِسَانِهِ قَادِرًا ، فَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا يَأْمُنُ تَبِعَتُهُ . وَالثَّامِنَةُ
 إِنْ كَانَ بِالْمَحْفِلِ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا يُسَأَلُ عَنْهُ . فَنَّ آجِتمَعَتْ
 فِيهِ هَذِهِ الْخَصَائِصُ كَانَ هُوَ الدَّاعِيُ الْخَيْرِ إِلَى نَفْسِهِ . وَهَذِهِ
 الْخَصَائِصُ كُلُّهَا قَدِ اجْتَمَعَتْ فِيكَ ، وَبَانَتْ لِي مِنْكَ . فَاللَّهُ تَعَالَى
 يَحْفَظُكَ ، وَيُعِينُكَ عَلَى مَا قَدِمْتَ لَهُ ، فَمُصَادَقَتُكَ إِيَّايَ ، وَإِنْ
 كَانَ لِتَسْلِبِنِي كَنْزِي وَنَفْرِي وَعِلْمِي ، تَجْعَلُكَ أَهْلًا لِأَنْ تُسْعَفَ
 بِحَاجَتِكَ ، وَتُسْقَعَ بِطَلْبِتِكَ ، وَتُعْطَى سُولَكَ . فَقَالَ لَهُ بُرْزُوَيْهُ :
 إِنِّي قَدْ كُنْتُ هَيَّاتُ كَلَامًا كَثِيرًا ، وَشَعَبْتُ لَهُ شُعُوبًا ، وَأَئْسَاتُ
 لَهُ أَصُولًا وَطُرُقًا ، فَلَمَّا آتَيْتَهُ إِلَى مَا بَدَأْتَنِي بِهِ مِنْ اطْلَاعِكَ
 عَلَى أَفْرِي وَالَّذِي قَدِمْتُ لَهُ ، وَالْقِيَمَةُ عَلَى مِنْ ذَاتِ نَفْسِكَ ،
 وَرَغْبَتُكَ فِيهَا الْقِيَمَةُ مِنَ الْقَوْلِ ، أَكْتَفَيْتُ بِالْيَسِيرِ مِنَ الْخَطَابِ

(١) متودداً متلطفاً . (٢) مطلوبك . (٣) المستول .

مَعَكَ ، وَعَرَفْتُ الْكَبِيرَ مِنْ أُمُورِي بِالصَّغِيرِ مِنَ الْكَلَامِ ،
وَاقْتَصَرْتُ بِهِ مَعَكَ عَلَى الإِيجَازِ . وَرَأَيْتُ مِنْ إِسْعَافِكَ إِيَّاى
بِحَاجَتِي مَا دَلَّنِي عَلَى كَرْمِكَ وَحُسْنِ وَفَائِكَ : فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا
أَنْقَى إِلَى الْفَιلَسُوفِ ، وَالسُّرُّ إِذَا اسْتُوْدِعَ إِلَى اللَّيِّبِ الْخَافِظِ ،
فَقَدْ حُصِّنَ وَبَلِغَ بِهِ نِهَايَةَ أَمْلِ صَاحِبِهِ ، كَمَا يُحَصِّنُ الشَّئْءُ
النَّفِيسُ فِي الْقِلَاعِ الْخَصِينَةِ . قَالَ لَهُ الْهِنْدِيُّ : لَا شَيْءٌ أَفْضَلُ
مِنَ الْمَوْدَةِ . وَمَنْ خَلَصَتْ مَوْدَتُهُ كَانَ أَهْلًا أَنْ يَخْلُطَهُ الرَّجُلُ
بِنَفْسِهِ ، وَلَا يَدْنِحَ عَنْهُ شَيْئًا ، وَلَا يَكْتُمْهُ سِرًا : فَإِنَّ حِفْظَ السُّرُّ
رَأْسُ الْأَدَبِ . فَإِذَا كَانَ السُّرُّ عِنْدَ الْأَمِينِ الْكَتُومِ فَقَدْ احْتَرَزَ
مِنَ التَّضْيِيعِ ؛ مَعَ أَنَّهُ خَلِيقٌ أَلَا يَتَكَلَّمُ بِهِ ، وَلَا يَتَمَمُ سِرُّ بَيْنَ اثْنَيْنِ
قَدْ عَلِمَاهُ وَتَفَاوَضَاهُ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِالسُّرُّ اثْنَانِ فَلَا بُدَّ مِنْ ثَالِثٍ
مِنْ جِهَةِ أَحَدِهِمَا ؛ فَإِذَا صَارَ إِلَى الثَّلَاثَةِ فَقَدْ شَاعَ وَذَاعَ ، حَتَّى
لَا يَسْتَطِيعَ صَاحِبُهُ أَنْ يَجْحَدَهُ وَيُكَابِرَ عَنْهُ ؛ كَالْغَيْمِ إِذَا كَانَ
مُتَقْطَعًا فِي السَّمَاءِ فَقَالَ قَائِلٌ : هَذَا غَيْمٌ مُتَقْطَعٌ ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ
عَلَى تَكْذِيبِهِ . وَأَنَا قَدْ يُدَاخِلُنِي مِنْ مَوَدَّتِكَ وَخِلْطَتِكَ سُرُورٌ^(١)

لا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ . وَهُذَا الْأَمْرُ الَّذِي تَطْلُبُهُ مِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ مِنَ
 الْأَسْرَارِ الَّتِي لَا تُكْتَمُ ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَفْشُوَ وَيَظْهُرَ ، حَتَّى يَتَحَدَّثَ
 بِهِ النَّاسُ . فَإِذَا فَتَّا فَقَدْ سَعَيْتُ فِي هَلَّا كَيْ هَلَّا كَمَا لَا أَقْدِرُ
 عَلَى الْفِدَاءِ مِنْهُ بِالْمَالِ وَإِنْ كَثُرَ : لِأَنَّ مَلِكَنَا فَظُّ غَلِيلُ ، يُعَاقِبُ
 عَلَى الدَّنْبِ الصَّغِيرِ أَشَدَّ الْعِقَابِ ، فَكَيْفَ مِثْلُ هُذَا الدَّنْبِ
 الْعَظِيمِ ؟ وَإِذَا حَمَلْتِنِي الْمَوْدَةُ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَأَسْعَفْتُكَ بِحَاجَتِكَ
 لَمْ يَرُدْ عِقَابَهُ عَنِي شَيْءٌ . قَالَ بَرْزَوِيُّهُ : إِنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ مَدَحَتْ
 الصَّدِيقَ إِذَا كَتَمَ سَرِّ صَدِيقِهِ وَأَعْانَهُ عَلَى الْفَوْزِ . وَهُذَا الْأَمْرُ
 الَّذِي قَدِمْتُ لَهُ ، لِمِثْلِكَ ذَخْرَتِهِ ، وَبِكَ أَرْجُو بُلوغَهُ ، وَأَنَا وَاثِقٌ
 بِكَرَمِ طَبَاعِكَ وَفُورِ عَقْلِكَ ، وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَخْشَى مِنِّي وَلَا تَخَافُ
 أَنْ أُبَدِّيَهُ ، بَلْ تَخْشَى أَهْلَ بَيْتِكَ الطَّاغِفِينَ بِكَ وَبِالْمَلِكِ أَنْ
 يَسْعَوا بِكَ إِلَيْهِ . وَأَنَا أَرْجُو أَلَا يَشْيَعَ شَيْءٌ مِنْ هُذَا الْأَمْرِ :
 لِأَنِّي أَنَا ظَاعِنٌ وَأَنْتَ مُقِيمٌ ، وَمَا أَقْنَتُ فَلَا ثَالِثَ بَيْنَنَا . فَتَعَااهَدَا
 عَلَى هُذَا جَمِيعًا . وَكَانَ الْهِنْدِيُّ خَازِنَ الْمَلِكِ ، وَبِيَدِهِ مَفَاتِيحُ
 نَخَائِنِهِ . فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ الْكِتَابِ وَإِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ .

فَأَكَبَ عَلَى تَفْسِيرِهِ وَنَقَلَهُ مِنَ اللِّسَانِ الْهِنْدِيِّ إِلَى اللِّسَانِ الْفَارِسِيِّ؛
وَأَتَعَبَ نَفْسَهُ، وَأَنْصَبَ بَدْنَهُ لَيَالِيًّا وَنَهَارًا. وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ وَجِلٌ
وَفَزْعٌ مِنْ مَلِكِ الْهِنْدِ؛ خَائِفٌ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَنْ يَذْكُرَ الْمَلِكُ
الِكِتابَ فِي وَقْتٍ وَلَا يُصَادِفُهُ فِي نَحَزَائِنِهِ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ
إِنْسَانِ الِكِتابِ وَغَيْرِهِ مِمَّا أَرَادَ مِنْ سَائِرِ الْكُتُبِ، كَتَبَ إِلَى
أَنُوشِروَانَ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ الِكِتابُ، سُرِّ بِذَلِكَ
سُرُورًا شَدِيدًا، ثُمَّ تَحْوَفَ مُعَاجَلَةَ الْمَقَادِيرِ أَنْ تُنْعَصَ عَلَيْهِ فَرَحَهُ،
فَكَتَبَ إِلَى بَرَزَوَيْهِ يَأْمُرُهُ بِتَعْجِيلِ الْقُدُومِ. فَسَارَ بَرَزَوَيْهِ
مُتَوَجِّهًا نَحْوَ كِسْرَى. فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكَ مَا قَدْ مَسَهُ مِنَ الشُّحُوبِ
وَالْتَّعَبِ وَالنَّصَبِ، قَالَ لَهُ : أَيْهَا الْعَبْدُ النَّاصِحُ الَّذِي يَأْكُلُ ثَمَرَةَ
مَا قَدْ غَرَسَ، أَبْشِرْ وَقِرَ عَيْنَا : فَلِيَقِي مُشَرْفُكَ وَبَالِغُكَ أَفْضَلَ
دَرَجَةٍ. وَأَمْرَهُ أَنْ يُرِيحَ بَدْنَهُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّامِنُ،
أَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يَجْتَمِعَ إِلَيْهِ الْأَمْرَاءُ وَالْعُلَمَاءُ. فَلَمَّا اجْتَمَعُوا،
أَمَرَ بَرَزَوَيْهِ بِالْخُضُورِ. فَخَضَرَ وَمَعَهُ الْكُتُبُ؛ فَفَتَحَهَا وَقَرَأَهَا

(١) تغير اللون من السفر ونحوه.

عَلَى مَنْ حَضَرَ مِنْ أَهْلِ الْمَلَكَةِ . فَلَمَّا سَمِعُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ
فَرِحُوا فَرَحًا شَدِيدًا ، وَشَكَرُوا لِلَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ ، وَمَدُحُوا
بَرَزَوَيْهِ وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ ، وَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ تُفْتَحَ لِبَرَزَوَيْهِ خَزَائِنُ الْلَّوْلُؤِ
وَالْبَرْجَدِ وَالْيَاقُوتِ وَالْذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ
الخَزَائِنِ مَا شَاءَ مِنْ مَالٍ أَوْ كُسُورٍ ، وَقَالَ : يَا بَرَزَوَيْهِ إِنِّي قَدْ
أَمْرَتُ أَنْ تُجْلِسَ عَلَى مِثْلِ سَرِيرِي هَذَا ، وَتُلْبَسَ تَاجًا ،
وَتَرَأَسَ عَلَى جَمِيعِ الْأَثْرَافِ . فَسَجَدَ بَرَزَوَيْهِ لِلْمَلِكِ وَدَعَاهُ
وَطَلَبَ مِنَ اللَّهِ وَقَالَ : أَكْرَمْ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلِكَ كَرَامَةَ الدُّنْيَا
وَالآخِرَةِ ، وَأَحْسَنْ عَنِّي ثَوَابَهُ وَجَزَاءَهُ ، فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ مُسْتَغْنٌ
عَنِ الْمَالِ إِنَّ رَزْقَنِي اللَّهُ عَلَى يَدِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ الْجَدِّ ، الْعَظِيمِ
الْمُلُكِ ، وَلَا حَاجَةَ لِي بِالْمَالِ ، لَكِنْ لَمَّا كَلَفَنِي الْمَلِكُ ذَلِكَ
وَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُسْرَهُ ، أَنَا أَمْضِي إِلَى الْخَزَائِنِ فَأَخُذُ مِنْهَا طَلَبًا لِمَرْضَاتِهِ
وَأَمْتَنَّا لِأَمْرَهِ . ثُمَّ قَصَدَ خِزَانَةَ الثِّيَابِ فَأَخُذَ مِنْهَا تَحْتَهُ مِنْ
طَرَائِفِ نُحَارَاسَانَ مِنْ مَلَابِسِ الْمُلُوكِ . فَلَمَّا قَبَضَ بَرَزَوَيْهِ

مَا أَخْتَارَهُ وَرَضِيهُ مِنَ الْقِيَابِ قَالَ : أَكْرَمَ اللَّهُ الْمَلِكَ وَمَدَّ
فِي عُمُرِهِ أَبْدًا . لَا بُدَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَكْرِمَ وَجَبَ عَلَيْهِ الشُّكُرُ ،
وَإِنْ كَانَ قَدِ اسْتَوْجَبَهُ تَعْبًا وَمَشَقَةً فَقَدْ كَانَ فِيهِمَا رِضا الْمَلِكِ .
وَأَمَّا أَنَا فَمَا لَقِيَتُهُ مِنْ عَنَاءٍ وَتَعَبٍ وَمَشَقَةٍ ، لِمَا أَعْلَمُ أَنَّ لَكُمْ
فِيهِ الشَّرَفَ يَأْهُلُ هَذَا الْبَيْتِ ! فَإِنِّي لَمْ أَزَّلْ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ تَابِعًا
رِضَاكُمْ ، أَرَى الْعَسِيرَ فِيهِ يَسِيرًا . وَالشَّاقُ هِينًا ، وَالنَّصْبَ
وَالْأَذَى سُرُورًا وَلَذَّةً : لِمَا أَعْلَمُ أَنَّ لَكُمْ فِيهِ رِضا وَقُرْبَةً عِنْدَكُمْ .
وَلِكِنِّي أَسْأَلُكَ أَيْهَا الْمَلِكَ حَاجَةً تُسْعِفُنِي بِهَا ، وَتُعْطِينِي فِيهَا
سُؤْلِي : فَإِنَّ حَاجَتِي يَسِيرَةً ، وَفِي قَضَائِهَا فَائِدَةٌ كَثِيرَةٌ . قَالَ
أَنُوْشِرَوَانُ : قُلْ فَكُلْ حَاجَةً لَكَ قَبْلَنَا مَقْضِيَةً : فَإِنَّكَ عِنْدَنَا
عَظِيمٌ ، وَلَوْ طَلَبْتَ مُشَارِكَتَنَا فِي مُلْكِنَا لَفَعَلْنَا ، وَلَمْ نَرَدْ طَلِبَتَكَ ،
فَكَيْفَ مَا سِوَى ذَلِكَ ؟ فُقْلْ وَلَا تَحْتَشِمْ : فَإِنَّ الْأُمُورَ كُلُّهَا
مَبْدُولَةٌ لَكَ . قَالَ بَرْزَوَنِي : أَيْهَا الْمَلِكُ لَا تَنْظُرْ إِلَى عَنَائِي
فِي رِضَاكَ وَانِكَاشِي فِي طَاعَتِكَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ يَلْزَمُنِي بِذُلْ

(١) الانكاش في الأمر : المدفه .

مُهْجَتِي فِي رِضَاكَ ، وَلَوْلَمْ تَجْزِنِي لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عِنْدِي عَظِيمًا وَلَا
 وَاجِبًا عَلَى الْمَلِكِ ، وَلَكِنْ لِكَرَمِهِ وَشَرَفِ مَنْصِبِهِ عَمَّا إِلَى مُحَازَاتِي ،
 وَخَصَّنِي وَأَهْلَ بَيْتِي بِعُلوِّ الْمَرْتَبَةِ وَرَفْعِ الدَّرَجَةِ ، حَتَّى لَوْقَدَرَ
 أَنْ يَجْمَعَ لَنَا بَيْنَ شَرْفِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَفَعَلَ . بَخْرَاهُ اللَّهُ عَنَّا
 أَفْضَلَ الْجَزَاءِ . قَالَ أَنُوْشِرْوَانُ : أَذْكُرْ حَاجَتَكَ ، فَعَلَّمَ مَا يَسْرُكَ .
 فَقَالَ بَرْزَوَيْهُ : حَاجَتِي أَنْ يَأْمُرَ الْمَلِكُ ، أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ،
 وَزِيرُهُ بُزُورُ جَمِيرَ بْنُ الْبَخْتَكَانِ ، وَيُقْسِمَ عَلَيْهِ أَنْ يُعْمَلَ فِكْرَهُ ،
 وَيَجْمَعَ رَأْيَهُ ، وَيَجْهَدَ طَاقَتَهُ ، وَيُفْرِغَ قَلْبَهُ فِي نَظَمِ تَأْلِيفِ
 كَلَامِ مُتَقَنِّ مُحْكَمٍ ، وَيَجْعَلُهُ بَابًا يَذْكُرُ فِيهِ أَمْرِي وَيَصْفُ حَالِي ،
 وَلَا يَدْعُ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي ذَلِكَ أَقْصَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ . وَيَأْمُرُهُ
 إِذَا آسَتَتْهُ أَنْ يَجْعَلَهُ أَوَّلَ الْأَبْوَابِ الَّتِي تُقْرَأُ قَبْلَ بَابِ الْأَسْدِ
 وَالثَّوْرِ : فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ بَلَغَ بِي وَبِأَهْلِي غَایَةَ
 الشَّرَفِ وَأَعْلَى الْمَرَاتِبِ ، وَأَبْقَى لَنَا مَا لَا يَرَأُ ذِكْرُهُ بَاقِيًّا عَلَى
 الْأَبَدِ حَتَّىَ قُرِئَ هَذَا الْكِتَابُ .

فَلَمَّا سَمِعَ كِسْرَى أَنُوْشِرْوَانُ وَالْعُظَمَاءَ مَقَالَتْهُ وَمَا سَمِعْتُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ
 مِنْ مَحَبَّةٍ إِبْقَاءَ الذِّكْرِ اسْتَخْسَنُوا طَلِبَتْهُ وَاحْتِيَارَهُ، وَقَالَ كِسْرَى:
 حُبًّا وَكَرَامَةً لَكَ يَا بَرْزَوَنِيَّ، إِنَّكَ لَأَهْلٌ أَنْ تُسْعَفَ بِحَاجَتِكَ،
 فَمَا أَقْلَ مَا قَنِعْتَ بِهِ وَأَيْسَرَهُ عِنْدَنَا ! وَإِنْ كَانَ خَطْرُهُ عِنْدَكَ
 عَظِيمًا . ثُمَّ أَقْبَلَ أَنُوْشِرْوَانُ عَلَى وَزِيرِهِ بُزُّرْ جَهْرَ فَقَالَ لَهُ : قَدْ
 عَرَفْتَ مُنَاصَحَةَ بَرْزَوَنِيَّ لَنَا، وَتَجَشَّمْتَ الْمَخَاوِفَ وَالْمَهَالِكَ فِيهَا يُقْرِبُهُ
 مِنَا ، وَإِتَاعَابَهُ بَدْنَهُ فِيهَا يَسْرَنَا، وَمَا أَتَى بِهِ إِلَيْنَا مِنَ الْمَعْرُوفِ،
 وَمَا أَفَادَنَا اللَّهُ عَلَى يَدِهِ مِنَ الْخِكْرَةِ وَالْأَدَبِ الْبَاقِي لَنَا نَفْرُهُ، وَمَا
 عَرَضْنَا عَلَيْهِ مِنْ خَزَائِنَنَا لِتَنْجِزِيهِ بِذَلِكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، فَلَمْ تَمِلْ
 نَفْسُهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ وَكَانَ بُغْيَتْهُ وَطَلِبَتْهُ مِنَا أَمْرًا يَسِيرًا رَأَاهُ
 هُوَ التَّوَابَ مِنَ الْهُ وَالْكَرَامَةَ الْخَلِيلَةَ عِنْدَهُ؛ فَلِيُّ أَحِبُّ أَنْ تَكَلَّمَ
 فِي ذَلِكَ وَسُوْعَفَهُ بِحَاجَتِهِ وَطَلِبَتِهِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَسْرِنِي،
 وَلَا تَدْعُ شَيْئًا مِنَ الْإِجْتِهَادِ وَالْمُبَالَغَةِ إِلَّا بَلَغَتْهُ، وَإِنْ نَالَتْكَ فِيهِ
 مَشَقَّةً . وَهُوَ أَنْ تُكْتُبَ بَابًا مُضَارِعًا لِتِلْكَ الْأَبْوَابِ الَّتِي
 فِي الْكِتَابِ؛ وَتَذَكَّرُ فِيهِ فَضْلَ بَرْزَوَنِيَّ، وَكَيْفَ كَانَ ابْتِدَاءً

(١) القدر والرف . (٢) تجشم الأسر : تكلمه على مشقة .

أمره و شأنه ، و تَسْبِهُ إِلَيْهِ و إِلَى حَسَبِهِ و صِنَاعَتِهِ ، و تَذَكَّرَ فِيهِ
 بعثَتُهُ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ فِي حَاجَتِنَا ، وَمَا أَفْدَنَا عَلَى يَدِيهِ مِنْ هُنَالِكَ ،
 وَشَرَفَنَا بِهِ وَفُضِّلَنَا عَلَى غَيْرِنَا ، وَكَيْفَ كَانَ حَالُ بَرْزَوِيَّهُ وَقُدُومُهُ
 مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ ، فَقُلْ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ التَّقْرِيرِ وَالْإِطْنَابِ
 فِي مَدْحِهِ ، وَبَالِغُ فِي ذَلِكَ أَفْضَلُ الْمُبَالَغَةِ وَأَجْتَهَدَ فِي ذَلِكَ آجْتِهَادًا
 يُسْرِ بَرْزَوِيَّهُ وَأَهْلَ الْمَمْلَكَةِ . وَإِنَّ بَرْزَوِيَّهُ أَهْلُ لِذِلِكَ مِنِّي وَمِنْ
 جَمِيعِ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ وَمِنِّكَ أَيْضًا : لِحَبَّتِكَ لِلْعُلُومِ . وَاجْهَدْ أَنْ
 يَكُونَ غَرَضُ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَى بَرْزَوِيَّهُ أَفْضَلُ مِنْ
 أَغْرَاضِ تِلْكَ الْأَبْوَابِ عِنْدَ الْخَاصِ وَالْعَامِ ، وَأَشَدُ مُشَاكِلَةً لِحَالِ
 هَذَا الْعِلْمِ : فَإِنَّكَ أَسْعَدَ النَّاسِ كُلَّهُمْ بِذِلِكَ : لِانْفِرَادِكَ بِهَذَا
 الْكِتَابِ ، وَأَجْعَلْهُ أَوَّلَ الْأَبْوَابِ . فَإِذَا أَنْتَ عَمِلْتَهُ وَوَضَعْتَهُ
 فِي مَوْضِعِهِ فَأَعْلَمْنِي لِأَجْمَعِ أَهْلَ الْمَمْلَكَةِ وَتَقْرَأُهُ عَلَيْهِمْ ، فَيَظْهَرَ فَضْلُكَ
 وَآجْتِهَادُكَ فِي مَحِبَّتِنَا ، فَيَكُونَ لَكَ بِذِلِكَ نَفْرُ . فَلَمَّا سَمِعَ بِزُرْجِمَهُ
 مَقَالَةَ الْمَلِكِ نَحَّ لَهُ سَاجِدًا ، وَقَالَ : أَدَمَ اللَّهُ لَكَ أَيْهَا الْمَلِكُ
 الْبَقَاءَ ، وَبَلَغَكَ أَفْضَلَ مَنَازِلِ الصَّالِحِينَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ،
 لَقَدْ شَرَفْتَنِي بِذِلِكَ شَرَفًا بَاقِيًّا إِلَى الأَبَدِ . ثُمَّ خَرَجَ بُزْرُ جَمِيعِهِ مِنْ

عِنْدَ الْمَلِكِ، فَوَصَفَ بَرْزَوَيْهَ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ دَفَعَهُ أَبْوَاهُ إِلَى الْمُعَلَّمِ،
 وَمُضِيَّهُ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ فِي طَلَبِ الْعَقَاقِيرِ وَالْأَدْوَيَةِ؛ وَكَيْفَ تَعْلَمَ
 خُطُوطَهُمْ وَلُغَتَهُمْ؟ إِلَى أَنْ بَعْثَهُ أَنُوشِرْوَانُ إِلَى الْهِنْدِ فِي طَلَبِ
 الْكِتَابِ . وَلَمْ يَدْعُ مِنْ فَضَائِلِ بَرْزَوَيْهِ وَحِكْمَتِهِ وَخَلَائِقِهِ
 وَمَذَهِّبِهِ أَمْرًا إِلَّا كَسَّهُ، وَأَتَى بِهِ يَاجُودٌ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّرْجِ .
 ثُمَّ أَعْلَمَ الْمَلِكَ بِفَرَاغِهِ مِنْهُ . بَقَمَعَ أَنُوشِرْوَانُ أَشْرَافَ قَوْمِهِ وَأَهْلَ
 مَلَكَتِهِ، وَأَدْخَلَهُمْ إِلَيْهِ؛ وَأَمْرَ بُزُّرْ جَمِهْرَ بِقِرَاءَةِ الْكِتَابِ ،
 وَبَرْزَوَيْهِ قَائِمًا إِلَى جَانِبِ بُزُّرْ جَمِهْرٍ، وَابْتَدَأَ بِوَصْفِ بَرْزَوَيْهِ
 حَتَّى انْتَهَى إِلَى آنْحِرِهِ . فَفَرَحَ الْمَلِكُ بِمَا أَتَى بِهِ بُزُّرْ جَمِهْرٍ مِنَ
 الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ . ثُمَّ أَتَى الْمَلِكُ وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَهُ عَلَى بُزُّرْ جَمِهْرٍ،
 وَشَكَرُوهُ وَمَدْحُوهُ؛ وَأَمْرَ لَهُ الْمَلِكُ بِمَالِ جَزِيلٍ وَكُسُوَّةٍ وَحُلُّ
 وَأَوَانٍ؛ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا غَيْرَ كُسُوَّةٍ كَانَتْ مِنْ ثِيَابِ
 الْمُلُوكِ . ثُمَّ شَكَرَ لَهُ ذَلِكَ بَرْزَوَيْهِ وَقَبَلَ رَأْسَهُ وَيَدَهُ؛ وَأَقْبَلَ
 بَرْزَوَيْهِ عَلَى الْمَلِكِ وَقَالَ : أَدَامَ اللَّهُ لَكَ الْمُلْكَ وَالسَّعَادَةَ فَقَدْ
 بَلَغَتَ بِي وَبِأَهْلِي غَايَةَ الشَّرَفِ بِمَا أَمْرَتَ بِهِ بُزُّرْ جَمِهْرٍ مِنْ صُنْعِهِ
 الْكِتَابَ فِي أَمْرِي وَإِبْقَاءِ ذِكْرِي .

بَابُ عَرْضِ الْكِتَابِ . تَرْجِمَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُقْفَعِ

هَذَا كِتَابٌ كَلِيلَةً وَدِمْنَةً ، وَهُوَ مِنْ وَضَعَهُ عُلَمَاءُ الْهِنْدِ مِنَ الْأَمْثَالِ وَأَنْوَادِ الْحَادِيثِ الَّتِي أَهْمَمُوا أَنْ يُدْخِلُوا فِيهَا أَبْلَغَ مَا وَجَدُوا مِنَ الْقَوْلِ فِي التَّحْوِ الدِّي أَرَادُوا . وَلَمْ تَزَلِ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ مِلَّةٍ يَلْتَمِسُونَ أَنْ يُعْقَلَ عَنْهُمْ ، وَيَحْتَالُونَ فِي ذَلِكَ بِصُنُوفِ الْخَيْلِ ؛ وَيَتَغَوَّلُونَ إِخْرَاجَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْلِ ، حَتَّىٰ كَانَ مِنْ تِلْكَ الْعِلْلِ وَضُعُّ هَذَا الْكِتَابِ عَلَىٰ أَفْوَاهِ الْبَهَائِمِ وَالْعَظِيرِ . فَاجتَمَعَ لَهُمْ بِذَلِكَ خَلَالٌ . أَمَّا هُمْ فَوَجَدُوا مُتَصَرِّفًا فِي الْقَوْلِ وَشَعَابًا يَأْخُذُونَ مِنْهَا . وَأَمَّا الْكِتَابُ بِفَمْمَ حِكْمَةٍ وَلَهُوَا : فَاخْتَارَهُ الْحَكَمَاءُ لِحِكْمَتِهِ . وَالسُّفَهَاءُ لِلْهُوَهِ ، وَالْمُتَعَلِّمُ مِنَ الْأَحَدَاتِ نَاسِطٌ فِي حِفْظِ مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ يُرْبَطُ فِي صَدْرِهِ وَلَا يَدْرِي مَا هُوَ، بَلْ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ ظَفَرَ مِنْ ذَلِكَ بِعَكْتُوبٍ مِنْ قُومٍ . وَكَانَ كَلْرَجْلِ الَّذِي لَمَّا اسْتَكَلَ الرَّجُولِيَّةَ وَجَدَ أَبُوَيْهِ قَدْ كَنَزَ لَهُ مُكْنُوزًا وَعَقَدَا لَهُ عُقودًا اسْتَغْنَىٰ بِهَا عَنِ الْكَدْجَ فِيمَا يَعْمَلُهُ مِنْ أَمْرٍ مَعِيشَتِهِ ؛ فَأَغْنَاهُ مَا أَشْرَفَ عَلَيْهِ مِنَ الْحِكْمَةِ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى غَيْرِهَا مِنْ وُجُوهِ الْأَدَبِ .

وَيَنْبَغِي لِمَنْ قَرَا هَذَا الْكِتَابَ أَنْ يَعْرِفَ الْوُجُوهَ الَّتِي وُضِعَتْ لَهُ ، وَإِلَى أَيِّ غَايَةٍ جَرَى مُولْفُهُ فِيهِ عِنْدَ مَا نَسَبَهُ إِلَى الْبَهَائِمِ وَأَضَافَهُ إِلَى غَيْرِ مُفْصِحٍ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْضَاعِ الَّتِي جَعَلَهَا أَمْثَالًا : فَإِنَّ قَارِئَهُ مَتَى لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَمْ يَدْرِ مَا أُرِيدَ بِتِلْكَ الْمَعَانِي ، وَلَا أَيَّ ثَمَرَةٍ يَجْتَنِي مِنْهَا ، وَلَا أَيَّ نَتْيَاجَةٍ تَحْصُلُ لَهُ مِنْ مُقْدَمَاتِ مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْكِتَابُ . وَإِنَّهُ بِإِنْ كَانَ غَايَتُهُ اسْتِتِمامٌ قِرَاءَتِهِ إِلَى آخِرِهِ دُونَ مَعْرِفَةٍ مَا يَقْرَأُ مِنْهُ لَمْ يَعْدْ عَلَيْهِ شَيْءٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ تَفْعُهُ . وَمَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعِ الْعُلُومِ وَقِرَاءَةِ الْمُكْتَبِ ؛ مِنْ غَيْرِ إِعْمَالِ الرَّوْيَةِ فِيهَا يَقْرُوُهُ ، كَانَ خَلِيقًا أَلَا يُصِيبَهُ إِلَّا مَا أَصَابَ الرَّجُلَ الَّذِي زَعَمَتِ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ اجْتَازَ بَعْضِ الْمَفَاوِزِ ، فَظَاهَرَ لَهُ مَوْضِعُ آثَارِ كَثْرَةِ بَحْثِهِ ، بَخَلَلَ يَحْفِرُ وَيَطْلُبُ ، فَوَقَعَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عَيْنِ وَوَرِيقٍ ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنَّمَا أَخَذْتُ فِي نَقْلِ هَذَا الْمَكَالِ قَلِيلًا قَلِيلًا طَالَ عَلَيَّ ، وَقَطَعَنِي الْإِشْتِغَالُ بِنَقْلِهِ وَإِنْجَازِهِ عَنِ اللَّذَّةِ بِمَا أَصَبَتْ مِنْهُ ، وَلِكِنْ سَأَسْتَأْجِرُ أَقْوَامًا يَحْمِلُونَهُ إِلَى مَنْزِلِي ، وَأَسْكُونُ أَنَا آخِرَهُمْ ، وَلَا يَكُونُ بَقِيَّ وَرَائِي شَيْءٌ يَشْغُلُ فَكْرِي

يُنْقَلِه ؛ وَأَكُونُ قَدِ اسْتَظْهَرْتُ لِنَفْسِي فِي إِرَاحَةِ بَدَنِي عَنِ الْكَدْ^(١)
 بِيَسِيرٍ أَبْحَرَهُ أَعْطِيهِمْ إِيَّاهَا . مُمْجَأَهَا يَحْمَالُهُ كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمْ مَا يُطِيقُ ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ فَيُفْوَزُ بِهِ ؛ حَتَّى لَمْ يَبْقَ
 مِنَ الْكَنْزِ شَيْءٌ . فَانْطَلَقَ خَلْفَهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ : فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مِنَ
 الْمَالِ شَيْئًا ، لَا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا . وَإِذَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَمَالِينَ
 قَدْ فَازَ بِمَا حَمَلَهُ لِنَفْسِهِ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الْعَنَاءُ
 وَالْتَّعَبُ : لَا نَهُ لَمْ يُفَكِّرِ في آخِرِ أَمْرِهِ . وَكَذِلِكَ مَنْ قَرَأَ هَذَا
 الْكِتَابَ ، وَلَمْ يَقْهِمْ مَا فِيهِ ، وَلَمْ يَعْلَمْ غَرَضَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ،
 لَمْ يَنْتَفِعْ بِمَا بَدَأَهُ مِنْ خَطْهِ وَنَقْشِهِ ، كَمَا لوَأَنَّ رَجُلًا قُدِّمَ لَهُ
 جَوْزٌ صَحِيحٌ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ إِلَّا أَنْ يَكْسِرَهُ ؛ وَكَانَ أَيْضًا كَالرَّجُلِ
 الَّذِي طَلَبَ عِلْمَ الْفَصِيحَ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ ؛ فَأَتَى صَدِيقًا لَهُ مِنَ
 الْعُلَمَاءِ ، لَهُ عِلْمٌ بِالْفَصَاحَةِ ، فَأَعْلَمَهُ حَاجَتَهُ إِلَى عِلْمِ الْفَصِيحِ ؛
 فَرَسِمَ لَهُ صَدِيقُهُ فِي صَحِيقَةِ صَفَرَاءَ فَصِيحَ الْكَلَامِ وَتَصَارِيفَهُ
 وَوُجُوهَهُ ؛ فَانْصَرَفَ الْمُتَعَلِّمُ إِلَى مَنْزِلِهِ ؛ بَفْعَلَ يُكْثِرُ قِرَاءَتَهَا وَلَا

يَقِفُ عَلَى مَعَانِيهَا . ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَخْفِلٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، فَأَخَذَ فِي مُحَاوِرَتِهِمْ بِفَرَّتْ لَهُ كَلِمَةً أَخْطَأَ فِيهَا ؛ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْجَمَاعَةِ : إِنَّكَ قَدْ أَخْطَأْتَ ، وَالْوَجْهُ غَيْرُ مَا تَكَلَّمَتْ بِهِ . فَقَالَ وَكَيْفَ أَخْطَأْتُ وَقَدْ قَرَأْتُ الصَّحِيفَةَ الصَّفِرَاءَ ؛ وَهِيَ فِي مَنْزِلِي ؟ فَكَانَتْ مَقَالَتُهُ لَهُمْ أَوْجَبَ لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِ وَزَادَهُ ذَلِكَ قُرْبًا مِنَ الْجَهَلِ وَبَعْدًا مِنَ الْأَدَبِ .

ثُمَّ إِنَّ الْعَاقِلَ إِذَا فَهِمَ هَذَا الْكِتَابَ وَبَلَغَ نِهايَةَ عِلْمِهِ فِيهِ ، يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا عِلِمَ مِنْهُ لِيَنْتَفِعَ بِهِ ؛ وَيَجْعَلَهُ مِنَالًا لَا يَحِيدُ عَنْهُ . فَإِذَا لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ، كَانَ مَثَلُهُ كَالْجُلُولِ الَّذِي زَعَمُوا أَنَّ سَارِقًا تَسْوَرَ عَلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي مَنْزِلِهِ ، فَعَلِمَ بِهِ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا سُكَّنَ حَتَّى أَنْظُرَ مَاذَا يَصْنَعُ ، وَلَا أَذْعَرُهُ ، وَلَا أَعْلَمُهُ أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ بِهِ . فَإِذَا بَلَغَ مُرَادَهُ قُتِّلَ إِلَيْهِ ، فَنَغَضَتْ ذَلِكَ عَلَيْهِ . ثُمَّ إِنَّهُ أَمْسَكَ عَنْهُ . وَجَعَلَ السَّارِقَ يَتَرَدَّدُ ، وَطَالَ تَرَدَّدُهُ فِي جَمِيعِهِ مَا يَجِدُهُ ؛ فَغَلَبَ الرَّجُلُ النَّعَاسُ فَنَامَ ، وَفَرَغَ اللَّصُّ مِمَّا أَرَادَ ، وَأَمْكَنَهُ الدَّهَابُ . وَاسْتَيقَظَ الرَّجُلُ ، فَوَجَدَ

اللّصَّ قَدْ أَخْذَ الْمَتَاعَ وَفَازَ بِهِ . فَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ يَلُومُهَا ،
وَعَرَفَ أَنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ بِاللّصِّ : إِذَا لَمْ يَسْتَعْمِلْ فِي أَمْرِهِ
مَا يَحْبُبُ . فَإِنْعِلْمُ لَا يَتَمُّ إِلَّا بِالْعَمَلِ ، وَهُوَ كَالشَّجَرَةِ وَالْعَمَلُ بِهِ
كَالثَّمَرَةِ . وَإِنَّمَا صَاحِبُ الْعِلْمِ يَقُومُ بِالْعَمَلِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ ؛ وَإِنْ
لَمْ يَسْتَعْمِلْ مَا يَعْلَمُ لَا يُسْمَى عَالِمًا . وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ عَالِمًا
بِطَرِيقِ مَخْوِفٍ ، ثُمَّ سَلَكَهُ عَلَى عِلْمِهِ ، سُمِّيَ جَاهِلًا ؛ وَلَعَلَهُ إِنْ
حَاسَبَ نَفْسَهُ وَجَدَهَا قَدْ رَكِبَتْ أَهْوَاءً هَجَمَتْ بِهَا فِيمَا هُوَ
أَغْرَفُ بِضَرَرِهَا فِيهِ وَأَذَادَهَا مِنْ ذُلْكَ السَّالِكِ فِي الطَّرِيقِ
الْمَخْوِفِ الَّذِي قَدْ جَاهَلَهُ . وَمَنْ رَكِبَ هَوَاهُ وَرَفَضَ مَا يَنْبَغِي
أَنْ يَعْمَلَ بِمَا بَرَأَهُ هُوَ أَوْ أَعْلَمُهُ بِهِ غَيْرُهُ ، كَانَ كَالْمَرِيضِ الْعَالِمِ
بِرَدِيِّ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَجِيدِهِ وَخَفِيفِهِ وَثَقِيلِهِ ، ثُمَّ يَجْهَلُهُ الشَّرِهِ
عَلَى أَكْلِ رَدِيِّهِ وَتَرَكِ مَا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى النَّجَاهِ وَالتَّحَلُّصِ مِنْ
عِلْمِهِ . وَأَقْلَلَ النَّاسِ عُذْرًا فِي اجْتِنَابِ مُحَمَّدِ الْأَفْعَالِ وَأَرْتَكَابِ
مَذْهُومَهَا مَنْ أَبْصَرَ ذَلِكَ وَمَيْزَهُ وَعَرَفَ فَضْلَ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضِ
كَمَا أَنَّهُ لَوْ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا بَصِيرٌ وَالْآخَرُ أَغْمَى سَاقَهُمَا الْأَجَلُ

إِلَى حُفْرَةٍ فَوَقَعَا فِيهَا ، كَانَا إِذَا صَارَا فِي قَاعِهَا يُمْنَزِلُهُ وَاحِدَةٌ^{١)} ،
غَيْرَ أَنَّ الْبَصِيرَ أَقْلَى عُذْرًا عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الضَّرِيرِ : إِذَا كَانَتْ لَهُ
عَيْنَانِ يُبَصِّرُ بِهِمَا ، وَذَاكَ بِمَا صَارَ إِلَيْهِ جَاهِلٌ غَيْرُ عَارِفٍ .

وَعَلَى الْعَالَمِ أَنْ يَبْدأَ بِنَفْسِهِ وَيُوَدِّبَهَا بِعِلْمِهِ ، وَلَا تَكُونَ غَايَتُهُ
افْتِنَاؤُهُ الْعِلْمَ لِمَعَاوَنَةٍ غَيْرِهِ ، وَيَكُونَ كَالْعَيْنِ الَّتِي يَشْرَبُ النَّاسُ
مَاءَهَا وَلَيْسَ لَهَا فِي ذَلِكَ شَيْءٌ مِنَ الْمَنْفَعَةِ ، وَكَدُودَةُ الْقَزْ الَّتِي
تُحْكِمُ صَنْعَتَهُ وَلَا تَنْتَفَعُ بِهِ . فَيَتَبَغِي لِمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَبْدأَ
بِعِظَةِ نَفْسِهِ ، ثُمَّ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَقِيسَهُ ، فَإِنَّ خَلَالًا لَا يَتَبَغِي
لِصَاحِبِ الدُّنْيَا أَنْ يَقْتَنِيهَا وَيُقِيسَهَا : مِنْهَا الْعِلْمُ وَالْمَالُ . وَمِنْهَا
الْخَادُ المَعْرُوفِ . وَلَيْسَ لِلْعَالَمِ أَنْ يَعِيبَ امْرًا بِشَيْءٍ فِيهِ مِثْلُهُ ،
وَيَكُونَ كَالْأَعْمَى الَّذِي يُعِيرُ الْأَعْمَى بِعَمَاهُ . وَيَتَبَغِي لِمَنْ طَلَبَ
أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُ فِيهِ غَايَةٌ وَنِهايَةٌ ، وَيَعْمَلُ بِهَا ، وَيَقِفَ عِنْدَهَا ،
وَلَا يَتَحَادِي فِي الطَّلَبِ ، فَإِنَّهُ يُقَاتَلُ : مَنْ سَارَ إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ

(١) أَقْبَهُ الْعِلْمُ وَقَبِهِ إِيَاهُ يَقِيسُهُ : أَفَادَهُ إِيَاهُ ، وَيَقَالُ : اقْبَسَتْ مِنْهُ عِلْمًا وَقَبَسَتْ أَسْفَدَتْ

يُوشِكُ أَنْ تَنْقِطِعَ بِهِ مَطِيَّتُهُ ، وَإِنَّهُ كَانَ حَقِيقًا أَلَا يُعْنِي نَفْسَهُ
فِي طَلَبِ مَا لَا حَدَّ لَهُ ، وَمَا لَمْ يَنْتَهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ ، وَلَا يَتَأْسَفَ
عَلَيْهِ ، وَلَا يَكُونَ لِدُنْيَا هُوَ مُؤْرِساً عَلَى آخِرَتِهِ : فَإِنَّ مَنْ لَمْ يُعْلَقْ قَلْبُهُ
بِالْغَایَاتِ قَلَّتْ حَسْرَتُهُ عِنْدَ مُفَارَقَتِهَا . وَقَدْ يُقَالُ فِي أَمْرَيْنِ
إِنَّهُمَا يَجْمَلَانِ يُكُلُّ أَحَدٍ : أَحَدُهُمَا النَّسْكُ وَالآخَرُ الْمَالُ الْخَلَالُ
وَلَا يَلِيقُ بِالْعَاقِلِ أَنْ يَوْبَ نَفْسَهُ عَلَى مَا فَاتَهُ وَلَيْسَ فِي مَقْدُورِهِ^(١) ،
فَرُبَّمَا أَتَاهُ اللَّهُ مَا يَهْنَأُ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ فِي حُسْبَانِهِ . وَمِنْ أَمْثَالِ
هَذَا أَنَّ رَجُلًا كَانَ بِهِ فَاقَةً وَجُوعً وَعَرَى ، فَأَلْجَاهُ ذُلْكَ إِلَى
أَنْ سَأَلَ أَقَارِبَهُ وَأَصْدِقَاءَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَضْلٌ يَعُودُ
بِهِ عَلَيْهِ . فَبَيْنَمَا هُوَ دَاتَ لَيْلَةً فِي مَنْزِلِهِ إِذْ بَصُرَ سَارِقَ فِيهِ ،
فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا فِي مَنْزِلِي شَيْءٌ أَخَافُ عَلَيْهِ : فَلَيَجْهَدِ السَّارِقُ
جُهْدَهُ . فَبَيْنَمَا السَّارِقُ يَجْوُلُ إِذْ وَقَعَتْ يَدُهُ عَلَى خَابِيَّةٍ فِيهَا
حِنْطَةً ، فَقَالَ السَّارِقُ : وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ عَنَائِي اللَّيْلَةَ
بَاطِلاً . وَلَعَلَّ لَا أُصِلُّ إِلَى مَوْضِعِ آخَرَ ، وَلَكِنْ سَأَحْمِلُ هَذِهِ

(١) يَتَعَبَّا . (٢) الْبَادَةُ . (٣) بَصْرَ بَهْ كَظْرَفَ وَفَرْجَ أَبْصَرَهُ .

الْخِنْطَةَ . ثُمَّ بَسَطَ قَيْصَهُ لِيَصُبَّ عَلَيْهِ الْخِنْطَةَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : أَيْذَهَبُ هَذَا بِالْخِنْطَةِ وَلَيْسَ وَرَأَى سِواهَا ؟ فَيَجْتَمِعُ عَلَى مَعَ الْعُرْيِ ذَهَابُ مَا كُنْتُ أَفْتَاتُ بِهِ . وَمَا تَجْتَمِعُ وَاللَّهُ هَاتَانِ الْخَلَّاتَانِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَهْلَكَاهُ . ثُمَّ صَاحَ بِالسَّارِقِ ، وَأَخْدَهُ هَرَاؤَهُ كَانَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِالسَّارِقِ حِيلَةٌ إِلَّا اهْرَبَ مِنْهُ ، وَتَرَكَ قَيْصَهُ وَنَجَا بِنَفْسِهِ ؛ وَغَدَ الرَّجُلُ بِهِ كَاسِيًّا ؛ وَلَيْسَ يَتَبَغَّى أَنْ يَرَكَنَ إِلَى مِثْلِ هَذَا وَيَدْعُ مَا يَحْبُّ عَلَيْهِ مِنَ الْخَدَرِ وَالْعَمَلِ فِي مِثْلِ هَذَا لِصَالَاجِ مَعَاشِهِ ؛ وَلَا يَنْتَظِرَ إِلَى مَنْ تُوَاتِيهِ الْمَقَادِيرُ وَتُسَاعِدُهُ عَلَى غَيْرِ الْتَّاسِيسِ مِنْهُ : لِأَنَّ أُولَئِكَ فِي النَّاسِ قَلِيلٌ ؛ وَابْتَهُورُ مِنْهُمْ مَنْ أَتَعَبَ نَفْسَهُ فِي الْكَدَّ وَالسَّعْيِ فِيهَا يُضْلِعُ أَمْرَهُ وَيَنَالُ بِهِ مَا أَرَادَ . وَيَتَبَغَّى أَنْ يَكُونَ حِرْصَهُ عَلَى مَا طَابَ كَسْبَهُ وَحَسْنَ نَفْعَهُ ؛ وَلَا يَتَعَرَّضَ لِمَا يَجْلِبُ عَلَيْهِ الْعَنَاءَ وَالشَّقَاءَ ؛ فَيَكُونَ كَالْحَمَامَةِ الَّتِي تُفْرِخُ الْفِرَاخَ فَتَوْخَدُ وَتَذْبَحُ ، ثُمَّ لَا يَمْنَعُهَا ذَلِكَ أَنْ تَعُودَ فَتُفْرِخُ مَوْضِعَهَا ، وَتُقْيِيمَ بِمَكَانِهَا فَتَوْخَدُ

(١) المراوة بالكسر : العصا الضخمة .

الثانية من فرائحتها فتدفعه . وقد يقال : إن الله تعالى قد جعل لكل شيء حدا يوقف عليه . ومن تجاوز في أشياء حدها أوشك أن يلحقه التقصير عن بلوغها . ويقال : من كان سعيه لآخرته ودنياه حياته له وعليه . ويقال في ثلاثة أشياء يجب على صاحب الدنيا إصلاحها وبذل جهده فيها : منها أمر معيشته ، ومنها ما بينه وبين الناس ، ومنها ما يكسبه الذي لا يحيل بعد . وقد قيل في أمور من كن فيه لم يستقيم له عمل . منها التوانى ، ومنها تضييع الفرص ، ومنها التصديق لكل مخبر . فرب مخبر بشيء عقله ولا يعرف استقامته فيصدقه . وينبغى للعاقل أن يكون لهواه متهمًا ، ولا يقبل من كل أحد حديثا ، ولا يتمادى في الخطأ إذا ظهر له خطوه ولا يقدم على أمر حتى يتبيّن له الصواب ، وتتضيّع له الحقيقة ، ولا يكون كالرجل الذي يحيط عن الطريق ، فيستمر على الضلال ، فلا يزداد في السير إلا جهدا ، وعن القصد إلا بعدا ، وكالرجل الذي تقدى عينه فلا يزال يمشيها ، وربما كان ذلك

الْخَلُّ سَبِيبًا لِذَهَابِهَا . وَيَحِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُصَدِّقَ بِالْقَضَاءِ
وَالْقَدَرِ ، وَيَأْخُذُ بِالْخَزْمِ ، وَيُحِبُ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُ لِنَفْسِهِ ، وَلَا
يَلْتَمِسْ صَلَاحَ نَفْسِهِ بِفَسَادِ غَيْرِهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ
خَلِيقًا أَنْ يُصِيبَهُ مَا أَصَابَ التَّاجِرَ مِنْ رَفِيقِهِ .

فَإِنَّهُ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ رَجُلُ تَاجِرٍ ، وَكَانَ لَهُ شَرِيكٌ ، فَاسْتَاجَرَ
حَادُوتًا ، وَجَعَلَ مَتَاعَهُمَا فِيهِ . وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَرِيبُ الْمَنْزِلِ مِنَ
الْمَحَافِظَةِ ، فَأَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَسْرِقَ عِذْلًا مِنْ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ ،
وَمَكَرَ الْخِيلَةَ فِي ذَلِكَ ، وَقَالَ : إِنِّي أَتَيْتُ لَيْلًا لَمْ آمِنْ أَنْ أَخْرِمَ
عِذْلًا مِنْ أَعْدَالِي أَوْ رِزْمَةً مِنْ رِزْمِي وَلَا أَغْرِفَهَا ، فَيَذَهَبَ
عَنَّا نِي وَتَعْبِي بَاطِلًا . فَأَخَذَ رِدَاءَهُ ، وَأَلْقَاهُ عَلَى الْعِذْلِ الَّذِي
أَضْمَرَ أَخْذَهُ . ثُمَّ آنْصَرَ فَإِلَى مَنْزِلِهِ . وَجَاءَ رَفِيقُهُ بَعْدَ ذَلِكَ
لِيُصْلِحَ أَعْدَالَهُ ، فَبَوَجَدَ رِدَاءَ شَرِيكِهِ عَلَى بَعْضِ أَعْدَالِهِ ، فَقَالَ :
وَاللَّهِ هَذَا رِدَاءُ صَاحِبِي ، وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ نَسِيَهُ . وَمَا الرَّأْيُ
أَنْ أَدْعُهُ هَاهُنَا ؟ وَلَكِنْ أَجْعَلَهُ عَلَى رِزْمِهِ ؛ فَلَعْلَهُ يَسْقُنُ
إِلَى

(١) الأعدل : الأمة . (٢) الرِّزْمَة بالكسر : هي التي فيها ضروب من الثياب .

الحانوت فـيـجـدـه حـيـثـ يـحـبـ . ثـمـ أـخـذـ الرـدـاءـ فـأـلـقـاهـ عـلـىـ عـذـلـ
 مـنـ أـعـدـاـلـ رـفـيقـهـ ، وـأـقـفـلـ الحـانـوـتـ ، وـمـضـىـ إـلـىـ مـنـزـلـهـ . فـلـمـاـ
 جـاءـ اللـيـلـ أـتـىـ رـفـيقـهـ وـمـعـهـ رـجـلـ قـدـ وـأـطـاهـ عـلـىـ مـاـ عـزـمـ عـلـيـهـ ،
 وـضـمـنـ لـهـ جـعـلاـ عـلـىـ حـمـلـهـ ، فـصـارـ إـلـىـ الحـانـوـتـ ، فـأـلـتـمـسـ
 الـإـزارـ فـيـ الـظـلـمـةـ فـوـجـدـهـ عـلـىـ عـدـلـ ، فـأـخـتـمـ ذـلـكـ عـدـلـ ،
 وـأـخـرـجـهـ هـوـ وـالـرـجـلـ ، وـجـعـلاـ يـتـرـأـوـ حـانـ عـلـىـ حـمـلـهـ ، حـتـىـ أـتـىـ
 مـنـزـلـهـ ، وـرـمـىـ نـفـسـهـ تـعـبـاـ . فـلـمـاـ أـصـبـحـ آفـقـدـهـ فـإـذـاـ هـوـ بـعـضـ
 أـعـدـاـلـهـ ، فـنـدـمـ أـشـدـ النـدـامـةـ . ثـمـ آنـطـلـقـ تـحـوـ الحـانـوـتـ ، فـوـجـدـ
 شـرـيـكـهـ قـدـ سـبـقـهـ إـلـيـهـ فـفـتـحـ الحـانـوـتـ وـوـجـدـ عـدـلـ مـفـقـودـاـ :
 فـأـغـتـمـ لـذـلـكـ عـمـاـ شـدـيدـاـ ، وـقـالـ : وـاسـوـءـتـاهـ مـنـ رـفـيقـ صـالـحـ
 قـدـ اـتـمـنـتـنـيـ عـلـىـ مـالـهـ وـخـلـفـنـيـ فـيـهـ ! مـاـذـاـ يـكـوـنـ حـالـيـ عـنـدـهـ ?
 وـلـسـتـ أـشـكـ فـيـ تـهـمـتـهـ إـلـيـاـيـ . وـلـكـنـ قـدـ وـطـنـتـ نـفـسـيـ عـلـىـ
 غـرـامـتـهـ . ثـمـ أـتـىـ صـاحـبـهـ فـوـجـدـهـ مـغـتـمـاـ ، فـسـأـلـهـ عـنـ حـالـهـ ؛ فـقـالـ
 إـنـيـ قـدـ اـفـتـقـدـتـ الـأـعـدـاـلـ ، وـفـقـدـتـ عـدـلـاـ مـنـ أـعـدـاـلـكـ ، وـلـاـ

أَعْلَمُ بِسَيِّرِهِ ؛ وَإِنِّي لَا أَشْكُ فِي تُهْمِتِكَ إِيَّاى ؛ وَإِنِّي قَدْ وَطَنْتُ
 نَفْسِي عَلَى غَرَامَتِهِ . فَقَالَ لَهُ : يَا أَخِي لَا تَغْتَمْ : فَإِنَّ الْخِيَانَةَ
 شَرُّ مَا عَمِلَهُ الْإِنْسَانُ ، وَالْمَنْكَرُ وَالْخَدْيَعَةَ لَا يُؤْدِيَانِ إِلَى خَيْرٍ ؛
 وَصَاحِبُهُمَا مَغْرُورٌ بَدَأَ ، وَمَا عَادَ وَبَالُ الْبَغْيِ إِلَّا عَلَى صَاحِبِهِ ؛
 وَأَنَا أَحَدُ مَنْ مَكَرَ وَخَدَعَ وَأَخْتَالَ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : وَكَيْفَ
 كَانَ ذَلِكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِهِ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ . فَقَالَ لَهُ رَفِيقُهُ :
 مَا مَثَلُكَ إِلَّا مَثَلُ اللَّصِّ وَالْتَّاجِرِ . فَقَالَ لَهُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟
 قَالَ : زَعَمُوا أَنَّ تَاجِرًا كَانَ لَهُ فِي مَنْزِلِهِ خَابِيَّتَانِ إِلَّا هُمَا مَمْلُوَّةٌ
 حِنْطَةً ، وَالْأُخْرَى مَمْلُوَّةٌ ذَهَبًا . فَتَرَقَّبَهُ بَعْضُ الْلَّصُوصِ
 زَمَانًا ، حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْضُ الْأَيَّامِ تَشَاغَلَ التَّاجِرُ عَنِ الْمَنْزِلِ ،
 فَتَغْفَلَهُ اللَّصُّ ، وَدَخَلَ الْمَنْزِلَ ، وَكَمَّ فِي بَعْضِ نَوَاحِيهِ . فَلَمَّا
 هُمْ يَأْخُذُونَ الْخَابِيَّةَ الَّتِي فِيهَا الدَّنَانِيرُ أَخَذَ الَّتِي فِيهَا الْحِنْطَةَ ،
 وَظَنَّهُمْ أَنَّ الَّتِي فِيهَا الْذَّهَبُ ، وَلَمْ يَرَنْ فِي كُلِّهِ وَتَعَبَ حَتَّى أَتَى بِهَا
 مَنْزِلَهُ فَلَمَّا فَتَحَاهَا وَعَلِمَ مَا فِيهَا نَدِمَ . قَالَ لَهُ الْخَابِيَّ : مَا أَبْعَدْتَ

(١) أشعر . (٢) الخابية الجببأى الجبرة الضخمة وأصابها المهز لأنها من خبا . (٣) اعتنم عقلته .

المثل ، وَلَا تَجَاوِزَتِ الْقِيَاسَ ، وَقَدْ أَعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي وَخَطَئِي عَلَيْكَ ، وَعَزِيزٌ عَلَىَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا كَهْدَا . غَيْرَ أَنَّ النَّفَسَ الرَّدِيءَ تَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ . فَقَبِيلُ الرَّجُلِ مَعْذِرَتَهُ ، وَأَضْرَبَ عَنْ تَوْبِيهِ وَعَنِ الشُّفَقَ بِهِ ، وَنَدِمَ هُوَ عِنْدَ مَا عَانَ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِ وَتَقْدِيمِ جَهْلِهِ .

وَقَدْ يَنْبَغِي لِلنَّاظِرِ فِي كَلَابِنَا هَذَا أَلَا تَكُونَ غَايَتُهُ التَّصْفَحُ لِتَزاوِيْقِهِ ، بَلْ يُشَرِّفُ عَلَىَّ مَا يَتَضَمَّنُ مِنَ الْأَمْثَالِ ، حَتَّى يَتَهَبَّ مِنْهُ ؛ وَيَقِفَ عِنْدَ كُلِّ مَثَلٍ وَكَلِمةٍ ، وَيُعْمَلُ فِيهَا رَوِيَّةً ؛ وَيَكُونَ مِثْلَ أَصْغَرِ الْإِخْوَةِ الْتَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفَ لَهُمْ أَبُوهُمُ الْمَالِ الْكَثِيرَ ، فَتَنَازَعُوهُ بِذِنْهُمْ ؛ فَأَمَّا الْكَبِيرُ أَنِّي فَلِإِنْهُمَا أَسْرَاعَا فِي إِنْتَلَافِهِ وَإِنْفَاقِهِ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ ؛ وَأَمَّا الصَّغِيرُ فَلِإِنَّهُ عِنْدَ مَا نَظَرَ مَا صَارَ إِلَيْهِ أَخْوَاهُ مِنْ إِسْرَافِهِمَا وَتَخْلِيَّهُمَا مِنَ الْمَالِ ، أَقْبَلَ عَلَىَّ نَفْسِهِ يُشَاؤُرُهَا وَقَالَ : يَا نَفْسِي إِنَّمَا الْمَالُ يَظْلُبُهُ صَاحِبُهُ ، وَيَجْمِعُهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ : لِبَقَاءِ حَالِهِ ، وَصَلَاجَ مَعَاشِهِ وَدُنْيَاهُ ، وَشَرَفِ

(۱) أصل معناه يطلع عليه من فوق والمراد هنا يدقق ويتأمل . (۲) تنازعوه : تاولوه .

مَنْزِلَتِهِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ ، وَأَسْتَغْنَاهُ عَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَصَرْفَهِ
فِي وَجْهِهِ : مِنْ صِلَةِ الرَّحْمِ ، وَالإِنْفَاقِ عَلَى الْوَلَدِ ، وَالإِفْضَالِ
عَلَى الإِخْوَانِ . فَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ وَلَا يُنْفِقُهُ فِي حُقُوقِهِ ، كَانَ
كَالَّذِي يُعَدُّ فَقِيرًا وَإِنْ كَانَ مُوسِرًا . وَإِنْ هُوَ أَخْسَنَ إِمْسَاكَهُ
وَالْقِيَامَ عَلَيْهِ ، لَمْ يَعْدِمْ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا مِنْ دُنْيَا تَبَقَّى عَلَيْهِ ، وَحَمْدٍ
يُضَافُ إِلَيْهِ ، وَمَتَى قَصَدَ إِنْفَاقَهُ عَلَى غَيْرِ الْوُجُوهِ الَّتِي عَلِمْتَ ،
لَمْ يَلْبَسْ أَنْ يُتَلَفَّهُ وَيَبْقَى عَلَى حَسْرَةٍ وَنَدَامَةٍ . وَلَكِنَّ الرَّأْيَ
أَنْ أَمْسِكَ هَذَا الْمَالَ ، فَلَيْلَى أَرْجُو أَنْ يَنْفَعَنِي اللَّهُ بِهِ : وَيُغْنِيَ
أَخْوَى عَلَى يَدَى : فَإِنَّمَا هُوَ مَالٌ أَيِّي وَمَالُ أَيِّهِمَا . وَإِنَّ أَوْلَى
الإِنْفَاقِ عَلَى صِلَةِ الرَّحْمِ وَإِنْ بَعْدَتْ ، فَكَيْفَ يَأْخُوَى ؟ فَإِنْفَدَ
فَأَخْضَرَهُمَا وَشَاطَرَهُمَا مَالَهُ ، وَكَذَلِكَ يَحْبُّ عَلَى قَارِئِ هَذَا الْكِتَابِ
أَنْ يُدِيمَ النَّظَرَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ ضَحْرٍ ، وَيَلْتَمِسَ جَوَاهِرَ مَعَانِيهِ ،
وَلَا يَظْنَ أَنَّ نَتْيَاجَهُ الْإِخْبَارُ عَنْ حِيلَةِ بَهِيمَتَينِ أَوْ مُحاورَةِ سَبْعِ
لِئَوْرِ : فَيَنْصَرِفَ بِذَلِكَ عَنِ الْغَرَضِ المَقْصُودِ . وَيَكُونَ مَثَلُهُ
مَثَلَ الصَّيَادِ الَّذِي كَانَ فِي بَعْضِ الْخُلْجَانِ يَصِيدُ فِيهِ السَّمَكَ

في زورق فرأى ذات يوم في أرض الماء صدفة تلألأ حسناً،
 فتوهمها جواهر الله قيمة وكان قد التقى شبكته في البحر،
 فاشتغلت على سكينة كانت قوت يومه، خلاها وقدف نفسه
 في الماء ليأخذ الصدفة، فلما أخرجها وجدتها فارغة لا شيء
 فيها مما ظنَّ . فندم على ترك ما في يده للطمع ، وتأسف
 على مافاته ، فلما كان اليوم الثاني تبكي عن ذلك المكان ،
 وأتقى شبكته ، فأصاب حوتاً صغيراً ، ورأى أيضاً صدفة سنية ،
 فلم يلتقط إلينا ، وسأله ظنه بها ، فتركها . فاجتاز بها
 بعض الصيادين فأخذها ، فوجدها درةٌ ساوي أموالاً .
 وكذلك الجھال إذا أغفلوا أمر التفكير في هذا الكتاب ، وتركوا
 الوقوف على أسرار معانيه ، وأخذوا بظاهره . ومن صرَفَ
 همة إلى النظر في أبواب المنزل ، كان كرجيل أصاب أرضًا
 طيبة حرَّةً وحباً صحيحاً ، فزرعها وسقاها ، حتى إذا قرب خيراً

وَأَيْنَعَتْ ، تَسَاغَلَ عَنْهَا بِجَمْعِ مَا فِيهَا مِنَ الرَّزْقِ وَقَطْعِ الشَّوْكِ ،
فَأَهْلَكَ بِتَسَاغُلِهِ مَا كَانَ أَحْسَنَ فَائِدَةً وَاجْهَلَ عَائِدَةً .

وَيَتَبَغِي لِلنَّاظِرِ فِي هَذَا الْكِتابِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ
أَغْرَاضٍ : أَحَدُهَا مَا قُصِدَ فِيهِ إِلَى وَضِعِهِ عَلَى أَلْذِنَةِ الْبَاهِمِ
غَيْرِ النَّاطِقَةِ لِيُسَارِعَ إِلَى قِرَاءَتِهِ أَهْلُ الْهَزْلِ مِنَ الشُّبَانِ ،
فَتُسْتَمَالَ بِهِ قُلُوبُهُمْ : لِأَنَّهُ الْغَرَضُ بِالنَّوَادِرِ مِنْ حِيلِ الْحَيَّانِ .
وَالثَّانِي إِظْهَارُ خَيَالَاتِ الْحَيَّانِ بِصُنُوفِ الْأَصْبَاغِ وَالْأَلْوَانِ :
لِيَكُونَ أَنْسًا لِقُلُوبِ الْمُلُوكِ ، وَيَكُونَ حِرْصَهُمْ عَلَيْهِ أَشَدَّ لِلنَّزَهَةِ
فِي تِلْكَ الصُّورِ . وَالثَّالِثُ أَنْ يَكُونَ عَلَى هُذِهِ الصَّفَةِ : فَيَتَخَذَهُ
الْمُلُوكُ وَالسُّوقَةُ ، فَيَكْثُرُ بِذَلِكَ اتِّسَاخُهُ ، وَلَا يَبْطَلَ فَيَخْلُقَ عَلَى
مُرْوِرِ الْأَيَّامِ ؛ وَلَيَنْتَفِعَ بِذَلِكَ الْمُصْوَرِ وَالنَّاسُ أَبَدًا . وَالْغَرَضُ
الرَّابِعُ ، وَهُوَ الْأَقْصَى ، وَذَلِكَ مَخْصُوصٌ بِالْفَيَاسُوفِ خَاصَّةً .

بَابُ بَرْزَوِيَّهِ تَرْجِمَةُ بُزْرِ جَمْهُورِ بْنِ الْبَخْتَكَانِ

قَالَ بَرْزَوِيَّهُ رَأْسُ أَطْبَاءِ فَارِسَ ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّ اِنْتِسَاخَ هَذَا الِكِتَابِ ، وَتَرَجَّمَهُ مِنْ كُتُبِ الْهِنْدِ (وَقَدْ مَضَى ذِكْرُ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ) : أَبِي كَانَ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ ، وَكَانَتْ أُمِّي مِنْ عَظَمَاءِ بَيْوتِ الزَّمَازِمَةِ . وَكَانَ مَنْشَئِي فِي نِعْمَةِ كَامِلَةٍ ، وَكُنْتُ أَنْكَرَمْ وَلَدِ أَبَوَيْ عَلَيْهِمَا ؛ وَكَانَا بِي أَشَدَّ اِحْتِفَاظًا مِنْ دُونِ إِخْرَاجِيِّ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتُ سَبْعَ سِنِينَ ، أَسْلَمَنَا إِلَى الْمُؤْدِبِ ، فَلَمَّا حَدَّثْتُ الِكِتَابَةَ ، شَكَرْتُ أَبَوَيْهِ ، وَنَظَرْتُ فِي الْعِلْمِ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا ابْتَدَأْتُ بِهِ ، وَحَرَضْتُ عَلَيْهِ ، عِلْمُ الْطَّبِّ : لِأَنِّي كُنْتُ عَرَفْتُ فَضْلَهُ . وَكَمَا ازْدَدْتُ مِنْهُ عِلْمًا ازْدَدْتُ فِيهِ حِرْصًا ، وَلَهُ اتِّبَاعًا . فَلَمَّا هَمَّتْ نَفْسِي بِعُدُواةِ الْمَرْضَى ، وَعَزَّمْتُ عَلَى ذَلِكَ آمْرَهَا ثُمَّ خَيَّرْتُهَا بَيْنَ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي يَطْلُبُهَا النَّاسُ ، وَفِيهَا يَرْغَبُونَ ، وَلَهَا يَسْعَونَ . فَقُلْتُ : أَيَّ هُذِهِ الْخَلَالِ أَبْتَغِي فِي عِلْمِي ؟ وَأَيْهَا أَخْرَى بِي فَأَدْرِكَ مِنْهُ حَاجَتِي ؟ الْمَالُ ، أَمِ الدُّكْرُ ، أَمِ اللَّذَّاتُ

(١) طافحة من الفرس . (٢) شاورتها .

أَم الْآخِرَةُ؟ وَكُنْتُ وَجَدْتُ فِي كُتُبِ الطِّبِّ أَنَّ أَفْضَلَ الْأَطْبَاءِ
مَنْ وَاظَّبَ عَلَى طِبِّهِ، لَا يَتَغَيِّرُ إِلَّا الْآخِرَةُ. فَرَأَيْتُ أَنْ أَظْلِبَ
الإِشْتِغَالَ بِالْطِّبِّ ابْتِغَاءَ الْآخِرَةِ: لِئَلَّا أَكُونَ كَالْتَاجِرِ الَّذِي بَاعَ
يَاقُوتَهُ مَعِينَهُ بِخَرَزَةٍ لَا تُسَاوِي شَيْئًا، مَعَ أَنِّي قَدْ وَجَدْتُ فِي كُتُبِ
الْأَوَّلِينَ أَنَّ الطَّيِّبَ الَّذِي يَتَغَيِّرُ بِطِبِّهِ أَجْرَ الْآخِرَةِ لَا يَنْقُصُهُ
ذَلِكَ حَظَّهُ مِنَ الدُّنْيَا. وَإِنَّ مَثْلَهُ مُثْلُ الزَّارِعِ الَّذِي يَعْمَرُ أَرْضَهُ
ابْتِغَاءَ الزَّرْعِ لَا ابْتِغَاءَ الْعُشِّبِ، ثُمَّ هِيَ لَا مَحَالَةَ نَاتِّ فِيهَا أَنْوَانُ
الْعُشِّبِ مَعَ يَانِعِ الزَّرْعِ. فَأَقْبَلْتُ عَلَى مُدَاوَاهِ الْمَرَضَى ابْتِغَاءَ أَجْرِ
الْآخِرَةِ، فَلَمْ أَدْعُ صَرِيصًا أَرْجُو لَهُ الْبُرْءَةِ، وَآخَرَ لَا أَرْجُو لَهُ
ذَلِكَ، إِلَّا أَنِّي أَطْمَعُ أَنْ يَنْحِفَ عَنْهُ بَعْضُ الْمَرَضِ، إِلَّا بِالْغَتْ
فِي مُدَاوَاهِهِ مَا أَمْكَنْتِي الْقِيَامُ عَلَيْهِ بِنَفْسِي؛ وَمَنْ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى
الْقِيَامِ عَلَيْهِ وَصَفَقْتُ لَهُ مَا يُصْلِحُ، وَأَعْطَيْتُهُ مِنَ الدَّوَاءِ مَا يُعَالِجُ
بِهِ. وَلَمْ أَرِدْ مِنْ فَعَلْتُ مَعَهُ ذَلِكَ بَرَاءَةً وَلَا مُكَافَأَةً؛ وَلَمْ أَغْبِطْ
أَحَدًا مِنْ نُظَرَائِي الَّذِينَ هُمْ دُونِي فِي الْعِلْمِ وَفَوْقِي فِي الْجَاهِ وَالْمَكَانِ
وَغَيْرِهِمَا مِمَّا لَا يَمْهُودُ بِهِ صَلَاحَتِهِ وَلَا يُحْسِنُ سِيرَةً قَوْلًا وَلَا عَمَلاً.

وَلَمَّا تَاقَتْ نَفْسِي إِلَى غِشْيَانِهِمْ وَتَمَنَّتْ مَنَازِلَهُمْ أَثْبَتْ لَهَا الْخُصُومَةَ^(١)،
 فَقُلْتُ لَهَا : يَا نَفْسُ ، أَمَا تَعْرِفِينَ نَفْعَكِ مِنْ ضُرُّكِ ؟ أَلَا تَتَنَاهِينَ
 عَنْ تَمَنِّي مَا لَا يَنَالُهُ أَحَدٌ إِلَّا قَلَ اِنْتِفَاعُهُ بِهِ ، وَكَثُرَ عَنَاؤُهُ فِيهِ ،
 وَاشْتَدَّتْ الْمَئُونَةُ عَلَيْهِ وَعَظُمَتْ الْمَشَقَةُ لَدَيْهِ بَعْدَ فِرَاقِهِ ؟ يَا نَفْسِي ،
 أَمَا تَذَكَّرِينَ مَا بَعْدَ هَذِهِ الدَّارِ ؟ فَيُنْسِيكِ مَا تَشَرِّهِينَ إِلَيْهِ مِنْهَا ؟
 إِلَّا تَسْتَحِينَ مِنْ مُشارَكَةِ الْفُجَارِ فِي حُبِّ هَذِهِ الْعَاجِلَةِ الْفَانِيَةِ
 الَّتِي مَنْ كَانَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْهَا فَلَيْسَ لَهُ ، وَلَيْسَ بِبَاقٍ عَلَيْهِ ،
 فَلَا يَأْلِفُهَا إِلَّا الْمُغْتَرِّونَ الْجَاهِلُونَ ؟ يَا نَفْسُ انْظُرِي فِي أَمْرِكِ ،
 وَانْصَرِفِي عَنْ هَذَا السَّفَهِ ، وَأَقْبِلِي بِقُوَّتِكِ وَسَعْيِكِ عَلَى تَقْدِيمِ
 الْخَيْرِ ، وَإِيَّاكِ وَالشَّرِّ ، وَادْكُرِي أَنَّ هَذَا الْجَسَدَ مَوْجُودٌ لِآفَاتِ ،
 وَأَنَّهُ مَمْلُوءٌ أَخْلَاطًا فَاسِدَةً قَدِرَةً ، تَعْقِدُهَا الْحَيَاةُ ، وَالْحَيَاةُ إِلَى
 نَفَادِهِ ، كَالصَّنْمِ الْمُفَصَّلَةِ أَعْضَاوَهُ إِذَا رَكِبْتَ وَوَضَعْتَ ، يَجْمِعُهَا
 مِسْهَارٌ وَاحِدٌ ، وَيَضْمُمُ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضِهِ ، فَإِذَا أَخْذَ ذَلِكَ الْمِسْهَارَ
 سَاقَطَتِ الْأَوْصَالُ . يَا نَفْسُ ، لَا تَغْرِي بِصُحْبَةِ أَحِبَّائِكِ

وأصحابِك ، ولا تخرِصي عَلَى ذَلِكِ كُلَّ الْخَرْصِ : فَإِنَّ صُحْبَتَهُمْ -
 عَلَى مَا فِيهَا مِنَ السُّرُورِ - كَثِيرَةُ الْمَئُونَةِ ، وَعَاقِبَةُ ذَلِكِ الْفِرَاقُ .
 وَمِثْلُهَا مَثَلُ الْمِغْرَفَةِ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي جَدَّتِهَا لِسُخُونَةِ الْمَرَقِ ،
 فَإِذَا أَنْكَسَرَتْ صَارَتْ وَقُودًا . يَا نَفْسُ ، لَا يَحْمِلُنَّكَ أَهْلُكَ وَأَقْارَبُكَ^(١)
 عَلَى جَمْعِ مَا تَهْلِكِينَ فِيهِ ، إِرَادَةَ صِلَاتِهِمْ ؛ فَإِذَا أَنْتَ كَالدُّخْنَةِ^(٢)
 الْأَرِجَةِ الَّتِي تَحْتَرِقُ وَيَذْهَبُ آخَرُونَ بِرِيحِهَا . يَا نَفْسُ ، لَا يَبْعُدُ
 عَلَيْكَ أَمْرُ الْآخِرَةِ فَتَمِيلِي إِلَى الْعَاجِلَةِ فِي اسْتِعْجَالِ الْقَلِيلِ وَبَيْعِ
 الْكَثِيرِ بِالنِّسِيرِ ؛ كَالثَّابِرِ الَّذِي كَانَ لَهُ مِنْهُ بَيْتٌ مِنَ الصَّندَلِ ،
 فَقَالَ : إِنْ يَعْتَهُ وَزْنًا طَالَ عَلَىَّ ، فَبَاعَهُ جُزَافًا بِأَنْجَسِ الشَّمْنِ .
 وَقَدْ وَجَدْتُ آرَاءَ النَّاسِ مُخْتَلِفةً وَأَهْوَاءَهُمْ مُتَبَايِنَةً ؛ وَكُلُّ عَلَىَّ
 كُلِّ رَادٍ ، وَلَهُ عَدُوٌ وَمُغْتَابٌ ، وَلِقَوْلِهِ مُخَالِفٌ . فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ
 لَمْ أَجِدْ إِلَى مُتَابَعَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ سَيِّلًا ؛ وَعَرَفْتُ أَنِّي إِنْ صَدَقْتُ
 أَحَدًا مِنْهُمْ لَا يَعْلَمُ لِي بِحَالِهِ ، كُنْتُ فِي ذَلِكَ كَالْمُصَدِّقِ الْمَخْدُوعِ

(١) الدُّخْنَةُ : بخور تحرقه الشَّاب أو الْبَيْتُ .

(٢) مثلث الفاء، أي بالحدس والتقدير .

الَّذِي زَعَمُوا فِي شَاءِنِهِ أَنَّ سَارِقًا عَلَا ظَهَرَ بَيْتِ رَجُلٍ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ،
 وَكَانَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَخْحَابِهِ، فَاسْتَيْقَظَ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ مِنْ
 حَرَكَةِ أَقْدَامِهِمْ، فَعَرَفَ أَمْرَاهُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهَا : رُوِيدًا إِنِّي
 لَا حَسْبُ اللَّصُوصَ عَلَوْا الْبَيْتَ ، فَأَيْقَنَّهُنَّ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ
 اللَّصُوصُ وَقُولِي أَلَا تُخِيرُنِي أَيْهَا الرَّجُلُ عَنْ أَمْوَالِكَ هُذِهِ الْكَثِيرَةِ
 وَكُنُوزِكَ الْعَظِيمَةِ ؟ فَإِذَا نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ فَأَلْحَى عَلَى
 بِالسُّؤَالِ . فَفَعَلَتِ الْمَرْأَةُ ذَلِكَ وَسَأَلَتْهُ كَمَا أَمْرَهَا ، وَأَنْصَتَتِ
 اللَّصُوصُ إِلَى سَمَاعِ قَوْلِهِمَا . فَقَالَ لَهَا الرَّجُلُ : أَيْهَا الْمَرْأَةُ، قَدْ
 سَاقَكِ الْقَدْرُ إِلَى رِزْقٍ وَاسِعٍ كَثِيرٍ : فَكُلِي وَأَشْكُتِي، وَلَا تَسْأَلِي
 عَنْ أَمْرٍ إِنْ أَخْبَرْتُكِ بِهِ لَمْ آمِنْ أَنْ يَسْمَعَهُ أَحَدٌ ، فَيُكَوِّنَ فِي ذَلِكَ
 مَا أَنْكِرَهُ وَتُنَكِّرُهُنَّ . فَقَاتَتِ الْمَرْأَةُ : أَخْبِرْنِي أَيْهَا الرَّجُلُ ، فَلَعْنَرِي
 مَا يُقْرِبُنَا أَحَدٌ يَسْمَعُ كَلَامَنَا . فَقَالَ لَهَا : فَإِنِّي أَخْبِرُكِ أَنِّي لَمْ أَجِمَعْ
 هُذِهِ الْأَمْوَالَ إِلَّا مِنَ السَّرِقَةِ . قَاتَتْ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ وَمَا
 كُنْتَ تَضْنَعُ ؟ قَالَ : ذَلِكَ لِعِلْمٍ أَصْبَطْتُهُ فِي السَّرِقَةِ ، وَكَانَ
 الْأَمْرُ عَلَى يَسِيرٍ ، وَأَنَا آمِنٌ مِنْ أَنْ يَتَهَمَّنِي أَحَدٌ أَوْ يَرْتَابَ فِيَ

قَالَتْ : فَإِذْ كُنْتِ ذَلِكَ ، قَالَ : كُنْتُ أَذْهَبُ فِي اللَّيْلَةِ الْمُقْمَرَةِ ،
 أَنَا وَأَصْحَابِي ، حَتَّى أَعْلُو دَارَ بَعْضِ الْأَغْنِيَاءِ مِثْلِنَا ، فَأَتَهُي إِلَى
 الْكَوَافِرِ الَّتِي يَدْخُلُ مِنْهَا الضَّوْءُ فَأَرْقِي بِهِذِهِ الرُّقْبَةِ وَهِيَ شَوْلَمْ شَوْلَمْ
 سَبْعَ مَرَاتٍ ، وَأَعْتَنِقُ الضَّوْءَ ، فَلَا يُحِسْ بِوُقُوعِي أَحَدٌ ، فَلَا
 أَدْعُ مَالًا وَلَا مَتَاعًا إِلَّا أَخْذَتُهُ . ثُمَّ أَرْقِي بِتِلْكَ الرُّقْبَةِ سَبْعَ مَرَاتٍ ،
 وَأَعْتَنِقُ الضَّوْءَ ، فَيَجْذِبُنِي ، فَأَصْعَدُ إِلَى أَصْحَابِي ، فَنَمْضِي
 سَالِمِينَ آمِينِينَ . فَلَمَّا سَمِعَ اللُّصُوصُ ذَلِكَ قَالُوا : قَدْ ظَفَرَنَا
 الْلَّيْلَةَ بِمَا نُرِيدُ مِنَ الْمَالِ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ أَطَالُوا الْمُكْثَ حَتَّى ظَنُوا
 أَنَّ صَاحِبَ الدَّارِ وَزَوْجَهُ قَدْ هَجَعَاهَا ، فَقَامَ قَانِدُهُمْ إِلَى مَدْخَلِ
 الضَّوْءِ ، وَقَالَ : شَوْلَمْ شَوْلَمْ سَبْعَ مَرَاتٍ ، ثُمَّ أَعْتَنِقُ الضَّوْءَ
 لِيَنْزِلَ إِلَى أَرْضِ الْمَنْزِلِ ، فَوَقَعَ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ مُنْكَسًا . فَوَثَبَ إِلَيْهِ
 الرَّجُلُ بِهِرَاوَتِهِ ، وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا الْمُصَدِّقُ
 الْمَخْدُوعُ الْمُغْتَرِبِ بِمَا لَا يَكُونُ أَبْدًا ، وَهَذِهِ ثَمَرَةُ رُقْبَتِكَ . فَلَمَّا تَحَرَّزَتْ
 مِنْ تَصْدِيقِ مَا لَا يَكُونُ ، وَلَمْ آمِنْ إِنْ صَدَقْتُهُ أَنْ يُوْقِعَنِي فِي مَهْلَكَةِ
 عُذْتُ إِلَى طَلَبِ الْأَدِيَانِ وَالْتِمَاسِ الْعَدْلِ مِنْهَا ، فَلَمْ أَجِدْ عِنْدَ

أَحَدٌ مِنْ كَلْمَتِهِ جَوَابًا فِيهَا سَأَلَتُهُ عَنْهُ فِيهَا ، وَلَمْ أَرَ فِيهَا كَلْمُونِي بِهِ شَيْئًا يَحْقُّ لِي فِي عَقْلِي أَنْ أُصَدِّقَ بِهِ وَلَا أَنْ أَتَبِعَهُ . فَقُلْتُ لَهُ
لَمْ أَجِدْ ثِقَةً أَخْذُ مِنْهُ ، الرَّأْيُ أَنَّ الْزَمَّ دِينَ آبَائِي وَاجْدَادِي الدِّيَرِ
وَجَدْتُهُمْ عَلَيْهِ . فَلَمَّا ذَهَبْتُ إِلَى التَّمَسُّعِ الْعُذْرَ لِنَفْسِي فِي لَزُومِ دِينِ
الآبَاءِ وَالْأَجَدَادِ ، لَمْ أَجِدْ لَهَا عَلَى الشُّبُوتِ عَلَى دِينِ الْآبَاءِ طَاقَةً ،
بَلْ وَجَدْتُهَا تُرِيدُ أَنْ تَتَفَرَّغَ لِلِّبَحْثِ عَنِ الْأَدِيَانِ وَالْمَسَالَةِ عَنْهَا ،

وَلِلنَّظَرِ فِيهَا ؛ فَهَجَسَ فِي قَلْبِي وَخَطَرَ عَلَى بَالِي قُرْبُ الْأَجَلِ
وَسُرْعَةُ آنِ قِطَاعِ الدُّنْيَا وَاعْتِبَاطُ أَهْلِهَا وَنَحْرُمُ الدَّهْرِ حَيَاةَهُمْ .

فَفَكَرْتُ فِي ذَلِكَ . فَلَمَّا خَفَتْ مِنَ التَّرَدِّدِ وَالتَّحُولِ ، رَأَيْتُ إِلَّا
أَتَعَرَّضَ لِمَا أَتَخَوَّفُ مِنْهُ الْمَكْرُوهَ ، وَأَنْ أُقْتَصِرَ عَلَى عَمَلِ تَشْهُدِ
النَّفْسِ أَنَّهُ يُوَافِقُ كُلَّ الْأَدِيَانِ . فَكَفَقْتُ يَدِي عَنِ القَتْلِ
وَالضَّرِبِ ، وَطَرَحْتُ نَفْسِي عَنِ الْمَكْرُوهِ وَالْغَضَبِ وَالسَّرِقةِ
وَالنِّخَيَانَةِ وَالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ وَالْغِيَبَةِ ، وَأَضْمَرْتُ فِي نَفْسِي إِلَّا
أَبْغِي عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا أَكَذِّبَ بِالْبَعْثَةِ وَلَا الْقِيَامَةِ وَلَا النَّوَابِ وَلَا

(١) وَقَعَ وَخَطَرَ وَبَابَهُ ضَرِبٌ . (٢) هَلَا كُمْهُمْ مَدْوَنٌ مَرْضٌ . (٣) الْقِطَعُ وَالْاسْتِصالُ .

الْعِقَابِ، وَزَأَيْلَتُ الْأَشْرَارَ يِقْلَبِي، وَحَاوَلْتُ الْخُلُوسَ مَعَ الْأَخْيَارِ
بِجُهْدِي، وَرَأَيْتُ الصَّلَاحَ لَيْسَ كَمُثْلِهِ صَاحِبٌ وَلَا قَرِينٌ،
وَوَجَدْتُ مَكْسَبَهُ إِذَا وَفَقَ اللَّهُ وَاعْنَانَ يَسِيرًا؛ وَوَجَدْتُهُ يَدْلُ عَلَى
الْخَيْرِ وَيَسِيرُ بِالنُّصْحِ، فِعْلَ الصَّدِيقِ بِالصَّدِيقِ؛ وَوَجَدْتُهُ
لَا يَنْقُصُ عَلَى الْإِنْفَاقِ مِنْهُ؛ بَلْ يَزْدَادُ جِدَّهُ وَحَسْنَاهُ؛ وَوَجَدْتُهُ
لَا خَوْفَ عَلَيْهِ مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ يَغْصِبَهُ، وَلَا مِنَ الْمَاءِ أَنْ
يُغْرِقَهُ، وَلَا مِنَ النَّارِ أَنْ تُحْرِقَهُ، وَلَا مِنَ الْأَصْوَصِ أَنْ تُسْرِقَهُ،
وَلَا مِنَ السِّبَاعِ وَجَوَارِحِ الطَّيْرِ أَنْ تُمْزِقَهُ؛ وَوَجَدْتُ الرَّجُلَ
السَّاهِيَ الْلَّاهِيَ الْمُؤْثِرَ الْيَسِيرَ يَنَالُهُ فِي يَوْمِهِ وَيَعْدَمُهُ فِي غَدِهِ عَلَى
الْكَثِيرِ الْبَاقِ نَعِيمُهُ، يُصِيبُهُ مَا أَصَابَ التَّاجِرَ الَّذِي زَعَمُوا أَنَّهُ
كَانَ لَهُ جَوْهَرٌ نَفِيسٌ، فَاسْتَأْجَرَ لِشَقِّهِ رَجُلًا، الْيَوْمُ بِمِائَةِ دِينَارٍ،
وَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ لِيَعْمَلَ؛ وَإِذَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ صَنِعَ^(١)
مَوْضُوعٌ. فَقَالَ التَّاجِرُ لِلصَّانِعِ: هَلْ تُخْسِنُ أَنْ تَلْعَبَ بِالصَّنِعِ؟

(١) هي ضد البلي . (٢) الصنع نوعان : ما يخذل من الصفر يضرب به مع الدف

(ويسمى عند عوام مصر بالكتات) وما له أوتار .

قَالَ : نَعَمْ . وَكَانَ يُلَعِّبَهُ مَاهِرًا . فَقَالَ التَّاجِرُ : دُونَكَ الصَّنْجَ فَأَسْمَعْنَا ضَرْبَكَ بِهِ . فَأَخَذَ الرَّجُلُ الصَّنْجَ ، وَلَمْ يَزَلْ يُسْمِعُ التَّاجِرَ الضَّرْبَ الصَّحِيحَ ، وَالصَّوْتَ الرَّفِيعَ ، وَالتَّاجِرُ يُشِيرُ بِيَدِهِ وَرَأْسِهِ طَرِيبًا ، حَتَّى أَمْسَى . فَلَمَّا حَانَ الْغُرُوبُ قَالَ الرَّجُلُ لِلتَّاجِرِ : مُرْلِي بِالْأَبْرَةِ . فَقَالَ لَهُ التَّاجِرُ : وَهَلْ عَمِلْتَ شَيْئًا تَسْتَحِقُ بِهِ لِأَجْرَةَ ؟ فَقَالَ لَهُ : عَمِلْتُ مَا أَمْرَتَنِي بِهِ ، وَأَنَا أَجِيرُكَ ، وَمَا سَتَعْمَلَتِي عَمِلْتُ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى اسْتَوْقَ مِنْهُ مِائَةً دِينَارٍ . وَبَقِيَ جَوْهِرٌ غَيْرَ مُتَقْوِبٍ . فَلَمَّا أَزَدَدَ فِي الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا نَظَرًا ، إِلَّا أَزَدَدْتُ فِيهَا زَهَادَةً وَمِنْهَا هَرَبًا . وَوَجَدْتُ النُّسُكَ هُوَ الَّذِي يُهَدِّي لِلْمَعَادِ كَمَا يُهَدِّي الْوَالِدُ لِوَلَدِهِ ؛ وَوَجَدْتُهُ هُوَ الْبَابُ المَفْتُوحُ إِلَى النَّعِيمِ الْمُقِيمِ ؛ وَوَجَدْتُ النَّاسِكَ قَدْ تَدَبَّرَ فِعْلَتَهُ بِالسَّكِينَةِ فَشَكَرَ، وَتَوَاضَعَ وَقَنَعَ فَاسْتَغْفَى ، وَرَغَى وَلَمْ يَهْمَ ، وَخَلَعَ الدُّنْيَا فَنَجَأَ مِنَ الشَّرُورِ ، وَرَفَضَ الشَّهَوَاتِ فَصَارَ طَاهِرًا ، وَأَطْرَحَ الْحَسَدَ فَوَجَبَتْ لَهُ الْمُحَبَّةُ ، وَسَخَّتْ نَفْسُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ؛ وَاسْتَعْمَلَ

العَقْلَ وَأَبْصَرَ الْعَاقِبَةَ فَأَمِنَ النَّدَامَةَ، وَلَمْ يَخْفِ النَّاسَ وَلَمْ يَدِبَّ
 إِلَيْهِمْ فَسَلِمَ مِنْهُمْ . فَلَمْ أَزْدَدْ فِي أَمْرِ النُّسُكِ نَظَرًا ، إِلَّا ازْدَدْتُ
 فِيهِ رَغْبَةً ، حَتَّى هَمَتْ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهِ . ثُمَّ تَحَوَّفْتُ
 إِلَّا أَصْبَرَ عَلَى عِيشِ النَّاسِيَّةِ ، وَلَمْ آمِنْ إِنْ تَرَكْتُ الدُّنْيَا وَأَخْذَتُ
 فِي النُّسُكِ ، أَنْ أَضْعُفَ عَنْ ذَلِكَ ؛ وَرَفَضْتُ أَعْمَالًا كُنْتُ أَرْجُو
 عَائِدَتَهَا ؛ وَقَدْ كُنْتُ أَعْمَلُهَا فَأَنْتَفَعُ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، فَيَكُونُ
 مَثَلِي فِي ذَلِكَ مَثَلَ الْكَلْبِ الَّذِي مَرَ بِنَهْرٍ وَفِي فِيهِ ضَلَعٌ ؛ فَرَأَى
 ظِلَّهَا فِي الْمَاءِ ، فَهَوَى لِيَأْخُذَهَا ، فَأَتَلَفَ مَا كَانَ مَعَهُ ؛ وَلَمْ يَجِدْ
 فِي الْمَاءِ شَيْئًا . فَهِبَتْ النُّسُكَ مَهَابَةً شَدِيدَةً ، وَخَفَتْ مِنَ
 الضَّجَرِ وَقِلَّةِ الصَّبْرِ ، وَأَرَدْتُ الشُّبُوتَ عَلَى حَالِي الَّتِي كُنْتُ
 عَلَيْهَا . ثُمَّ بَدَأْتُ أَنْ أَسْبِرَ مَا أَخَافُ إِلَّا أَصْبَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَذَى
 وَالضَّيْقِ وَالْخُشُونَةِ فِي النُّسُكِ ؛ وَمَا يُصِيبُ صَاحِبَ الدُّنْيَا مِنَ
 الْبَلَاءِ ؛ وَكَانَ عِنْدَيَ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْئًا مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَلَذَائِهَا

إِلَّا وَهُوَ مُتَحَوْلٌ إِلَى الْأَذَى وَمَوْلَدُ الْخَرَنِ . فَالَّذِي كَانَ أَمْلَأَ الْمِنْجَ
 الَّذِي لَا يَزَادُ شَارِبُهُ شُرَبًا ، إِلَّا آزِدَادَ عَطْشًا . وَهِيَ كَانَ عَظِيمٌ
 الَّذِي يُصِيبُهُ الْكَلْبُ فَيَجِدُ فِيهِ رِيحَ الْتَّخْمِ ، فَلَا يَرَأُ يَطْلُبُ
 ذَلِكَ حَتَّى يُدْعَى فَاهُ . وَكَانَ لِخِدَاءُ الَّتِي تَظَفَرُ بِقِطْعَةٍ مِنَ الْتَّخْمِ ،
 فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهَا الطَّيْرُ ، فَلَا تَرَأُ تَدُورُ وَتَدَابُّ حَتَّى تَعْيَا
 وَتَتَعَبَ ، فَإِذَا تَعَبَتْ أَلْقَتْ مَا مَعَهَا . وَكَانُوكُوزٌ مِنَ الْعَسَلِ
 الَّذِي فِي أَسْفَلِهِ السُّمُّ الَّذِي يُذَاقُ مِنْهُ حَلَاؤهُ عَاجِلَةً وَآخِرَهُ مَوْتٌ
 ذُعَافٌ ، وَكَأَحْلَامِ النَّائِمِ الَّتِي يَفْرَحُ بِهَا الْإِنْسَانُ فِي نَوْمِهِ ،
 فَإِذَا اسْتَيقَظَ ذَهَبَ الْفَرَحُ . فَلَمَّا فَكَرَّتْ فِي هُذِهِ الْأُمُورِ ،
 رَجَعَتْ إِلَى طَلَبِ النُّسُكِ ، وَهَرَّبَتِ الْأَشْتِيَاقُ إِلَيْهِ ،
 ثُمَّ خَاصَمَتْ نَفْسِي إِذْ هِيَ فِي شُرُورِهَا سَارِحةً ، وَقَدْ لَا تَثْبُتُ
 عَلَى أَمْرٍ تَعْزِمُ عَلَيْهِ : كَقَاضٍ سَمِعَ مِنْ خَصِيمٍ وَاحِدٍ فَحَكَمَ لَهُ ،
 فَلَمَّا حَضَرَ الْخَصِيمُ الْثَّانِي عَادَ إِلَى الْأُولَى وَقَضَى عَلَيْهِ .

ثُمَّ نَظَرْتُ فِي الدِّى أَكَبِدُهُ مِنْ أَحْتِمَالِ النُّسُكِ وَضِيقِهِ ؛ فَقُلْتُ :
 مَا أَصْغَرَ هَذِهِ الْمَشَقَةَ فِي جَانِبِ رَوْحِ الْأَبْدِ وَرَاحَتِهِ . ثُمَّ نَظَرْتُ
 فِيمَا تَشَرَّهُ إِلَيْهِ النَّفْسُ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا ، فَقُلْتُ : مَا أَمَرَ هَذَا
 وَأَوْجَعَهُ ، وَهُوَ يَدْفَعُ إِلَى عَذَابِ الْأَبْدِ وَأَهْوَالِهِ ! وَكَيْفَ لَا يَسْتَخْلِي
 الرَّجُلُ مَرَأَةً قَلِيلَةً تَعْقِبُهَا حَلاوةً طَوِيلَةً ؟ وَكَيْفَ لَا تَمُرُّ عَلَيْهِ
 حَلاوةً قَلِيلَةً تَعْقِبُهَا مَرَأَةً دَائِمَةً ؟ وَقَاتُ : لَوْاَنْ رَجُلًا
 عَرِضَ عَلَيْهِ أَنْ يَعِيشَ مِائَةَ سَنَةٍ ، لَا يَأْتِي عَلَيْهِ يَوْمٌ وَاحِدٌ
 إِلَّا بِضَعْ مِنْهُ بَضْعَةً ؛ ثُمَّ أُعِيدَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَدِ ، غَيْرَ أَنَّهُ يُشَرِّطَ لَهُ ،
 أَنَّهُ إِذَا اسْتَوْقَ السِّنِينَ الْمِائَةَ ، نَجَّا مِنْ كُلِّ أَلَمٍ وَأَذَى ، وَصَارَ
 إِلَى الْآمِنِ وَالسُّرُورِ ، كَانَ حَقِيقًا إِلَّا يَرَى تِلْكَ السِّنِينَ شَيْئًا .
 وَكَيْفَ يَأْبَى الصَّبَرَ عَلَى أَيَّامٍ قَلَائلٍ يَعِيشُهَا فِي النُّسُكِ ، وَأَذَى
 تِلْكَ الْأَيَّامِ قَلِيلٌ يُعْقِبُ خَيْرًا كَثِيرًا ؟ فَلَنَعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا كُلُّهَا بَلَاءٌ
 وَعَذَابٌ . أَوْ لَيْسَ الإِنْسَانُ إِلَمَا يَتَقَلَّبُ فِي عَذَابِ الدُّنْيَا مِنْ

حِينَ يَكُونُ جَنِينًا إِلَى أَنْ يَسْتَوِيَ أَيَّامَ حَيَاةِهِ ؟ فَإِذَا كَانَ طِفْلًا
ذَاقَ مِنَ الْعَذَابِ أَنْوَانًا : إِنْ جَاءَ فَلَيْسَ بِهِ اسْتِطْعَامُ ،
أَوْ عَطِشَ فَلَيْسَ بِهِ اسْتِقَاءُ ، أَوْ وَجَعَ فَلَيْسَ بِهِ اسْتِغَاثَةُ ،
مَعَ مَا يَلْقَى مِنَ الْوَضْعِ وَالْخَمْلِ وَالْدَّفِ وَالدَّهْنِ وَالْمَسْحِ ؛
إِنْ أَنِيمَ عَلَى ظَهِيرِهِ لَمْ يَسْتَطِعْ تَقْلِبًا ، ثُمَّ يَلْقَى أَصْنَافَ الْعَذَابِ
مَا دَامَ رَضِيعًا ، فَإِذَا أَفْلَتَ مِنْ عَذَابِ الرَّضَاعِ ، أَخَذَ فِي عَذَابِ
الْأَدَبِ ، فَأَذِيقَ مِنْهُ أَنْوَانًا : مِنْ عَنْفِ الْمُعَلَّمِ ، وَجَحَرِ
الدَّرِسِ ، وَسَامَةِ الْكِتابَةِ ؛ ثُمَّ لَهُ مِنَ الدَّوَاءِ وَالْحِمَى وَالْأَسْقَامِ
وَالْأَوْجَاعِ أَوْقَ حَيْظٍ . فَإِذَا أَدْرَكَ كَانَتْ هَمَّتُهُ فِي جَمْعِ الْمَالِ
وَتَرْبِيَةِ الْوَلَدِ وَمُخَاطَرَةِ الْطَّلَبِ وَالسَّعْيِ وَالنَّكَدِ وَالْتَّعَبِ . وَهُوَ مَعَ
ذِلِّكَ يَتَقَلَّبُ مَعَ أَعْدَائِهِ الْبَاطِنِيَّةِ الْلَّازِمَةِ لَهُ : وَهِيَ الصَّفَرَاءُ
وَالسُّوْدَاءُ وَالرِّيحُ وَالْبَلْغَمُ وَالدَّمُ وَالسُّمُّ الْمُمِيتُ وَالْحِمَى الْلَّادِعَةُ ،
مَعَ الْخَوْفِ مِنَ السِّبَاعِ وَالْهَوَامِ ؛ مَعَ صَرْفِ الْحَرِّ وَالْبَرَدِ
وَالْمَطَرِ وَالرِّياْحِ ؛ ثُمَّ أَنْوَاعُ عَذَابِ الْهَرَمِ لِمَنْ يَبْلُغُهُ . فَلَوْلَمْ

يَنْهَفُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ شَيْئًا ، وَكَانَ قَدْ أَمِنَ وَوَثِقَ بِالسَّلَامَةِ مِنْهَا فَلَمْ يُفَكِّرْ فِيهَا ، لَوْجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَبِرَ بِالسَّاعَةِ الَّتِي يَحْضُرُهُ فِيهَا الْمَوْتُ ، فَيُفَارِقُ الدُّنْيَا ، وَيَتَدَكَّرُ مَا هُوَ نَازِلُ بِهِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ : مِنْ فِرَاقِ الْأَحِبَّةِ وَالْأَهْلِ وَالْأَقَارِبِ وَكُلِّ مَضْنُونٍ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا ، وَالإِشْرَافِ عَلَى الْهَرَبِ الْعَظِيمِ بَعْدَ الْمَوْتِ . فَلَوْلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ، لَكَانَ حَقِيقَةً أَنْ يُعَدَّ عَاجِزًا مُفَرِّطًا مُحِبًّا لِلدَّنَاءَةِ مُسْتَحْقًا لِلتُّومِ ؛ فَقَنْ دَا الَّذِي يَعْلَمُ وَلَا يَخْتَالُ لِغَدِ جُهْدَهُ فِي الْخِيلَةِ ، وَيَرْفُضُ مَا يَشْغُلُهُ وَيُلْهِيهِ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَغُرُورِهَا ؟ وَلَا سِيَّما فِي هَذَا الزَّمَانِ الشَّيِّهِ بِالصَّافِي وَهُوَ كَدُرُّ فَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ حَازِمًا عَظِيمًا الْمَقْدُرَةِ ، رَفِيعَ الْهِمَمَةِ بَلِيجَ الْفَخْصِصِ ، عَدْلًا مَرْجُوا صَدُوقًا شَكُورًا ، رَحْبَ الدِّرَاعِ مُفْتَقِدًا مُواظِبًا مُسْتَمِرًا عَالِمًا بِالنَّاسِ وَالْأُمُورِ ، مُحِبًّا لِلنِّعْمَ وَالْخَيْرِ وَالْأَخْيَارِ ، شَدِيدًا عَلَى الظَّلَمَةِ ، غَيْرَ جَبَانٍ وَلَا خَفِيفِ الْقِيَادِ ، رَفِيقًا بِالتَّوَسُّعِ عَلَى الرَّعِيَّةِ فِيهَا يُحِبُّونَ، وَالدَّفْعِ لِكَا يَنْكِرُهُونَ ؛ فَإِنَّا قَدْ نَرَى الزَّمَانَ مُذِيرًا بِكُلِّ مَكَانٍ ، فَكَانَ أُمُورَ الصِّدْقِ قدْ نُزِّعَتْ مِنَ النَّاسِ ، فَأَضَبَّعَ مَا كَانَ

عَزِيزًا فَقْدُهُ مَفْقُودًا ، وَمَوْجُودًا مَا كَانَ ضَائِرًا وُجُودُهُ . وَكَانَ^(١)
 الْخَيْرَ أَصْبَحَ ذَائِلًا وَالشَّرَّ أَصْبَحَ نَاضِرًا . وَكَانَ الْفَهْمَ أَصْبَحَ قَدْ
 زَالَتْ سُبْلَهُ . وَكَانَ الْحَقَّ وَلَى كَسِيرًا وَأَقْبَلَ الْبَاطِلُ تَابِعَهُ . وَكَانَ
 اتِّبَاعَ الْهَوَى وَإِضَاعَةَ الْحُكْمَ أَصْبَحَ يَا لِكَامِ مُوكِلاً ، وَأَصْبَحَ
 الْمَظْلُومُ يَا لِحَيْفِ مُقِرًا وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ مُسْتَطِيلًا . وَكَانَ الْخِرْصَ
 أَصْبَحَ فَاغِرًا فَاهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ يَتَلَقَّفُ مَا قَرُبَ مِنْهُ وَمَا بَعْدَ .^(٢)
 وَكَانَ الرِّضا أَصْبَحَ مَجْهُولًا . وَكَانَ الْأَشْرَارَ يَقْصِدُونَ السَّماءَ
 صُعُودًا . وَكَانَ الْأَخْيَارَ يُرِيدُونَ بَطْرَ الْأَرْضِ ، وَأَصْبَحَتِ
 الْمُرْوَءَةُ مَقْذُوفًا بِهَا مِنْ أَعْلَى شَرَفٍ إِلَى أَسْفَلِ دَرَكٍ ، وَأَصْبَحَتِ
 الدَّنَاءَةُ مَكْرَمَةً مَمْكَنةً^(٣) ، وَأَصْبَحَ السُّلْطَانُ مُنْتَقِلًا عَنْ أَهْلِ الْفَضْلِ
 إِلَى أَهْلِ النَّقْصِ . وَكَانَ الدُّنْيَا جَذَلَةً مَسْرُورَةً تَقُولُ : قَدْ غُيَّبَتِ
 الْخَيْرَاتُ وَأَظْهَرَتِ السَّيِّئَاتُ . فَلَمَّا فَكَرَتْ فِي الدُّنْيَا وَأَمْوَرِهَا ،
 وَأَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ أَشْرَفُ الْخَلْقِ فِيهَا وَأَفْضَلُهُ ، ثُمَّ هُوَ لَا يَتَقَلَّبُ
 إِلَّا فِي الشُّرُورِ وَالْهُمُومِ ، عَرَفَتْ أَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانٌ ذُو عَقْلٍ يَعْلَمُ

ذلِكَ ثُمَّ لَا يَخْتَالُ لِنَفْسِهِ فِي النَّجَاهِ؛ فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ كُلَّ العَجَبِ.
ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا إِلَيْنَا لَا يَعْنِيهِ عَنِ الْإِحْتِيَالِ لِنَفْسِهِ إِلَّا لَذَّة
صَغِيرَةً حَقِيرَةً غَيْرَ كَبِيرَةٍ مِنَ الشَّمْ وَالذَّوْقِ وَالنَّظَرِ وَالسَّمْعِ وَاللَّمْسِ:
فَعَلَهُ يُصِيبُ مِنْهَا الطَّفِيفَ أَوْ يَقْتَنِي مِنْهَا الْيَسِيرَ؛ فَإِذَا ذَلَكَ
يَشْغُلُهُ وَيَذْهَبُ بِهِ عَنِ الْإِهْتِيَامِ لِنَفْسِهِ وَطَلَبَ النَّجَاهَ لَهَا.

فَأَنْتَمْسَتُ لِلإِنْسَانِ مَثَلًا، فَإِذَا مَثَلَهُ مَثَلُ رَجُلٍ تَجَاهَ مِنْ خَوْفِ
فِيلٍ هَائِجٍ إِلَى بَئْرٍ، فَتَدَلَّ فِيهَا، وَتَعْلَقَ بِغُصَنَّينِ كَانَا عَلَى
سَمَاءِهَا، فَوَقَعَتْ رِجْلَاهُ عَلَى شَنِيءٍ فِي طَىِ الْبَئْرِ. فَإِذَا حَيَّاتُ
أَرْبَعٌ قَدْ أَخْرَجْنَ رُءُوسَهُنَّ مِنْ أَجْحَارِهِنَّ، ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا فِي قَاعِ
الْبَئْرِ تِنِينٌ فَاتَّحَ فَاهُ مُسْتَظْرُلُهُ لِيَقْعَ فِيَأْخُذُهُ؛ فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى
الْغُصَنَّينِ فَإِذَا فِي أَصْلِهِمَا جُرْذَانٌ أَسْوَدُ وَأَبْيَضُ، وَهُمَا يَقْرِضَانِ
الْغُصَنَّينِ دَائِبَيْنِ لَا يَقْتَرَانِ، فَبَيْنَهَا هُوَ فِي النَّظَرِ لِأَمْرِهِ وَالْإِهْتِيَامِ
لِنَفْسِهِ، إِذَا بَصَرَ قَرِيبًا مِنْهُ كِوَارَةً فِيهَا عَسْلٌ تَحْلِلُ؛ فَذَاقَ

(١) ضرب من الحيات. (٢) مثني جرذ: ضرب من انوار. (٣) شيء يخذل النحل
من القضايان وهي الخلية.

العَسْلَ ، فَشَغَلَتُهُ حَلَاؤُهُ وَاهْتَهُ لَذَّتُهُ عَنِ الْفِكْرَةِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ ، وَأَنْ يَأْتِمَسَ الْخَلَاصَ لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ رِجْلَيْهِ عَلَى حَيَّاتٍ أَرْبَعَ لَا يَدْرِي مَتَى يَقْعُ عَلَيْهِنَّ ؛ وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ الْجُرْذَيْنِ دَائِبَانِ فِي قَطْعِ الْغُصْنَيْنِ ؛ وَمَتَى انْقَطَعاً وَقَعَ عَلَى التَّنَيْنِ . فَلَمْ يَزَلْ لَاهِيًّا غَافِلًا مَشْغُولًا بِتِلْكَ الْحَلَاؤَةِ حَتَّى سَقَطَ فِي فَمِ التَّنَيْنِ فَهَلَكَ . فَشَبَهَتُ بِالنِّسْرِ الدِّينَ الْمَمْلُوَةَ آفَاتِ وَشُرُورًا ، وَمَخَافَاتِ وَعَاهَاتِ ، وَشَبَهَتُ بِالْحَيَّاتِ الْأَرْبَعِ الْأَخْلَاطِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي فِي الْبَدَنِ : فَإِنَّهَا مَتَى هَاجَتْ أَوْ أَحَدُهَا كَانَتْ كُحْمَةُ الْأَفَاعِيِّ وَالسُّمُّ الْمُمِيتِ ، وَشَبَهَتُ بِالْغُصْنَيْنِ الْأَجَلَ الَّذِي لَا بُدَّ مِنَ انْقِطَاعِهِ ، وَشَبَهَتُ بِالْجُرْذَيْنِ الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ الَّذِي هُمَا دَائِبَانِ فِي إِفْنَاءِ الْأَجَلِ ، وَشَبَهَتُ بِالتَّنَيْنِ الْمَصِيرَ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ ، وَشَبَهَتُ بِالْعَسْلِ هَذِهِ الْحَلَاؤَةِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي يَنَالُ مِنْهَا الإِنْسَانُ فَيَطْعَمُ وَيَسْمَعُ وَيَشْهُمُ وَيَلْمِسُ ، وَيَتَشَاغَلُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَيَلْهُو عَنْ شَأْنِهِ ، وَيَصُدُّ عَنْ سَلِيلِ قَصْدِهِ . فَيَنْعِذُ

صَارَ أَمْرِي إِلَى الرِّضَا بِحَالِي وَإِصْلَاحٌ مَا أَسْتَطَعْتُ إِصْلَاحَهُ
مِنْ عَمَلي : لَعَلَّي أَصَادِفُ بَاقِي أَيَّامِ زَمَانِي أُصِيبُ فِيهِ دَلِيلًا عَلَى
هُدَائِي ، وَسُلْطَانًا عَلَى نَفْسِي ، وَقِوَاماً لِأَمْرِي ، فَأَقْنَتُ عَلَى هُذِهِ
الْخَالِ وَانْسَخْتُ كُتُبًا كَثِيرَةً ؛ وَانْصَرَفْتُ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ ، وَقَدْ
نَسَخْتُ هَذَا الْكِتَابَ . (انقصى باب بروزه المنطبع)

بَابُ الْأَسَدِ وَالثَّورِ وَهُوَ أَوْلُ الْكِتَابِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلَكُ لِبَيْدَبَا الْفِيلَسُوفِ ، وَهُوَ رَأْسُ الْبَرَاهِيمَةِ :
اَضْرِبْ لِي مَثَلًا لِمُتَحَايِنِينَ يَقْطَعُ بَيْنَهُمَا الْكَذُوبُ الْمُخْتَالُ ، حَتَّى
يَخْمِلَهُمَا عَلَى الْعَدَاؤِ وَالْبَغْضَاءِ . قَالَ بَيْدَبَا : إِذَا آتَيْتَنِي الْمُتَحَايَانِ
يَأْنَ يَدْخُلَ بَيْنَهُمَا الْكَذُوبُ الْمُخْتَالُ ، لَمْ يَلْبِسْهَا أَنْ يَتَقَاطِعَا
وَيَتَدَأْبِرَا . وَمِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَأْرُضُ دَسْتَاوَندَ رَجُلًا
شَيْخًا ، وَكَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ بَنِينَ . فَلَمَّا بَأْغُوا أَشْدَهُمْ أَسْرَفُوا فِي مَالِ
أَبِيهِمْ ؛ وَلَمْ يَكُونُوا أَحْتَرَفُوا حِرْفَةً يَكْسِبُونَ لِأَنْفُسِهِمْ بِهَا خَيْرًا .

فَلَامَهُمْ أَبُوهُمْ ؛ وَوَعَظَهُمْ عَلَى سُوءِ فِعْلِهِمْ ؛ وَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ لَهُمْ :
 يَا بَنِي إِنَّ صَاحِبَ الدِّينِ يَطْلُبُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ لَنْ يُذْرِكَهَا إِلَّا بِأَرْبَعَةِ
 أَشْيَاءِ لَمَّا الْثَلَاثَةُ الَّتِي يَطْلُبُ ، فَالسَّعَةُ فِي الرِّزْقِ وَالْمَنْزِلَةُ
 فِي النَّاسِ وَالْإِدْلَالُ بِنَحْرَةٍ ؛ وَمَا الْأَرْبَعَةُ الَّتِي يَخْتَاجُ إِلَيْهَا فِي دُرُكِ
 هَذِهِ الْثَلَاثَةِ ، فَأَكْتَسَابُ الْمَالِ مِنْ أَخْسَنِ وَجْهٍ يَكُونُ ،
 ثُمَّ حُسْنُ الْقِيَامِ عَلَى مَا أَكْتَسَبَ مِنْهُ ، ثُمَّ اسْتِشَارَهُ ، ثُمَّ إِنْفَاقُهُ
 فِيمَا يُصْلِحُ الْمَعِيشَةَ وَيُرْضِي الْأَهْلَ وَالْإِخْرَانَ ، فَيَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ
 فِي الْآخِرَةِ . فَمَنْ ضَيَّعَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ لَمْ يُذْرِكْ مَا أَرَادَ
 مِنْ حَاجَتِهِ : لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ تَسْبِيبُ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ يَعِيشُ
 بِهِ ، وَإِنْ هُوَ كَانَ ذَا مَالٍ وَأَكْتَسَابٌ ثُمَّ لَمْ يُخْسِنْ الْقِيَامَ عَلَيْهِ ،
 أَوْشَكَ الْمَالُ أَنْ يَفْنَى وَيَبْقَى مُعْدِمًا ، وَإِنْ هُوَ وَضْعُهُ وَلَمْ
 يَسْتَثْمِرُهُ ، لَمْ تَعْنِهِ قِلَّةُ الْإِنْفَاقِ مِنْ سُرْعَةِ الذَّهَابِ : كَانَ كُحْلِ
 الَّذِي لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ إِلَّا غُبَارُ الْمِيلِ ثُمَّ هُوَ مَعَ ذَلِكَ سَرِيعٌ فَنَاؤُهُ .
 وَإِنْ انْفَقَهُ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ ، وَوَضْعُهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، وَأَخْطَأَ
 بِهِ مَوَاضِعَ اسْتِحْقَاقِهِ ، صَارَ عَمَّانِيَّةَ الْفَقِيرِ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ ،

ثُمَّ لَا يَمْنَعُ ذَلِكَ مَالُهُ مِنَ التَّلْفِ بِالْحَوَادِثِ وَالْعِلَلِ الَّتِي تَجْرِي
عَلَيْهِ، كَمَحِسِّ المَاءِ الَّذِي لَا تَرَأْسُ الْمِيَاهُ تَنْصَبُ فِيهِ، فَإِنْ لَمْ
يَكُنْ لَهُ مَخْرُجٌ وَمَفِيضٌ وَمَنْفَسٌ يَخْرُجُ الْمَاءُ مِنْهُ يُقَدِّرُ
مَا يَنْبَغِي، نَحِرَّبَ وَسَارَ وَنَزَّ مِنْ نَوَاجِحَ كَثِيرَةً، وَرُبَّمَا أَنْبَثَقَ الْبَشَقَ
الْعَظِيمَ فَذَهَبَ الْمَاءُ ضَيَّعًا . ثُمَّ إِنَّ بَنِي الشَّيْخِ اتَّعَظُوا بِقَوْلِ
أَبِيهِمْ وَأَخْذَدُوا بِهِ وَعَلِمُوا أَنَّ فِيهِ الْخَيْرَ وَعَوَلُوا عَلَيْهِ، فَانطَلَقَ أَكْبَرُهُمْ
نَحْوَ أَرْضِ يُقَالُ لَهَا مَيُونٌ، فَأَتَى فِي طَرِيقِهِ عَلَى مَكَانٍ فِيهِ وَحْلٌ
كَثِيرٌ؛ وَكَانَ مَعَهُ بَعْلَةٌ يَجْرِي هَا ثُورَانٌ يُقَالُ لَأَحَدِهِمْ شَرْبَةٌ
وَلِلآخرِ بَنْدَبَةٌ، فَوَحَلَ شَرْبَةٌ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، فَعَابَلَهُ الرَّجُلُ
وَأَخْصَابُهُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُمْ الْجَهَدُ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى إِنْجَاجِهِ؛
فَذَهَبَ الرَّجُلُ وَخَلَفَ عِنْدَهُ رَجُلًا يُسَارِفُهُ: لَعَلَّ الْوَحَلَ يَنْشَفُ
فِيَتَبَعُهُ بِالثَّوْرِ . فَلَمَّا بَاتَ الرَّجُلُ بِذَلِكَ الْمَكَانِ، تَبَرَّمَ بِهِ
وَاسْتَوْحَشَ، فَتَرَكَ الثَّوْرَ وَالنَّحْقَ بِصَاحِبِهِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الثَّوْرَ قَدْ
مَاتَ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا انْقَضَتْ مُدَّتُهُ وَحَانَتْ مَنِيَّتُهُ

(١) انشق وانهجر . (٢) ضجر .

فَهُوَ وَانْجَتَهَدَ فِي التَّوْقِيِّ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَخَافُ فِيهَا عَلَى نَفْسِهِ
الْمَلَائِكَ لَمْ يُغْنِ ذَلِكَ عَنْهُ شَيْئاً ؛ وَرُبَّمَا عَادَ اجْتِهَادُهُ فِي تَوْقِيِّهِ
وَحَذَرُهُ وَبَالًا عَلَيْهِ^(١) .

كَالذِّي قِيلَ : إِنَّ رَجُلًا سَلَكَ مَفَازَةً فِيهَا خَوفٌ مِنَ السَّبَاعِ ؛
وَكَانَ الرَّجُلُ خَيْرًا بِوَعْتِ تِلْكَ الْأَرْضِ وَخَوْفِهَا ؛ فَلَمَّا سَارَ
غَيْرَ بَعِيدٍ اعْتَرَضَ لَهُ ذِئْبٌ مِنْ أَحَدِ الدَّنَابِ وَأَضْرَاهَا ؛
فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ أَنَّ الذِئْبَ قَاصِدًا تَحْوُهُ خَافَ مِنْهُ ، وَنَظَرَ
يَمِينًا وَشِمَاءً لَا لِيَجِدَ مَوْضِعًا يَحْرَزُ فِيهِ مِنَ الذِئْبِ فَلَمْ يَرَ إِلَّا
قَرْيَةً خَلْفَ وَادِ ؛ فَذَهَبَ مُسْرِعًا تَحْوَى الْقَرْيَةِ ؛ فَلَمَّا أَتَى الْوَادِيَ
لَمْ يَرَ عَلَيْهِ قَنْطَرَةً ، وَرَأَى الذِئْبَ قَدْ أَدْرَكَهُ ، فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ ،
وَهُوَ لَا يُخْسِنُ السِّبَاحَةَ ، وَكَادَ يَغْرُقُ ، لَوْلَا أَنْ بَصُرَّهُ قَوْمٌ
مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ ؛ فَتَوَاقَعُوا لِإِخْرَاجِهِ فَأَخْرَجُوهُ ، وَقَدْ أَشْرَفَ
عَلَى الْمَلَائِكَ ؛ فَلَمَّا حَصَلَ الرَّجُلُ عِنْدَهُمْ وَأَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ
مِنْ غَائِلَةِ الذِئْبِ رَأَى عَلَى عُدُوَّةِ الْوَادِي بَيْتًا مُفَرَّداً ؛ فَقَالَ :

(١) وخيم العاقبة . (٢) العدوة بضم العين وكسرها : جانب الوادي .

أَذْخُلُ هَذَا الْبَيْتَ فَأَسْتَرِيحُ فِيهِ . فَلَمَّا دَخَلَهُ وَجَدَ جَمَاعَةً
مِنَ الْمُصُوصِينَ قَدْ قَطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ التُّجَارِ ،
وَهُمْ يَقْتَسِمُونَ مَالَهُ ، وَيُرِيدُونَ قَتْلَهُ ، فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ ذَلِكَ
حَافَ عَلَى نَفْسِهِ وَمَضَى نَحْوَ الْقَرْيَةِ ، فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى حَائِطٍ
مِنْ حِيطَانِهَا لِيَسْتَرِيحَ مِمَّا حَلَّ بِهِ مِنَ الْهُوَنِ وَالْإِعْيَاءِ ، إِذْ سَقَطَ
الْحَائِطُ عَلَيْهِ فَمَاتَ . قَالَ التَّاجِرُ : صَدَقْتَ ، قَدْ بَلَغْنِي
هَذَا الْحَدِيثُ . وَأَمَّا الثَّورُ فَإِنَّهُ خَلَصَ مِنْ مَكَانِهِ وَانْبَثَ ، فَلَمْ
يَرِدْ فِي مَرْجٍ مُخْصِبٍ كَثِيرِ الْمَاءِ وَالْكَلَّا ، فَلَمَّا سَمِّنَ وَأَمِنَ
جَعْلَ يَخُورُ وَيَرْفَعُ صَوْنَهُ يَنْخُوَارِ . وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ أَجْمَعَةً فِيهَا
أَسْدٌ عَظِيمٌ ، وَهُوَ مَلِكُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَمَعَهُ سِبَاعٌ كَثِيرَةٌ وَذِئَابٌ
وَبَنَاتٌ آوَى وَثَعَالِبٌ وَفَهُودٌ وَنُمُورٌ ، وَكَانَ هَذَا الْأَسْدُ مُنْفِرِدًا
بِرَأْيِهِ دُونَ أَخْذٍ بِرَأْيِ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ خُوارَ
الثَّورِ ، وَلَمْ يَكُنْ رَأَى ثَوْرًا قَطُّ ، وَلَا سَمِعَ خُوارَهُ ، لِأَنَّهُ
كَانَ مُقِيمًا مَكَانَهُ لَا يَرْجُ وَلَا يَنْشَطُ ، بَلْ يُوقَى بِرِزْقِهِ كُلَّ يَوْمٍ
عَلَى يَدِ جُنْدِهِ . وَكَانَ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ السِّبَاعِ أَبْنَا آوَى يُقَالُ

لأحدِهَا كليلةً وللآخر دمنةً، وكانَ ذُو دَهَاءً وعِلْمٍ وأدبٌ.
فَقَالَ دِمنَةُ لِأخِيهِ كليلةً : يَا أَنِّي مَا شَاءَنُ الْأَسَدُ مُقِيمًا مَكَانَهُ
لَا يَبْرُحُ وَلَا يَنْشَطُ ؟ قَالَ لَهُ كليلةً : مَا شَاءْتُكَ أَنْتَ وَالْمَسَأَةُ عَنْ
هَذَا ؟ نَحْنُ عَلَى بَابِ مَلِكَنَا آخِذِينَ بِمَا أَحَبَّ وَتَارِكِينَ مَا يَكْرُهُ ،
وَلَسْنَا مِنْ أَهْلِ الْمَرْتَبَةِ الَّتِي يَتَنَاهُولُ أَهْلُهَا كَلَامَ الْمُلُوكِ وَالنَّظَرَ
فِي أُمُورِهِمْ . فَأَمْسِكَ عَنْ هَذَا ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ تَكَلَّفَ مِنَ القَوْلِ
وَالْفِعْلِ مَا لَيْسَ مِنْ شَاءِنِهِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الْقِرْدَ مِنَ النَّجَارِ .

قَالَ دِمنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ قَالَ كليلةً : زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا
رَأَى نَجَارًا يُسْقُتُ خَشْبَةً بَيْنَ وَتَدَيْنِ ، وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَيْهَا ، فَأَغْبَبَهُ
ذَلِكَ . ثُمَّ إِنَّ النَّجَارَ ذَهَبَ لِبَعْضِ شَائِنِهِ . فَقَامَ الْقِرْدُ ، وَتَكَلَّفَ
مَا لَيْسَ مِنْ شُغْلِهِ ، فَرَكِبَ الْخَشْبَةَ ، وَجَعَلَ ظَهَرَهُ قَبْلَ الْوَتَدِ ،
وَوَجَهَهُ قَبْلَ الْخَشْبَةِ ، فَتَدَلَّ ذَنْبُهُ فِي الشَّقِّ ، وَنَزَعَ الْوَتَدَ فَلَزِمَ
الشَّقَّ عَلَيْهِ خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ . ثُمَّ إِنَّ النَّجَارَ وَآفَاهُ فَرَآهُ مَوْضِعَهُ ،
فَاقْبَلَ عَلَيْهِ يَضْرِبُهُ . فَكَانَ مَا لَقِيَ مِنَ النَّجَارِ مِنَ الضَّرِبِ أَشَدَّ

مِمَّا أَصَابَهُ مِنَ الْخَسْبَةِ . قَالَ دِمْنَةُ : قَدْ سَمِعْتُ مَا ذَكَرْتَ ،
وَلَكِنْ أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْنُو مِنَ الْمُلُوكِ لَيْسَ يَدْنُو مِنْهُمْ لِبَطْنِهِ ،
وَإِنَّمَا يَدْنُو مِنْهُمْ لِيُسْرِ الصِّدِيقِ وَيُنْكِبِ الْعَدُوِّ . وَإِنَّ مِنَ
النَّاسِ مَنْ لَا مُرُوعَةَ لَهُ ، وَهُمُ الَّذِينَ يَفْرُحُونَ بِالْقَلِيلِ وَيَرْضَوْنَ
بِالْأَدُونِ ، كَانَ كَلْبُ الَّذِي يُصِيبُ عَظِيمًا يَا بِسَا فَيَفْرَحُ بِهِ . وَأَمَّا
أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْمُرُوعَةِ فَلَا يُقْنِعُهُمُ الْقَلِيلُ ، وَلَا يَرْضَوْنَ بِهِ ،
دُونَ أَنْ تَسْمُوْ بِهِ نُفُوسُهُمْ إِلَى مَا هُمْ أَهْلُ لَهُ ، وَهُوَ أَيْضًا لَهُمْ
أَهْلٌ ، كَالْأَسَدِ الَّذِي يَفْتَرُسُ الْأَرْنَبَ ، فَإِذَا رَأَى الْبَعِيرَ تَرَكَهَا
وَطَلَبَ الْبَعِيرَ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْكَلْبَ يُبَصِّصُ بِذَنْبِهِ . حَتَّى
تُرْمَى لَهُ الْكِسْرَةُ ، وَأَنَّ الْفِيلَ الْمُعْتَرَفَ بِفَضْلِهِ وَقُوَّتِهِ إِذَا قُدِّمَ إِلَيْهِ
عَلْفَهُ لَا يَعْتِلُهُ حَتَّى يَمْسَحَ وَيَتَلَقَّ لَهُ . فَمَنْ عَاشَ ذَا مَالِ وَكَانَ
ذَا فَضْلٍ وَإِفْضَالٍ عَلَى أَهْلِهِ وَإِخْوَانِهِ فَهُوَ وَإِنْ قَلَ عُمُرُهُ طَوِيلٌ
الْعُمُرُ . وَمَنْ كَانَ فِي عَيْشِهِ ضِيقٌ وَقِلَّةٌ وَإِمساكٌ عَلَى نَفْسِهِ وَذَوِيهِ

فَالْمَقْبُورُ أَحْيَا مِنْهُ . وَمَنْ عَمِلَ لِبَطْنِهِ وَقَنَعَ وَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ
عُدَّ مِنَ الْبَهَائِمِ .

قَالَ كَلِيلَةُ : قَدْ فَهِمْتُ مَا قُلْتَ ، فَرَاجِعٌ عَقْلَكَ ، وَاعْلَمُ أَنَّ
لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَنْزِلَةً وَقَدْرًا . فَإِنْ كَانَ فِي مَنْزِلَتِهِ الَّتِي هُوَ فِيهَا
مُمْسِكًا ، كَانَ حَقِيقًا أَنْ يَقْنَعَ . وَلَيْسَ لَنَا مِنَ الْمَنْزِلَةِ مَا يَحْتَظُ
حَالَنَا الَّتِي نَخْنُ عَلَيْهَا . قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ الْمَنَازِلَ مُتَنَازِعَةٌ مُشَتَّكَةٌ
عَلَى قَدْرِ الْمُرْوَةِ ، فَالْمَرْءُ تَرْفَعُهُ مَرْوَتُهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ الْوَضِيعَةِ إِلَى
الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ ، وَمَنْ لَا مُرْوَةَ لَهُ يَحْتَظُ نَفْسَهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ
إِلَى الْمَنْزِلَةِ الْوَضِيعَةِ . وَإِنَّ الْأَرْتِقَاءَ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الشَّرِيفَةِ شَدِيدٌ ،
وَالْأَنْحَاطَاطُ مِنْهَا هَيْنُ ، كَانَ حَجَرُ التَّقِيلِ : رَفْعُهُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى
الْعَالِقِ عَسِيرٌ ، وَوَضُعُهُ إِلَى الْأَرْضِ هَيْنُ . فَنَخْنُ أَحَقُّ أَنْ نَرُومَ
مَا فَوْقَنَا مِنَ الْمَنَازِلِ ، وَأَنْ نَلْتَمِسَ ذَلِكَ بِمُرْوَةِنَا . ثُمَّ كَيْفَ تَقْنَعُ
بِهَا وَنَخْنُ نَسْتَطِيعُ التَّحَوُّلَ عَنْهَا ؟ قَالَ كَلِيلَةُ : فَمَا الَّذِي اجْتَمَعَ
عَلَيْهِ رَأْيُكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : أُرِيدُ أَنْ أَتَعَرَّضَ لِلْأَسَدِ عِنْدَ هَذِهِ
الْفُرْصَةِ : فَإِنَّ الْأَسَدَ ضَعِيفُ الرَّأْيِ . وَلَعَلَّيَ عَلَى هَذِهِ الْحَابِ

أَدْنُو مِنْهُ فَأَصِيبَ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً وَمَكَانَةً . قَالَ كَلِيلَةُ : وَمَا يُدْرِيكَ
 أَنَّ الْأَسَدَ قَدِ التَّبَسَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : بِالْخَيْرِ وَالرَّأْيِ
 أَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ : فَإِنَّ الرَّجُلَ ذَا الرَّأْيِ يَعْرِفُ حَالَ صَاحِبِهِ
 وَبَاطِنَ أَمْرِهِ بِمَا يَظْهَرُ لَهُ مِنْ دَلِيلٍ وَشَكْلِهِ . قَالَ كَلِيلَةُ : فَكَيْفَ
 تَرْجُو الْمَنْزِلَةَ إِنْدَ الْأَسَدِ وَلَسْتَ بِصَاحِبِ السُّلْطَانِ ، وَلَا لَكَ عِلْمٌ
 بِخِدْمَةِ السَّلَاطِينِ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : الرَّجُلُ الشَّدِيدُ الْقَوِيُّ لَا يُعْجِزُهُ
 الْحِمْلُ الثَّقِيلُ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَادَةُ الْحِمْلِ ؛ وَالرَّجُلُ الْمُضَعِيفُ
 لَا يَسْتَقِلُ بِهِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ صِنَاعَتِهِ . قَالَ كَلِيلَةُ : فَإِنَّ
 السُّلْطَانَ لَا يَتَوَحَّى بِكَرَامَتِهِ فُضْلَاءَ مَنْ يَحْضُرُهُ ، وَلَكِنْهُ يُوَثِّرُ
 الْأَدَنَى وَمَنْ قَرُبَ مِنْهُ . وَيُقَالُ : إِنَّ مَثَلَ السُّلْطَانِ فِي ذَلِكَ
 مَثَلُ شَجَرِ الْكَرْمِ الَّذِي لَا يَعْلُقُ إِلَّا يَأْقُرَبُ الشَّجَرِ . وَكَيْفَ
 تَرْجُو الْمَنْزِلَةَ إِنْدَ الْأَسَدِ وَلَسْتَ تَدْنُو مِنْهُ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : قَدْ فَهِمْتُ
 كَلَامَكَ بِجِيْعِهِ وَمَا ذَكَرْتَ ، وَأَنْتَ صَادِقٌ . لَكِنْ أَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي
 هُوَ قَرِيبٌ مِنَ السُّلْطَانِ وَلَا ذَلِكَ مَوْضِعُهُ وَلَا تِلْكَ مَنْزِلَتُهُ ،

لِيَسْ كَمْ دَنَا مِنْهُ بَعْدَ الْبُعْدِ وَلَهُ حَقٌّ وَحِرْمَةٌ ؛ وَأَنَا مُلْتَمِسُ بُلوغَ
 مَكَانَتِهِمْ بِجَهْدِي . وَقَدْ قِيلَ : لَا يُواطِبُ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ
 إِلَّا مَنْ يَطْرِحُ الْأَنْفَةَ وَيَحْمِلُ الْأَذَى وَيَكْظُمُ الْغَيْظَ وَيَرْفَقُ بِالنَّاسِ
 وَيَكْتُمُ السِّرَّ ، فَإِذَا وَصَلَ إِلَى ذِلِّكَ فَقَدْ بَلَغَ مُرَادَهُ . قَالَ كَلِيلَةُ :
 هَبْكَ وَصَلَتِ إِلَى الْأَسَدِ ، فَمَا تَوْفِيقُكَ عِنْدَهُ الَّذِي تَرْجُو أَنْ
 تَنَاهَى بِهِ الْمُنْزَلَةَ وَالْخُطْوَةَ لَدَنِيهِ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : لَوْ دَنَوْتُ مِنْهُ
 وَعَرَفْتُ أَخْلَاقَهُ ، لَرَفَقْتُ فِي مُتَابَعَتِهِ وَقِلَّةُ الْخِلَافِ لَهُ . وَإِذَا
 أَرَادَ أَمْرًا هُوَ فِي نَفْسِهِ صَوَابٌ ، زَيَّنَتْهُ لَهُ وَصَبَرَتْهُ عَلَيْهِ ، وَعَرَفَتْهُ
 بِمَا فِيهِ مِنَ النَّفْعِ وَالْخَيْرِ ، وَشَجَعَتْهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ ،
 حَتَّى يَزْدَادَ بِهِ سُرُورًا . وَإِذَا أَرَادَ أَمْرًا يُخَافُ عَلَيْهِ ضَرُّهُ وَشَيْئُهُ ،
 بَصَرَتْهُ بِمَا فِيهِ مِنَ الضَّرِّ وَالشَّيْءِ ، وَأَوْقَفَتْهُ عَلَى مَا فِي تَرِكِهِ مِنَ
 النَّفْعِ وَالزَّيْنِ ، بِخَسْبِ مَا أَجْدُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ . وَأَنَا أَرْجُو أَنْ
 أَزْدَادَ بِذِلِّكَ عِنْدَ الْأَسَدِ مَكَانَةً وَيَرَى مِنِّي مَا لَا يَرَاهُ مِنْ غَيْرِي :
 فَإِنَّ الرَّجُلَ الْأَدِيبَ الرَّفِيقَ لَوْ شَاءَ أَنْ يُبْطِلَ حَقًّا أَوْ يُحْقِقَ بَاطِلًا

لَفَعَلْ : كَانَ صَوْرِ الْمَاهِرِ الَّذِي يُصَوَّرُ فِي الْخِيَطَانِ صُورًا كَانَهَا
خَارِجَةٌ وَلَيَسَتْ بِخَارِجَةٍ ، وَأُخْرَى كَانَهَا دَاخِلَةٌ وَلَيَسَتْ بِدَاخِلَةٍ .
قَالَ كَلِيلَةُ : أَمَّا إِنْ قُلْتُ هَذَا أَوْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ
مِنَ السُّلْطَانِ فَإِنَّ صُحبَتَهُ خَطَرَةً . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : إِنَّ أَمْوَالَ
ثَلَاثَةَ لَا يَجْتَرِي عَلَيْهِنَّ إِلَّا أَهْوَجُ ، وَلَا يَسْلُمُ مِنْهُنَّ إِلَّا قَلِيلٌ ،
وَهِيَ : صُحبَةُ السُّلْطَانِ ، وَأَئْتَكَانُ النِّسَاءِ عَلَى الْأَسْرَارِ ، وَشُرُبُ
الشَّيْءِ لِلتَّجْرِيبَةِ . وَإِنَّمَا شَبَهَ الْعُلَمَاءَ السُّلْطَانَ بِالْجَبَلِ الصَّعِيبِ
الْمُرْتَقَى الَّذِي فِيهِ الْمَارِ الطَّيِّبَةُ وَالْحَوَاهِرُ التَّفِيسَةُ وَالْأَدْوِيَةُ النَّافِعَةُ .
وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَعْدِنُ السُّبَاعِ وَالثُّمُورِ وَالذِئَابِ وَكُلُّ ضَارٍ مَحْوِفٍ .
فَالِإِرْتِقاءُ إِلَيْهِ شَدِيدٌ ، وَالْمُقَامُ فِيهِ أَشَدُّ . قَالَ دِمْنَةُ : صَدَقْتَ
فِيمَا ذَكَرْتَ ، غَيْرَ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَرْكِبْ الْأَهْوَالَ ، لَمْ يَنْلِ الرَّغَائِبَ ؛
وَمَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ الَّذِي لَعَلَهُ يَبْلُغُ فِيهِ حَاجَتُهُ هَيْبَةً وَمَخَافَةً لِمَا لَعَلَهُ
أَنْ يَتَوَقَّأَهُ ، فَلَيْسَ بِبَالِغٍ جَسِيماً . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ خِصَالًا ثَلَاثَةَ
لَنْ يَسْتَطِيعَهَا أَحَدٌ إِلَّا بِعُونَةٍ مِنْ عُلوِّهِمْ وَعَظِيمِ خَطَرِهِ : مِنْهَا

عَمِلَ السُّلْطَانُ وَتَجَارَةُ الْبَحْرِ وَمُنَابِحَةُ الْعَدُوِّ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ
فِي الرَّجُلِ الْفَاضِلِ الرَّشِيدِ : إِنَّهُ لَا يُرَى إِلَّا فِي مَكَانَيْنِ ، وَلَا
يَلِيقُ بِهِ غَيْرُهُمَا : إِمَّا مَعَ الْمُلُوكِ مُكْرَماً ، وَإِمَّا مَعَ النَّاسِكَ مُتَعْبِداً ،
كَالْفِيلِ إِمَّا بِحَمَالَهُ وَبِهَاوَهُ فِي مَكَانَيْنِ : إِمَّا أَنْ تَرَاهُ وَخْشِياً وَإِمَّا
مَرَّكَأًا لِلْمُلُوكِ . قَالَ كَلِيلَةُ : خَارَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا عَزَّمتَ عَلَيْهِ .

ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ انْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَقَالَ
الْأَسَدُ لِبَعْضِ جُلَسَائِهِ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ .
قَالَ : قَدْ كُنْتُ أَغْرِفُ أَبَاهُ . ثُمَّ سَأَلَهُ أَيْنَ تَكُونُ ؟ قَالَ :
لَمْ أَزَلْ مُلَازِمًا بَابَ الْمَلِكِ ، رَجَاءً أَنْ يَخْضُرَ أَمْرًا فَأُعِينَ الْمَلِكَ
فِيهِ بِنَفْسِي وَرَأَيْ : فَإِنَّ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ تُكْثُرُ فِيهَا الْأُمُورُ الَّتِي
رُبَّمَا يُتَحَاجُ فِيهَا إِلَى الَّذِي لَا يُوبَهُ لَهُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَصْغِرُ
أَمْرَهُ إِلَّا وَقَدْ يَكُونُ عِنْدَهُ بَعْضُ الْغَنَاءِ وَالْمَنَافِعِ عَلَى قَدْرِهِ ،
حَتَّى الْعُودُ الْمُلْقَى فِي الْأَرْضِ رُبَّمَا نَفَعَ ، فَيَأْخُذُهُ الرَّجُلُ فَيَكُونُ
عُدَّتِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ قَوْلَ دِمْنَةَ أَغْبَبَهُ ،

وَظِنَّ أَنَّ عِنْدَهُ نَصِيحةً وَرَأِيَا . فَأَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَ فَقَالَ : إِنَّ الرَّجُلَ ذَا الْعِلْمِ وَالْمَرْوِءَةِ يَكُونُ خَامِلَ الذِّكْرِ خَافِضَ الْمَنْزِلَةِ ، فَتَأْبَى مَنْزِلَتُهُ إِلَّا أَنْ تَشَبَّهَ وَتَرْتَفِعَ ، كَالشَّعْلَةِ مِنَ النَّارِ يَضْرِبُهَا صَاحِبُهَا وَتَأْبَى إِلَّا ارْتِفَاعًا . فَلَمَّا عَرَفَ دِمْنَةُ أَنَّ الْأَسَدَ قَدْ عَجِبَ مِنْهُ قَالَ : إِنَّ رَعِيَّةَ الْمَلَكِ تَخْضُرُ بَابَ الْمَلَكِ ، رَجَاءَ أَنْ يَعْرِفَ مَا عِنْدَهَا مِنْ عِلْمٍ وَأَفْرِي . وَقَدْ يُقَالُ : إِنَّ الْفَضْلَ فِي أَمْرَيْنِ : فَضْلُ الْمُقَاتِلِ عَلَى الْمُقَاتِلِ وَالْعَالِمُ عَلَى الْعَالِمِ . وَإِنَّ كَثْرَةَ الْأَعْوَانِ إِذَا لَمْ يَكُونُوا مُحْتَبِرِينَ رَبِّا تَكُونُ مَضَرَّةً عَلَى الْعَمَلِ : فَإِنَّ الْعَمَلَ لَيْسَ رَجَاؤُهُ بِكَثْرَةِ الْأَعْوَانِ وَلَكِنْ بِصَالِحِي الْأَعْوَانِ . وَمَثَلُ ذِلِّكَ مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَحْمِلُ الْجَنَاحَ الثَّقِيلَ ، فَيُشَقِّلُ بِهِ نَفْسَهُ ، وَلَا يَجِدُ لَهُ ثَمَنًا . وَالرَّجُلُ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى الْجَنَاحِ لَا يُجِزِّيهُ الْقَصْبُ وَإِنْ كَثُرَ . فَأَنْتَ الْآنَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حَقِيقٌ أَلَا تَحْقِرُ مَرْوِءَةَ أَنْتَ تَجِدُهَا عِنْدَ رَجُلٍ صَغِيرِ الْمَنْزِلَةِ : فَإِنَّ الصَّغِيرَ رِيمًا عَظِيمًا ، كَالْعَصَبِ يُوْخَدُ مِنَ الْمَيْتَةِ فَإِذَا أُعْمِلَ مِنْهُ الْقَوْسُ أَكْرِمًا ، فَتَقْبِضُ عَلَيْهِ الْمُلُوكُ وَتَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْبَأْسِ وَاللَّهُو .

وأَحَبَ دِمْنَةً أَنْ يُرَىَ الْقَوْمَ أَنَّ مَا نَاهَهُ مِنْ كَرَامَةِ الْمَلِكِ إِنَّمَا
هُوَ لِرَأْيِهِ وَمِرْوَةِهِ وَعَقْلِهِ : لَا نَهُمْ عَرَفُوا قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ
لِعَرِفَتِهِ أَبَاهُ ، فَقَالَ : إِنَّ السُّلْطَانَ لَا يُقْرِبُ الرِّجَالَ لِقُرْبِ
آبَائِهِمْ ، وَلَا يُعِدُهُمْ لِبُعْدِهِمْ ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ كُلِّ
رَجُلٍ بِمَا عِنْدَهُ : لَا إِنَّهُ لَا شَيْءَ أَقْرَبُ إِلَى الرَّجُلِ مِنْ جَسَدِهِ
وَمِنْ جَسَدِهِ مَا يَدْوِي حَتَّىٰ يُوْذِيَهُ وَلَا يُدْفَعُ ذَلِكَ عَنْهُ إِلَّا بِالدَّوَاءِ
الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِ .^(١)

فَلَمَّا فَرَغَ دِمْنَةُ مِنْ مَقَالَتِهِ هُذِهِ أَعْجَبَ الْمَلِكَ بِهِ إِعْجَابًا شَدِيدًا ،
وَأَحْسَنَ الرَّدَ عَلَيْهِ ، وَزَادَ فِي كَرَامَتِهِ . ثُمَّ قَالَ بِلُحْسَانِهِ : يَنْبَغِي
لِلْسُّلْطَانِ أَلَا يَلْجَأَ فِي تَضَيِّعِ حَقِّ ذَوِي الْحُقُوقِ . وَالنَّاسُ
فِي ذَلِكَ رَجُلَانِ : رَجُلٌ طَبَعَهُ الشَّرَاسَةُ ، فَهُوَ كَالْخَيَّةِ إِنْ وَطَهَا
الْوَاطِئُ فَلَمْ تَلْدُغْهُ ، لَمْ يَكُنْ جَدِيرًا أَنْ يَغُرِّهُ ذَلِكَ مِنْهَا ، فَيَعُودُ
إِلَى وَطَهَا ثَانِيًّا فَتَلْدُغْهُ ؛ وَرَجُلٌ أَصْلُ طِبَاعِهِ السُّهُولَةُ ، فَهُوَ
كَالصَّنْدَلِ الْبَارِدِ الَّذِي إِذَا أَفْرِطَ فِي حَيْكَهُ صَارَ حَارًّا مُؤْذِيًّا .

ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ اسْتَأْتَى سِيَاهَ الْأَسَدِ وَخَلَّ بِهِ . فَقَالَ لَهُ يَوْمًا : أَرَى
الْمَلِكَ قَدْ أَقَامَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ لَا يَبْرُحُ مِنْهُ ، فَمَا سَبَبُ ذَلِكَ ؟
فَبَيْنَمَا هُمَا فِي هُذَا الْحَدِيثِ إِذْ خَارَ شَرْبَةُ خُوارًا شَدِيدًا : فَهَبَّعَ
الْأَسَدُ وَكَرِهَ أَنْ يُخْبِرَ دِمْنَةَ بِمَا نَالَهُ ، وَعَلِمَ دِمْنَةً أَنَّ ذَلِكَ الصَّوْتَ
قَدْ أَدْخَلَ عَلَى الْأَسَدِ رِبْيَةً وَهَيْبَةً . فَسَأَلَهُ : هَلْ رَابَ الْمَلِكَ
سَمَاعُ هُذَا الصَّوْتِ ؟ قَالَ لَمْ يَرَبِّنِي شَيْءٌ سِوَى ذَلِكَ . قَالَ
دِمْنَةُ : لَيْسَ الْمَلِكُ بِحَقِيقَةِ أَنْ يَدْعَ مَكَانَهُ لِأَجْلِ صَوْتٍ . فَقَدْ
قَاتَلَ الْعُلَمَاءُ : إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كُلِّ الْأَصْوَاتِ تَحِبُّ الْهَيْبَةَ .
قَالَ الْأَسَدُ : وَمَا مَثَلُ ذَلِكَ ؟

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ ثَعْلَبًا أَتَى أَجْهَةً فِيهَا طَبْلٌ مُعلَقٌ عَلَى
شَجَرَةٍ ، وَكُلَّمَا هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى قُضْبَانِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ حَرَكَتْهَا ،
فَضَرَبَتِ الطَّبْلَ فُسِّمَعَ لَهُ صَوْتٌ عَظِيمٌ ; فَتَوَجَّهَ الثَّعْلَبُ نَحْوَهُ
لِأَجْلِ مَا سَمِعَ مِنْ عَظِيمٍ صَوْتٍ ، فَلَمَّا أَتَاهُ وَجَدَهُ ضَغْفًا ، فَأَيْقَنَ

(١) ظننا لها يختلف منه . (٢) الشجر الكثير الملف .

في نفسه يكثرة الشحوم واللحم . فعالجه حتى شفه . فلما رأه أجواف لا شيء فيه ، قال : لا أدرى لعل أفشل الأشياء أحيرها صوتاً وأعظمها جنة . وإنما ضربت لك هذا المثل ليتعلم أن هذا الصوت الذي راعنا ، لو وصلنا إليه ، لوجدناه أيسر مما في أنفسنا . فإن شاء الملك بعثني وأقام بعكانه حتى آتيه ببيان هذا الصوت . فوافق الأسد قوله ، فاذن له بالذهاب نحو الصوت . فانطلق دمنة إلى المكان الذي فيه شتربة . فلما فصل دمنة من عند الأسد ، فكر الأسد في أمره ، وندم على إرسال دمنة حيث أرسله ، وقال في نفسه : ما أصبحت في آئياني دمنة ، وقد كان بيافي مطروحا ، فإن الرجل إذا كان يحضر باب الملك ، وقد أبطلت حقوقه من غير جرم كان منه ، أو كان مبغضا عليه عند سلطانه ، أو كان عنده معروفا بالشره والخرص ، أو كان قد أصابه ضر وضيق فلم يتعشه ، أو كان قد اجترم جرما فهو يخاف العقوبة منه ، أو كان يرجو شيئا يضر الملك وله منه نفع ، أو يخاف في شيء

مِمَّا يَنْفَعُهُ ضُرًّا ، أَوْ كَانَ لَعْدُ الْمَلِكِ مُسَالِمًا ، وَ لِمُسَالِمِهِ مُحَارِبًا ،
 فَلَنَسَ السُّلْطَانُ بِحَقِيقَيْ أَنْ يَعْجَلَ بِالْإِسْتِرْسَالِ إِلَيْهِ . وَالثِّقَةُ بِهِ ،
 وَالإِتِّيَانُ لَهُ : فَإِنَّ دِمْنَةَ دَاهِيَةَ أَرِيبٍ . وَقَدْ كَانَ يَبَابِي
 مَطْرُوحًا مَجْفُوا . وَلَعَلَهُ قَدْ اخْتَمَلَ عَلَى بِذِلِكَ ضِغْنَا ، وَلَعَلَّ
 ذَلِكَ يَنْهَمِلُهُ عَلَى خِيَاتِي وَإِعَانَةِ عَدُوِي وَنَقِيصَتِي عِنْدَهُ ؛ وَلَعَلَهُ
 صَادَفَ صَاحِبَ الصَّوْتِ أَقْوَى سُلْطَانًا مِنِّي فَيَرْغَبَ بِهِ عَنِي
 وَيَمْبَلَ مَعَهُ عَلَى . . . ثُمَّ قَامَ مِنْ مَكَانِهِ فَشَى غَيْرَ بَعِيدٍ ، فَبَصَرَ
 بِدِمْنَةَ مُقْبِلاً نَحْوَهُ فَطَابَتْ نَفْسُهُ بِذِلِكَ ، وَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ ،
 وَدَخَلَ دِمْنَةَ عَلَى الْأَسَدِ فَقَالَ لَهُ : مَاذَا صَنَعْتَ ؟ وَمَاذَا رَأَيْتَ ؟
 قَالَ : رَأَيْتُ شَوَّرًا هُوَ صَاحِبُ الْخُوَارِ وَالصَّوْتِ الَّذِي سَمِعْتَهُ .
 قَالَ : فَمَا قُوَّتُهُ ؟ قَالَ : لَا شَوْكَةَ لَهُ . وَقَدْ دَنَوْتُ مِنْهُ وَحَاوَرْتُهُ
 مُحَاوَرَةَ الْأَكْفَاءِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِي شَيْئًا . قَالَ الْأَسَدُ : لَا يَغُرِّنَكَ
 ذَلِكَ مِنْهُ وَلَا يَصْغِرُنَّ عِنْدَكَ أَمْرُهُ : فَإِنَّ الرَّبِيعَ الشَّدِيدَةَ لَا تَعْبُأُ
 بِضَعِيفِ الْخَشِيشِ ، لَكِنَّهَا تُحَاطِمُ طِوَالَ النَّخْلِ وَعَظِيمَ الشَّجَرِ .

قَالَ دِمْنَةُ : لَا تَهَابَنَ أَيْهَا الْمَلِكُ مِنْهُ شَيْئًا ، وَلَا يَكْبُرُنَّ عَلَيْكَ أَمْرُهُ : فَأَنَا آتِيكَ بِهِ لِيَكُونَ لَكَ عَبْدًا سَامِعًا مُطِيعًا . قَالَ الْأَسَدُ : دُونَكَ وَمَا بَدَأَ لَكَ .

فَانْطَلَقَ دِمْنَةُ إِلَى الثَّوْرِ ، فَقَالَ لَهُ غَيْرَ هَائِبٍ وَلَا مُكْتَرِبٍ : إِنَّ الْأَسَدَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِآتِيهِ بِكَ . وَأَمْرَنِي ، إِنْ أَنْتَ عَجِلْتَ إِلَيْهِ طَائِعًا ، أَنْ أُوْمِنَكَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ ذَنِبِكَ فِي التَّارِيخِ عَنْهُ وَتَرَكْتَ لِقَاءَهُ ، وَإِنْ أَنْتَ تَأْخَرْتَ عَنْهُ وَاجْحَمْتَ ، أَنْ أَعْجَلَ الرَّجْعَةَ إِلَيْهِ فَأُخْبِرَهُ . قَالَ لَهُ شَرْبَةُ : وَمَنْ هُوَ هَذَا الْأَسَدُ الَّذِي أَرْسَلَكَ إِلَيَّ ? وَأَنَّهُ هُوَ ؟ وَمَا حَالُهُ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : هُوَ مَلِكُ السِّبَاعِ ، وَهُوَ بِمَكَانٍ كَذَا ، وَمَعْهُ جَنْدٌ كَثِيرٌ مِنْ جِنْسِهِ فَرِيعَ شَرْبَةَ مِنْ ذِكْرِ الْأَسَدِ وَالسِّبَاعِ . وَقَالَ : إِنْ أَنْتَ جَعَلْتَ لِي الْأَمَانَ عَلَى نَفْسِي أَقْبَلْتُ مَعَكَ إِلَيْهِ . فَأَعْطَاهُ دِمْنَةُ مِنَ الْأَمَانِ مَا وَثِقَ بِهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ وَالثَّوْرُ مَعْهُ ، حَتَّى دَخَلَا عَلَى الْأَسَدِ فَأَخْسِنَ الْأَسَدُ إِلَى الثَّوْرِ وَقَرْبَهُ ، وَقَالَ لَهُ : مَتَى قَدِمْتَ هَذِهِ الْبِلَادَ ؟ وَمَا أَقْدَمَكَهَا ؟ فَقَصَّ شَرْبَةُ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ أَخْضَبَنِي وَأَلْزَمَنِي : فَإِنِّي مُكْرِمُكَ . فَدَعَاهُ الثَّوْرُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ .

ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ قَرَبَ شَرْبَةَ وَأَكْرَمَهُ وَأَنْسَ بِهِ وَأَتَمَّهُ عَلَى أَسْرَارِهِ
وَشَاؤِرَهُ فِي أَمْرِهِ ، وَلَمْ تَزِدْهُ الْأَيَّامُ إِلَّا بَعْبَأَ بِهِ وَرَغْبَةً فِيهِ
وَتَقْرِيبًا مِنْهُ ، حَتَّى صَارَ أَخْصَصَ أَصْحَابَهُ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً . فَلَمَّا رَأَى
دِمْنَةً أَنَّ الثَّوْرَ قَدْ اخْتَصَ بِالْأَسَدِ دُونَهُ وَدُونَ أَصْحَابِهِ ، وَأَنَّهُ قَدْ
صَارَ صَاحِبَ رَأْيِهِ وَخَلْوَاتِهِ وَلَهُوَ ، حَسَدَهُ حَسَدًا عَظِيمًا ، وَبَلَغَ
مِنْهُ غَيْظَهُ كُلَّ مَبْلَغٍ : فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى أَخِيهِ كَلِيلَةَ ، وَقَالَ لَهُ :
أَلَا تَعْجَبُ يَا أَخِي مِنْ بَعْزِ رَأْيِي ، وَصُنْعِي بِنَفْسِي ؟ وَنَظَرَى
فِيهَا يَنْقَعُ الْأَسَدُ ، وَأَغْفَلْتُ نَفْعَ نَفْسِي حَتَّى جَلَبْتُ إِلَى الْأَسَدِ
ثَوْرًا غَلَبْنِي عَلَى مَنْزِلَتِي .

قَالَ كَلِيلَةُ : أَخْبَرْنِي عَنْ رَأْيِكَ وَمَا تَرِيدُ أَنْ تَعْزِمَ عَلَيْهِ
فِي ذَلِكَ . قَالَ دِمْنَةُ : أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ الْيَوْمَ أَرْجُو أَنْ تَزَدَادَ
مَنْزِلَتِي عِنْدَ الْأَسَدِ فَوْقَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ، وَلِكِنْ التَّمِسُ أَنْ أَعُودَ
إِلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ : فَإِنَّ أُمُورًا ثَلَاثَةَ الْعَاقِلُ جَدِيرٌ بِالنَّظَرِ فِيهَا ،
وَالَا خَتِيَالٌ لَهَا بِجُهْدِهِ : مِنْهَا النَّظَرُ فِيهَا مَضَى مِنَ الضَّرِّ وَالنَّفْعِ ،

فَيَحْتَرِسُ مِنَ الضرِّ الَّذِي أَصَابَهُ فِيمَا سَلَفَ لِئَلَّا يَعُودَ إِلَى ذَلِكَ
الضَّرِّ ، وَيَلْتَمِسُ النَّفْعَ الَّذِي مَضَى وَيَخْتَالُ لِمُعاوَدَتِهِ ، وَمِنْهَا
النَّظَرُ فِيهَا هُوَ مُقِيمٌ فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِ ، وَالاِسْتِشَاقُ بِهَا
يَنْفَعُ وَاهْرَبُ مِمَّا يَضُرُّ ، وَمِنْهَا النَّظَرُ فِي مُسْتَقْبَلِ مَا يَرْجُو مِنْ
قِبَلِ النَّفْعِ ، وَمَا يَخَافُ مِنْ قِبَلِ الضرِّ ، فَيَسْتَقِيمُ مَا يَرْجُو وَيَتَوَقَّ
مَا يَخَافُ بِجُهْدِهِ . وَإِنِّي لَمَّا نَظَرْتُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يُهْبِطُ
أَنْ تَعُودَ مَنْزِلَتِي ، وَمَا غُلِبْتُ عَلَيْهِ مِمَّا كُنْتُ فِيهِ ، لَمْ أَجِدْ
حِيلَةً وَلَا وَجْهًا إِلَّا الْأَحْتِيَالَ الْأَكْلِ الْعُشْبِ هَذَا ، حَتَّى أَفْرِقَ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَيَاةِ : فَإِنَّهُ إِنْ فَارَقَ الْأَسَدَ عَادَتْ لِي مَنْزِلَتِي .
وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَكُونُ خَيْرًا لِلْأَسَدِ : فَإِنَّ إِفْرَاطَهُ فِي اتَّقْرِيبِ الثَّوْرِ
خَلِيقٌ أَنْ يَشِينَهُ وَيَضُرهُ فِي أَمْرِهِ . قَالَ كِلِيلَةُ : مَا أَرَى عَلَى
الْأَسَدِ فِي رَأْيِهِ فِي الثَّوْرِ وَمَكَانِهِ مِنْهُ وَمَنْزِلَتِهِ عَنْهُ شَيْئًا وَلَا شَرًّا .
قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّمَا يُوقَى السُّلْطَانُ وَيُفْسَدُ أَمْرُهُ وَفُرُوشُهُ
أَشْيَاءُ : الْحِرْمَانُ وَالْفِتْنَةُ وَالْهُوَى وَالْفَظَاظَةُ وَالْزَّمَانُ وَالْخُرُقُ .

فَأَمَّا الْحِرْمَانُ فَإِنْ يُحْرِمَ صَالِحَ الْأَعْوَانِ وَالنُّصَحَاءِ وَالسَّاسَةِ مِنْ
 أَهْلِ الرَّأْيِ وَالنَّجْدَةِ وَالْأَمَانَةِ ، وَتَرَكُ التَّفَقُّدَ لِمَنْ هُوَ كَذِيلَكَ . وَأَمَّا
 الْفِتْنَةُ فَهِيَ تَحَارُبُ النَّاسِ وَوُقُوعُ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ . وَأَمَّا الْهَوَى
 فَالْغَرَامُ بِالْحَدِيثِ وَاللَّهُو وَالشَّرَابِ وَالصَّيْدِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَأَمَّا
 الْفَظَاظَةُ فَهِيَ إِفْرَاطُ الشِّدَّةِ حَتَّى يَجْمَعَ الْإِنْسَانُ بِالشَّتْمِ وَالْيَدِ
 بِالْبَطْشِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِمَا . وَأَمَّا الزَّمَانُ فَهُوَ مَا يُصِيبُ النَّاسَ
 مِنَ السِّنِينَ وَالْمَوْتِ وَنَقْصِ الْمَرَاتِ وَالْغَزَوَاتِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ .
 وَأَمَّا الْخُرُقُ فَإِعْمَالُ الشِّدَّةِ فِي مَوْضِعِ الْلِّيْنِ ، وَاللِّيْنُ فِي مَوْضِعِ
 الشِّدَّةِ . وَإِنَّ الْأَسَدَ قَدْ أَغْرِمَ بِالثَّوْرِ إِغْرِاماً شَدِيداً هُوَ الَّذِي
 ذَكَرْتُ لَكَ أَنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَشِينَهُ وَيُضُرِّهِ فِي أَمْرِهِ . قَالَ كَلِيلَةُ :
 وَكَيْفَ تُطِيقُ الثَّوْرَ وَهُوَ أَشَدُ مِنْكَ وَأَكْرَمُ عَلَى الْأَسَدِ مِنْكَ
 وَأَكْثَرُ أَعْوَانَهُ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِي وَضَعْفِي :
 فَإِنَّ الْأُمُورَ لَيْسَتْ بِالضَّعْفِ وَلَا الْقُوَّةِ وَلَا الصِّغْرِ وَلَا الْكِبْرِ
 فِي الْخُشْبَةِ : فَرُبَّ صَغِيرٍ ضَعِيفٍ قَدْ بَلَغَ بِحِيلَتِهِ وَدَهَائِهِ وَرَأْيِهِ
 مَا يَعْجِزُ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَقْوِيَاءِ . أَوَلَمْ يَبَاغِلْكَ أَنَّ غُرَابًا ضَعِيفًا
 اخْتَالَ لِأَسْوَدَ حَتَّى قَتَلَهُ ؟ قَالَ كَلِيلَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ غُرَابًا كَانَ لَهُ وَكْرٌ فِي شَجَرَةٍ عَلَى جَبَلٍ ، وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ بُحْرٌ ثُبَابٌ أَسْوَدٌ ، فَكَانَ الْغُرَابُ إِذَا فَرَخَ عَمَدَ الْأَسْوَدُ إِلَى فِرَاخِهِ فَأَكَلَهَا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مِنَ الْغُرَابِ وَأَحْزَنَهُ ، فَشَكَّا ذَلِكَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ مِنْ بَنَاتِ آوَى ، وَقَالَ لَهُ : أَرِيدُ مُشَاوِرَتَكَ فِي أَمْرٍ قَدْ عَرَمْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ الْغُرَابُ : قَدْ عَرَمْتُ أَنَّ أَذْهَبَ إِلَى الْأَسْوَدِ إِذَا نَامَ ، فَأَنْقُرْ عَيْنِيهِ ، فَأَفْقَاهُمَا ، لَعَلَّ أَسْتَرِيحُ مِنْهُ . قَالَ آبُنُ آوَى : يُثْسَ الْحِيلَةُ الَّتِي احْتَلَتْ ، فَالْتَّمَسَ أَمْرًا تُصِيبُ فِيهِ بُغْيَتَكَ مِنَ الْأَسْوَدِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُغَرِّرَ بِنَفْسِكَ وَتُخَاطِرَ بِهَا . وَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ مَثَلَكَ مَثَلَ الْعُلْجُومِ الَّذِي أَرَادَ قَتْلَ السَّرَطَانِ فَقُتِلَ نَفْسَهُ . قَالَ الْغُرَابُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ آبُنُ آوَى : زَعَمُوا أَنَّ عُلْجُومًا عَشَشَ فِي أَجْمَةٍ كَثِيرَةٍ السَّمَكِ ، فَعَاشَ بِهَا مَا عَاشَ ، هُمْ هُرِيمٌ فَلَمْ يَسْتَطِعْ صَيْداً ، فَاصْبَابُهُ جُوعٌ وَجَهْدٌ شَدِيدٌ ، بَفْلَسَ حَزِينًا يَلْتَمِسُ الْحِيلَةَ

فِي أَمْرِهِ ؛ فَمَرَّ بِهِ سَرَطَانٌ ، فَرَأَى حَالَتَهُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْكَابَةِ
 وَالْخُزْنِ ؛ فَدَنَّا مِنْهُ وَقَالَ : مَا لِي أَرَاكَ أَيْهَا الطَّائِرُ هَكَذَا حَزِينًا
 كَيْبِيًّا ؟ قَالَ الْعُلْجُومُ : وَكَيْفَ لَا أَخْرُنُ وَقَدْ كُنْتُ أَعِيشُ مِنْ
 صَيْدِ مَا هَا هُنَا مِنَ السَّمَكِ ؟ وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ صَيَادَيْنِ قَدْ
 مَرَا بِهِذَا الْمَكَانِ ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : إِنَّ هَاهُنَا سَمَكًا
 كَثِيرًا أَفَلَا نَصِيدُهُ أَوْلًا ؟ فَقَالَ الْآخَرُ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي مَكَانٍ
 كَذَا سَمَكًا أَكْثَرَ مِنْ هَذَا السَّمَكِ ، فَلَمْ يَبْدُأْ بِذَلِكَ ، فَإِذَا فَرَغْنَا
 مِنْهُ بِحْتَنَا إِلَى هَذَا فَأَفْنَيْنَاهُ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُمَا إِذَا فَرَغَا مِمَّا
 هُنَاكَ ، آتَهُمَا إِلَى هَذِهِ الْأَجْمَةِ فَاصْطَادَا مَا فِيهَا ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ
 فَهُوَ هَلَّا كَيْ وَنَقَادُ مُدَّقٌ . فَانْطَلَقَ السَّرَطَانُ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى
 جَمَاعَةِ السَّمَاءِ فَأَخْبَرَهُنَّ بِذَلِكَ ، فَأَقْبَلُنَّ إِلَى الْعُلْجُومِ فَاسْتَشَرُوهُ
 وَقُلْنَ لَهُ : إِنَا أَتَيْنَاكَ لِتُشِيرَ عَلَيْنَا : فَإِنَّ ذَا الْعَقْلِ لَا يَدْعُ مُشَارَةً
 عَدُوِّهِ . قَالَ الْعُلْجُومُ : أَمَّا مُكَابِرَةِ الصَّيَادَيْنِ فَلَا طَاقَةَ لِي بِهَا ؛
 وَلَا أَعْلَمُ حِيلَةً إِلَّا مَصِيرَ إِلَى غَدِيرٍ قَرِيبٍ مِنْ هَا هُنَا ، فِيهِ سَمَكٌ
 وَمِيَاهٌ عَظِيمَةٌ وَقَصَبٌ ؛ فَإِنِّي أَسْتَطَعْنَ إِلَى نِتْقَالَ إِلَيْهِ ، كَانَ فِيهِ

صَلَاحُكُنَّ وَخِضْبُكُنَّ . فَقُلْنَ لَهُ : مَا يَمْنُ عَلَيْنَا بِذِلِكَ غَيْرُكَ .
 بَعْلَ الْعُلْجُومُ يَحْمِلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَمَكَتِينِ حَتَّى يَتَهَى بِهِمَا إِلَى
 بَعْضِ التَّلَالِ فَيَأْكُلُهُمَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ جَاءَ لِأَخْذِ
 السَّمَكَتِينِ ؛ بِخَاءَهُ السَّرَّطَانُ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَيْضًا قَدْ أَشْفَقْتُ
 مِنْ مَكَانِي هَذَا وَاسْتَوْحَشْتُ مِنْهُ فَأَذْهَبْ بِي إِلَى ذَلِكَ الْغَدِيرِ ؛
 فَاخْتَمَلَهُ وَطَارَ بِهِ ، حَتَّى إِذَا دَنَاهُ مِنَ التَّلِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ
 السَّمَكَ فِيهِ نَظَرَ السَّرَّطَانُ فَرَأَى عِظَامَ السَّمَكِ بِمَجْمُوعَةٍ هُنَاكَ ،
 فَعَلِمَ أَنَّ الْعُلْجُومَ هُوَ صَاحِبُهَا ؛ وَأَنَّهُ يُرِيدُ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ . فَقَالَ
 فِي نَفْسِهِ : إِذَا لَقِيَ الرَّجُلُ عَدُوهُ فِي الْمُوَاطِنِ الَّتِي يَعْلَمُ أَنَّهُ فِيهَا
 هَالِكُ ، سِوَاءٌ قَاتَلَ أَمْ لَمْ يُقَاتِلْ ، كَانَ حَقِيقًا أَنْ يُقَاتِلَ عَنْ
 نَفْسِهِ كَرْمًا وَحْفَاظًا ، ثُمَّ أَهْوَى بِكَلْبِتِيهِ عَلَى عَنْقِ الْعُلْجُومِ ،
 فَعَصَرَهُ فَمَاتَ ، وَنَخَلَصَ السَّرَّطَانُ إِلَى جَمَاعَةِ السَّمَكِ فَأَخْبَرَهُنَّ
 بِذِلِكَ . وَإِنَّمَا ضَرَبَتْ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ بَعْضَ الْخِيلَةِ

(١) أَنْفَةٌ . (٢) كلباً السَّرَّطَانُ : هنا قرناه اللدان يشبهن الأداة التي يأخذ بها الحداد الحديد المحمى أو التي يخرج بها النجار المسامير من الخشب (الكلاشة) .

مَهْلَكَةٌ لِّلْمُحْتَالِ وَلِكِنْيَةٌ أَدُلُّكَ عَلَىْ أَمْرٍ ، إِنْ أَنْتَ قَدَرْتَ عَلَيْهِ ،
كَانَ فِيهِ هَلَكُ الْأَسْوَدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُهْلِكَ بِهِ نَفْسَكَ ، وَتَكُونُ
فِيهِ سَلَامَتُكَ . قَالَ الْغُرَابُ : وَمَا ذَاكَ ؟

قَالَ أَبْنُ آوَى : بَنْطَلُقُ فَتَبَصَّرُ فِي طَيْرَانِكَ : لَعَلَّكَ أَنْ تَظْفَرَ
بِشَيْءٍ مِّنْ حَلِّ النِّسَاءِ فَتَخْطُفَهُ ، وَلَا تَزَالُ طَائِرًا وَاقِعًا ، بِحَيْثُ
لَا تَفُوتُ الْعُيُونَ ، حَتَّى تَأْتِيَ بُحْرَ الْأَسْوَدِ فَتَرْمِي بِالْحَلْمِ عِنْدَهُ .
فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَخْدُوا حَلَّيْهِمْ وَأَرَاحُوكَ مِنَ الْأَسْوَدِ .
فَانْطَلَقَ الْغُرَابُ مُحْلِقاً فِي السَّماءِ ، فَوَجَدَ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ الْعُظَمَاءِ
فَوَقَرَ سَطْحَ تَغْسِلٍ ، وَقَدْ وَضَعَتْ شِيَابِهَا وَحَلَّيْهَا نَاجِيَةً ، فَانْقَضَ
وَاخْتَطَفَ مِنْ حَلَّيْهَا عِقدًا ، وَطَارَ بِهِ ، فَتَبِعَهُ النَّاسُ ، وَلَمْ يَرِزَّ
طَائِرًا وَاقِعًا ، بِحَيْثُ يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ ، حَتَّى انتَهَى إِلَى بُحْرِ
الْأَسْوَدِ ، فَأَلْقَى الْعِقدَ عَلَيْهِ ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ . فَلَمَّا أَتَوْهُ
أَخْدُوا الْعِقدَ وَقَتَلُوا الْأَسْوَدَ . وَإِنَّمَا ضَرَبَتْ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ
لِتَعْلَمَ أَنَّ الْحِيلَةَ تُجْرِي مَا لَا تُجْزِي الْقُوَّةُ . قَالَ كَلِيلَةُ : إِنَّ الثَّورَ

(١) مستدرا في طيرانه كالحلقة .

لَوْلَمْ يجتَمِعَ مَعَ شِدَّتِهِ رَأْيُهُ لَكَانَ كَمَا تَقُولُ . وَلِكِنَّ لَهُ مَعَ شِدَّتِهِ وَقُوَّتِهِ حُسْنُ الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ . فَمَاذَا تَسْتَطِيعُ لَهُ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ الشَّوَّرَ لَكَمَا ذَكَرْتَ فِي قُوَّتِهِ وَرَأْيِهِ ، وَلِكِنَّهُ مُقْرَرٌ لِي بِالْفَضْلِ ؛ وَأَنَا خَلِيقٌ أَنْ أَصْرَعَهُ كَمَا صَرَعْتَ الْأَرْبَابَ الْأَسَدَ .
قَالَ كَلِيلَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَرْضٍ كَثِيرَةِ الْمِيَاهِ وَالْعُشَبِ ، وَكَانَ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ مِنَ الْوُحُوشِ فِي سَعَةِ الْمِيَاهِ وَالْمَرْعَى شَيْئًا كَثِيرًا ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهَا ذَلِكَ نِحْوَفُهَا مِنَ الْأَسَدِ ، فَاجْتَمَعَتْ وَاتَّتْ إِلَى الْأَسَدِ ، فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ لَتُصِيبُ مِنَا الدَّابَّةَ بَعْدَ الْجَهَدِ وَالْتَّعَبِ ، وَقَدْ رَأَيْنَا لَكَ رَأْيًا فِيهِ صَلَاحٌ لَكَ وَآمِنٌ لَنَا . فَإِنَّ أَنْتَ أَمْتَنَّا وَلَمْ تُخْفِنَا ، فَلَكَ عَلَيْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ دَابَّةً نُرْسِلُ بِهَا إِلَيْكَ فِي وَقْتٍ غَدَائِكَ : فَرَضِيَ الْأَسَدُ بِذَلِكَ ، وَصَابَعَ الْوُحُوشَ عَلَيْهِ ، وَوَقَيْنَ لَهُ بِهِ . ثُمَّ إِنَّ أَرْبَابَ أَصَابَتْهَا الْقُرْعَةَ ، وَصَارَتْ غَدَاءَ الْأَسَدِ ، فَقَالَتْ لِلْوُحُوشِ : إِنَّ أَنْتَنَ رَفِقَنِي فِيهَا لَا يَضُرُّكُنَّ ؛ رَجَوْتُ أَنْ أُرِيحَكُنَّ مِنَ

الأسد . فَقَالَتِ الْوُحُوشُ : وَمَا الَّذِي تُكَلِّفِينَا مِنَ الْأَمْوَرِ ؟
 قَالَتْ : تَأْمُرُنَ الَّذِي يَنْطَلِقُ بِي إِلَى الْأَسَدِ أَنْ يُهَلِّنِي رَبِيعًا
 أَبْطِئُ عَلَيْهِ بَعْضَ الْإِبْطَاءِ . فَقُلْنَاهَا ذَلِكَ لَكِ . فَانْطَلَقَتِ
 الْأَرْنَبُ مُتَبَاطِئًةً ، حَتَّى جَاءَتِ الْوَقْتَ الَّذِي كَانَ يَتَغَدَّى فِيهِ
 الْأَسَدُ . ثُمَّ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ وَحْدَهَا رُوَيدًا ، وَقَدْ جَاءَ ، فَغَضِبَ
 وَقَامَ مِنْ مَكَانِهِ نَحْوَهَا ، فَقَالَ لَهَا : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتِ ؟ قَالَتْ :
 أَنَا رَسُولُ الْوُحُوشِ إِلَيْكَ : بَعْثَنِي وَمَعِي أَرْنَبٌ لَكَ ، فَتَبَعَّنِي
 أَسَدٌ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْطَّرِيقِ ، فَأَخْذَهَا مِنِّي ، وَقَالَ : أَنَا أَوْلَى
 بِهِذِهِ الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْوَحْشِ . فَقُلْتُ : إِنَّ هَذَا غَدَاءُ الْمَلَكِ
 أَرْسَلَنِي إِلَيْهِ الْوُحُوشُ إِلَيْهِ . فَلَا تَغْصِبِنِي ، فَسَبِّكَ وَشَتَّمَكَ .
 فَأَقْبَلْتُ مُسْرِعًا لِأُخْبِرَكَ . فَقَالَ الْأَسَدُ : انْطَلِقْ مَعِي فَأَرِينِي
 مَوْضِعَ هَذَا الْأَسَدِ . فَانْطَلَقَتِ الْأَرْنَبُ إِلَى جُبَّ فِيهِ مَاءٌ غَامِرٌ
 صَافٍ ، فَأَطَلَعْتُ فِيهِ ، وَقَالَتْ : هَذَا الْمَكَانُ . فَأَطَاعَ الْأَسَدَ ،
 فَرَأَى ظِلَّهُ وَظِلَّ الْأَرْنَبِ فِي الْمَاءِ ، فَلَمْ يَشْكُ فِي قَوْلِهَا ، وَوَتَّ
 إِلَيْهِ لِيُقَاتِلَهُ ، فَغَرِقَ فِي الْجُبِّ . فَانْقَلَبَتِ الْأَرْنَبُ إِلَى الْوُحُوشِ

فَأَعْلَمُتُهُنَّ صَنِيعَهَا بِالْأَسَدِ . قَالَ كَلِيلَةُ : إِنْ قَدَرْتَ عَلَى هَلَاكِ
 التَّوْرِبَشِيِّ لَيْسَ فِيهِ مَضَرٌ لِلْأَسَدِ فَشَانِكَ : فَإِنَّ الثَّورَ قَدْ أَضَرَّ
 وَيْكَ وَيَغْيِرُنَا مِنْ الْجُنْدِ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِهَلَاكِ
 الْأَسَدِ ، فَلَا تُقْدِمْ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ غَدَرٌ مِنْيَ وَمِنْكَ . ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ
 تَرَكَ الدُّخُولَ عَلَى الْأَسَدِ أَيَّامًا كَثِيرَةً ؛ ثُمَّ أَتَاهُ عَلَى خَلْوَةِ مِنْهُ ؛
 فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : مَا حَبْسُكَ عَنِي ؟ مُنْذُ زَمَانٍ لَمْ أَرَكَ . إِلَّا لِحَيْزِ
 كَانَ اقْطَاعُكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : فَلَيْكُنْ خَيْرًا أَيْهَا الْمَلِكُ . قَالَ الْأَسَدُ :
 وَهَلْ حَدَثَ أَمْرٌ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : حَدَثَ مَا لَمْ يَكُنْ الْمَلِكُ يُرِيدُهُ
 وَلَا أَحَدٌ مِنْ جُنْدِهِ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : كَلَامٌ فَظِيعٌ .
 قَالَ : أَخْبِرْنِي بِهِ . قَالَ دِمْنَةُ إِنَّهُ كَلَامٌ يَكْرَهُ سَامِعُهُ ، وَلَا
 يَسْجُعُ عَلَيْهِ قَائِلُهُ . وَإِنَّكَ أَيْهَا الْمَلِكُ لَذُو فَضْلِيَّةٍ ، وَرَأَيْكَ يَدُّلَكَ
 عَلَى أَنْ يَوْجِعَنِي أَنْ أَقُولَ مَا تَرَكَهُ ، وَأَتَقِ بِكَ أَنْ تَعْرِفَ نُصْحِي
 وَإِيْشَارِي إِيَّاكَ عَلَى نَفْسِي . وَإِنَّهُ لَيَعْرِضُ لِي أَنَّكَ غَيْرُ مُصَدِّقٍ
 فِيهَا أَخْبِرُكَ بِهِ ؛ وَلَكِنِي إِذَا تَدَكَّرْتُ وَتَفَكَّرْتُ أَنَّ نُفُوسَنَا ، مَعَاهِشَ
 الْوُحُوشِ ، مُتَعْلِقَةٌ بِكَ لَمْ أَجِدْ بُدُّا مِنْ أَدَاءِ الْحَقِّ الَّذِي يَلْزَمُنِي

وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَسْأَلْنِي وَخِفْتُ أَلَا تَقْبَلَ مِنِّي فَإِنَّهُ يُقَالُ : مَنْ كَتَمَ
السُّلْطَانَ نَصِيحَتَهُ وَالإخْوَانَ رَأْيَهُ فَقَدْ خَانَ نَفْسَهُ . قَالَ الْأَسَدُ :
فَمَا ذَاكَ ؟

قَالَ دِمْنَةُ : حَدَّثَنِي الْأَمِينُ الصَّدُوقُ عَنْدِي أَنَّ شَرْبَةَ خَلَادِ
بِرْوَسِ جُنْدَكَ ، وَقَالَ : قَدْ خَبَرْتُ الْأَسَدَ وَبَلَوْتُ رَأْيَهُ وَمَكِيدَتَهُ
وَقُوَّتَهُ : فَاسْتَبَانَ لِي أَنَّ ذَلِكَ يَقُولُ مِنْهُ إِلَى ضَعْفٍ وَعَجَزٍ ،
وَسَيَكُونُ لِي وَلَهُ شَانٌ مِنَ الشَّئُونِ . فَلَمَّا بَلَغَنِي ذَلِكَ عَلِمْتُ
أَنَّ شَرْبَةَ خَوَانَ غَدَارٌ ، وَأَنَّكَ أَكْرَمْتَهُ الْكَرَامَةَ كُلَّهَا ، وَجَعَلْتَهُ
نَظِيرَ نَفْسِكَ ، وَهُوَ يَظْنُ أَنَّهُ مِثْلُكَ . وَأَنَّكَ مَنْ زُلْتَ عَنْ مَكَانِكَ
صَارَ لَهُ مُلْكُكَ ، وَلَا يَدْعُ جُهْدًا إِلَّا بَلَغَهُ فِيكَ . وَقَدْ كَانَ
يُقَالُ : إِذَا عَرَفَ الْمَلِكُ مِنَ الرَّجُلِ أَنَّهُ قَدْ سَاوَاهُ فِي الْمَنْزِلَةِ
وَالْحَالِ ، فَلَا يَصْرِعُهُ ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ بِهِ ذَلِكَ ، كَانَ هُوَ الْمَصْرُوعَ .
وَشَرْبَةَ أَعْلَمُ بِالْأُمُورِ وَأَبْلَغُ فِيهَا ، وَالْعَاقِلُ هُوَ الَّذِي يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ
قَبْلَ تَكَامِيهِ وَوَقْوِعِهِ : فَإِنَّكَ لَا تَأْمُنُ أَنْ يَكُونَ وَلَا تَسْتَدِرِكُهُ .
فَإِنَّهُ يُقَالُ : الرِّجَالُ ثَلَاثَةٌ : حَازِمٌ وَأَخْرَمٌ مِنْهُ وَعَاجِزٌ ، فَأَحَدُ

الخَازِمِينَ مَنْ إِذَا نَزَّلَ بِهِ الْأَمْرُ لَمْ يَدْهَشْ لَهُ ، وَلَمْ يَذْهَبْ قَلْبُهُ
 شَعَاعًا ، وَلَمْ تَعِيْ بِهِ حِيلَتُهُ وَمَكْيَدَتُهُ الَّتِي يَرْجُو بِهَا الْخَرْجَ مِنْهُ ؛
 وَأَخْرَمَ مِنْ هَذَا الْمُتَقْدِمِ ذُو الْعُدَدِ الَّذِي يَعْرِفُ الْأَبْتِلَاءَ قَبْلَ
 وُقُوعِهِ ؛ فَيُعْظِمُهُ إِعْظَامًا ، وَيَخْتَالُ لَهُ حَتَّى كَانَهُ قَدْ لَزِمَهُ :

(٢١) فَيَخْسِمُ الدَّاءَ قَبْلَ أَنْ يُتَلَّ بِهِ ، وَيَدْفَعُ الْأَمْرَ قَبْلَ وُقُوعِهِ .
 وَأَمَّا الْعَاجِزُ فَهُوَ فِي تَرَدُّدٍ وَمَمْنَنَّ وَتَوَانَ حَتَّى يَهْلِكَ . وَمِنْ أَمْثَالِ
 ذِلِّكَ مَثَلُ السَّمَكَاتِ الْثَلَاثِ . قَالَ الْأَسَدُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ غَدِيرًا كَانَ فِيهِ ثَلَاثُ سَمَكَاتٍ : گَيْسَةً
 وَأَكِيسَ مِنْهَا وَعَاجِزَةً ؛ وَكَانَ ذَلِكَ الغَدِيرُ يَنْجُونَهُ مِنَ الْأَرْضِ
 لَا يَكَادُ يَقْرِبُهُ أَحَدٌ ؛ وَيُقْرِبُهُ نَهْرٌ جَارٌ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ اجْتَازَ بِذَلِكَ
 النَّهْرِ صَيَادَانِ ، فَأَبْصَرَا الغَدِيرَ، فَتَوَاعَدَا أَنْ يَرْجِعاَ إِلَيْهِ بِشَبَابِهِمَا
 فَيَصِيدَا مَا فِيهِ مِنَ السَّمَكِ . فَسَمِعَ السَّمَكَاتُ قَوْلَهُمَا : فَإِمَّا
 أَكِيسُهُنَّ لَمَّا سَمِعُتْ قَوْلَهُمَا ، وَأَرْتَابَتْ لَاهِنَسَ
 فَلَمَّا تُرِجِعَ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى نَرَجَتْ مِنْهُمَا ، وَتَحْوَفَتْ مِنْهُمَا ؛

(١) متفرقًا . (٢) يقطع . (٣) مرتفع من الأرض . (٤) لم تقف .

الْمَاء مِنَ النَّهْرِ إِلَى الْغَدِيرِ . وَأَمَّا الْكِيْسَةُ فَإِنَّهَا مَكَثَتْ مَكَانَهَا حَتَّى جَاءَ الصَّيَادَانِ ، فَلَمَّا رَأَتُهُمَا ، وَعَرَفَتْ مَا يُرِيدَانِ ، ذَهَبَتْ لِتَخْرُجَ مِنْ حَيْثُ يَدْخُلُ الْمَاءُ ، فَلَذَا بِهِمَا قَدْ سَدَّا ذَلِكَ الْمَكَانَ فِيَنْدِيْدِ قَالَتْ : فَرَطْتُ ، وَهَذِهِ عَاقِبَةُ التَّفَرِيطِ ، فَكَيْفَ الْحِيلَةُ عَلَى هُذِهِ الْحَالِ ؟ وَقَلَّمَا تَجْمَعَ حِيلَةُ الْعَجَلَةِ وَالْأَزْهَاقِ ، غَيْرَ أَنَّ الْعَاقِلَ لَا يَقْنِطُ مِنْ مَنَافِعِ الرَّأْيِ ، وَلَا يَيْئَسُ عَلَى حَالٍ ، وَلَا يَدْعُ الرَّأْيَ وَابْلُوْهَدَ . ثُمَّ إِنَّهَا تَمَاهَوْتَ فَطَفَتْ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ مُنْقَلِبَةً عَلَى ظَهْرِهَا تَارَةً ، وَتَارَةً عَلَى بَطْنِهَا ، فَأَخْذَهَا الصَّيَادَانِ فَوَضَعَاهَا عَلَى الْأَرْضِ بَيْنَ النَّهْرِ وَالْغَدِيرِ ، فَوَثَبَتْ إِلَى النَّهْرِ فَنَجَّتْ . وَأَمَّا الْعَابِرَةُ فَلَمْ تَرَلْ فِي إِقْبَالٍ وَإِذْبَارٍ حَتَّى صِيدَتْ .

قَالَ الْأَسَدُ : قَدْ فَهِمْتُ ذَلِكَ ، وَلَا أَظْنُ الثَّورَ يَغْشِي وَيَرْجُو لِي الْغَوَائِلَ . وَكَيْفَ يَفْعَلُ ذَلِكَ وَلَمْ يَرَ مِنِي سُوءًا قَطْ ؟ وَلَمْ أَدْعُ خَيْرًا إِلَّا فَعَلْتُهُ مَعَهُ ؟ وَلَا أُمْنِيَّ إِلَّا بَلَغْتُهُ إِلَيْاهَا ؟ . قَالَ دِمْتَةُ : إِنَّ اللَّهِمَ لَا يَرَأُ نَافِعًا نَاصِحًا حَتَّى يُرْفَعَ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا

(١) الضيق والعسر . (٢) الدواهي .

أَكْتَابٌ
صَوْصَانٌ
٦٤٧

يَاهْلٌ ؛ فَإِذَا بَلَغَهَا النَّمَسَ مَا فَوْقَهَا ؛ وَلَا سِيمَا أَهْلُ الْخِيَانَةِ
وَالْفُجُورِ : فَإِنَّ اللَّئِيمَ الْفَاحِرَ لَا يَخْدُمُ السُّلْطَانَ وَلَا يَنْصَحُ لَهُ إِلَّا

مِنْ فَرِيقٍ . فَإِذَا اسْتَغْنَى وَذَهَبَتِ الْهَبَةُ عَادَ إِلَى جَوْهَرِهِ ؛ كَذَبٌ
الْكَلْبُ الَّذِي يُرْبَطُ لِيَسْتَقِيمَ فَلَا يَزَالُ مُسْتَوِيًّا مَا دَامَ مَرْبُوطًا ؛
فَإِذَا حَلَّ الْخَنَّى وَاعْوَجَ كَمَا كَانَ . وَاعْلَمَ أَيْهَا الْمَلِكُ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ
مِنْ نُصْحَانِهِ مَا يَنْقُلُ عَلَيْهِ مِمَّا يَنْصَحُونَ لَهُ بِهِ ، لَمْ يَمْحُدْ رَأْيَهِ ،
كَالْمَرِيضِ الَّذِي يَدْعُ مَا يَبْعَثُ لَهُ الطَّبِيبُ ؛ وَيَعْمَدُ إِلَى
مَا يَسْتَهِيهِ . وَحَقٌّ عَلَى مُوازِيرِ السُّلْطَانِ أَنْ يُبَالِغَ فِي التَّحْضِيَضِ
لَهُ عَلَى مَا يَزِيدُ سُلْطَانَهُ قُوَّةً وَيَزِينُهُ ، وَالْكَفُّ عَمَّا يَضُرُّهُ وَيَشِينُهُ ؛
وَخَيْرُ الْإِخْوَانِ وَالْأَعْوَانِ أَقْلَمُهُمْ مُدَاهِنَةً فِي النَّصِيحةِ ؛ وَخَيْرُ
الْأَعْمَالِ أَحْلَاهَا عَاقِبَةً ؛ وَخَيْرُ النِّسَاءِ الْمُوَافِقةُ لِبَعْلِهَا ؛ وَخَيْرُ
النِّسَاءِ مَا كَانَ عَلَى أَفْوَاهِ الْأَخْيَارِ ؛ وَأَشْرَفُ الْمُلُوكِ مَنْ لَمْ يُخَالِطْهُ
بَطْرِيٌّ وَخَيْرُ الْأَخْلَاقِ أَعْوَنَهَا عَلَى الْوَرَعِ . وَقَدْ قِيلَ : لَوْأَنَّ
أَمْرًا تُسَدِّدَ النَّارَ وَافْتَرَشَ الْحَيَاتِ ، كَانَ أَحَقَّ أَلَا يَهْنَئَهُ النَّوْمُ .

وَالرَّجُلُ إِذَا أَحْسَنَ مِنْ صَاحِبِهِ بِعَدَاؤِ يُرِيدُهُ بِهَا ، لَا يَطْمَئِنُ
 إِلَيْهِ ، وَأَبْخَزُ الْمُلُوكَ آخْذُهُمْ بِالْهُوَيْنِ ، وَأَقْلَهُمْ نَظَارًا فِي مُسْتَقْبَلِ
 الْأُمُورِ ، وَأَشْبَهُمْ بِالْفِيلِ الْهَائِيجِ الَّذِي لَا يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ :
 فَإِنْ حَزَبَهُ امْرٌ تَهَانَ بِهِ ، وَإِنْ أَضَاعَ الْأُمُورَ حَمَلَ ذَلِكَ عَلَى
 قُرَنَائِهِ . قَالَ لَهُ الْأَسَدُ : لَقَدْ أَغْلَظْتَ فِي الْقَوْلِ ، وَقَوْلُ النَّاصِحِ
 مَقْبُولٌ مَحْمُولٌ . وَإِنْ كَانَ شَتَرَبَةً مُعَادِيًا لِي ، كَمَا تَقُولُ ، فَإِنَّهُ
 لَا يَسْتَطِيعُ لِي ضَرًا ، وَكَيْفَ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ كُلُّ عُشْبٍ
 وَأَنَا كُلُّ لَحْمٍ ؟ وَإِنَّمَا هُوَ لِي طَعَامٌ ، وَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ مَحَافَةٌ .
 ثُمَّ لَيْسَ إِلَى الْغَدَرِ بِهِ سَبِيلٌ بَعْدَ الْأَمَانِ الَّذِي جَعَلْتُهُ لَهُ ، وَبَعْدَ
 إِنْكَارِي لَهُ ، وَشَنَائِي عَلَيْهِ . وَإِنْ تَغَيَّرَتْ مَا كَانَ مِنِّي وَبَدَلَتْهُ ،
 سَفَهَتْ رَأِيِّي وَجَهَلَتْ نَفْسِي وَغَدَرَتْ بِذِمَّتِي . قَالَ دِمْنَةُ :
 لَا يَغْرِنَكَ قَوْلُكَ : هُوَ لِي طَعَامٌ وَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ مَحَافَةٌ : فَإِنَّ شَتَرَبَةَ
 إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْكَ بِنَفْسِهِ اخْتَالَ لَكَ مِنْ قِبْلِ غَيْرِهِ . وَيُقَالُ :
 إِنْ أَسْتَضْهَا فَكَمَا يَكْسِبُ ضَيْفٌ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ أَخْلَاقَهُ
 فَلَا تَأْمُنُهُ عَلَى نَفْسِكَ ، وَلَا تَأْمُنُ أَنْ يَصِلَكَ مِنْهُ أَوْ يُسَبِّيهِ
 مَا أَصَابَ الْقَمَلَةَ مِنَ الْبُرْغُوثِ . قَالَ الْأَسَدُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قال دمنة : زعموا أن قملة لزمت فراش رجل من الأغنياء
دهرا فكانت تصيب من دمه وهو نائم لا يشعر ، وتدب
ديبها رفينا ، فكثت كذلك حينا حتى استضافها ليلة من الليالي
برغوث ، فقالت له : بليلة عندنا في دم طيب وفراش لين ،
فأقام البرغوث عندها حتى إذا أوى الرجل إلى فراشه وشب عليه
البرغوث فلدغه لدغة أيقظته ، وأطارت النوم عنه ، فقام الرجل
وأمر أن يفتح فراشه ، فنظر فلم ير إلا القملة ، فأخذت
قصصت وفر البرغوث . وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم
أن صاحب الشر لا يسلم من شره أحد ، وإن هو ضعف عن
ذلك جاء الشر بسيبه . وإن كنت لا تخاف من شتربة ، نحف
غيره من جنديك الذين قد حملهم عليك وعلى عداوتك . فوقع
في نفس الأسد كلام دمنة . فقال : فما الذي ترى إذا ؟
ويم إذا تشير ؟ قال دمنة : إن الضرس لا يزال متأكلا ، ولا
يزال صاحبه منه في أيام وأذى حتى يفارقه . والطعام الذي

(١) قلت بالظفر . (٢) أغراهم .

قَدْ عَفِنَ فِي الْبَطْنِ ، الرَّاحَةُ فِي قَذْفِهِ . وَالْعُلُوُّ الْخَوْفُ ، دَوَاؤُهُ
قَتْلُهُ . قَالَ الْأَسَدُ : لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَكْرَهُ مُجاوِرَةً شَرْبَةَ إِيَّاَيَ ،
وَأَنَا مُرْسِلٌ إِلَيْهِ ، وَذَا كُرْلُهُ مَا وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْهُ ؛ ثُمَّ أَمْرَهُ
بِالْتَّحَاقِ حَيْثُ أَحَبَّ . فَكَرِهَ دِمْنَةُ ذَلِكَ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْأَسَدَ مَتَّ
كُلَّمَ شَرْبَةَ فِي ذَلِكَ وَسَمِعَ مِنْهُ جَوَابًا عَرَفَ بَاطِلَّ مَا أَتَى بِهِ ،
وَأَطْلَعَ عَلَى غَدْرِهِ وَكَذْبِهِ ؛ وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ . فَقَالَ لِلْأَسَدِ :
إِنَّمَا إِرْسَالُكَ إِلَى شَرْبَةَ فَلَا أَرَاهُ لَكَ رَأْيًا وَلَا حَزْمًا ، فَلَيَنْظُرِ الْمَلِكُ
فِي ذَلِكَ : فَإِنَّ شَرْبَةَ مَتَّ شَعْرِهِذَا الْأَمْرِ ، خَفِتْ أَنْ يُعَاجِلَ
الْمَلِكَ بِالْمُكَابَرَةِ . وَهُوَ إِنْ قَاتَلَكَ قَاتَلَكَ مُسْتَعِدًا ، وَإِنْ
فَارَقَكَ ، فَارَقَكَ فِرَاقًا يَلِيكَ مِنْهُ النَّقْصُ ، وَيَلِزِمُكَ مِنْهُ الْعَارُ .
مَعَ أَنَّ ذَوِي الرَّأْيِ مِنَ الْمُلُوكِ لَا يُعْلَمُونَ عُقُوبَةً مَنْ لَمْ يُعْلَمْ
ذَنْبُهُ ، وَلَكِنْ لِكُلِّ ذَنْبٍ عِنْهُمْ عُقُوبَةٌ : فَلِذَنْبِ الْعَلَانِيَّةِ عُقُوبَةُ
الْعَلَانِيَّةِ ، وَلِذَنْبِ السُّرِّ عُقُوبَةُ السُّرِّ . قَالَ الْأَسَدُ : إِنَّ الْمَلِكَ
إِذَا عَاقَبَ أَحَدًا عَنْ ظِنَّةٍ ظَنَّهَا مِنْ غَيْرِ تَيقِنٍ بِجُرمِهِ ، فَنَفْسَهُ

(١) تَهْمَةٌ .

عَاقِبَ وَإِيَّاهَا ظَلَمَ . قَالَ دِمْنَةُ : أَمَّا إِذَا كَانَ هَذَا رَأْيَ الْمَلِكِ ، فَلَا يَدْخُلُنَّ عَلَيْكَ شَرْبَةً إِلَّا وَأَنْتَ مُسْتَعْدَ لَهُ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُصِيبَكَ مِنْهُ غِرَّةً أَوْ غَفْلَةً : فَإِنِّي لَا أَحْسِبُ الْمَلِكَ حِينَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ إِلَّا سَيَعْرِفُ أَنَّهُ قَدْ هُمْ بِعَظِيمَةٍ . وَمِنْ عَلَامَاتِ ذَلِكَ أَنَّكَ تَرَى لَوْنَهُ مُتَغِيرًا ، وَتَرَى أَوْصَالَهُ تَرْعِدُ ، وَتَرَاهُ مُلْتَفِتًا يَمْبَيِنًا وَشَمَالًا ، وَتَرَاهُ يَهْزُ قَرْنَيْهِ فِعْلَ الدِّيْهِ بِالنِّطَاجِ وَالْقِتَالِ . قَالَ الْأَسَدُ : سَأَكُونُ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ ، وَإِنْ رَأَيْتُ مِنْهُ مَا يَدْلِلُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ عَلِمْتُ أَنْ مَا فِي أَمْرِهِ شَكٌ .

فَلَمَّا فَرَغَ دِمْنَةُ مِنْ حَمْلِ الْأَسَدِ عَلَى الثَّورِ ، وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ مَا كَانَ يَلْتَمِسُ ، وَأَنَّ الْأَسَدَ سَيَحْدُرُ الثَّورَ ، وَيَتَهِيَّأُ لَهُ ، أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ الثَّورَ لِيُغْرِيهِ بِالْأَسَدِ ، وَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِتْيَانَهُ مِنْ قِبَلِ الْأَسَدِ مَخَافَةً أَنْ يَبْلُغَهُ ذَلِكَ فَيَتَأذَى بِهِ . فَقَالَ : أَيْهَا الْمَلِكُ أَلَا أَتِيَ شَرْبَةً فَانظُرْ إِلَى حَالِهِ وَأَمْرِهِ ؟ وَأَسْمَعْ كَلَامَهُ : لَعَلَى أَطْلِعُ عَلَى سِرِّهِ ، فَأَطْلِعَ الْمَلِكَ عَلَى ذَلِكَ ، وَعَلَى مَا يَظْهَرُ لِي مِنْهُ ؟ فَأَذِنَ لَهُ الْأَسَدُ فِي ذَلِكَ . فَانْطَلَقَ فَدَخَلَ

عَلَى شَرْبَةَ كَانَ كَتِيبَ الْخَزِيرَينَ . فَلَمَّا رَأَهُ الشَّوْرُ رَحِبَ بِهِ ،
وَقَالَ : مَا كَانَ سَبَبَ انْقِطَاعِكَ عَنِّي ؟ فَلَيْسَ لَمْ أَرَكَ مُنْذَ أَيَّامٍ ؛
وَلَعَلَّكَ فِي سَلَامَةِ ! قَالَ دِمْنَةُ : وَمَتَى كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّلَامَةِ
مِنْ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ ، وَأَمْرُهُ يَبْدِي غَيْرَهُ مِنْ لَا يُوَثِّقُ بِهِ ، وَلَا
يَنْفَكُ عَلَى خَطَرٍ وَخَوْفٍ . حَتَّى مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ وَيَأْمُنُ فِيهَا
عَلَى نَفْسِهِ . قَالَ شَرْبَةُ : وَمَا الَّذِي حَدَثَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ :
حَدَثَ مَا قُدْرَ وَهُوَ كَائِنٌ . وَمَنْ ذَا الَّذِي غَالَبَ الْقَدَرَ ؟ وَمَنْ
ذَا الَّذِي بَلَغَ مِنَ الدُّنْيَا جَسِيمًا مِنَ الْأُمُورِ فَلَمْ يَبْطَرْ ؟ وَمَنْ
ذَا الَّذِي بَلَغَ مِنَاهُ فَلَمْ يَغْتَرْ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي تَبَعَ هَوَاهُ فَلَمْ
يَخْسِرْ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي طَلَبَ مِنَ اللَّئَامِ فَلَمْ يُحْرِمْ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي
خَالَطَ الْأَشْرَارَ فَسَلِمَ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي صَحِبَ السُّلْطَانَ فَدَامَ لَهُ
مِنْهُ الْآمُنُ وَالْإِحْسَانُ ؟ قَالَ شَرْبَةُ : إِنِّي أَسْمَعْ مِنْكَ كَلَامًا يَدُلُّ
عَلَى أَنَّهُ قَدْ رَابَكَ مِنْ الْأَسْدِ رَبِّ ، وَهَالَكَ مِنْهُ أَمْرٌ . قَالَ
دِمْنَةُ : أَجَلْ ، لَقَدْ رَابَنِي مِنْهُ ذَلِكَ ، وَلَيْسَ هُوَ فِي أَمْرِ نَفْسِي .
قَالَ شَرْبَةُ : فِي نَفْسِ مِنْ رَابَكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : قَدْ تَعْلَمْ مَا يَدْنِي

وَبَيْنَكَ ، وَتَعْلَمُ حَقَّكَ عَلَىَّ ؛ وَمَا كُنْتُ جَعَلْتُ لَكَ مِنَ الْعَهْدِ
وَالْمِيَاثِقِ أَيَّامَ أَرْسَلْنِي الْأَسَدُ إِلَيْكَ ، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ حِفْظِكَ
وَإِطْلَاعِكَ عَلَىَّ مَا اطْلَعْتُ عَلَيْهِ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْهُ . قَالَ
شَرَبَةُ : وَمَا الَّذِي بَلَغَكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : حَدَّثَنِي الْخَيْرُ الصَّدُوقُ
الَّذِي لَا يُرِيكَ فِي قَوْلِهِ أَنَّ الْأَسَدَ قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ وَجَلَسَ إِلَيْهِ :
قَدْ أَعْجَبَنِي سِمْنُ الثَّوْرِ ؛ وَلَيْسَ لِي إِلَى حَيَاتِهِ حَاجَةٌ ؛ فَأَنَا آكُلُهُ
وَمُطْعِمُ أَصْحَابِي مِنْ لَحْمِهِ . فَلَمَّا بَلَغَنِي هُذَا القَوْلُ ، وَعَرَفْتُ
غَدَرَهُ وَنَقْضَ عَهْدِهِ ؛ أَقْبَلْتُ إِلَيْكَ لِأَقْضِي حَقَّكَ ، وَتَحْتَالَ
أَنْتَ لِأَمْرِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ شَرَبَةُ كَلَامَ دِمْنَةَ ، وَتَذَكَّرَ مَا كَانَ
دِمْنَةُ جَعَلَ لَهُ مِنَ الْعَهْدِ وَالْمِيَاثِقِ ، وَفَكَرَ فِي أَمْرِ الْأَسَدِ ، ظَنَّ
أَنَّ دِمْنَةَ قَدْ صَدَقَهُ وَنَصَحَ لَهُ ؛ وَرَأَى أَنَّ الْأَمْرَ شَيْءٌ بِمَا قَالَ
دِمْنَةُ . فَأَهَمَهُ ذَلِكَ ؛ وَقَالَ : مَا كَانَ لِالْأَسَدِ أَنْ يَغْدِرَ بِي وَلَمْ
آتِ إِلَيْهِ ذَنْبًا ، وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ جُنْدِهِ ، مُنْذُ صَحِبَتْهُ ؛ وَلَا
أَظُنَّ الْأَسَدَ إِلَّا قَدْ حُمِلَ عَلَىَّ بِالْكَذِبِ وَشُرِهِ عَلَيْهِ أَمْرِي : فَإِنَّ
الْأَسَدَ قَدْ صَحِبَهُ قَوْمٌ سَوْءٌ ؛ وَجَرَبَ مِنْهُمُ الْكَذِبَ وَأَمْرَاهُ هِيَ

تُصَدِّقُ عِنْدَهُ مَا بَلَغَهُ مِنْ غَيْرِهِمْ : فَإِنَّ صُحبَةَ الْأَشْرَارِ رُبَّا
أَوْرَثَتْ صَاحِبَهَا سُوءَ ظَنِّ الْأَخْيَارِ؛ وَحَمَلَتْهُ تَجْرِيَتُهُ عَلَى الْخَطَا
كَمَخْطَأَ الْبَطَةِ الَّتِي زَعَمُوا أَنَّهَا رَأَتْ فِي الْمَاءِ ضَوْءَ كَوَافِيرَ ، فَظَنَّتْهُ
سَمَّكَةً ، فَخَوَلَتْ أَنْ تَصِيدَهَا ، فَلَمَّا جَرَبَتْ ذَلِكَ مِرَارًا ،
عَلِمَتْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْئًا يُصَادُ فَتَرَكَتْهُ . ثُمَّ رَأَتْ مِنْ غَدِ ذَلِكَ
الْيَوْمِ سَمَّكَةً ، فَظَنَّتْ أَنَّهَا مِثْلُ الَّذِي رَأَتْهُ بِالْأَمْسِ ، فَتَرَكَتْهَا
وَلَمْ تَطْلُبْ صَيْدَهَا . فَإِنَّ كَانَ الْأَسَدُ بَلَغَهُ عَنِّي كَذْبُ فَصَدَقَهُ
عَلَى وَنِيمَعَهُ فِي ، فَمَا جَرَى عَلَى غَيْرِي يَجْرِي عَلَى . وَإِنَّ كَانَ
لَمْ يَبْلُغْهُ شَيْئًا ، وَأَرَادَ السُّوءَ بِي مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ
أَبْغِبِ الْأُمُورِ . وَقَدْ كَانَ يُقَالُ : إِنَّ مِنَ الْعَجَبِ أَنْ يَطْلُبَ
الرَّجُلُ رِضَا صَاحِبِهِ وَلَا يَرْضَى . وَأَبْغَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَلْتَمِسَ
رِضَاهُ فَيَسْخَطَ . فَإِذَا كَانَتِ الْمُوَجَدَةُ عَنْ عِلْمٍ ، كَانَ الرِّضا
مَوْجُودًا وَالْعَفْوُ مَأْمُولًا . وَإِذَا كَانَتْ عَنْ غَيْرِ عِلْمٍ ، انْقَطَعَ
الرَّجَاءُ : لِأَنَّ الْعِلْمَ إِذَا كَانَتِ الْمُوَجَدَةُ فِي وُرُودِهَا ، كَانَ الرِّضا
مَأْمُولًا فِي صُدُورِهَا .

قَدْ نَظَرْتُ : فَلَا أَعْلَمُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَسَدِ جُرْمًا ، وَلَا صَغِيرًا
ذَنْب ، وَلَا كَبِيرًا . وَلَعَمْرِي مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَطَالَ حُجْبَةَ
صَاحِبٍ أَنْ يَخْتَرِسَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَفْرَهِ ، وَلَا أَنْ يَحْفَظَ
مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ صَغِيرَةً أَوْ كَبِيرَةً يُكَرِّهُهَا صَاحِبُهُ ; وَلَكِنَ الرَّجُلُ
ذَا الْعَقْلِ وَذَا الْوَفَاءِ إِذَا سَقَطَ عِنْدَهُ صَاحِبُهُ سَقْطَةً نَظَرَ فِيهَا ،
وَعَرَفَ قَدْرَ مَبْلِغِ خَطْئِهِ عَمَدًا كَانَ أَوْ خَطَأً . ثُمَّ يَنْظُرُ هَلْ
فِي الصَّفْحِ عَنْهُ أَمْ يَخَافُ ضَرَرَهُ وَشَيْنَهُ ؟ فَلَا يُواخِذُ صَاحِبَهُ
بِشَيْءٍ يَجْدُ فِيهِ إِلَى الصَّفْحِ عَنْهُ سَبِيلًا . فَإِنْ كَانَ الْأَسَدُ قَدِ
أَعْتَدَ عَلَى ذَنْبٍ ؛ فَلَسْتُ أَعْلَمُهُ ؛ إِلَّا أَنِّي خَالَفْتُهُ فِي بَعْضِ
رَأْيِهِ نَصِيحةً لَهُ ؛ فَعَسَاهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَنْزَلَ أَمْرِي عَلَى الْجَرَاءَةِ
عَلَيْهِ وَالْمُخَالَفَةِ لَهُ ؛ وَلَا أَجِدُ لِي فِي هَذَا الْمُخْضِرِ إِلَّا مَا : لَا تَنِي
لَمْ أَخَالِفْهُ فِي شَيْءٍ إِلَّا مَا قَدْ نَدِرَ مِنْ مُخَالَفَةِ الرُّشْدِ وَالْمُنْقَعَةِ
وَالْدِينِ ؛ وَلَمْ أَجَاهِرْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عَلَى رُؤُوسِ جُنْدِهِ وَعِنْدَ
أَصْحَابِهِ؛ وَلَكِنِي كُنْتُ أَخْلُوْ بِهِ وَأَكْلَمُهُ سِرًا كَلَامَ الْهَانِبِ الْمُوْقَرِ .
وَعَلِمْتُ أَنَّهُ مِنَ التَّمَسِّ الْرُّخَصَ مِنَ الْإِخْوَانِ عِنْدَ الْمُشَارِرِ ،

وَمِنَ الْأَطْبَاءِ عِنْدَ الْمَرَضِ ، وَمِنَ الْفُقَهَاءِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ ، أَخْطَأَ
مَنَافِعَ الرَّأْيِ ؛ وَازْدَادَ فِيمَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ تُورَطاً ، وَحُمِّلَ
الْوِزْرَ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ
سَكَرَاتِ السُّلْطَانِ : فَإِنَّ مُصَاحِبَ السُّلْطَانِ خَطِرَةٌ ، وَإِنَّ
صُوَرَبَ بِالسَّلَامَةِ وَالثِّقَةِ وَالْمُوَدَّةِ وَحُسْنِ الصِّحَّةِ . وَإِنْ لَمْ
يَكُنْ هَذَا ، فَبَعْضُ مَا أُوتِيتُ مِنَ الْفَضْلِ قَدْ جُعِلَ لِي فِيهِ
الْهَلَالُ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا وَلَا هَذَا ، فَهُوَ إِذَا مِنْ مَوَاقِعِ
الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ الَّذِي لَا يُدْفَعُ ، وَالْقَدْرُ هُوَ الَّذِي يَسْلِبُ الْأَسْدَ
وَقُوَّتَهُ وَشِدَّتَهُ ؛ وَيُدْخِلُهُ الْقَبْرَ ، وَهُوَ الَّذِي يَحْمِلُ الرَّجُلَ الْمُسْعِفَ
عَلَى ظَهِيرِ الْفِيلِ الْهَائِيجَ ، وَهُوَ الَّذِي يُسْلِطُ عَلَى الْخَيَّةِ ذَاتِ الْخُمْمَةِ
مَنْ يَنْزِعُ حُمْتَهَا وَيَلْعَبُ بِهَا ؛ وَهُوَ الَّذِي يَجْعَلُ الْعَاجِزَ حَازِماً ،
وَيُنْبَطِّئُ الشَّهْمَ ، وَيُوَسِّعُ عَلَى الْمُقْتَرِ ، وَيُسَيِّعُ الْجَبَانَ ، وَيُجْبِنُ
الشَّجَاعَ عِنْدَ مَا تَعْتَرِيهِ الْمَقَادِيرُ ٢٠١٣) مِنَ الْعِدَلِ الَّتِي وُضِعَتْ عَلَيْهَا
الْأَقْدَارُ .

(١) ارتباكاً . (٢) سنا الحاد . (٣) يعقوه . (٤) الفقير .

قَالَ دِمْنَةُ: إِنَّ إِرَادَةَ الْأَسَدِ بِكَ لَيْسَتْ مِنْ تَخْمِيلِ الْأَشْرَارِ وَلَا سَكْرَةِ السُّلْطَانِ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ ، وَلِكِنَّهَا الغَدْرُ وَالْفُجُورُ مِنْهُ : فَإِنَّهُ فَاجِرٌ خَوَانٌ غَدَارٌ : لِطَعَامِهِ حَلَاؤَهُ وَآخِرُهُ سُمٌّ مُمِيتٌ . قَالَ شَتَرَبَةُ: فَأَرَانِي قَدْ اسْتَلَذْذَتْ الْحَلَاؤَ إِذْ ذُقْتُهَا : وَقَدْ انْتَهَيْتُ إِلَى آخِرِهَا الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ ، وَلَوْلَا الْحَيْنُ مَا كَانَ مُقَامِي عِنْدَ الْأَسَدِ ، وَهُوَ كُلُّ لَحْمٍ وَأَنَا كُلُّ عُشِّبٍ فَأَنَا فِي هَذِهِ الْوَرَطةِ كَالنَّحلَةِ الَّتِي تَجْلِسُ عَلَى نُورِ النَّيْلُوفِرِ إِذْ تَسْتَلِّ رِيحَهُ وَطَعْمَهُ، فَتَحْسِسُهَا تِلْكَ اللَّذَّةُ ، فَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ يَنْضَمُ عَلَيْهَا ، فَتَرْتِيكُ فِيهِ وَمَوْتُ . وَمَنْ لَمْ يَرْضَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْكَفَافِ الَّذِي يُغْنِيهِ وَطَمَحَتْ عَيْنُهُ إِلَى مَا سِوَى ذَلِكَ ، وَلَمْ يَخْوَفْ عَاقِبَتَهَا ، كَانَ كَالذَّبَابِ الَّذِي لَا يَرْضَى بِالشَّجَرَةِ وَالرَّيَاحِينِ ، وَلَا يُقْنِعُهُ ذَلِكَ ، حَتَّى يَظْلُبَ الْمَاءَ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ أَذْنِ الْفِيلِ ، فَيَضْرِبُهُ الْفِيلُ بِأَذْانِهِ فِيهِلِكُهُ . وَمَنْ يَبْدُلُ وُدُّهُ وَنَصِيبَتْهُ لِمَنْ لَا يَسْكُرُهُ ، فَهُوَ كَمَنْ يَبْذُرُ فِي السِّبَاخِ . وَمَنْ يُشْرِزُ عَلَى الْمُعْجَبِ ، فَهُوَ كَمَنْ

(١) أَهْلَكَ وَالْمَحْنَةِ . (٢) ضرب من الرياحين . (٣) ارتفعت .

يُسَاوِرُ الْمَيْتَ أَوْ يُسَارُ الْأَصَمَّ . قَالَ دِمْنَةُ : دَعْ عَنِّكَ هَذَا
الْكَلَامَ وَاخْتَلِ لِنَفْسِكَ . قَالَ شَرَبَةُ : يَأْتِي شَيْءٌ أَخْتَالُ
لِنَفْسِي ، إِذَا أَرَادَ الْأَسَدُ أَنْكِلِي ، مَعَ مَا عَرَفْتَنِي مِنْ رَأْيِ الْأَسَدِ
وَسُوءِ أَخْلَاقِهِ ؟ وَاعْلَمُ أَنَّهُ لَوْلَمْ يُرِدْ بِي إِلَّا خَيْرًا ، ثُمَّ أَرَادَ أَصْحَابُهُ
بِمُكْرِهِمْ وَجُنُورِهِمْ هَلَّا كَيْ لَقَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ
الْمَكَرُ الظَّلْمَةُ عَلَى الْبَرِّيِّ الصَّحِيحِ ، كَانُوا خُلُقَاءَ أَنْ يُهْلِكُوهُ ،
وَإِنْ كَانُوا ضُعَفَاءَ وَهُوَ قَوِيٌّ ، كَمَا أَهْلَكَ الدِّبُّ وَالْغَرَابُ وَابْنُ
آوَى الْجَمَلَ ، حِينَ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ بِالْمَكَرِ وَالْخَدِيْعَةِ وَالْخِيَانَةِ .
قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ شَرَبَةُ : زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجْمَةٍ مُحَاوِرَةً لِطَرِيقِ
مِنْ طُرُقِ النَّاسِ ، وَكَانَ لَهُ أَصْحَابٌ ثَلَاثَةٌ : ذِئْبٌ وَغُرَابٌ
وَابْنُ آوَى ؛ وَأَنَّ رُعَاءً مَرَّوا بِذَلِكَ الطَّرِيقِ ، وَمَعْهُمْ جَمَالٌ ،
فَتَخَلَّفَ مِنْهَا بَمَلٌ ، فَدَخَلَ تِلْكَ الْأَجْمَةَ حَتَّى انتَهَى إِلَى الْأَسَدِ ،
فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : مِنْ أَنْ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : مِنْ مَوْضِعٍ كَذَا .
قَالَ : فَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ . قَالَ : تُقْيِيمُ

عِنْدَنَا فِي السَّعَةِ وَالآمِنِ وَالخُضْبِ . فَأَقَامَ الْأَسَدُ وَاجْتَمَعَ مَعَهُ زَمْنًا طَوِيلًا . ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِطَلَبِ الصَّيْدِ ، فَلَقِيَ فِيلًا عَظِيمًا ، فَقَاتَلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَأَفْلَتَ مِنْهُ مُثْقَلًا مُشْخَنًا يَا لِلْخَرَاجَ ، يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ ، وَقَدْ خَدَشَهُ الْفِيلُ يَا نِيَابِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَكَانِهِ ، وَقَعَ لَا يَسْتَطِيعُ حَرَاقًا ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى طَلَبِ الصَّيْدِ ، فَلَبِثَ الذِئْبُ وَالغُرَابُ وَابْنُ آوى أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا : لَا نَهْمَ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلَاتِ الْأَسَدِ وَطَعَامِهِ ، فَاصَابُوهُمْ جُوعٌ شَدِيدٌ وَهُنَّ أَلْأَلُ . الْأَسَدُ ذُلِكَ مِنْهُمْ ؟ فَقَالَ : لَقَدْ جُهِدْتُمْ وَاحْتَجَمْتُ إِلَى مَا تَأْكُلُونَ . فَقَالُوا : لَا تَهْمَنَا أَنفُسُنَا : لِكَنَّا نَرَى الْمَلِكَ عَلَى مَا نَرَاهُ . فَلَيَسْتَأْتِنَّا بِحِدْدَ مَا يَأْكُلُهُ وَيُصْلِحُهُ . قَالَ الْأَسَدُ : مَا أَشْكُ فِي نَصِيبَتِكُمْ ، وَلِكِنَّ اتَّشَرُوا لَعَلَّكُمْ تُصِيبُونَ صَيْدًا تَأْتُونَى بِهِ ، فَيُصِيبُنِي وَيُصِيبُكُمْ مِنْهُ رِزْقٌ . نَفَرَجَ الذِئْبُ وَالغُرَابُ وَابْنُ آوى مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ ، فَتَنَحَّوْا نَاحِيَةً ، وَتَسَاوَرُوا فِيهَا

بَيْنَهُمْ ، وَقَالُوا : مَا لَنَا وَهِذَا إِلَّا كَلَّ الْعُشِّ الَّذِي لَيْسَ شَانِهُ
 مِنْ شَانِنَا ، وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنَا ؟ أَلَا نُزِّينُ لِلْأَسَدِ فِي أُكُلِهِ
 وَيُطْعِمَنَا مِنْ لَحْمِهِ ؟ قَالَ ابْنُ آوَى : هَذَا مِمَّا لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرُهُ
 لِلْأَسَدِ : لِأَنَّهُ قَدْ أَمْنَى الْجَمَلَ ، وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ عَهْدًا .
 قَالَ الْغُرَابُ : أَنَا أَكْفِيكُمْ أَمْرَ الْأَسَدِ . ثُمَّ انْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى
 الْأَسَدِ ، فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : هَلْ أَصَبَّتَ شَيْئًا ؟ قَالَ الْغُرَابُ :
 إِنَّمَا يُصِيبُ مَنْ يَسْعَى وَيُبَصِّرُ . وَأَمَّا نَحْنُ فَلَا سَعْيَ لَنَا وَلَا
 بَصَرَ : لِمَا بَنَاهُ مِنَ الْجُنُوحِ ؛ وَلَكِنْ قَدْ وُقِقْنَا لِرَأْيِي وَاجْتَمَعْنَا
 عَلَيْهِ ؛ إِنْ وَاقْفَنَا الْمَلِكُ فَنَحْنُ لَهُ مُحِبِّونَ . قَالَ الْأَسَدُ : وَمَا
 ذَاكَ ؟ قَالَ الْغُرَابُ : هَذَا الْجَمَلُ أَكَلَ الْعُشِّ الْمُتَمَرِّغِ بَيْنَنَا
 مِنْ غَيْرِ مَنْقَعَةٍ لَنَا مِنْهُ ، وَلَا رَدِ عَائِدَةٍ ، وَلَا عَمَلٌ يُعْقِبُ
 مَضْلَاحَةً . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ ذَلِكَ غَضِبَ وَقَالَ : مَا أَخْطَأَ
 رَأْيِكَ ، وَمَا أَعْجَزَ مَقَالَكَ ، وَأَبْعَدَكَ مِنَ الْوَفَاءِ وَالرَّحْمَةِ ! وَمَا
 كُنْتَ حَقِيقًا أَنْ تَجْتَرِيَ عَلَى بِهِذِهِ الْمَقَالَةِ ، وَتَسْتَقْبِلَنِي بِهَا
 الْخَطَابِ ؛ مَعَ مَا عَلِمْتَ مِنْ أَنِّي قَدْ أَمْتَ أَكْلَ الْجَمَلَ ، وَجَعَلْتُ لَهُ

مِنْ ذِمَّتِي . أَوْ لَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقْ بِصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ أَمْنِ نَفْسًا خَائِفَةً ، وَحَقَنَ دَمًا مُهْدَرًا ؟ وَقَدْ أَمْتَهُ وَلَسْتُ بِغَادِرِيهِ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنِّي لَا عُرُوفُ مَا يَقُولُ الْمَلِكُ ، وَلِكِنَّ النَّفْسَ الْوَاحِدَةَ يُفْتَدِي بِهَا أَهْلُ الْبَيْتِ ؛ وَأَهْلُ الْبَيْتِ تُفْتَدِي بِهِمُ الْقَبِيلَةُ ؛ وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدِي بِهَا أَهْلُ الْمِصْرِ ؛ وَأَهْلُ الْمِصْرِ فِدَاءُ الْمَلِكِ . وَقَدْ نَزَّلْتُ بِالْمَلِكِ الْحَاجَةُ ، وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مُخْرَجًا ، عَلَى أَلَا يَتَكَلَّفَ الْمَلِكُ ذَلِكَ ، وَلَا يَلِيهِ بِنَفْسِهِ ، وَلَا يَأْمُرُ بِهِ أَحَدًا ؛ وَلِكِنَّا نَخْتَالُ بِحِيلَةٍ لَنَا وَلَهُ فِيهَا إِصْلَاحٌ وَظَفَرٌ . فَسَكَتَ الْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عَنْ هَذَا الْخُطَابِ . فَلَمَّا عَرَفَ الْغُرَابُ إِقْرَارَ الْأَسَدِ أَتَى أَخْحَابَهُ ، فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ كَلَمْتُ الْأَسَدَ فِي أَشْكِلَةِ الْجَمَلِ ، عَلَى أَنْ تَجْتَمِعَ تَحْنُّ وَالْجَمَلُ عِنْدَ الْأَسَدِ ، فَنَذَرْتُ كَمَا أَصَابَهُ ، وَنَتَوَجَّعَ لَهُ اهْتِمَامًا مِنِّي بِإِنْفِرِهِ ، وَحِرْصًا عَلَى صَلَاحِهِ ؛ وَيَعْرِضُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا نَفْسَهُ عَلَيْهِ تَجْمَلًا لِيَأْكُلَهُ ، فَيَرِدُ الْأَنْرَانِ عَلَيْهِ ، وَيُسْفِهَانِ رَأْيَهُ ، وَيُبَيِّنَانِ الضَّرَرَ فِي أَنْكِلَهُ . فَلَيْذَا فَعَلَنَا ذَلِكَ ، سَلَيْنَا كُلَّنَا وَرَضِيَ

الْأَسَدُ عَنَّا . فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْأَسَدِ ، فَقَالَ الْغُرَابُ :
 قَدِ احْتَجَتْ أَيْهَا الْمَلِكُ إِلَى مَا يُقُوِّيكَ ، وَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ
 أَنْفُسَنَا لَكَ : فَإِنَّا بِكَ نَعِيشُ ؛ فَإِذَا هَلَّتْ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا
 بَقَاءً بَعْدَكَ ، وَلَا لَنَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ خَيْرٍ ؛ فَلَيْاً لَكُنِّي الْمَلِكُ :
 فَقَدْ طَبَتْ بِذَلِكَ نَفْسًا . فَأَجَابَهُ الدِّئْبُ وَآبَنُ آوَى أَنْ آسَكَتْ ،
 فَلَا خَيْرٌ لِلْمَلِكِ فِي أَنْكِلَكَ ، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ . قَالَ آبَنُ آوَى
 لِكِنْ أَنَا أَشْيَعُ الْمَلِكَ ، فَلَيْاً لَكُنِّي : فَقَدْ رَضِيتْ بِذَلِكَ ،
 وَطِبَتْ عَنْهُ نَفْسًا . فَرَدَ عَلَيْهِ الدِّئْبُ وَالْغُرَابُ يُقَوِّلُهُمَا : إِنَّكَ
 لَمْ تَنْتَنِ قَدِيرٌ . قَالَ الدِّئْبُ : إِنِّي لَسْتُ كَذَلِكَ ، فَلَيْاً لَكُنِّي الْمَلِكُ ،
 فَقَدْ سَهَّلْتْ بِذَلِكَ ، وَطِبَتْ عَنْهُ نَفْسًا ، فَاعْتَرَضَهُ الْغُرَابُ وَآبَنُ
 آوَى وَقَالَا : قَدْ قَالَتِ الْأَطِيَابُ : مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ فَلَيْاً لَكُلُّ
 لَحْمَ دِئْبٍ . فَظَنَّ الْجَمَلُ أَنَّهُ إِذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَنْكِلِ ،
 التَّمَسَوا لَهُ عُذْرًا كَمَا التَّمَسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ الْأَعْذَارِ ، فَيَسْلُمُ
 وَيَرْضَى الْأَسَدُ عَنْهُ بِذَلِكَ ، وَيَنْجُو مِنَ الْمَهَالِكِ . فَقَالَ :
 لِكِنْ أَنَا فِي لِلْمَلِكِ شِبَعٌ وَرَى ؛ وَلَخِمِي طَيْبٌ هَنَّ ، وَبَطَنِي

نظيف ، فلِيأكُلنيَ الْمَلِكُ ، وَيُطْعِمَ أَصْحَابَهُ وَخَدَّمَهُ : فَقَدْ رَضِيتُ
بِذَلِكَ ، وَطَابَتْ نَفْسِي عَنْهُ ، وَسَمَحَتْ بِهِ . فَقَالَ الدَّبُّ
وَالغُرَابُ وَابْنُ آوَى : لَقَدْ صَدَقَ الْجَمَلُ وَكَرْمَ وَقَالَ مَا عُرِفَ .
ثُمَّ إِنَّهُمْ وَثَبُوا عَلَيْهِ فَهَزَقُوهُ .

وَإِنَّمَا ضَرَبَتُ لَكَ هَذَا المَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَصْحَابُ
الْأَسَدِ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى هَلَالِكِ فَإِنِّي لَسْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَمْتَنَعَ مِنْهُمْ،
وَلَا أَخْتَرِسَ؛ وَإِنْ كَانَ رَأْيُ الْأَسَدِ لِي عَلَى غَيْرِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الرَّأْيِ
فِيَّ ، فَلَا يَنْفَعُنِي ذَلِكَ ، وَلَا يُغْنِي عَنِّي شَيْئًا . وَقَدْ يُقَالُ : خَيْرُ
السَّلَاطِينِ مَنْ عَدَلَ فِي النَّاسِ . وَلَوْ أَنَّ الْأَسَدَ لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِهِ
لِي إِلَّا الْخَيْرُ وَالرَّحْمَةُ ، لَغَيْرِهِ كَثْرَةُ الْأَقْوَاعِيلِ : فَإِنَّهَا إِذَا كَثُرَتْ
لَمْ تَلْبَثْ دُونَ أَنْ تُذْهِبَ الرِّقَةَ وَالرَّافَةَ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَاءَ لَيْسَ
كَالْقَوْلِ ؟ وَأَنَّ الْحَجَرَ أَشَدُ مِنَ الْإِنْسَانِ ؟ فَالْمَاءُ إِذَا دَامَ
انْحِدَارُهُ عَلَى الْحَجَرِ لَمْ يَلْبَثْ حَتَّى يَثْقِبَهُ وَيُوْثِرْ فِيهِ . وَكَذِلِكَ
الْقَوْلُ فِي الْإِنْسَانِ . قَالَ دِمْنَةُ : فَمَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ الْآنَ ؟
قَالَ شَرْبَةُ : مَا أَرَى إِلَّا الاجْتِهَادُ وَالْمُجَاهَدَةُ بِالْقِتَالِ : فَإِنَّهُ لَيْسَ

لِلمُصْلَى فِي صَلَاتِهِ ، وَلَا لِمُتَصَدِّقِ فِي صَدَقَتِهِ ، وَلَا لِنُورِعِ
فِي وَرَعِهِ مِنَ الْأَجْرِ مَا لِلْمُجَاهِدِ عَنْ نَفْسِهِ ، إِذَا كَانَتْ مُجَاهَدَتُهُ
عَلَى الْحَقِّ . قَالَ دِمْنَةُ : لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُخَاطِرَ بِنَفْسِهِ ، وَهُوَ
يَسْتَطِيعُ غَيْرَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ ذَا الرَّأْيِ جَاعِلُ الْقِتَالِ آنِحَرَ الْخِيلِ ،
وَبَادِئُ قَبْلَ ذَلِكَ بِمَا اسْتَطَاعَ مِنْ رِفْقٍ وَمَحْلِلٍ . وَقَدْ قِيلَ :
لَا تَخْقِرَنَّ الْعَدُوَّ الْمُضَعِيفَ الْمَهِينَ ، وَلَا سِيمَا إِذَا كَانَ ذَا حِيلَةً
وَيَقْدِرُ عَلَى الْأَعْوَانِ ، فَكَيْفَ يَا أَسَدِ عَلَى بَرَاءَتِهِ وَشِدَّتِهِ؟ فَإِنَّ
مَنْ حَقَرَ عَدُوَّهُ لِضَعْفِهِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ وَكَلَ الْبَحْرِ مِنَ

(١) الطيطوي قال شتربة : وكيف كان ذلك؟

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ طَائِرًا مِنْ طُيُورِ الْبَحْرِ يُقَالُ لَهُ الطِّيطَوَى
كَانَ وَطَنَهُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، وَمَعَهُ زَوْجَةٌ لَهُ ، فَلَمَّا جَاءَ
أَوَانُ تَفْرِيخِهِمَا قَالَتِ الْأُنْثَى لِلذِّكْرِ : لَوِ التَّمَسْنَا مَكَانًا حَرِيزًا
نُفْرُخُ فِيهِ : فَلَمَّا أَخْشَى مِنْ وَكِيلِ الْبَحْرِ إِذَا مَدَ المَاءُ أَنَّ
يَزْهَبَ بِفَرَائِخَنَا . فَقَالَ لَهَا : أَفْرِنِحِي مَكَانِكِ : فَإِنَّهُ مُوَافِقُ لَنَا ؟

(١) الطيطوي : ضرب من القطا .

وَالْمَاءُ وَالزَّهْرُ مِنَا قَرِيبٌ . قَالَتْ لَهُ : يَا غَافِلُ لِيَحْسُنْ نَظَرُكَ : فَلِيَنِي أَخَافُ وَكِيلَ الْبَحْرِ أَنْ يَذْهَبَ بِفِرَاخِنَا . فَقَالَ لَهَا : أَفْرِحِي مَكَانَكِ : فَلَيْهِ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ فَقَالَتْ لَهُ : مَا أَشَدَّ تَعْنِتَكَ ! أَمَاتَذْ كُرُّ وَعِيدَهُ وَتَهَدَّهُ إِيَّاكَ ؟ أَلَا تَعْرِفُ نَفْسَكَ وَقَدْرَكَ ؟ فَأَبَى أَنْ يُطِيعَهَا . فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَسْمَعْ قَوْلَهَا ، قَالَتْ لَهُ : إِنَّ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ النَّاصِحِ يُصِيبُهُ مَا أَصَابَ السَّلَحْفَةَ حِينَ لَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الْبَطَتَيْنِ . قَالَ الذَّكْرُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَتِ الْأُنْثَى : زَعَمُوا أَنَّ غَدِيرًا كَانَ عِنْدَهُ عُشْبٌ ، وَكَانَ فِيهِ بَطَّانٌ وَكَانَ فِي الغَدِيرِ سُلَحْفَةٌ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَطَتَيْنِ مَوَدةٌ وَصَدَاقَةٌ . فَاتَّفَقَ أَنْ غِيَضَ ذَلِكَ الْمَاءُ ، بِخَاءَتِ الْبَطَّانِ لَوَدَاعَ السَّلَحْفَةِ ، وَقَالَتَا : السَّلَامُ عَلَيْكِ فَلَيْنَا ذَاهِبَتَانِ عَنْ هَذَا الْمَكَانِ لِأَجْلِ نُقْصَانِ الْمَاءِ عَنْهُ . فَقَالَتْ : إِنَّمَا يَبْيَسُ نُقْصَانُ الْمَاءِ عَلَى مِثْلِي : فَلِيَنِي كَانَى السَّفِينةُ لَا أَقْدِرُ عَلَى الْعَيْشِ إِلَّا بِالْمَاءِ . فَأَمَّا أَنْتُمَا فَتَقْدِيرَانِ عَلَى الْعَيْشِ حَيْثُ كُنْتُمَا . فَادْهَبَا بِي مَعَكُمَا .

قَالَتَا لَهَا : نَعَمْ . قَالَتْ : كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى حَمْلِي ؟ قَالَتَا :
 نَأْخُذُ بِطَرَقَ عُودٍ ، وَتَعْلَقَيْنَا بِوَسْطِهِ ، وَنَطِيرُ يَكِ في الْجَوَّ .
 وَإِيَّاكِ ، إِذَا سَمِعْتِ النَّاسَ يَتَكَلَّمُونَ ، أَنْ تَنْطِقِي . مُمْ أَخَذَتَا هَا
 فَطَارَتَا بِهَا فِي الْجَوَّ . فَقَالَ النَّاسُ : بَحْبُ : سُلْحَفَاءُ بَيْنَ
 بَطَيْنِ ، قَدْ حَمَلَتَا هَا . فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ قَالَتْ : فَقَاءُ اللَّهُ أَعْيُنُكُمْ
 أَيْهَا النَّاسُ ، فَلَمَّا فَتَحَتْ فَاهَا بِالنُّطْقِ وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ
 فَمَاتَتْ . قَالَ الذَّكْرُ : قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكِ ؛ فَلَا تَخَافِي وَكِيلَ
 الْبَحْرِ . فَلَمَّا مَدَ الْمَاءُ ذَهَبَ بِفِرَاجِهِمَا . فَقَالَتِ الْأُثْنَى :
 قَدْ عَرَفْتُ فِي بَدْءِ الْأَمْرِ أَنَّ هَذَا كَانِ . قَالَ الذَّكْرُ : سَوْفَ
 أَنْتَقِمُ مِنْهُ . ثُمَّ مَضَى إِلَى جَمَاعَةِ الطَّيْرِ فَقَالَ لَهُنَّ : إِنَّكُنَّ أَخْوَانِي
 وَثِقَاتِي : فَأَعْتَنِي . قُلْنَ : مَاذَا تُرِيدُ أَنْ نَفْعَلَ ؟ قَالَ :
 نَجْتَمِعُ وَنَذْهَبُ مَعِي إِلَى سَائِرِ الطَّيْرِ ، فَنَشْكُو إِلَيْهِنَّ مَا لَقِيتُ
 مِنْ وَكِيلِ الْبَحْرِ ؛ وَنَقُولُ لَهُنَّ : إِنَّكُنَّ طَيْرٌ مِثْلُنَا : فَأَعْتَنَا .
 فَقَالَتْ لَهُ جَمَاعَةُ الطَّيْرِ : إِنَّ الْعَنْقَاءَ هِيَ سَيِّدُنَا وَمَلِكُنَا :
 فَادْهَبْ بِنَا إِلَيْهَا حَتَّى نَصِيبَ بِهَا ، فَتَظْهَرَ لَنَا ، فَنَشْكُو إِلَيْهَا

مَا نَالَكَ مِنْ وَكِيلِ الْبَحْرِ؛ وَسَأَلَهَا أَنْ تَنْتَقِمْ لَنَا مِنْهُ بِقُوَّةِ مُلْكِهَا.
 ثُمَّ لَمَّا هَبَنَ ذَهَبَنَ إِلَيْهَا مَعَ الطِّيطَوَى، فَاسْتَغْشَتْهَا؛ وَصَخَنَ بِهَا؛
 فَتَرَاءَتْ لَهُنَّ فَأَخْبَرَنَهَا بِقِصَّتِهِنَّ؛ وَسَأَلَنَهَا أَنْ تَسِيرَ مَعَهُنَّ إِلَى
 مُحَارَبَةِ وَكِيلِ الْبَحْرِ، فَأَجَابَتْهُنَّ إِلَى ذَلِكَ. فَلَمَّا عَلِمَ وَكِيلُ
 الْبَحْرِ أَنَّ الْعَنْقَاءَ قَدْ قَصَدَتْهُ فِي جَمَاعَةِ الطَّيْرِ خَافَ مِنْ مُحَارَبَةِ
 مَلِكٍ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ. فَرَدَ فِرَاجَ الطِّيطَوَى؛ وَصَاحَلَهُ
 فَرَجَعَتِ الْعَنْقَاءُ عَنْهُ.

وَإِنَّمَا حَدَّثْتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْقِتَالَ مَعَ الْأَسَدِ
 لَا أَرَاهُ لَكَ رَأْيًا. قَالَ شَتَرَبَةُ: فَمَا أَنَا بِمُقَاتَلِ الْأَسَدِ،
 وَلَا نَاصِبُ لَهُ الْعَدَاوَةَ سِرًّا وَلَا عَلَانِيَةً وَلَا مُتَغَيِّرٌ لَهُ عَمَّا كُنْتُ
 عَلَيْهِ، حَتَّى يَبْدُو لِي مِنْهُ مَا أَخْوَفُ فَأُغَالِبُهُ. فَكَرِهَ دِمْنَةُ قَوْلَهُ،
 وَعَلِمَ أَنَّ الْأَسَدَ إِنْ كَمْ يَرِمَ مِنَ الثُّورِ الْعَلَامَاتِ الَّتِي كَانَ ذَكَرَهَا لَهُ
 آتَهُمْهُ وَأَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ. فَقَالَ دِمْنَةُ لِشَتَرَبَةَ: اذْهَبْ إِلَى الْأَسَدِ
 فَسَتَعْرِفُ حِينَ يَنْظُرُ إِلَيْكَ مَا يُرِيدُ مِنْكَ. قَالَ شَتَرَبَةُ: وَكَيْفَ
 أَعْرِفُ ذَلِكَ؟ قَالَ دِمْنَةُ: سَرَّى الْأَسَدَ حِينَ تَدْخُلُ عَلَيْهِ

مُقْعِيًّا عَلَى ذَنْبِهِ ، رَافِعًا صَدْرَهُ إِلَيْكَ ، مَادًّا بَصَرَهُ نَحْوَكَ ، قَدْ
 صَرَأَذْنَيْهِ ، وَفَغَرَ فَاهُ ، وَاسْتَوَى لِلْوَثْبَةِ . قَالَ شَرْبَةُ : إِنْ رَأَيْتُ
 هُذِهِ الْعَلَامَاتِ مِنَ الْأَسَدِ عَرَفْتُ صِدْقَكَ فِي قَوْلِكَ . ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ
 لَمَّا فَرَغَ مِنْ حَمْلِ الْأَسَدِ عَلَى الثَّورِ ، وَالثَّورِ عَلَى الْأَسَدِ تَوَجَّهَ
 إِلَى كَلِيلَةَ . فَلَمَّا أَنْتَقَيَا ، قَالَ كَلِيلَةُ : إِلَامَ انتَهَى عَمَلُكَ
 الَّذِي كُنْتَ فِيهِ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : قَرِيبٌ مِنَ الْفَرَاغِ عَلَى مَا أُحِبُّ
 وَتُحِبُّ . ثُمَّ إِنَّ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ انْطَلَقا جَمِيعًا لِيَخْضُرَا قِتَالَ
 الْأَسَدِ وَالثَّورِ ، وَيَنْظُرَا مَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا ، وَيَعَاينَا مَا يَشُولُ إِلَيْهِ
 أَمْرُهُمَا . وَجَاءَ شَرْبَةُ ، فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ ، فَرَآهُ مُقْعِيًّا كَمَا
 وَصَفَهُ لَهُ دِمْنَةُ ، فَقَالَ : مَا صَاحِبُ السُّلْطَانِ إِلَّا كَصَاحِبِ
 الْحَيَّةِ الَّتِي فِي مَيِّتِهِ وَمَقِيلِهِ ، فَلَا يَدْرِي مَنْ تَهْبِيجُ بِهِ .
 ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ نَظَرَ إِلَى الثَّورِ فَرَأَى الدُّلَالَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا لَهُ
 دِمْنَةُ : فَلَمْ يُشْكِدْ أَنَّهُ جَاءَ لِيَقْتَالَهُ . فَوَاثِبَهُ ، وَسَأَ بَيْنَهُمَا الْحَرْبُ ،
 وَأَشْتَدَّ قِتَالُ الثَّورِ وَالْأَسَدِ ، وَطَالَ ، وَسَالَتْ بَيْنَهُمَا الدَّمَاءُ .

فَلَمَّا رَأَى كَلِيلَةُ أَنَّ الْأَسَدَ قَدْ بَلَغَ مِنْهُ مَا قَدْ بَلَغَ . قَالَ لِدِمْنَةَ :

أَيُّهَا الْفَسْلُ مَا أَنْكَرَ جَهْلَتَكَ وَأَسْوَأَ عَاقِبَتَكَ فِي تَدْبِيرِكَ ! قَالَ دِمْنَةُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ كَلِيلَةُ : جُرْحُ الْأَسَدُ وَهَلْكَ الثَّورُ . وَإِنَّ أَخْرَقَ الْخُرُقَ مِنْ حَمَلَ صَاحِبَهُ عَلَى سُوءِ الْخُلُقِ وَالْمُبَارَزَةِ وَالْقِتَالِ ، وَهُوَ يَحْدُثُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ سَيِّلًا . وَإِنَّ الْعَاقِلَ يُدَبِّرُ الْأَشْيَاءَ وَيَقِيسُهَا قَبْلَ مُبَاشَرَتِهَا : فَأَرَاجَا أَنْ يَتَمَّ لَهُ مِنْهَا أَقْدَمُ عَلَيْهِ ، وَمَا خَافَ أَنْ يَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ مِنْهَا اتْحَرَفَ عَنْهُ ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ . وَإِنِّي لَأَخَافُ عَلَيْكَ عَاقِبَةَ بَغْيِكَ هَذَا : فَإِنَّكَ قَدْ أَخْسَنْتَ الْقَوْلَ وَلَمْ تُخْسِنِ الْعَمَلَ . أَيْنَ مَعَاهَدَتُكَ إِيَّايَ أَنَّكَ لَا تَضُرُّ بِالْأَسَدِ فِي تَدْبِيرِكَ ؟

وَقَدْ قِيلَ : كَلَّا خَيْرٌ فِي الْقَوْلِ إِلَّا مَعَ الْعَمَلِ ، وَلَا فِي الْفِقْهِ إِلَّا مَعَ الْوَرَعِ ، وَلَا فِي الصَّدَقَةِ إِلَّا مَعَ النِّسَيَةِ ، وَلَا فِي الْمَالِ إِلَّا مَعَ الْجُحُودِ ، وَلَا فِي الصِّدْقِ إِلَّا مَعَ الْوَفَاءِ ، وَلَا فِي الْخَيَاةِ إِلَّا مَعَ الصُّحَّةِ ، وَلَا فِي الْأَمْنِ إِلَّا مَعَ السُّرُورِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَدَبَ يُذْهِبُ عَنِ الْعَاقِلِ الطَّيْشَ ، وَيَزِيدُ الْأَحْمَقَ
طَيْشًا ، كَمَا أَنَّ النَّهَارَ يَزِيدُ كُلَّ ذِي بَصَرٍ نَظَرًا ، وَيَزِيدُ الْخُفَاشَ
سُوءَ النَّظرِ .

وَقَدْ أَذْكَرَنِي أَمْرُكَ شَيْئًا سَمِعْتُهُ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : إِنَّ السُّلْطَانَ
إِذَا كَانَ صَالِحًا ، وَوُزَّراً وَوُزَّرَاءً سُوءً ، مَنْعَوا خَيْرَهُ ، فَلَا يَقْدِرُ
أَحَدٌ أَنْ يَدْنُو مِنْهُ . وَمَثْلُهُ فِي ذَلِكَ مَثْلُ الْمَاءِ الطَّيِّبِ الَّذِي فِيهِ
الْتَّمَاسِيْحُ : لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَتَنَاهَّ ، وَإِنْ كَانَ إِلَى الْمَاءِ
مُحْتَاجًا . وَأَنْتَ يَادِمْنَةُ أَرَدْتَ إِلَى يَدْنُوكَ مِنَ الْأَسْدِ أَحَدُ سِوَالِكَ .
وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَصْحُحُ وَلَا يَتِيمُ أَبَدًا . وَذَلِكَ لِمَمْتَلِ الْمَضْرُوبِ :
إِنَّ الْبَحْرَ يَأْمُوْجِهِ ، وَالسُّلْطَانَ يَأْخْصَابِهِ . وَمِنَ الْحُكْمِ الْخِرْصُ
عَلَى التِّمَاسِ الْإِخْوَانِ بِغَيْرِ الْوَفَاءِ لَهُمْ ، وَظَلَبَ الْآنْجِرَةِ بِالرِّيَاءِ،
وَنَفْعَ النَّفْسِ يُضَرِّ الْغَيْرِ . وَمَا عِظَتِي وَتَأَدِيبِي إِيَّاكَ إِلَّا كَمَا قَالَ
الرَّجُلُ لِلْطَّائِرِ : لَا تَلْتَمِسْ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ ، وَلَا تُعَالِجْ
تَأَدِيبَ مَنْ لَا يَتَأَدِيبُ . قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْقِرَدَةِ كَانُوا سُكَانًا فِي جَبَلٍ .
فَاتَّمَسُوا فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ ذَاتِ رِياحٍ وَأَمْطَارٍ نَارًا ، فَلَمْ يَجِدُوا .
فَرَأُوا يَرَاعَةً تَطِيرُ كَانَهَا شَرَارَةً نَارٌ ، فَظَنُّوهَا نَارًا ، وَجَمَعُوا حَطَبَهُ
كَثِيرًا فَأَلْقَوْهُ عَلَيْهَا ، وَجَعَلُوا يَنْفُخُونَ طَمَعًا أَنْ يُوقِدُوا نَارًا
يَضْطَلُونَ بِهَا مِنَ الْبَرِدِ . وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ طَائِرٌ عَلَى شَجَرَةٍ ، يَنْظُرُونَ
إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ رَأَى مَا صَنَعُوا ، بَخَعَلَ يُنَادِيهِمْ وَيَقُولُ
لَا تَتَعَبُوا فَإِنَّ الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ لَيْسَ بِنَارٍ . فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ
عَزَمَ عَلَى الْقُرْبِ مِنْهُمْ لِيَنْهَا هُمْ عَمَاهُمْ فِيهِ ، فَرَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَعَرَفَ
مَا عَزَمَ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : لَا تَلْتَمِسْ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ
فَإِنَّ الْحَجَرَ الْمَانِعَ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ لَا يُجَرِبُ عَلَيْهِ السُّيُوفُ
وَالْعُودَ الَّذِي لَا يَنْخِنِي لَا يُعَمِّلُ مِنْهُ الْقَوْسُ : فَلَا تَتَعَبْ . فَأَبْدَى
الْطَائِرُ أَنْ يُطِيعَهُ ، وَتَقْدَمَ إِلَى الْقِرَدَةِ لِيُعْرِفُهُمْ أَنَّ الْيَرَاعَةَ لَيْسَتْ
بِنَارٍ . فَتَنَاوَلَهُ بَعْضُ الْقِرَدَةِ فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ قَاتَ . فَهَذَا

(١) الْيَرَاعُ : ذَبَابٌ يَطِيرُ بِاللَّيلِ كَانَهُ نَارٌ . (٢) يَسْتَدْقُونَ . (٣) الصَّدْنَدْ

مَثْلِي مَعَكَ فِي ذَلِكَ . ثُمَّ قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ الْخَبُّ وَالْفُجُورُ ، وَهُمَا خَلَّتَا سُوءً ، وَالْخَبُّ شَرُّهُمَا عَاقِبَةً . وَلِهُذَا مَثَلٌ . قَالَ دِمْنَةُ : وَمَا ذَلَكَ الْمَثَلُ ؟

قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ خَبَا وَمُغْفَلًا اشْتَرَكَا فِي تِجَارَةٍ وَسَافَرَا ، فَبَيْنَمَا هُمَا فِي الطَّرِيقِ ، إِذْ تَخَلَّفَ الْمُغْفَلُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ ، فَوَجَدَ كِيسًا فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ ، فَأَخَذَهُ ، فَأَحَسَّ بِهِ الْخَبُّ ، فَرَجَعَا إِلَى بَلَدِهِمَا ، حَتَّى إِذَا دَنَوا مِنَ الْمَدِينَةِ قَعَدَا لِاِقْتِسَامِ الْمَالِ . فَقَالَ الْمُغْفَلُ : خُذْ نِصْفَهُ وَأَعْطِنِي نِصْفَهُ ، وَكَانَ الْخَبُّ قَدْ قَرَرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ بِالْأَلْفِ جَمِيعَهُ . فَقَالَ لَهُ : لَا نَقْتِسْ ، فَإِنَّ الشَّرِكَةَ وَالْمُقاوِضَةَ أَقْرَبُ إِلَى الصَّفَاءِ وَالْمُخَالَطَةِ ، وَلِكِنْ أَخُذْ نَفَقَةً ، وَتَأْخُذْ مِثْلَهَا ، وَنَدْفِنُ الْبَاقِي فِي أَصْلِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ : فَهُوَ مَكَانٌ حَرِيزٌ . فَإِذَا احْتَاجَنَا جِثْنَا أَنَا وَأَنْتَ فَنَأْخُذُ حَاجَتَنَا مِنْهُ ، وَلَا يَعْلَمُ بِمَوْضِعِنَا أَحَدٌ . فَأَخَذَا مِنْهُ يَسِيرًا ، وَدَفَنَا

(١) الخداع . - (٢) الْخَبُّ : المفسد الخداع اللئيم .

(٢)

الباقي في أصل دوحة، ودخل البلد . ثم إن الخب خالف المغفل إلى الدنارين فأخذها، وسوى الأرض كما كانت . وجاء المغفل بعد ذلك يأشير فقال لخبت : قد احتجت إلى نفقة فانطلق بنا نأخذ حاجتنا ؛ فقام الخب معه وذهب إلى المكان خفرا ، فلم يجد شيئا . فا قبل الخب على وجهه ياطمه يقول : لا تغير بصحبة صاحب : خالفتني إلى الدنارين فأخذتها . بجعل المغفل يخلف ويلعن آخرها ولا يزداد الخب إلا شدة في اللطم . وقال : ما أخذها غيرك . وهل شعر بها أحد سواك ؟ ثم طال ذلك بينهما ، فترافقا إلى القاضي ، فاقتصر القاضي قصتهما ، فادعى الخب أن المغفل أخذها ، وبحد المغفل . فقال لخبت : ألك على دعواك بيته ؟ قال : نعم الشجرة التي كانت الدنارين عندها تشهد لي أن المغفل أخذها . وكان الخب قد أمر أباه أن يذهب فيتواري في الشجرة بحيث إذا سئلت أجاب . فذهب أبو الخب

(١) شجرة عظيمة . . (٢) قصد الدنارين مخالفاته .

فَدَخَلَ جَوْفَ الشَّجَرَةِ . ثُمَّ إِنَّ الْقَاضِيَ لَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ النَّحْبِ أَكْبَرَهُ ، وَانطَلَقَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَالنَّحْبُ وَالْمُغْفَلُ مَعَهُ ، حَتَّى
وَافَى الشَّجَرَةَ ، فَسَأَلَهَا عَنِ النَّحْبِ . فَقَالَ الشَّيْخُ مِنْ جَوْفِهَا :
نَعَمْ الْمُغْفَلُ أَخْذَهَا . فَلَمَّا سَمِعَ الْقَاضِيَ ذَلِكَ اشْتَدَّ تَعَجُّبُهُ .
فَدَعَا بِحَطَبٍ وَأَمَرَ أَنْ تُحْرَقَ الشَّجَرَةِ . فَأَضْرِمَتْ حَوْلَهَا النِّيرَانُ
فَاسْتَغَاثَ أَبُو النَّحْبِ عِنْدَ ذَلِكَ . فَأَخْرَجَ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى
الْهَلَالِكَ . فَسَأَلَهُ الْقَاضِيَ عَنِ الْقِصَّةِ فَأَخْبَرَهُ بِالنَّحْبِ ، فَأَوْقَعَ
بِالنَّحْبِ ضَرَبًا ، وَبِأَيْمَهِ صَفَعًا ، وَأَرْكَبَهُ مَشْهُورًا ، وَغَرَّمَ النَّحْبَ
الدَّنَانِيرَ ، فَأَخْذَهَا وَأَعْطَاهَا الْمُغْفَلَ .

وَإِنَّمَا ضَرَبَتْ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ النَّحْبَ وَالنَّحْدِيَّةَ رُبُّمَا
كَانَ صَاحِبُهُمَا هُوَ الْمَغْبُونَ . وَإِنَّكَ يَا دِمْنَةَ جَامِعُ النَّحْبِ وَالنَّحْدِيَّةِ
وَالْفُجُورِ . وَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ ثَمَرَةَ عَمَلِكَ ، مَعَ أَنِّكَ لَسْتَ بِنَاجٍ
مِنَ الْعُقُوبَةِ : لِأَنَّكَ ذُو لَوْنَيْنِ وَلِسَانَيْنِ . وَإِنَّمَا عُذُوبَةُ مَاءِ
الْأَنْهَارِ مَا لَمْ تَبْلُغْ إِلَى الْبِحَارِ . وَصَلَاحُ أَهْلِ الْبَيْتِ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ

(١) شَهْرٌ كَثِيرٌ أَظْهَرَ فِي شَنَّةِ .

المُفْسِدُ . وَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَشْبَهُ بِكَ مِنَ الْحَيَّةِ ذَاتِ اللِّسَانَيْنِ الَّتِي
فِيهَا السُّمُّ : فَإِنَّهُ قَدْ يَجْرِي مِنْ لِسَانِكَ كَسُ౦مِهَا . وَإِنِّي لَمْ أَزَلْ
لِذِلِّكَ السُّمُّ مِنْ لِسَانِكَ خَائِفًا ، وَلِمَا يَحْلُّ بِكَ مُتَوَقِّعًا ،
وَالْمُفْسِدُ بَيْنَ الإِخْوَانِ وَالْأَصْحَابِ كَالْحَيَّةِ يُرَبِّيْهَا الرَّجُلُ وَيُطْعِمُهَا
وَيُسْحِحُهَا وَيُكْرِمُهَا ، ثُمَّ لَا يَكُونُ لَهُ مِنْهَا غَيْرُ اللَّذْعِ . وَقَدْ
يُقَالُ : أَلْزَمَ ذَا الْعَقْلِ وَذَا الْكَرِيمَ ، وَاسْتَرْسِلَ إِلَيْهِمَا ، وَإِيَّاكَ
وَمُفَارَقَتَهُمَا ، وَأَضَحَّ الصَّاحِبَ إِذَا كَانَ عَاقِلًا كَرِيمًا أَوْ عَاقِلًا
غَيْرَ كَرِيمٍ : فَالْعَاقِلُ الْكَرِيمُ كَامِلٌ ، وَالْعَاقِلُ غَيْرُ الْكَرِيمِ أَصْبَهُ ،
وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُحْمُودٍ اِنْخَلِيقَةً ، وَاحْذَرْ مِنْ سُوءِ أَخْلَاقِهِ وَانتَفِعْ
بِعَقْلِهِ ، وَالْكَرِيمُ غَيْرُ الْعَاقِلِ ، أَلْزَمُهُ وَلَا تَدْعُ مُوَاصِلَتَهُ ، وَإِذْ
كُنْتَ لَا تَنْهَمَدُ عَقْلَهُ ، وَانتَفِعْ بِكَرِيمِهِ ، وَأَنْفَعْ بِعَقْلِكَ ؛ وَالْفِرَادُ
كُلُّ الْفِرَادِ مِنَ الْلَّئِيمِ الْأَنْحَمِيِّ . وَإِنِّي بِالْفِرَادِ مِنْكَ بَخَدِيرٍ .
وَكَيْفَ يَرْجُو إِخْوَانَكَ عِنْدَكَ كَمَا وَوْدًا وَقَدْ صَنَعْتَ بِمَلِيكِكَ
الَّذِي أَكْرَمَكَ وَشَرَفَكَ مَا صَنَعْتَ ? وَإِنَّ مَثَلَكَ مَثَلُ التَّاجِرِ الَّذِي

قَالَ : إِنَّ أَرْضًا تَأْكُلُ بِرْزَانَهَا مِائَةً مِنْ حَدِيدًا ، لَيْسَ بِمُسْتَنْكِرٍ
عَلَى بُزَّاتِهَا أَنْ تَخْتَطِفَ الْأَفْيَالَ . قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟
قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ يَأْرِضُ كَذَا تَاجِرُ ، فَارَادَ انْخُرُوجَ
إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ لِابْتِغَاءِ الرِّزْقِ ، وَكَانَ عِنْدَهُ مِائَةً مِنْ حَدِيدًا ،
فَأَوْدَعَهَا رَجُلًا مِنْ إِخْرَانِهِ ، وَذَهَبَ فِي وَجْهِهِ . ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ
ذَلِكَ بِمُدَّةٍ ؛ بِخَاءَ وَالْتَّمَسَ الْحَدِيدَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ أَكَلَتْهُ
بِرْزَانُ . فَقَالَ : قَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ لَا شَيْءَ أَقْطَعُ مِنْ أَنْيَابِهَا لِلْحَدِيدِ .
فَفَرَّحَ الرَّجُلُ بِتَصْدِيقِهِ عَلَى مَا قَالَ وَأَدَعَى . ثُمَّ إِنَّ التَّاجِرَ خَرَجَ،
فَلَقِيَ أَبْنَا لِلرَّجُلِ ، فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ
الرَّجُلُ مِنَ الْغَدِ فَقَالَ لَهُ : هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ بِأَبْنِي ؟ فَقَالَ لَهُ
التَّاجِرُ : إِنِّي لَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ بِالْأَمْسِ ، رَأَيْتُ بَازِيَا
قَدْ اخْتَطَفَ صَبِيًّا ، وَلَعَلَّهُ أَبْنُكَ . فَأَطَمَ الرَّجُلُ عَلَى رَأْسِهِ
وَقَالَ : يَا قَوْمَ هَلْ سَمِعْتُمْ أَوْ رَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُزَّاءَ تَخْطَفُ الصَّبِيَّانَ ؟
فَقَالَ : نَعَمْ . وَإِنَّ أَرْضًا تَأْكُلُ بِرْزَانَهَا مِائَةً مِنْ حَدِيدًا لَيْسَ

(١) من نوع العران مفرد بُرْزَ . (٢) المُنْ : رطلان .

بعَجَبٍ أَنْ تَخْتَطِفَ بُزُّاتُهَا الْفِيلَةَ . قَالَ لَهُ الرَّجُلُ : أَنَا أَكْلَتُ
حَدِيدَكَ وَهَذَا ثَمَنُهُ . فَارْدُدْ عَلَيَّ ابْنِي . وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ
هَذَا المَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّكَ إِذَا غَدَرْتَ بِصَاحِبِكَ فَلَا شَكَ أَنَّكَ
بِمَنْ سِوَاهُ أَغْدَرْ ؛ وَأَنَّهُ إِذَا صَاحِبَ أَحَدَ صَاحِبَيْهِ وَغَدَرَ بِمَنْ
سِوَاهُ فَقَدْ عَلِمَ صَاحِبُهُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ لِلْمَوَدَةِ مَوْضِعٌ : فَلَا شَيْءَ
أَضَيَّعُ مِنْ مَوْدَةٍ تُمْنَحُ مِنْ لَا وَفَاءَ لَهُ ، وَحِبَّاءٌ يُضْطَنَعُ عِنْدَ مَنْ
لَا شُكْرَ لَهُ ، وَأَدَبٌ يُحْمَلُ إِلَى مَنْ لَا يَتَأَدَّبُ بِهِ وَلَا يَسْمَعُهُ ،
وَسِرْ يُسْتَوْدِعُ مِنْ لَا يَحْفَظُهُ ؛ فَإِنَّ مُحْبَّةَ الْأَخْيَارِ تُورِثُ الْخَيْرَ ،
وَمُحْبَّةَ الْأَشْرَارِ تُورِثُ الشَّرَّ : كَالرَّايْحِ إِذَا مَرَّتْ بِالْطَّيْبِ حَمَلتْ
طَيْبًا ، وَإِذَا مَرَّتْ بِالْمُنْتَنِ حَمَلتْ نَنْتَنًا ، وَقَدْ طَالَ وَثَقْلَ كَلَامِيْ عَلَيْكَ .

فَانْتَهَى كِلِيلَةُ مِنْ كَلَامِهِ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ وَقَدْ فَرَغَ
الْأَسْدُ مِنَ الثَّوْرِ . ثُمَّ فَتَكَرَّ فِي قَتْلِهِ بَعْدَ أَنْ قَتَلَهُ وَذَهَبَ عَنْهُ
الْغَضَبُ . وَقَالَ : لَقَدْ بَقَعَنِي شَرَبَةٌ بِنَفْسِهِ ؛ وَقَدْ كَانَ ذَا
عَقْلٍ وَرَأْيٍ وَخُلُقٍ كَرِيمٍ ، وَلَا أَدْرِي لَعَلَهُ كَانَ بَرِيشًا أَوْ مَكْدوِبًا
عَلَيْهِ ؛ فَهَذِنَ وَنَدَمَ عَلَيَّ مَا كَانَ مِنْهُ ، وَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ؛

وَبَصَرَ بِهِ دِمْنَةُ ، فَتَرَكَ مُحَاوِرَةَ كِلِّيَّةَ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْأَسَدِ
فَقَالَ لَهُ : لِيَهِنِتَكَ الظَّفَرُ إِذْ أَهْلَكَ اللَّهُ أَعْدَاءَكَ . فَذَا
يُخْزِنُكَ أَيْهَا الْمَلِكُ ؟ قَالَ : أَنَا حَزِينٌ عَلَى عَقْلِ شَرْبَةَ وَرَأْيِهِ
وَأَدَبِهِ ؟ قَالَ لَهُ دِمْنَةُ : لَا تَرْحِمْهُ أَيْهَا الْمَلِكُ : فَإِنَّ الْعَاقِلَ
لَا يَرْحِمُ مَنْ يَخَافُهُ . وَإِنَّ الرَّجُلَ الْخَازِمَ رُبَّمَا أَبْغَضَ الرَّجُلَ
وَكَرِهَهُ ، ثُمَّ قَرَبَهُ وَادْنَاهُ : لِمَا يَعْلَمُ عِنْدَهُ مِنَ الْغَنَاءِ وَالْكِفَائِيةِ ،
فِعْلَ الرَّجُلِ الْمُتَكَارِهِ عَلَى الدَّوَاءِ الشَّنِيعِ رَجَاءً مَنْفَعَتِهِ . وَرُبَّمَا
أَحَبَ الرَّجُلَ ، وَعَنَّ عَلَيْهِ ، فَاقْصَاهُ وَاهْلَكَهُ ، مَخَافَةً ضَرَرِهِ ؛
كَالَّذِي تَلَدَّغَهُ الْحَيَّةُ فِي إِصْبَاعِهِ فَيَقْطَعُهَا ، وَيَتَبرَأُ مِنْهَا مَخَافَةً أَنْ
يَسْرِي سُمَّهَا إِلَى بَدَنِهِ . فَرَضَى الْأَسَدُ بِتَوْلِ دِمْنَةَ . ثُمَّ عَلِمَ بَعْدَ
ذَلِكَ بِكَذِبِهِ وَغَذَرِهِ وَبُخُورِهِ فَقَتَلَهُ شَرَّ قَتْلَةٍ (انتهى باب الأسد والثور)

بَابُ الْفَحْصِ عَنْ أَمْرِ دِمْنَةَ

قَالَ دَبْشِلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفِيلِسُوفِ : قَدْ حَدَّثَنِي عَنِ الْوَاسِي
الْمَاهِرِ الْمُخْتَالِ ، كَيْفَ يُفْسِدُ بِالْمِقِيمَةِ الْمُوَدَّةَ التَّابِتَةَ بَيْنَ الْمُتَحَايِنِ .
فَهَذِهِ حِينَئِذٍ بِمَا كَانَ مِنْ حَالِ دِمْنَةَ وَمَا آلَ أَمْرُهُ إِلَيْهِ بَعْدَ
قَتْلِ شَتَرَبَةَ ، وَمَا كَانَ مِنْ مَعَادِيرِهِ عِنْدَ الْأَسَدِ وَأَصْحَابِهِ حِينَ
رَاجَعَ الْأَسَدُ رَأْيَهُ فِي الثَّورِ ، وَتَحَقَّقَ الْمِقِيمَةُ مِنْ دِمْنَةَ ، وَمَا كَانَتْ
جِتَّهُ الَّتِي اخْتَرَجَ بِهَا ؛ قَالَ الْفِيلِسُوفُ : أَنَا وَجَدْتُ فِي حَدِيثِ
دِمْنَةَ أَنَّ الْأَسَدَ حِينَ قَتَلَ شَتَرَبَةَ نَدِمَ عَلَى قَتْلِهِ ، وَذَكَرَ قَدِيمًا
صُخْبَتِهِ وَجِسْمَ خَدْمَتِهِ ، وَأَنَّهُ كَانَ أَنْكَرَ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ . وَأَخْصَصُوهُمْ
مَنْزِلَةً لَدِيهِ ، وَاقْرَبُوهُمْ وَأَدْنَاهُمْ إِلَيْهِ ؛ وَكَانَ يُوَاصِلُ لَهُ الْمَشُورَةَ
دُونَ خَوَاصِهِ . وَكَانَ مِنْ أَخْصِ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ بَعْدَ الثَّورِ التَّمِيرِ .
فَاتَّفَقَ أَنَّهُ أَمْسَى التَّمِيرُ ذَاتَ لَيْلَةَ عِنْدَ الْأَسَدِ ، نَفَرَّجَ مِنْ عِنْدِهِ
جَوْفَ الْلَّيْلِ يُرِيدُ مَنْزِلَهُ ، فَاجْتَازَ عَلَى مَنْزِلِ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ .
فَلَمَّا اتَّهَى إِلَى الْبَابِ ، سَمِعَ كَلِيلَةَ يُعَايِبُ دِمْنَةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ،

وَيَلُومُهُ عَلَى النَّمِيمَةِ وَاسْتِغَاْلَهَا ؛ خُصُوصًا مَعَ الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ فِي حَقِّ الْخَاصَّةِ . وَعَرَفَ النَّمِيرُ عِصْيَانَ دِمْنَةَ وَتَرَكَ الْقَبُولَ لَهُ .

فَوَقَفَ يَسْتَمِعُ مَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا فَكَانَ فِيمَا قَالَ كَلِيلَةُ لِدِمْنَةِ : لَقَدْ أَرَتَكُبْتَ مَرْبَكًا صَعْبًا ، وَدَخَلْتَ مَذْخَلًا ضَيْقًا ، وَجَنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ جِنَاحَةً مُوْيِقةً ، وَعَاقَبْتَهَا وَخِيمَةً ، وَسَوْفَ يَكُونُ مَصْرَعُكَ شَدِيدًا ، إِذَا أَنْكَثَشَ لِلْأَسْدِ أَمْرُكَ ، وَاطَّلَعَ عَلَيْهِ ، وَعَرَفَ غَدَرَكَ وَمِحَاْلَكَ ، وَبَقِيَتْ لَا نَاصِرَ لَكَ ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْكَ الْهَوَانُ وَالْقَتْلُ ، مَخَافَةً شَرُكَ ، وَجَدَرًا مِنْ غَوَائِلَكَ ، فَلَسْتُ بِمُتَّخِذِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ خَلِيلًا ، وَلَا مُفْسِشٌ إِلَيْكَ سِرًا ، لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ قَالُوا : تَبَاعِدُ عَمَّنْ لَا رَغْبَةَ فِيهِ . وَأَنَا جَدِيرٌ بِمُبَاْعَدَتِكَ ، وَالْتِمَاسِ الْخَلاصِ لِي مِمَّا وَقَعَ فِي نَفْسِ الْأَسْدِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ .

فَلَمَّا سَمِعَ النَّمِيرُ هَذَا مِنْ كَلَامِهِمَا قَفَلَ رَاجِعًا ، فَدَخَلَ عَلَى أَمِّ الْأَسْدِ ، فَأَخَذَ عَلَيْهَا الْعُهُودَ وَالْمَوَاثِيقَ أَنَّهَا لَا تُفْسِي مَا يُسِرُّ إِلَيْهَا ، فَعَاهَدَتْهُ عَلَى ذَلِكَ فَأَخْبَرَهَا بِمَا سَمِعَ مِنْ كَلَامِ

كليلة ودمنة . فلما أصبحت دخلت على الأسد، فوجده كثيباً حزيناً مهوماً : لما ورد عليه من قتل شتربة . فقالت له : ما هذا الهم الذي قد أخذ منك ، وغلب عليك ؟ قال : يحزنني قتل شتربة ؛ إذ تذكرت صحبته ومواظبته على خدمتي ، وما كنت أسمع من نصيحته ، وأسكن إليه من مشاورته ، وأقبل من مناصحته . قالت أم الأسد : إن أشد ما شهد أمر وقع على نفسه ، وهذا خطأ عظيم ؛ كيف أقدمت على قتل الثور بلا علم ولا يقين ؟ ولولا ما قالت العلماء في إذاعة الأسرار ، وما فيها من الأئم والشمار^(١) ، لذكرت لك وأخبرتك بما علمت . قال الأسد : إن أقوال العلماء لها وجوه كثيرة ، ومعانٍ مختلفة . وإني لا أعلم صواب ما تقولين : وإن كان عندك رأى فلا تطويه عنّي ؛ وإن كان قد أسر إليك أحد سراً فأخبريني به ، وأطلعيني عليه ، وعلى جملة الأمر . فأخبرته بجميع ما ألقاه إليها النمر من غير أن تخبره بساميه . وقالت :

(١) الشمار : أقبح العيب والعار .

لَئِنْ لَمْ أَجْهَلْ قَوْلَ الْعُلَمَاءِ فِي تَعْظِيمِ الْعُقُوبَةِ وَتَشْدِيدِهَا ،
 وَمَا يَدْخُلُ عَلَى الرَّجُلِ مِنَ الْعَارِ فِي إِذَا عَرَفَ الْأَسْرَارِ ، وَلَكِنِي
 أَحْبَبْتُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِمَا فِيهِ الْمَصْلَحةُ لَكَ ، وَإِنْ وَصَلَ خَطْوَهُ
 وَضَرَرَهُ إِلَى الْعَامَّةِ فَإِنْصَارُهُمْ عَلَى خِيَانَةِ الْمَلِكِ مِمَّا لَا يَدْفعُ
 الشَّرَّ عَنْهُمْ ، وَبِهِ يَتَحَجَّ السُّفَهَاءُ ، وَيَسْتَخْسِنُونَ مَا يَكُونُ مِنْ
 أَعْمَالِهِمُ الْقَيِّحَةِ . وَأَشَدَّ مَعَارِفِهِمْ إِقْدَامُهُمْ عَلَى ذِي الْحَزْمِ .
 فَلَمَّا قَضَتْ أُمُّ الْأَسَدِ هَذَا الْكَلَامَ ، اسْتَدَعَ أَخْبَابَهُ وَجُنْدَهُ
 فَأَدْخَلُوا عَلَيْهِ . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُؤْتَ بِدِمْنَةَ . فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ
 الْأَسَدِ ، وَرَأَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْحُزْنِ وَالْكَآبَةِ ، أَلْتَفَتَ إِلَى بَعْضِ
 الْحَاضِرِينَ فَقَالَ : مَا الَّذِي حَدَثَ ؟ وَمَا الَّذِي أَخْرَنَ الْمَلِكَ ؟
 فَالْتَّفَتَتْ أُمُّ الْأَسَدِ إِلَيْهِ وَقَالَتْ : قَدْ أَخْرَنَ الْمَلِكَ بِقَاتُوكَ وَلَوْ
 طَرْفَةَ عَيْنٍ ؛ وَلَنْ يَدَعَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ حَيَا ! قَالَ دِمْنَةُ : مَا تَرَكَ
 الْأَوَّلُ لِلآخرِ شَيْئاً : لَأَنَّهُ يُقَالُ : أَشَدُ النَّاسِ فِي تَوْقِي الشَّرِّ ،
 يُصِيبُهُ الشَّرُّ قَبْلَ الْمُسْتَسِلمِ لَهُ . فَلَا يَكُونَ الْمَلِكُ وَخَاصَّتُهُ
 بِالْمُسْكِنِ

(١) المعاشر : جمع معارة وهي الإثم والخيانة والأذى .

وَجَنُودُهُ الْمُشَلَّ السُّوءَ ؛ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ قِيلَ : مَنْ صَحَبَ
الْأَشْرَارَ ، وَهُوَ يَعْلَمُ حَالَهُمْ ، كَانَ أَذَاءُهُ مِنْ نَفْسِهِ : وَلَذِكْرُ
اِنْقَطَعَتِ النُّسُكُ بِإِنْفُسِهَا عَنِ الْخَلْقِ ، وَاخْتَارَتِ الْوِحْدَةَ
عَلَى الْمُخَالَطَةِ ، وَحُبُّ الْعَمَلِ لِلَّهِ عَلَى حُبِّ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا .
وَمَنْ يَجِزِي بِالْخَيْرِ خَيْرًا وَبِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا إِلَّا اللَّهُ ؟ وَمَنْ
طَلَبَ الْحَزَاءَ عَلَى الْخَيْرِ مِنَ النَّاسِ ، كَانَ حَقِيقًا أَنْ يَحْظَى
بِالْخِرْمَانِ ؛ إِذْ يُخْطِنُ الصَّوَابَ فِي خُلُوصِ الْعَمَلِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى
وَطَلَبَ الْحَزَاءَ مِنَ النَّاسِ . وَإِنَّ أَحَقَّ مَا رَغَبَتْ فِيهِ رَعْيَةُ
الْمَلِكِ هُوَ مَحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ وَمَوَاقِعُ الصَّوَابِ وَجَمِيلُ السَّيِّرِ ،
وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : مَنْ صَدَقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُكَذَّبَ . وَكَذَبَ
مَا يَنْبَغِي أَنْ يُصَدَّقَ ، نَحَرَّجَ مِنْ مَصَافِقِ الْعُقَلَاءِ ، وَكَانَ جَدِيرًا
بِالْإِزْدِرَاءِ . فَيَنْبَغِي أَلَا يُعَجِّلَ الْمَلِكُ فِي أَمْرِي بِسُبْهَةِ زُبُورٍ . وَلَسْتُ
أَقُولُ هَذَا كَرَاهَةً لِلْمَوْتِ : فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ كَرِيمًا ، لَامْتَجِي مِنْهُ .
وَكُلُّ حَيٍّ هَاكُ . وَلَوْ كَانَتْ لِي مِائَةُ نَفْسٍ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ هَوَى الْمَلِكِ
فِي إِثْلَافِهِنَّ ، لَطَبَتْ لَهُ بِذِكْرِ نَفْسًا . فَقَالَ بَعْضُ الْجُنُدِ :

لَمْ يَنْطِقْ بِهَذَا لِحْيَهُ الْمَلَكَ ، وَلَكِنْ بِخَلَاصِ نَفْسِهِ ، وَالْتِمَاسِ
الْعُذْرِ لَهَا . فَقَالَ لَهُ دِمْنَهُ : وَيْلَكَ ! وَهَلْ عَلَىَّ فِي الْتِمَاسِ الْعُذْرِ
لِنَفْسِي عَيْبٌ ؟ وَهَلْ أَحَدٌ أَقْرَبٌ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ نَفْسِهِ ؟
وَإِذَا لَمْ يَلْتَمِسْ لَهَا الْعُذْرَ ، فَلِمَنْ يَلْتَمِسُهُ ؟ لَقَدْ ظَهَرَ مِنْكَ
مَا لَمْ تَكُنْ تَهْلِكُ كِتْمَانَهُ مِنَ الْخَسِدِ وَالْبَغْضَاءِ ، وَلَقَدْ عَرَفَ
مَنْ سَمِعَ مِنْكَ ذَلِكَ أَنَّكَ لَا تُحِبُّ لِأَحَدٍ خَيْرًا ، وَأَنَّكَ عَدُوٌّ
نَفْسِكَ ، فَهَنْ سِوَاهَا بِالْأُولَى . فِيْلَكَ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَعَ
الْبَهَائِيمِ ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْمَلِكِ ، وَأَنْ يَكُونَ بِبَابِهِ .
فَلَمَّا أَجَابَهُ دِمْنَهُ بِذَلِكَ ، نَرَجَ مُكْتَبِيْا حَزِينًا مُسْتَحِيْا . فَقَالَتْ
أُمُّ الْأَسَدِ لِدِمْنَهُ : لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْكَ ، أَيُّهَا الْمُهْتَالُ ، فِي قِلَّةِ
حَيَايَاتِكَ ، وَكَثْرَةِ وَقَاحَتِكَ ، وَسُرْعَةِ جَوَابِكَ لِمَنْ كَلَمَكَ . قَالَ
دِمْنَهُ : لَا أَنَّكَ تَنْظُرِينَ إِلَى بَعْيَنِي وَاحِدَةَ ، وَتَسْمَعِينَ مِنِّي
بِإِذْنِ وَاحِدَةٍ ، مَعَ أَنَّ شَقاوَةَ جَدِيْ قدْ زَوَّتْ عَنِّي كُلَّ شَيْءٍ ،
حَتَّى لَقَدْ سَعَوا إِلَى الْمَلِكِ بِالنِّيمَةِ عَلَىَّ ، وَلَقَدْ صَارَ مَنْ بِبَابِ

الْمَلِكِ لَا سُتُّخَافُهُمْ بِهِ ، وَطُولُ كَرَامَتِهِ إِيَّاهُمْ ، وَمَا هُمْ فِيهِ مِنْ
الْعِيشِ وَالنَّعْمَةِ ، لَا يَدْرُونَ فِي أَىْ وَقْتٍ يَتَبَغِي لَهُمُ الْكَلَامُ ،
وَلَا مَتَى يَحِبُّ عَلَيْهِمُ السُّكُوتُ . قَالَتْ : أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا
الشَّقِّ ، مَعَ عَظَمِ ذَنْبِهِ ، كَيْفَ يَجْعَلُ نَفْسَهُ بَرِيئًا كَمَنْ
لَا ذَنْبَ لَهُ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ غَيْرَ أَعْمَالِهِمْ لَيَسُوا
عَلَى شَيْءٍ ؛ كَالَّذِي يَضَعُ الرَّمَادَ مَوْضِعًا يَتَبَغِي أَنْ يَضَعَ فِيهِ
الرَّمَلُ ؛ وَيَسْتَعْمِلُ فِيهِ السُّرْجِينَ^(١) ، وَالرَّجُلُ الَّذِي يَلْبِسُ
لِبَاسَ الْمَرْأَةِ ، وَالْمَرْأَةُ الَّتِي تَلْبِسُ لِبَاسَ الرَّجُلِ ، وَالضَّيْفُ الَّذِي
يَقُولُ : أَنَا رَبُّ الْبَيْتِ ، وَالَّذِي يَنْطِقُ بَيْنَ الْجَمَاعَةِ بِمَا لَا يُسَأَ
عَنْهُ . وَإِنَّمَا الشَّقِّ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْأُمُورَ وَلَا أَخْوَالَ النَّاسِ
وَلَا يَقْدِرُ عَلَى دَفعِ الشَّرِّ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ . قَالَتْ
أُمُّ الْأَسَدِ : أَتَظُنُّ أَيْهَا الْغَادِرُ الْمُحْتَالُ يَقُولُكَ هَذَا أَنْكَ تَخْدَعُ
الْمَلِكَ ، وَلَا يَسْجُنُكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : الْغَادِرُ الَّذِي لَا يَأْمُنُ
عَدُوَّهُ مَكْرَهًا ، وَإِذَا اسْتَمْكَنَ مِنْ عَدُوِّهِ قَتَلَهُ عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ .

(١) السرجين بكسر أوله : الزبل .

قَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ : أَيُّهَا الْغَادِرُ الْكَذُوبُ ، أَتَظُنُّ أَنَّكَ نَاجَ
 مِنْ عَاقِبَةِ كَذِبِكَ ؟ وَأَنَّ مَحَالَكَ هَذَا يَنْفَعُكَ مَعَ عِظَمِ جُرمِكَ ؟
 قَالَ دِمْنَةُ : الْكَذُوبُ الَّذِي يَقُولُ مَا لَمْ يَكُنْ ، وَيَأْتِي بِمَا
 لَمْ يُقْلَ وَلَمْ يُفْعَلْ ، وَكَلَامِي وَاضْعُفُ مُبِينٌ . قَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ :
 الْعُلَمَاءُ مِنْكُمْ هُمُ الَّذِينَ يُوَضِّحُونَ أَمْرَهُ يَفْصِلُ الْخِطَابَ .
 هُمْ نَهَضَتْ نَفْرَجَتْ . فَدَفَعَ الْأَسَدُ دِمْنَةً إِلَى الْقَاضِي ، فَأَمْرَأَ
 الْقَاضِي بِحَسِبِهِ ، فَأَلْقَى فِي عَنْقِهِ حَبْلًا ، وَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى السُّجْنِ .
 فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ أَخْبَرَ كَاتِلَةَ أَنَّ دِمْنَةَ فِي الْخَبِيسِ . فَأَتَاهُ
 مُسْتَخْفِيًّا ، فَلَمَّا رَأَهُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ صِيقِ الْقِيُودِ ، وَحَرَجَ
 الْمَكَانِ ، بَكَى ، وَقَالَ لَهُ : مَا وَصَلْتَ إِلَى مَا وَصَلْتَ إِلَيْهِ إِلَّا
 لَا سَتَعَا لَكَ الْخَدِيْعَةَ وَالْمُكْرَرُ ، وَإِضْرَابِكَ عَنِ الْعِظَةِ ، وَلَكِنْ لَمْ
 يَكُنْ لِي بَدْ فِيهَا مَضَى مِنْ إِنْذَارِكَ وَالنَّصِيحَةِ لَكَ وَالْمُسَارَعَةِ إِلَيْكَ
 فِي خُلوِصِ الرَّغْبَةِ فِيهِ : فَإِنَّهُ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ ، وَلِكُلِّ مَوْضِعٍ
 بَجَائِلٌ . وَلَوْ كُنْتُ قَصَرْتُ فِي عِظَتِكَ حِينَ كُنْتَ فِي عَافِيَةٍ ،
 لَكُنْتُ الْيَوْمَ شَرِيكَ فِي ذَنِيْكَ ، غَيْرَ أَنَّ الْعُجْبَ دَخَلَ مِنْكَ

مَذْخَلًا قَهَرَ رَأِيكَ ، وَغَلَبَ عَلَى عَقْلِكَ ، وَكُنْتُ أَضْرِبُ لَكَ
الْأَمْثَالَ كَثِيرًا ، وَأَذْكُرُكَ قَوْلَ الْعُلَمَاءِ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : إِنَّ
الْمُخْتَالَ يَكُونُ قَبْلَ أَجْلِهِ . قَالَ دَمْنَةُ : قَدْ عَرَفْتُ صِدْقَ
مَقَالَتِكَ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : لَا تَجْزَعْ مِنَ الْعَذَابِ إِذَا وَقَفْتَ
مِنْكَ عَلَى خَطِيئَةٍ ، وَلَا إِنْ تُعَذَّبَ فِي الدُّنْيَا يُجْرِمُكَ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ
تُعَذَّبَ فِي الْآخِرَةِ بِجَهَنَّمَ مَعَ الْأَنْثَمِ . قَالَ كَلِيلَةُ : قَدْ فَهَمْتُ
كَلَامَكَ ، وَلَكِنَّ ذَنْبَكَ عَظِيمٌ ، وَعَقَابَ الْأَسَدِ شَدِيدٌ الْيَمِّ .
وَكَانَ يُقْرِبُهُمَا فِي السِّجْنِ فَهُدِّيَ مُعْتَقِلٌ يَسْمَعُ كَلَامَهُمَا ، وَلَا
يَرَيَانِيهِ ، فَعَرَفَ مُعَايَةَ كَلِيلَةَ لِدِمْنَةَ عَلَى سُوءِ فَعْلِيهِ ، وَمَا كَانَ
مِنْهُ ، وَإِنَّ دِمْنَةَ مُقْرَرٌ بِسُوءِ عَمَلِهِ ، وَعَظِيمٌ ذَنْبُهُ ، حَفِظَ الْمُحَاوَرَةَ
بَيْنَهُمَا ، وَكَتَمَهَا لِيَشْهَدَ بِهَا إِنْ سُئَلَ عَنْهَا . ثُمَّ إِنَّ كَلِيلَةَ أَنْصَرَفَ
إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَدَخَلَتْ أُمُّ الْأَسَدِ حِينَ أَصْبَحَتْ عَلَى الْأَسَدِ ،
وَقَالَتْ لَهُ : يَا سَيِّدَ الْوُحُوشِ ، حُوشتَ أَنْ تَنسَى مَا قُلْتَ
بِالْأَمْسِ ؛ وَإِنَّكَ أَمْرَتَ بِهِ لِوقْتِهِ ، وَأَرْضَيْتَ بِهِ رَبَّ الْعِبَادِ .

وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ: لَا يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَتَوَانَّ فِي الْجُنْدِ لِلتَّقْوَى؛
 بَلْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُدَافِعَ عَنْ ذَنْبِ الْأَئْمَمِ. فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ
 كَلَامَ أُمِّهِ، أَمَرَ أَنْ يَخْضُرَ النَّمَرَ، وَهُوَ صَاحِبُ الْقَضَاءِ. فَلَمَّا
 حَضَرَ قَالَ لَهُ وَلِجَوَاسِ الْعَادِلِ: آجِلْسَا فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ،
 وَنَادِيَا فِي الْجُنْدِ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ أَنْ يَخْضُرُوا وَيَنْتَظِرُوا فِي حَالِ
 دِمْنَةَ، وَيَجْتَهُوا عَنْ شَانِيهِ، وَيَفْحَصُوهُمْ عَنْ ذَنْبِهِ، وَيَشْتَهِيَا
 قَوْلَهُ وَعُذْرَهُ فِي كُتُبِ الْقَضَاءِ، وَأَرْفَعَا إِلَى ذَلِكَ يَوْمًا فَيَوْمًا.
 فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ النَّمَرُ وَالْجَوَاسُ الْعَادِلُ وَكَانَ هَذَا الْجَوَاسُ عَمَّ
 الْأَسَدِ، قَالَا: سَمِعَا وَطَاعَةً لِـأَمْرِ الْمَلِكِ. وَنَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ،
 فَعَمِلاً بِمُقْتَضَى مَا أَمَرَهُمَا بِهِ، حَتَّى إِذَا مَضَى مِنْ الْيَوْمِ الَّذِي
 جَلَسُوا فِيهِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ، أَمَرَ الْقَاضِي أَنْ يُوَقَّي بِدِمْنَةَ،
 فَأَتَيَ بِهِ، فَأَوْقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَابْحَمَمَاعَةً حُضُورٌ. فَلَمَّا
 اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَكَانُ نَادَى سَيِّدُ الْجَمْعِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَيُّهَا الْجَمْعُ.
 إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سَيِّدَ السِّبَاعِ لَمْ يَزَلْ مُنْذُ قُتْلَ شَرْبَةَ خَائِرٍ^(١)

النفس ، كثیراً لهم والحزن ، يرى أنه قد قتل شريرة بغير ذنب ؟ وأنه أخذه بکذب دمنة ونمیمه . وهذا القاضی قد أمر أن يجلس مجلس القضاء ، ويبحث عن شأن دمنة . فهن علم منكم شيئاً في أمر دمنة من خیر أو شر ، فلیقُل ذلك ، ولیتكلم به على روی الحجّع والأشہاد ، ليکون القضاء في أمره بحسب ذلك ، فإذا استوجب القتل فالثبت في أمره أولى ، والعجلة من الهوى ، ومتابعة الأصحاب على الباطل ذل . فعندها قال القاضی : أيها الحجّع أسمعوا قول سیدكم ، ولا تكتموا ما عرفتم من أمره ، وأحدروا في الستر عليه ثلاثة خصال : أحدهن ، وهي أفضلهن ، إلا تزدروا فعله ، ولا تغدوه يسيراً : فهن أعظم الخطایا قتل البريء الذي لاذب له بالکذب ونمیمة ؛ ومن علم من أمر هذا الكذاب الذي أتهم البريء بکذبه ونمیمه شيئاً ، فستر عليه فهو شريك في الإثم والعقوبة . والثانية إذا اعترف المذنب بذنبه ، كان أسلم له ، وأحرى بالملك وجنته أن يغفو عنه ويصفحوا . والثالثة ترك مراعاة أهل الدم

وَالْفُجُورِ ، وَقَطْعُ أَسْبَابِ مُوَاصَلَاتِهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ عَنِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، فَنَنَّ عَلَمَ مِنْ أَمْرِ هَذَا الْمُخْتَالِ شَيْئًا ، فَلَنِيَتَكَلَّمُ بِهِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ مِنْ حَضَرَ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ حُجَّةً عَلَيْهِ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ مَنْ كَتَمَ شَهَادَةَ مَيِّتٍ ، أُلْحَمَ بِلِعَاجِمٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَلَيَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا عَلِمَ . فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ الْجَمْعُ كَلَامَهُ ، أَمْسَكُوا عَنِ الْقَوْلِ . فَقَالَ دِمْنَةُ : مَا يُسْكِنُكُمْ بِتَكَلَّمُوا بِمَا عَلِمْتُمْ ؟ وَأَعْلَمُوا أَنَّ لِكُلِّ كَلِمَةٍ جَوَابًا . وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ : مَنْ يَشَهِّدُ بِمَا لَمْ يَرَ ، وَيَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ ، أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الطَّيِّبَ الَّذِي قَالَ لِمَا لَا يَعْلَمُهُ : إِنِّي أَعْلَمُهُ . قَالَتِ الْجَمَاعَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْمُدُنِ طَيِّبٌ لَهُ رِفْقٌ وَعِلْمٌ ، وَكَانَ ذَا فِطْنَةٍ فِيهَا يَجْرِي عَلَى يَدِيهِ مِنَ الْمُعَابَحَاتِ ، فَكَبِيرٌ ذَلِكَ الطَّيِّبُ وَضَعُفَ بَصَرُهُ . وَكَانَ لِكِلَّكَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ آبَنَةً قَدْ زَوَّجَهَا لِابْنِ أَخِيهِ لَهُ ، فَعَرَضَ لَهَا مَا يَعْرِضُ لِلْحَوَامِلِ مِنْ

الأَوْجَاعُ . بِفَيْءَ بِهَذَا الطَّيِّبِ ، فَلَمَّا حَضَرَ ، سَأَلَ الْخَارِيَّةَ
 عَنْ وَجْعِهَا وَمَا تَحِدُّ ، فَأَخْبَرَتْهُ ، فَعَرَفَ دَاءَهَا وَدَوَاءَهَا ، وَقَالَ :
 لَوْ كُنْتُ أَبِصِّرُ ، بَحَمَّتُ الْأَخْلَاطَ عَلَى مَعْرِفَتِي بِأَجْنَاسِهَا ، وَلَا
 أَثِقُ فِي ذَلِكَ بِأَحَدٍ غَيْرِي . وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ رَجُلٌ سَفِيهٌ ،
 قَبْلَهُ الْخَبَرُ ، فَأَتَاهُمْ وَادْعَى عِلْمَ الطِّبِّ ، وَأَعْلَمُهُمْ أَنَّهُ خَيْرٌ
 بِمَعْرِفَةِ الْأَخْلَاطِ الْأَدُوِّيَّةِ وَالْعَقَاقِيرِ ، عَارِفٌ بِطَبَائِعِ الْأَدُوِّيَّةِ
 الْمُرَكَّبَةِ وَالْمُفَرَّدَةِ ، فَأَمَرَهُ الْمَلِكُ أَنْ يَدْخُلْ حِزَانَةَ الْأَدُوِّيَّةِ فَيَأْخُذَ
 مِنْ الْأَخْلَاطِ الدَّوَاءَ حَاجَتَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ السَّفِيهُ حِزَانَةَ ،
 وَعَرِضَتْ عَلَيْهِ الْأَدُوِّيَّةُ ، وَلَا يَدْرِي مَا هِيَ ، وَلَا لَهُ بِهَا
 مَعْرِفَةٌ ، أَخَذَ فِي جُمْلَةٍ مَا أَخَذَ مِنْهَا صُرَّةً فِيهَا سُمٌّ قَاتِلٌ لِوقْتِهِ ،
 وَخَلَطَهُ فِي الْأَدُوِّيَّةِ ، وَلَا عِلْمَ لَهُ بِهِ ، وَلَا مَعْرِفَةٌ عِنْدَهُ بِخَيْسِهِ .
 فَلَمَّا أَتَمَّتْ الْأَخْلَاطَ الْأَدُوِّيَّةَ ، سَقَى الْخَارِيَّةَ مِنْهُ ، فَمَاتَتْ لِوقْتِهَا .
 فَلَمَّا أَعْرَفَ الْمَلِكُ ذَلِكَ ، دَعَا بِالسَّفِيهِ ، فَسَقَاهُ مِنْ ذَلِكَ الدَّوَاءِ ،
 فَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ . وَإِنَّمَا ضَرَبَتْ لَكُمْ هَذَا المَثَلَ لِتَعْلَمُوا

ما يَدْخُلُ عَلَى الْقَاعِلِ وَالْعَالِمِ مِنَ الزَّلَةِ بِالشَّهَيْهَةِ فِي الْخُرُوجِ
عَنِ الْحَدِّ؛ فَنَّ خَرَجَ مِنْكُمْ عَنْ حَدِّهِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ ذَلِكَ
الْجَاهِلَ، وَنَفْسُهُ الْمُلَوَّمَةُ. وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ: رُبَّمَا جُزِيَ
الْمُتَكَلِّمُ بِقَوْلِهِ. وَالْكَلَامُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ: فَانظُرُوا لِأَنفُسِكُمْ.

فَتَكَلَّمُ سَيِّدُ الْخَنَازِيرِ، لِإِذْلَالِهِ وَتَهْبِهِ بِمَنْزِلَتِهِ عِنْدَ الْأَسَدِ؛
فَقَالَ: يَا هَلَ الشَّرَفِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، آتُمُّهُمْ مَقَاتِلِيِّ، وَعُوَا
بِأَخْلَامِكُمْ كَلَامِيِّ، فَالْعُلَمَاءُ قَالُوا فِي شَأنِ الصَّالِحِينَ: إِنَّهُمْ يَعْرُفُونَ
بِسِيَاهِمْ؛ وَأَنْتُمْ، مَعَاشِرَ ذُوِّ الْإِقْتِدَارِ، بِخَيْرٍ صُنْعَ اللَّهِ لَكُمْ،
وَمَمَّا نِعْمَتِهِ لَدَيْكُمْ، تَعْرِفُونَ الصَّالِحِينَ بِسِيَاهِمْ وَصُورِهِمْ؛
وَتَحْبِرُونَ الشَّئْءَ الْكَبِيرَ بِالشَّئْءِ الصَّغِيرِ؛ وَهَا هُنَا أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ
تَدْلُلُ عَلَى هَذَا الشَّقِيقَ دَمْنَةً، وَتَحْبِرُ عَنْ شَرِهِ؛ فَأَطْلُبُوهَا عَلَى
ظَاهِرِ جَسْمِهِ: لِتَسْتَيْقِنُوا وَتَسْكُنُوا إِلَى ذَلِكَ. قَالَ الْقَاضِي
لِسَيِّدِ الْخَنَازِيرِ: قَدْ عَلِمْتُ، وَعَلِمَ الْجَمَاعَةُ الْخَاضِرُونَ، أَنَّكَ
عَارِفٌ بِمَا فِي الصُّورِ مِنْ عَلَامَاتِ السُّوءِ؛ فَقَسَرَ لَنَا مَا تَقُولُ،
وَأَطْلَعْنَا عَلَى مَاتَرَى فِي صُورَةِ هَذَا الشَّقِيقِ. فَأَخَذَ سَيِّدُ الْخَنَازِيرِ

يَذْمُم دِمْنَةً، وَقَالَ : إِنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ كَتَبُوا وَأَخْبَرُوا : أَنَّهُ مَنْ كَانَتْ
عَيْنِهِ الْيُسْرَى أَصْغَرَ مِنْ عَيْنِهِ الْيُمْنَى وَهِيَ لَا تَزَالُ تَخْتَلِجُ ،
وَكَانَ أَنْفُهُ مَائِلًا إِلَى جَنْبِهِ الْأَمْنَى ، فَهُوَ شَقِيقٌ خَيْثٌ . قَالَ لَهُ
دِمْنَةُ : شَائُنكَ بَحَبُّ ، أَيْهَا الْقَدْرُ ، ذُو الْعَلَامَاتِ الْفَاضِحةِ
الْقَيْحَةِ ، ثُمَّ الْعَجَبُ مِنْ جَرَاءَتِكَ عَلَى طَعَامِ الْمَلِكِ ، وَقِيَامِكَ
بَيْنَ يَدَيْهِ ، مَعَ مَا يَحْسِنُكَ مِنَ الْقَدَرِ وَالْقُبْحِ ، وَمَعَ مَا تَعْرِفُهُ أَنْتَ
وَيَعْرِفُهُ غَيْرُكَ مِنْ عُيُوبِ نَفْسِكَ ؟ أَفَتَكَلِمُ فِي النَّقْيِ الْجِسْمِ الَّذِي
لَا عَيْبٌ فِيهِ ؟ وَلَسْتُ أَنَا وَحْدِي أَطْلِعُ عَلَى عَيْنِكَ ، لَكِنْ
جَمِيعَ مَنْ حَضَرَ قَدْ عَرَفَ ذَلِكَ . وَقَدْ كَانَ يَحْجُزُنِي عَنْ
إِظْهَارِهِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الصَّدَاقَةِ . فَأَمَّا إِذْ قَدْ كَذَبْتَ عَلَى
وَبَهْتَنِي فِي وَجْهِي ، وَقُنْتَ بِعَدَاؤِي ، فَقُلْتَ مَا قُلْتَ فِي بِغَيْرِ
عِلْمٍ عَلَى رُؤُوسِ الْخَاضِرِينَ ، فَلَيْلَى أَقْتَصِرُ عَلَى إِظْهَارِ مَا أَعْرِفُ
مِنْ عُيُوبِكَ ، وَتَعْرِفُ الْجَمَاعَةُ ؛ وَحَقٌّ عَلَى مَنْ عَرَفَكَ حَقًّا
مَعْرِفَتِكَ أَنْ يَمْنَعَ الْمَلِكَ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ إِيَّاكَ عَلَى طَعَامِهِ ؛ فَلَوْ

كُلِّفَتْ أَنْ تَعْمَلَ الزِّرَاعَةَ لَكُنْتَ جَدِيرًا بِالْخِذْلَانِ فِيهَا .
 فَالْأَخْرَى يَكْ أَلَا تَدْنُو إِلَى عَمَلٍ مِنَ الْأَغْمَالِ ، وَأَلَا تَكُونَ
 دَبَاغًا وَلَا جَحَامًا لِعَامِي فَضْلًا عَنْ خَاصِّ خِدْمَةِ الْمَلِكِ . قَالَ
 سَيِّدُ الْخَنَازِيرِ : أَتَقُولُ لِي هَذِهِ الْمَقَالَةَ ، وَتَلْقَانِي بِهَذَا الْمَلْقَى ؟
 قَالَ دِمْنَةُ ؛ نَعَمْ ، وَحَقًا قُلْتُ فِيكَ ، وَإِيَّاكَ أَعْنِي ، أَيْهَا
 الْأَعْرَجُ الْمَكْسُورُ الْأَفْدَعُ الرِّجْلُ ، الْمَنْفُوخُ الْبَطْنُ ، الْأَفْلَحُ
 الشَّفَتَيْنِ ، السَّيِّئُ الْمَنْظَرُ وَالْمَخْبَرُ . فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ دِمْنَةُ ،
 تَغَيَّرَ وَجْهُ سَيِّدِ الْخَنَازِيرِ وَاسْتَعْبَرَ وَاسْتَحْسَى ، وَتَلَجَّلَجَ لِسَانُهُ ،
 وَأَسْتَكَانَ وَفَتَرَ نَشَاطُهُ . فَقَالَ دِمْنَةُ ، حِينَ رَأَى اِنْكِسَارَهُ
 وَبُكَاءَهُ : إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَطُولَ بُكَاؤَكَ ، إِذَا اطَّلَعَ الْمَلِكُ
 عَلَى قَدْرِكَ وَعُيُوبِكَ فَعَزَّلَكَ عَنْ طَعَامِهِ ، وَحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ
 خِدْمَتِهِ ، وَابْعَدَكَ عَنْ حَضْرَتِهِ . ثُمَّ إِنَّ شَغَبَرًا كَانَ الْأَسَدُ قَدْ جَرَبَهُ
 فَوَجَدَ فِيهِ أَمَانَةً وَصِدْقًا ، فَرَتَبَهُ فِي خِدْمَتِهِ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَحْفَظَ
 مَا يَجْرِيَ بَيْنَهُمْ ، وَيُطْلِعَهُ عَلَى ذَلِكَ . فَقَامَ الشَّغَبَرُ فَدَخَلَ

(١) الأعوج . (٢) المتفوق . (٣) جرت عبرته وحزنه . (٤) ذل .

عَلَى الْأَسَدِ فَقَدَّهُ بِالْحَدِيثِ كُلَّهُ عَلَى جَلِيلِهِ . فَأَمَرَ الْأَسَدَ
بِعَزْلِ سَيِّدِ الْخَنَازِيرِ عَنْ عَمَلِهِ ، وَأَمَرَ أَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَرَى
وَجْهَهُ ، وَأَمَرَ بِدِمْنَةَ أَنْ يُسْجَنَ ، وَقَدْ مَضَى مِنَ النَّهَارِ
أَكْثَرُهُ ، وَجَمِيعُ مَا جَرَى وَقَالُوا وَقَالَ قَدْ كُتِبَ وَخُتمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ
النَّمِرِ ؛ وَرَجَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ .

ثُمَّ إِنَّ شَغِيرًا (ابن آوى) يُقَالُ لَهُ رَوْزَبَةُ ، كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
كَلِيلَةَ إِخَاءً وَمَوْدَةً ؛ وَكَانَ عِنْدَ الْأَسَدِ وَجِيهًا ، وَعَلَيْهِ كَرِيمًا ،
وَاتَّفَقَ أَنَّ كَلِيلَةَ أَخْذَهُ الْوَجْدُ إِشْفَاقًا وَحَذَرًا عَلَى نَفْسِهِ وَأَخِيهِ،
فَرَرِضَ وَمَاتَ ؛ فَانْطَلَقَ هُذَا الشَّغِيرُ إِلَى دِمْنَةَ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَوْتِ
كَلِيلَةَ فَبَكَ وَحَزَنَ ؛ وَقَالَ : مَا أَصْنَعُ بِالثَّنِيَا بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْأَخِ
الصَّفِيفِ ! وَلِكِنْ أَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى حِيثُ لَمْ يَمْتُ كَلِيلَةً حَتَّى أَبْقَى
لِي مِنْ ذَوِي قَرَابَتِي أَخًا مِثْلَكَ : فَلَيْلَى قَدْ وَثِقْتُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ
تَعَالَى وَإِخْسَانِهِ إِلَيَّ فِيهَا رَأَيْتُ مِنْ اهْتِمَامِكَ بِي وَمُرَاعَاتِكَ لِي ،
وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ رَجَائِي وَرَجْنِي فِيهَا أَنَا فِيهِ ؛ فَأَرِيدُ مِنْ إِنْعَامِكَ
أَنْ تَنْتَلِقَ إِلَى مَكَانِكَذَا ، فَتَنْظَرَ إِلَى مَا جَمَعْتَهُ أَنَا وَأَخِي بِحِيلَتِنَا

وَسَعِينَا وَمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَتَأْتِينِي بِهِ ؛ فَفَعَلَ الشَّغَبُ مَا أَمْرَهُ بِهِ دِمْنَةُ . فَلَمَّا وَضَعَ الْمَالَ بَيْنَ يَدِهِ أَعْطَاهُ شَطْرَهُ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ عَلَى الدُّخُولِ وَالْخُروْجِ عَلَى الْأَسَدِ أَقْدَرُ مِنْ غَيْرِكَ ، فَتَفَرَّغَ لِشَأْنِي ، وَأَصْرَفَ آهْتِمَامَكَ إِلَيَّ ؛ وَأَسْمَعَ مَا أُذْكُرُ بِهِ عِنْدَ الْأَسَدِ ، إِذَا رُفِعَ إِلَيْهِ مَا يَجْرِي بَيْنِي وَبَيْنَ الْخُصُومِ ؛ وَمَا يَبْدُو مِنْ أُمَّ الْأَسَدِ فِي حَقِّي ، وَمَا تَرَى مِنْ مَتَابِعَةِ الْأَسَدِ لَهَا ، وَمُخَالَفَتِيهِ إِيَّاهَا فِي أَمْرِي ؛ وَاحْفَظْ ذَلِكَ كُلُّهُ . فَأَخْذَ الشَّغَبُ مَا أَعْطَاهُ دِمْنَةُ وَانْصَرَفَ عَنْهُ عَلَى هَذَا الْعَهْدِ . فَانْطَلَقَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَوَضَعَ الْمَالَ فِيهِ . ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ بَكَرَ مِنَ الْغَدِ بِخَلَاسَ ، حَتَّى إِذَا مَضَى مِنَ النَّهَارِ سَاعَتَانِ ، اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ أَخْحَابَهُ ، فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَوَضَعُوا الْكِتابَ بَيْنَ يَدِهِ . فَلَمَّا عَرَفَ قَوْلَهُمْ وَقَوْلَ دِمْنَةَ دَعَا أَمْهُ فَقَرَا عَلَيْهَا ذَلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَتْ مَا فِي الْكِتابِ نَادَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا : إِنَّ أَنَا أَغْلَظَتُ فِي الْقَوْلِ فَلَا تَلْهُنِي : فَإِنَّكَ لَسْتَ تَعْرِفُ ضُرُكَ مِنْ نَفْعِكَ . أَلِيسْ هَذَا مِمَّا كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ سَمَاعِهِ : لِأَنَّهُ كَلَامُ هَذَا الْجَرِيمِ الْمُسِيءِ إِلَيْنَا ،

الغادر بذمتنا؟ ثم إنها خرجت مغضبةً، وذلك يعين الشغب
 الذي آخاه دمنة وبسمعه. فخرج في أثرها مسرعاً، حتى أتى
 دمنة، فحدثه بالحديث. فبيئما هو عنده إذ جاء رسول،
 فأنطاب بدمنة إلى الجموع عند القاضي. فلما مثل بين يدي
 القاضي استفتح سيد المجلس فقال: يا دمنة، قد أتاني بخبرك
 الأمين الصادق، وليس ينبغي لنا أن نشخص عن شأنك
 أكثر من هذا: لأن العلماء قالوا: إن الله تعالى جعل الدنيا
 سبباً ومصداقاً للأخرة: لأنها دارُ الرُّسُلِ والأنبياء الدالين
 على الخير، الهادين إلى الحسنة، الداعين إلى معرفة الله تعالى.
 وقد ثبت شأنك عندنا، وأخبرنا عنك من وثقنا بقوله،
 إلا أن سيدنا أمرنا بالعود في أمرك والشخص عن شأنك،
 وإن كان عندنا ظاهراً بينا. قال دمنة: أراك أية القاضي
 لم تتعود العدل في القضاء، وليس في عدل الملوك دفع
 المظلومين ومن لا ذنب له إلى قاض غير عادل؛ بل المخاصمة
 عنهم والذود. فكيف ترى أن أقتل ولم أخاصم؟ وتعجل ذلك

موافقةً لِهِوَكَ ، وَلَمْ تَنْضِبْ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ . وَلَكِنْ صَدَقَ
 الَّذِي قَالَ : إِنَّ الَّذِي تَعُودُ عَمَلَ الْبَرِّ هِيَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ ، وَإِنَّ أَضَرَّ بِهِ
 قَالَ القاضِي : إِنَّا نَحْدُفُ فِي كُتُبِ الْأَوَّلِينَ : أَنَّ الْقَاضِيَ يَنْبَغِي لَهُ
 أَنْ يَعْرِفَ عَمَلَ الْمُحْسِنِ وَالْمُسِيءِ ، لِيُجَازِيَ الْمُحْسِنَ بِإِلْحَسَانِهِ
 وَالْمُسِيءَ بِإِسَاعَتِهِ ؛ فَإِذَا ذَهَبَ إِلَى هَذَا آزْدَادَ الْمُحْسِنُونَ حِرْصًا
 عَلَى الْإِحْسَانِ ، وَالْمُسِيءُونَ اجْتَنَبُوا لِلذُّنُوبِ . وَالرَّأْيُ لَكَ ،
 يَا دِمْنَةُ ، أَنْ تَنْظُرَ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ ، وَتَعْتَرِفَ بِذَنِبِكَ ،
 وَتُقْرِبَ بِهِ ، وَتَتُوبَ . فَأَجَابَهُ دِمْنَةُ : إِنَّ صَالِحِي الْقُضَايَا
 لَا يَقْطَعُونَ بِالظَّنِّ ، وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ ، لَا فِي الْخَاصَّةِ وَلَا فِي
 الْعَامَّةِ : لِعِلْمِهِمْ أَنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا . وَأَنْتُمْ إِنْ
 طَنَّتُمْ أَنِّي مُجْرِمٌ فِيمَا فَعَلتُ ، فَإِنِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْكُمْ ؛ وَعِلْمِي
 بِنَفْسِي يَقِينٌ لَا شَكَّ فِيهِ ؛ وَعِلْمُكُمْ بِغَایَةِ الشَّكِّ ؛ وَإِنِّي قَبَحَ
 أَمْرِي عِنْدَكُمْ أَنِّي سَعَيْتُ بِغَيْرِي ، فَمَا عُذْرِي عِنْدَكُمْ إِذَا سَعَيْتُ
 بِنَفْسِي كَادِبًا عَلَيْهَا ، فَأَسْلَمْتُهَا لِلْقَتْلِ وَالْعَطَبِ ، عَلَى مَعْرِفَةِ مِنْهُ

بِبَرَاءَتِي وَسَلَامَتِي مِمَّا قُرِفْتُ بِهِ ؟ وَنَفْسِي أَعْظَمُ الْأَنْفُسِ عَلَى
حُرْمَةٍ وَأَوْجَبَهَا حَقًّا . فَلَوْ فَعَلْتُ هَذَا يَأْصَابُكُمْ وَادْنَاكُمْ ، لَمَّا
وَسِعَنِي فِي دِينِي ، وَلَا حَسْنَ بِي فِي مُرْوَةِنِي ، وَلَا حَقَّ لِي أَنْ
أَفْعَلَهُ ، فَكَيْفَ أَفْعَلُهُ بِنَفْسِي ؟ فَأَكْفُفُ أَيْهَا الْقَاضِي عَنْ هَذِهِ
الْمَقَالَةِ : فَإِنَّهَا إِنْ كَانَتْ مِنْكَ نَصِيحةً ، فَقَدْ أَخْطَأْتَ
مَوْضِعَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ خَدِيعَةً ، فَإِنَّ أَقْبَحَ الْخِدَاعَ مَا نَظَرَتْهُ
وَعَرَفَتْ أَنَّهُ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ، مَعَ أَنَّ الْخِدَاعَ وَالْمُكَرَّرَ لَيْسَا مِنْ أَعْمَالِ
صَالِحِي الْقُضَايَا ، وَلَا تُقَاتِلُهُ الْوُلَاةِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ قَوْلَكَ مِمَّا يَتَّخِذُهُ الْجُهَّالُ وَالْأَشْرَارُ سُنَّةٌ يَقْتَدِونَ بِهَا :
لِأَنَّ أُمُورَ الْقَضَاءِ يَأْخُذُ بِصَوَابِهَا أَهْلُ الصَّوَابِ ، وَيَخْطُطُهَا أَهْلُ
الْخَطَايَا وَالْبَاطِلِ وَالْقَلِيلُ الْوَرَعُ ، وَأَنَا خَائِفٌ عَلَيْكَ أَيْهَا الْقَاضِي
مِنْ مَقَالَتِكَ هَذِهِ أَعْظَمَ الرَّزَايَا وَالْبَلَاءِيَا ، وَلَيْسَ مِنَ الْبَلَاءِ
وَالْمُصِيبَةِ أَنَّكَ لَمْ تَرَزَّلْ فِي نَفْسِ الْمَلِكِ وَالْحُكْمِ وَالْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ
فَاضِلاً فِي رَأْيِكَ ، مُقْنِعًا فِي عَذْلِكَ ، مَرْضِيًّا فِي حُكْمِكَ وَعَفَافِكَ
وَفَضْلِكَ ، وَإِنَّمَا الْبَلَاءَ كَيْفَ أُسِيَّتَ ذَلِكَ فِي أَمْرِي .

فَلَمَّا سَمِعَ القاضِي ذَلِكَ مِنْ لَفْظِ دِمْنَةَ ، نَهَضَ فَرَفِعَهُ إِلَى
 الْأَسْدِ عَلَى وَجْهِهِ فَنَظَرَ فِيهِ الْأَسْدُ ، ثُمَّ دَعَا أَمَهُ فَعَرَضَهُ عَلَيْهَا .
 فَقَالَتْ حِينَ تَدْبَرَتْ كَلَامَ دِمْنَةَ لِلْأَسْدِ : لَقَدْ صَارَ اهْتِمَامِي بِمَا
 أَتَخَوَّفُ مِنَ الْحَتِيَالِ دِمْنَةَ لَكَ بِمَكْرِهِ وَدَهَانِهِ حَتَّى يَقْتُلُكَ أَوْ
 يُفْسِدَ عَلَيْكَ أَمْرَكَ ، أَعْظَمَ مِنَ اهْتِمَامِي بِمَا سَلَفَ مِنْ ذَنِي
 إِلَيْكَ فِي الْغِشِ وَالسَّعَاهِ ، حَتَّى قَتَلْتَ صَدِيقَكَ بِغَيْرِ ذَنبِ
 فَوَقَعَ قَوْلُهَا فِي نَفْسِهِ . فَقَالَ لَهَا : أَخْبِرِنِي عَنِ الدِّي أَخْبَرَكِ
 عَنْ دِمْنَةِ بِمَا أَخْبَرَكِ ، فَيَكُونُ حُجَّةً لِي فِي قَتْلِي دِمْنَةَ . فَقَالَتْ :
 إِنِّي لَا شَكَرُهُ أَنْ أَفْشِي سِرَّ مِنْ أَسْتَكْتَمِنِيهِ ؛ فَلَا يَهْتَنِي سُرُورِي
 يُقْتَلُ دِمْنَةَ إِذَا تَذَكَّرْتُ إِنِّي اسْتَظْهَرْتُ عَلَيْهِ بِرُؤُوبِ مَا نَهَتْ
 عَنْهُ الْعُلَمَاءِ مِنْ كَشْفِ السُّرُّ ، وَلَكِنِي أَطَالِبُ الدِّي اسْتَوْدَعَنِيهِ
 أَنْ يَجْعَلَنِي فِي حَلَّ مِنْ ذِكْرِهِ لَكَ ؛ وَيَقُولُ هُوَ يَعْلَمُهُ وَمَا سَمِعَ
 مِنْهُ . ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ ، وَأَرْسَلَتْ إِلَى النَّمِيرِ ، وَذَكَرَتْ لَهُ مَا يَحْقِ
 عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ مُعَاوِنَتِهِ الْأَسْدَ عَلَى الْحَقِّ ، وَإِخْرَاجِ نَفْسِهِ مِنَ
 الشَّهَادَةِ الَّتِي لَا يَكْتُمُهَا مِثْلُهُ ، مَعَ مَا يَحْقِقُ عَلَيْهِ مِنْ نَصْرِ الْمَظْلُومِينَ ،

وَتَثْبِيتُ حُجَّةِ الْحَقِّ فِي الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ : فَإِنَّهُ قَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ :
 مَنْ كَتَمَ حُجَّةً مَيِّتٍ أَخْطَأَ حُجَّتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَلَمَّا تَرَزَّلَ يَهُ ، حَتَّى
 قَامَ فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ ، فَشَهِدَ عِنْدَهُ بِمَا سَمِعَ مِنْ إِقْرَارِ دِمْنَةَ .
 فَلَمَّا شَهِدَ النَّمْرُ بِذَلِكَ ، أَرْسَلَ النَّفَهُدُ الْمَحْبُوسُ الَّذِي سَمِعَ إِقْرَارَ
 دِمْنَةَ وَحَفِظَهُ إِلَى الْأَسَدِ فَقَالَ : إِنَّ عِنْدِي شَهادَةً . فَأَخْرَجَهُ .
 فَشَهِدَ عَلَى دِمْنَةَ بِمَا سَمِعَ مِنْ إِقْرَارِهِ . فَقَالَ لَهُمَا الْأَسَدُ :
 مَا مَنَعَكُمَا أَنْ تَقْوِمَا بِشَهادَتِكُمَا ؟ وَقَدْ عَلِمْتُمَا أَمْرَنَا وَأَهْتَمَّا مَنَعَ
 بِالْفَحْصِ عَنْ أَمْرِ دِمْنَةَ ، فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : قَدْ عَلِمْنَا
 أَنَّ شَهادَةَ الْوَاحِدِ لَا تُوجِبُ حُكْمًا فَكَرِهْنَا التَّعَرُضَ لِغَيْرِ مَا يَمْهُنِي
 بِهِ الْحُكْمُ ؛ حَتَّى إِذَا شَهِدَ أَحَدُنَا قَامَ الْآخَرُ بِشَهادَتِهِ ، فَقَبِيلَ
 الْأَسَدُ قَوْلَهُمَا . وَأَمْرَ بِدِمْنَةَ أَنْ يُقْتَلَ فِي حَبْسِهِ : فُقْتِلَ أَشْعَنَّ
 قِتْلَةً . فَنَّ نَظَرٌ فِي هَذَا فَلَيَعْلَمَ أَنَّ مَنْ أَرَادَ مَنْفَعَةً نَفْسِهِ
 بِضُرِّ غَيْرِهِ بِالْخَلَابَةِ وَالْمَكْرِ ، فَإِنَّهُ سَيُجْرَى عَلَى خِلَابَتِهِ وَمَكْرِهِ .
 (انقضى باب الفحص عن أمر دمنة)

الله

بَابُ الْحَمَامَةِ الْمُطَوَّقَةِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا، الْفَιلِسُوفُ : قَدْ سَمِعْتُ مَثَلَ الْمُتَحَاَبِينَ كَيْفَ قَطَعَ بَيْنَهُمَا الْكَذُوبُ ، وَإِلَى مَاذَا صَارَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ . فَقَدِّشِي ، إِنْ رَأَيْتَ ، عَنْ إِخْرَانِ الصَّفَاءِ كَيْفَ يَبْتَدَا تَوَاصُّهُمْ وَيَسْتَمْتَعُ بَعْضُهُمْ بِيَعْضٍ ؟ قَالَ الْفَιلِسُوفُ : إِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَعْدِلُ بِالْإِخْرَانِ شَيْئًا . فَالْإِخْرَانُ هُمُ الْأَعْوَانُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ ، وَالْمُؤَسُونُ عِنْدَ مَا يَنْوِبُ مِنَ الْمَكْرُوهِ . وَمِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ مَثَلُ الْحَمَامَةِ الْمُطَوَّقَةِ وَالْجُرَذِ الْظَّبِيِّ وَالْغُرَابِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ يَأْرِضُ سَكَاؤَنْدِجِينَ ، عِنْدَ مَدِينَةِ دَاهَرَ ، مَكَانٌ كَثِيرُ الصَّيْدِ ، يَنْتَابُهُ الصَّيَادُونَ ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ شَجَرَةً كَثِيرَةً الْأَغْصَانِ مُلْتَفَةً الْوَرَقِ . فِيهَا وَحْكُمُ غُرَابٍ . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ سَاقِطٌ فِي وَكِرِهٖ إِذَا بَصَرَ بِصَيَادٍ قَبِيعَ الْمُنْتَظَرِ ،

سَيِّءُ الْحَقِّ ، عَلَى عَاتِقِهِ شَبَكَةٌ ، وَفِي يَدِهِ عَصَماً ، مُقْبِلاً تَحْوَرُ
لشَّجَرَةٍ ؛ فَذَعَرَ مِنْهُ الْغُرَابُ ؛ وَقَالَ : لَقَدْ سَاقَ هَذَا الرَّجُلَ
إِلَى هَذَا الْمَكَانِ : إِمَّا حَيْنِي وَإِمَّا حَيْنُ غَيْرِي . فَلَأَثْبَتَنَّ مَكَانِي
حَتَّى أَنْظُرَ مَاذَا يَصْنَعُ . ثُمَّ إِنَّ الصَّيَادَ نَصَبَ شَبَكَتَهُ ، وَنَثَرَ
عَلَيْهَا الْحَبَّ ، وَكَمْ قَرِيبًا مِنْهَا ؛ فَلَمْ يَأْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا ، حَتَّى
مَرَّتْ بِهِ حَامَةٌ يَقَالُ لَهَا الْمُطْوَقَةُ ، وَكَانَتْ سَيْدَةَ الْحَكَامِ ،
وَمَعَهَا حَامٌ كَثِيرٌ ، فَعَمِيتْ هِيَ وَصَوَاحِبُهَا عَنِ الشَّرَكِ ، فَوَقَعَنَ
عَلَى الْحَبَّ يَلْتَقِطُنَّهُ ، فَعَلِقُنَّ فِي الشَّبَكَةِ كُلُّهُنَّ ؛ وَأَقْبَلَ الصَّيَادُ
فَرِحًا مَسْرُورًا . بَخَلَقَتْ كُلُّ حَامَةٍ تَضْطَرِبُ فِي حَبَائِلِهَا ،
وَتَلْتَمِسُ الْخَلَاصَ لِنَفْسِهَا . قَالَتِ الْمُطْوَقَةُ : لَا تَخَادَنْ
فِي الْمُعَابَلَةِ ، وَلَا تَكُونْ نَفْسُ إِحْدَى كُنَّ أَهْمَّ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِ
صَاحِبِهَا ؛ وَلِكِنْ نَتَعَاوَنُ بِجَمِيعِنَا بِعِزَّةِ مُدْعَاهِنَا فَنَقْلَعُ الشَّبَكَةَ ، فَيَنْجُو
بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ؛ فَقَلَعَنَ الشَّبَكَةَ جَمِيعُهُنَّ بِتَعَاوِينِهِنَّ ، وَعَلَوْنَ
فِي الْجَوَّ ؛ وَلَمْ يَقْطَعْ الصَّيَادُ رَجَاءَهُ مِنْهُنَّ وَظَنَّ أَنْهُنَّ لَا يُجَاوِزُنَّ

(١) خاف . (٢) توارى . (٣) لا تترك مساعدة بعضك ببعض .

إلا قريباً ويقعنَ . فَقَالَ الْغُرَابُ : لَا تَبْعَهُنَّ وَانظُرْ مَا يَكُونُ مِنْهُنَّ . فَالْتَّفَتَتِ الْمُطْوَقَةُ فَرَأَتِ الصَّيَادَ يَتَبَعَّهُنَّ . فَقَالَتِ الْحَمَامُ : هَذَا الصَّيَادُ مُجَدٌ فِي طَلَبِكُنَّ ؛ فَإِنْ تَخْنُ أَخْدَنَا فِي النَّفَضَاءِ لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَبَعَّنَا ؛ وَإِنْ تَخْنُ تَوْجَهَنَا إِلَى الْعُمَرَانِ خَفِي عَلَيْهِ أَمْرُنَا ، وَانْصَرَفَ . وَبِمَكَانٍ كَذَا جُرْدٌ هُوَ لِي أَخٌ ؛ فَلَوْ انتَهَيْنَا إِلَيْهِ قَطَعَ عَنَّا هَذَا الشَّرَكَ . فَفَعَلَنَّ ذَلِكَ . وَأَيْسَ الصَّيَادُ مِنْهُنَّ وَانْصَرَفَ . وَتَبَعَّهُنَّ الْغُرَابُ . فَلَمَّا انتَهَتِ الْحَمَامَةُ الْمُطْوَقَةُ إِلَى الْجُرْدِ ، أَمْرَتِ الْحَمَامَ أَنْ يَسْقُطْنَ ، فَوَقَعْنَ ؛ وَكَانَ لِلْجُرْدِ مِائَةُ بُحْرٍ لِلْمَخَاوِفِ ؛ فَنَادَتِهِ الْمُطْوَقَةُ يَا نَمِيْهِ ، وَكَانَ آسُمُهُ زِيرَكَ ، فَأَجَابَهَا الْجُرْدُ مِنْ بُحْرِهِ : مَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَنَا خَلِيلُكَ الْمُطْوَقَةُ . فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا الْجُرْدُ يَسْعِيْ ، فَقَالَ لَهَا : مَا أَوْقَعَكِ فِي هَذِهِ الْوَرَطَةِ ؟ قَالَتْ لَهُ : أَلْمَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرَشِيِّ ؛ إِلَّا وَهُوَ مُقْدَرٌ عَلَى مَنْ تُصِيبُهُ الْمَقَادِيرُ ، وَهِيَ الَّتِي أَوْقَعَتِنِي فِي هَذِهِ الْوَرَطَةِ ؛ فَقَدْ لَا يَمْتَنِعُ

لَهُنْ
 مِنَ الْقَدْرِ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي وَأَعْظَمُ أَمْرًا، وَقَدْ تَنَكَسَفَ الشَّمْسُ
 وَالْقَمَرُ إِذَا قُضِيَ ذَلِكَ عَلَيْهِمَا . ثُمَّ إِنَّ الْجُرْذَ أَخَذَ فِي قَرِضٍ
 الْعَقْدَ الَّذِي فِيهِ الْمُطْوَقَةُ . فَقَالَتْ لَهُ الْمُطْوَقَةُ : آبَدًا يَقْطَعُ
 عَقْدَ سَائِرِ الْحَمَامِ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَقْبَلَ عَلَى عَقْدِي ؛ وَأَعَادَتْ
 ذَلِكَ عَلَيْهِ مِرَارًا ، وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى قَوْلِهَا ، فَلَمَّا أَكْثَرَتْ
 عَلَيْهِ الْقَوْلَ وَكَرَّتْ ، قَالَ لَهَا : لَقَدْ كَرِزْتِ الْقَوْلَ عَلَى
 كَانِكِ لَيْسَ لَكِ فِي نَفْسِكِ حَاجَةٌ ، وَلَا لَكِ عَلَيْهَا شَفَقَةٌ ،
 وَلَا تَرَعَيْنَ لَهَا حَقًّا . قَالَتْ : إِنِّي أَخَافُ ، إِنْ أَنْتَ بَدَأْتَ
 يَقْطَعُ عَقْدِي أَنْ تَمَلَّ وَتَنْكِسَلَ عَنْ قَطْعِ مَا يَقِيَ ، وَعَرَفْتُ أَنَّكَ
 إِنْ بَدَأْتَ بِهِنْ قَبْلِي ، وَكُنْتُ أَنَا الْأَخِيرَةَ ، لَمْ تَرَضْ ، وَإِنْ أَدْرَكَ
 الْفُتُورُ ، أَنْ أَبْقَيَ فِي الشَّرِكِ ، قَالَ الْجُرْذُ : هَذَا مِمَّا يَزِيدُ الرَّغْبَةَ
 وَالْمَوَدَّةَ فِيهِ . ثُمَّ إِنَّ الْجُرْذَ أَخَذَ فِي قَرِضِ الشَّبَكَةِ حَتَّى فَرَغَ
 مِنْهَا ، فَانْطَلَقَتِ الْمُطْوَقَةُ وَحَمَّامُهَا مَعَهَا .

فَلَمَّا رَأَى الْغُرَابُ صُنْعَ الْجُرْذِ ، رَغَبَ فِي مُصَادَقَتِهِ ، بَخَاءَ
 وَنَادَاهُ بِاسْمِهِ ، فَأَخْرَجَ الْجُرْذَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا حَاجَتَكَ ?

قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ مُصَادَقَتَكَ . قَالَ الْجُرْذُ : لَيْسَ بِيْنِي وَبَيْنَكَ
 تَوَاصِلُ ؛ وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْتَمِسَ مَا يَحْدُدُ إِلَيْهِ سَيِّلاً ،
 وَيَنْتَرُكَ التِّمَاسُ مَا لَدَنِي إِلَيْهِ سَيِّلٌ ؛ فَإِنَّمَا أَنْتَ الْأَكْلُ ،
 وَأَنَا طَعَامُكَ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّ أَكْلِي إِيَّاكَ ، وَإِنْ كُنْتَ لِي
 طَعَاماً ، مِمَّا لَا يُغْنِي عَنِّي شَيئاً ؛ وَإِنْ مَوَدَّتَكَ آتَسْ لِي مِمَّا
 ذَكَرْتَ ، وَلَسْتَ بِحَقِيقٍ ، إِذَا جَعْتَ أَطْلُبُ مَوَدَّتَكَ ، أَنْ تَرْدِنِي
 خَائِباً . فَإِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لِي مِنْكَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ مَا رَغَبَنِي فِيهِ ،
 وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَلْتَمِسْ إِظْهَارَ ذَلِكَ : فَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَخْفِي فَضْلُهُ ،
 وَإِنْ هُوَ أَخْفَاهُ ؛ كَالْمِسْكِ الَّذِي يُكْتُمُ ثُمَّ لَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنَ النَّشِيرِ
 الطَّيِّبِ وَالْأَرْجَفِ الْفَائِحِ . قَالَ الْجُرْذُ . إِنَّ أَشَدَّ الْعَدَاؤَةِ عَدَاؤَةِ
 الْجَوَاهِرِ : وَهِيَ عَدَاؤُ تَانِ : مِنْهَا مَا هُوَ مُتَكَافِئٌ كَعَدَاؤِ الْفِيلِ
 وَالْأَسَدِ . فَإِنَّهُ رُبَّمَا قَتَلَ الْأَسَدُ الْفِيلَ أَوِ الْفِيلُ الْأَسَدَ ؛ وَمِنْهَا
 مَا قُوَّتْهُ مِنْ أَحَدِ الْجَانِيَنِ عَلَى الْآخَرِ كَعَدَاؤَةِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّنَورِ
 وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ : فَإِنَّ الْعَدَاؤَةَ الَّتِي بَيْنَنَا لَيْسَتْ تَضُرُّكَ ، وَإِنَّمَا
 ضَرَرُّهَا عَائِدٌ عَلَيَّ : فَإِنَّ الْمَاءَ لَوْ أُطِيلَ إِسْخَانُهُ لَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ مِنْ

إِنْطَفَائِهِ النَّارِ إِذَا صَبَ عَلَيْهَا ، وَإِنَّمَا مُصَاحِبُ الْعَدُوِّ وَمُصَالِحُهُ
كَصَاحِبِ الْحَيَاةِ يَحْمِلُهَا فِي كُلِّهِ ، وَالْعَاقِلُ لَا يَسْتَأْسِسُ إِلَى الْعَدُوِّ
الْأَرِبِ !

قال الغراب : قد فهمت ما تقول ، وانت خليق أن تأخذ
يفضيل خليقتك ، وتتعرف صدق مقالتي ، ولا تصعب على
الأمر بقولك : ليس إلى التواصل بيننا سهل : فإن العقلاء
الكرام لا يتغرون على معروف بجزاء ، والمودة بين الصالحين
سرير اتصالها بطيء انقطاعها . ومثل ذلك مثل الكوز من
الذهب : بطيء الانكسار ، سرير الإعادة ، حين الإصلاح ،
إن أصحابه ثلم أو كسر ، والمودة بين الأشرار سرير انقطاعها ،
بطيء اتصالها . ومثل ذلك مثل الكوز من الفخار ، سرير
الانكسار ، ينكسر من أدنى عيب ، ولا يصل له أبداً . وأنكريم
يود الگريم ، واللئيم لا يود أحداً إلا عن رغبة أو رهبة . وانا
إلى ودك و معروفك محتاج : لأنك گريم ، وانا ملازم لبابيك ،
غير ذاتي طعاماً ، حتى تواخيني . قال الجرذ : قد قيلت إخاءك :

فَإِنِّي لَمْ أَرْدُدْ أَحَدًا عَنْ حَاجَةٍ قَطُّ ، وَإِنِّي بَدَأْتُكَ يَمْبَدِئُكَ
 بِهِ إِرَادَةَ التَّوْقِيقِ لِنَفْسِي ؛ فَإِنْ أَنْتَ غَدَرْتَ بِي لَمْ تَقُلْ : إِنِّي
 وَجَدْتُ الْخَرَدَ سَرِيعَ الِانْخِدَاعَ . ثُمَّ نَجَّرَ مِنْ بُخْرِهِ ، فَوَقَفَ
 عَنْدَ الْبَابِ . فَقَالَ لَهُ الْغُرَابُ : مَا يَمْنَعُكَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَىَّ ،
 وَالا سَّتَّنَاسِ بِي ؟ فَهَذِلَ فِي نَفْسِكَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْيَ رِبَّةً ؟ قَالَ
 الْخَرَدُ : إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا يَتَعَاطَوْنَ فِيهَا بَيْنَهُمْ أَمْرَيْنِ ، وَيَتَوَاصَلُونَ
 عَلَيْهِمَا ، وَهُمْ ذَاتُ النَّفْسِ ، وَذَاتُ الْيَدِ . فَالْمُتَبَادِلُونَ
 ذَاتَ النَّفْسِ هُمُ الْأَصْفِيَاءُ ؛ وَأَمَّا الْمُتَبَادِلُونَ ذَاتَ الْيَدِ فَهُمُ
 الْمُتَعَاوِنُونَ الَّذِينَ يَلْتَمِسُ بَعْضُهُمْ الِانْتِفَاعَ بِبَعْضٍ . وَمَنْ كَانَ
 يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ لِبَعْضِهِ مَنَافِعَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّمَا مَثَلُهُ فِيهَا يَمْدُلُ
 وَيُعْطِي كَمِثْلِ الصَّيَادِ وَإِلْقَانِهِ الْحَبَّ لِلْطَّيْرِ ، لَا يُرِيدُ بِذَلِكَ نَفْعَ
 الطَّيْرِ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ نَفْعَ نَفْسِهِ . فَتَعَاطَى ذَاتُ النَّفْسِ أَفْضَلُ مِنْ
 تَعَاطِي ذَاتِ الْيَدِ . وَإِنِّي وَثَقْتُ مِنْكَ بِذَاتِ نَفْسِكَ ، وَمَنْحَتَكَ
 مِنْ نَفْسِي مِثْلَ ذَلِكَ . وَلَيْسَ يَمْنَعُنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكَ سُوءُ ظَنُّ
 بِكَ ؛ وَلَكِنْ قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ لَكَ أَصْحَابًا جَوَهْرُهُمْ بَحَوْهِرِكَ ،
 وَلَيْسَ رَأِيْهِمْ فِي كَرَأِيكَ . تَعْرِفَ

قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّ مِنْ عَلَامَةِ الصَّدِيقِ أَنْ يَكُونَ لِصَدِيقٍ
 صَدِيقِهِ صَدِيقًا ، وَلَعَدُوٌّ صَدِيقِهِ عَدُواً ؛ وَلَيْسَ لِي بِصَاحِبٍ
 وَلَا صَدِيقٌ مِنْ لَا يَكُونُ لَكَ مُحِبًّا ؛ وَإِنَّهُ يَهُونُ عَلَى قَطْبِيَّةِ مِنْ
 كَانَ كَذَلِكَ مِنْ جَوَهْرِيِّ . ثُمَّ إِنَّ الْجُرْذَ خَرَجَ إِلَى الْغُرَابِ ،
 فَتَصَافَحَا وَتَصَافَفَا ، وَأَئْسَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ ؛ حَتَّىٰ إِذَا
 مَضَتْ لَهُمَا أَيَّامٌ قَالَ الْغُرَابُ لِلْجُرْذِ : إِنَّ جُحْرَكَ قَرِيبٌ مِنْ طَرِيقِ
 النَّاسِ ، وَأَخَافُ أَنْ يَرْمِيكَ بَعْضُ الصَّبَيَانِ بِحَجَرٍ ؛ وَلَيْ مَكَانٌ
 فِي عُزْلَةٍ ، وَلَيْ فِيهِ صَدِيقٌ مِنَ السَّلَاحِفَ ، وَهُوَ مُحِصَّبٌ مِنَ
 السَّمَكِ ؛ وَنَحْنُ وَاجْدُونَ هُنَاكَ مَا نَأْكُلُ ؛ فَأَرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَيْكَ
 إِلَى هُنَاكَ لِنَعِيشَ آمِنَّينِ . قَالَ الْجُرْذُ : إِنَّ لِي أَخْبَارًا وَقِصَصًا
 سَاقِصَهَا عَلَيْكَ إِذَا أَنْتَهِيَنَا لِحِثْ تُرِيدُ ، فَأَفْعَلْ مَا تَشَاءُ . فَأَخَذَ
 الْغُرَابُ بِذَنْبِ الْجُرْذِ ، وَطَارَ بِهِ حَتَّىٰ بَلَغَ بِهِ حِثْ أَرَادَ . فَلَمَّا
 دَنَا مِنَ الْعَيْنِ الَّتِي فِيهَا السَّلَاحِفَةُ ، بَصَرَتِ السَّلَاحِفَةُ بِغُرَابٍ وَمَعْهُ
 جُرْذَ ، فَذَعَرَتْ مِنْهُ ، وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُهَا ؛ فَنَادَاهَا ، نَفَرَجَتْ
 إِلَيْهِ ، وَسَأَلَتْهُ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلَتْ ؟ فَأَخْبَرَهَا بِقِصَصِهِ حِينَ تَبَعَ

لَهَا، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْجُرْذَ حَتَّى انتَهَى إِلَيْهَا .
 فَلَمَّا سَمِعَتِ السَّلْحَفَةُ شَاءَ الْجُرْذَ ، بِحِلْمَهُ مِنْ عَقْلِهِ وَوَفَائِهِ ،
 وَرَحَبَتِ بِهِ ، وَقَالَتْ لَهُ : مَا سَاقَكَ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ ؟ قَالَ
 الْغُرَابُ لِلْجُرْذَ : أَفْصُضْ عَلَى الْأَخْبَارِ الَّتِي زَعَمْتَ أَنَّكَ تُحَدِّثُنِي
 بِهَا ، فَأَخْبِرْنِي بِهَا مَعَ جَوَابِ مَا سَأَلْتِ السَّلْحَفَةَ : فَإِنَّهَا
 عِنْدَكَ بِمَنْزِلِي ، فَبَدَا الْجُرْذُ وَقَالَ :

كَانَ مَنْزِلِي أَوَّلَ أَمْرِي بِمَدِينَةِ مَارُوتَ فِي بَيْتِ رَجُلٍ نَاسِكٍ ،
 وَكَانَ خَالِيَا مِنَ الْأَهْلِ وَالْعِيَالِ ، وَكَانَ يَوْمِي فِي كُلِّ يَوْمٍ بِسَلَةٍ
 مِنَ الطَّعَامِ فِيهَا كُلُّ مِنْهَا حَاجَتُهُ وَيُعْلَقُ الْبَاقِي ، وَكُنْتُ أَرْصِدُ
 النَّاسِكَ ، حَتَّى يَخْرُجَ وَأَثِبُ إِلَى السَّلَةِ ، فَلَا أَدْعُ فِيهَا طَعَاماً إِلَّا
 أَكَلْتُهُ ، وَأَمْرِي بِهِ إِلَى الْجُرْذَانِ . بَعْهَدِ النَّاسِكِ مِرَارًا أَنْ يُعْلَقَ
 السَّلَةُ مَكَانًا لَا أَنَا لُهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ ، حَتَّى نَزَّلَ بِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ
 ضَيْفًا ، فَأَكَلَهُ بِجِيَعاً ، ثُمَّ أَخْدَاهُ فِي الْحَدِيثِ ، فَقَالَ النَّاسِكُ
 لِلضَّيْفِ : مِنْ أَيْ أَرْضِ أَقْبَلْتَ ؟ وَأَيْنَ تُرِيدُ الآنَ ؟ وَكَانَ الرَّجُلُ
 قَدْ جَابَ الْآفَاقَ ، وَرَأَى بَعَائِبَ ، فَأَئْسَأَ يُحَدِّثُ النَّاسِكَ عَمَّا

وطئ من البلاد، ورأى من العجائب، وجعل الناسك خلار
 ذلك يصفق بيديه، لينفرني عن السلة، فغضب الضيف
 وقال : أنا أحرثك وأنت تهزأ بحديشي ! فما حملك على أذ
 سألتني ؟ فاعتذر إليه الناسك ، وقال : إما أصفع بيدي
 لأنفر جردا قد تحيزت في أمره ، ولست أضع في البيت شيئاً
 إلاأكله ، فقال الضيف : جردا واحد يفعل ذلك أم جردا
 كثيرة ؟ فقال الناسك : جردا في البيوت كثيرة ، ولكن فيها جردا
 واحد هو الذي غلبني ، فما أستطيع له حيلة . قال الضيف :
 لقد ذكرتني قول الذي قال : لا أمر ما باعه هذه المرأة سمسما
 ممشوراً بغير مشور ! قال الناسك : وكيف كان ذلك ؟

قال الضيف : نزلت مرة على رجل يمكان كذا ، فتعشينا ،
 ثم فرش لي . وانقلب الرجل على فراشه ، فسمعته يقول في آخر
 الليل لأمراته : إني أريد أن أدعو منددا رهطا ليأكلوا عندنا ،
 فاضنعني لهم طعاماً . فسألت المرأة : كيف تدعو الناس إلى

طَعَامِكَ ، وَلَيْسَ فِي بَيْتِكَ فَضْلٌ عَنْ عِيَالِكَ ؟ وَأَنْتَ رَجُلٌ
لَا تُبْقِي شَيْئًا وَلَا تَدْرِحُه . قَالَ الرَّجُلُ : لَا تَنْدِمِ عَلَى شَيْءٍ أَطْعَمْتَنَاهُ
وَانْفَقْنَاهُ : فَإِنَّ الْجَمْعَ وَالِادْخَارَ رُبَّمَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ كَعَاقِبَةِ الذَّنْبِ .
قَالَتِ الْمَرْأَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذُلْكَ ؟

قَالَ الرَّجُلُ : زَعَمُوا أَنَّهُ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ رَجُلٌ قَانِصٌ ، وَمَعْهُ
قُوَسٌ وَنِسَابٌ فَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَجِدْ مِنْ هُنْدٍ سَارَ بَرِزْ
طَالِبًا مَنْزِلَهُ ، فَاعْتَرَضَهُ خِنْزِيرٌ بَرِيٌّ فَرَمَاهُ بِنِشَابَةٍ نَفَذَتْ فِيهِ
فَادْرَكَهُ الْخِنْزِيرُ وَضَرَبَهُ بِنِشَابَةٍ ضَرْبَةً اطَّارَتْ مِنْ يَدِهِ الْقُوسَ ،
وَوَقَعَا مَيْتَيْنِ ، فَأَتَى عَلَيْهِمْ ذِبْ فَقَالَ : هَذَا الرَّجُلُ وَالظَّابِيُّ
وَالْخِنْزِيرُ يُكْفِيَنِي أَكْلَهُمْ مُدَّةً ، وَلِكِنْ أَبْدَأْتِهِنَا الْوَتَرَ فَاكُلْهُ ،
فَيَكُونُ قُوتَ يَوْمِي ، فَعَالَجَ الْوَتَرَ حَتَّى قَطَعَهُ ، فَلَمَّا انْقَطَعَ
طَارَتْ سِيَّةُ الْقُوسِ ، فَضَرَبَتْ حَلْقَهُ فَقَاتَ . وَإِنَّمَا ضَرَبَتْ
لَكِ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْجَمْعَ وَالِادْخَارَ وَخِيمُ الْعَاقِبَةِ . فَقَاتِ

المرأة : نعم ما قلت ! وعندنا من الأرض والسمسم ما يكفي ستة
نفر أو سبعة ، فانا غادية على اصطناع الطعام ، فادع من أحببت .
وأخذت المرأة حين أصبحت سميناً ففتشته ، وبسطته في الشمس
ليجف ، وقالت لغلام لهم : أطرب عنك الطير والكلاب ،
وتفرغت المرأة لصنعها ، وتغافل الغلام عن السمسم ، بقاء
كلب ، فعادت فيه ، فاستقدرته المرأة ، وكراحت أن تصنع منه
طعاماً ما ، فذهبت به إلى السوق ، فأخذت به مقايضة سميناً
غير مشور : مثلاً بمثل ، وأنا وأقف في السوق ، فقال رجل :
لأمر ما باع هذه المرأة سميناً مشوراً بغير مشور . وكذلك
قولي في هذا الجرذ الذي ذكرت أنه على غير عله ما يقدر على
ما شكت منه . فالتمس لي فأساً لعل احتضر بحربه فأاطلع على
بعض شأنه ! فاستعار الناسك من بعض جيرانه فأسا ، فاتى
بهما الضيف ، وأنا حيئذ في بحرب غير بحربى أسمع كلامهما ،
وفي بحربى كيس فيه مائة دينار ، لا أدرى من وضعها ، فاحتضر

الضَّيْفُ حَتَّى أَنْتَهِي إِلَى الدَّنَانِيرِ فَأَخْذَهَا وَقَالَ لِلنَّاسِكِ : مَا كَانَ
 هَذَا الْجُرْدُ يَقْوِي عَلَى النُّوْتُوبِ حَيْثُ كَانَ يَئْبُسُ إِلَّا بِهِذِهِ
 الدَّنَانِيرِ : فَإِنَّ الْمَالَ جَعَلَ لَهُ قُوَّةً وَزِيَادَةً فِي الرَّأْيِ وَالْتَّمَكُّنِ .
 وَسَرَّى بَعْدَ هَذَا أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى النُّوْتُوبِ حَيْثُ كَانَ يَئْبُسُ .
 فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ اجْتَمَعَ الْجُرْذَانُ الَّتِي كَانَتْ مَعِي فَقَالَتْ :
 قَدْ أَصَابَنَا الْجُحُوعُ ، وَأَنْتَ رَجَاؤُنَا . فَانْطَلَقْتُ وَمَعِي الْجُرْذَانُ إِلَى
 الْمَكَانِ الَّذِي كُنْتُ أَبْرُبُ مِنْهُ إِلَى السَّلَةِ ، فَعَوَّلْتُ ذَلِكَ مِرَارًا :
 فَلَمْ أَفِدْ عَلَيْهِ . فَاسْتَبَانَ لِلْجُرْذَانِ نَقْصُ حَالِي ، فَسَمِعْتُهُنَّ يَقُولُنَّ :
 أَنْصَرْفُ عَنْهُ ، وَلَا تَطْمَعْنَ فِيمَا عِنْدَهُ : فَإِنَّا نَرَى لَهُ حَالًا
 لَا تَنْسَبُهُ إِلَّا قَدْ احْتَاجَ مَعَهَا إِلَى مَنْ يَعُولُهُ . فَتَرَكَنِي ، وَلَخْفَنَ
 يَأْعُدَانِي وَجَفَوْنِي ، وَأَخْذَنَ فِي غِيَّبَتِي عِنْدَمَنْ يُعَادِينِي وَيَحْسُدُنِي .
 فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَا الْإِخْوَانُ وَلَا الْأَغْوَانُ وَلَا إِلَاصِدَقَاءُ إِلَّا
 بِالْمَالِ وَوَجَدْتُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ ، إِذَا أَرَادَ أَمْرًا ، قَعَدَ بِهِ الْعُدُمُ
 عَمَّا يُرِيدُهُ : كَلْمَاءُ الَّذِي يَبْقَى فِي الْأَوْدِيَةِ مِنْ مَطْرِ الشَّتَاءِ :
 لَا يَمْرُرُ إِلَى نَهْرٍ وَلَا يَجْرِي إِلَى مَكَانٍ ، فَتَشَرَّبُهُ أَرْضُهُ . وَوَجَدْتُ

مَنْ لَا إِخْرَانَ لَهُ لَا أَهْلَ لَهُ، وَمَنْ لَا وَلَدَ لَهُ لَا ذِكْرَ لَهُ، وَمَنْ لَا
مَالَ لَهُ لَا عَقْلَ لَهُ، وَلَا دُنْيَا وَلَا آخِرَةَ لَهُ : لَأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا افْتَرَّ
قَطَعَهُ أَقْارِبُهُ وَإِخْرَانُهُ : فَإِنَّ الشَّجَرَةَ النَّابِتَةَ فِي السِّبَاخِ، الْمَأْوَكَةَ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، كَحَالِ الْفَقِيرِ الْمُحْتَاجِ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ .
وَوَجَدَتُ الْفَقِيرَ رَأْسَ كُلِّ بَلَاءً، وَجَالِبًا إِلَى صَاحِبِهِ كُلَّ مَقْتَ،
وَمَعْدَنَ النَّمِيمَةِ . وَوَجَدَتُ الرَّجُلَ إِذَا افْتَرَّ أَتَهُمْ مَنْ كَانَ لَهُ
مُؤْمِنًا، وَاسْعَاهُ بِهِ الظَّنُّ مَنْ كَانَ يَظْنُ فِيهِ حَسَنًا : فَإِنْ أَذْبَ
غَيْرُهُ كَانَ هُوَ لِلْتَّهِمَةِ مَوْضِعًا . وَلَدَيْسَ مِنْ خَلْلَهُ هِيَ لِلنَّغْيَى مَدْحُ
إِلَّا وَهِيَ لِلْفَقِيرِ ذَمٌ، فَإِنْ كَانَ شُجَاعًا قِيلَ : أَهْوَجُ؛ وَإِنْ كَانَ
جَوَادًا سُمِّيَ مُبَدِّرًا؛ وَإِنْ كَانَ حَلِيمًا سُمِّيَ ضَعِيفًا؛ وَإِنْ كَانَ
وَقُورًا سُمِّيَ تَلِيدًا . فَالْمَوْتُ أَهْوَنُ مِنَ الْحَاجَةِ الَّتِي تُخْرُجُ صَاحِبَهَا
إِلَى الْمَسَالَةِ، وَلَا سِيَّما مَسَالَةُ الْأَشْهَاءِ وَالثَّمَامِ : فَإِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ
كُلَّفَ أَنْ يُدْخِلَ يَدَهُ فِي فَمِ الْأَفْعَى، فَيُخْرِجَ مِنْهُ سَمًا فَيَبْتَلِعُهُ،
كَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ، وَأَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَسَالَةِ الْبَخِيلِ اللَّئِيمِ .
وَقَدْ كُنْتُ رَأَيْتُ الضَّيْفَ حِينَ أَخَذَ الدَّنَانِيرَ فَقَاتَسَهَا النَّاسِكَ،

بَعْلَ النَّاسِكُ نَصِيبَهُ فِي خَرَيْطَةٍ عِنْدَ رَأْسِهِ لَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ ،
 فَطَمِعْتُ أَنْ أُصِيبَ مِنْهَا شَيْئًا فَأَرْدَهُ إِلَى جُحْرِي ، وَرَجَوْتُ أَنْ
 يَزِيدَ ذَلِكَ فِي قُوَّتِي ، وَيَرَاجِعَنِي بِسَبِيلِهِ بَعْضُ أَصْدِقَائِي . فَانْطَلَقْتُ
 إِلَى النَّاسِكَ وَهُوَ نَائِمٌ ، حَتَّى انتَهَيْتُ عِنْدَ رَأْسِهِ ، وَوَجَدْتُ
 الضَّيْفَ يَقْطَانَ ، وَبِيَدِهِ قِضْبٌ ، فَضَرَبَنِي عَلَى رَأْسِي ضَرْبَةً
 مُوجِعَةً ، فَسَعَيْتُ إِلَى جُحْرِي . فَلَمَّا سَكَنَ عَنِ الْأَلَمْ ، هَيَّجَنِي
 الْخِرْصُ وَالشَّرَهُ ، خَرَجْتُ طَمَعاً كَطْمَعِي الْأَوَّلِ ، وَإِذَا الضَّيْفُ
 يَرْصُدُنِي ، فَضَرَبَنِي ضَرْبَةً أَسَالتُ مِنِي الدَّمْ ، فَتَقَلَّبْتُ ظَهْرًا
 لِبَطْنِي إِلَى جُحْرِي ، خَرَرْتُ مَغْشِيًّا عَلَى ، فَأَصَابَنِي مِنَ الْوَجَعِ
 مَا بَغَضَ إِلَى الْمَالِ ، حَتَّى لَا أَسْعَ يَذِكُرِهِ إِلَّا تَدَاهَلَنِي مِنْ ذِكْرِ
 الْمَالِ رِعْدَةً وَهَيْبَةً . ثُمَّ تَذَكَّرْتُ فَوَجَدْتُ الْبَلَاءَ فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا
 يَسُوقُهُ الْخِرْصُ وَالشَّرَهُ ، وَلَا يَرَأُ صَاحِبُ الدُّنْيَا فِي بَلِيهَةٍ وَتَعَبٍ
 وَنَصَبٍ ؛ وَوَجَدْتُ تَجَشِّمَ الْأَسْفَارِ الْبَعِيدةِ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا
 أَهُونَ عَلَى مِنْ بَسْطِ الْيَدِ إِلَى السَّخْنِ بِالْمَالِ ؛ وَلَمْ أَرْكَلْ رَضَا

(١) تكاف الأُمر على مثقاله .

شيئاً، فصار أمرى إلى أن رضيت وقفت، وانتقلت من بيت الناسك إلى البرية، وكان لي صديق من الحمام، فسيقت إلى صداقه صدقة. ثم ذكر لي الغراب ما بينك وبينه من المودة، وأخبرني أنه يريد إثباتك، فاحببت أن آتيك معه، فكرهت الوحدة، فإنه لاشيء من سور الدنيا يعدل صحبة الإخوان، ولا غم فيها يعدل البعد عنهم. وجربت : فعلمت أنه لا ينبغي للعاقل أن يتلمس من الدنيا غير الكفاف الذي يدفع به الأذى عن نفسه : وهو اليسير من المطعم والمشرب، إذا اشتمل على صحة البدن ورفاهة البال. ولو أن رجلاً وحبته له الدنيا بما فيها ، لم يكن يتتفق من ذلك إلا بالقليل الذي يدفع به عن نفسه حاجة : فأقبلت مع الغراب إلىك على هذا الرأي ، وأنا لك أخ ، فلتكن متنزلي عندك كذلك .

فلما فرغ الجرذ من كلامه أجابه السلفة بكلام روقي عذب ، وقالت : قد سمعت كلامك ، وما أحسن ما تحدث به ! إلا أن رأيك تذكر بقایا أمور هي في نفسك . وأعلم أن

حُسْنَ الْكَلَامِ لَا يَتَمَّ إِلَّا بِحُسْنِ الْعَمَلِ ، وَأَنَّ الْمَرِيضَ الَّذِي قَدْ عَلِمَ دَوَاءَ مَرَضِهِ إِنْ لَمْ يَتَدَوَّبْ بِهِ ، لَمْ يُغْنِ عِلْمُهُ بِهِ شَيْئًا ، وَلَمْ يَجِدْ لِدَائِهِ رَاحَةً وَلَا خَفَّةً . فَاسْتَعْمِلْ رَأْيَكَ ، وَلَا تَخْزَنْ لِقْلَةَ الْمَالِ : فَإِنَّ الرَّجُلَ ذَا الْمُرُوَّةَ قَدْ يُكْرَمُ عَلَى غَيْرِ مَالٍ : كَالْأَسَدِ الَّذِي يُهَابُ ، وَإِنْ كَانَ رَأِيًّا ، وَالْغَنِيُّ الَّذِي لَا مُرُوَّةَ لَهُ يُهَانُ ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ الْمَالِ : كَانَ كُلُّ بَشَرٍ لَا يُخْفَلُ بِهِ ، وَإِنْ طُوقَ وَخُلُّخُلَ بِالدَّهَبِ . فَلَا تَكْبُرْ عَلَيْكَ غُرْبَتَكَ : فَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا غُرْبَةَ لَهُ : كَالْأَسَدِ الَّذِي لَا يَنْقَابُ إِلَّا وَمَعَهُ قُوَّتُهُ . فَلَا تُخْسِنْ لِعَاهِدَكَ لِنَسِيَتَ : فَإِنَّكَ إِذَا فَعَنتَ ذَلِكَ جَاءَكَ الْخَيْرُ يَطَّلبُكَ كَمَا يَطْلُبُ الْمَاءَ اِنْهِدَارُهُ . وَإِنَّكَ جُعِلَ الْفَضْلُ لِحَازِمِ الْبَصِيرِ بِالْأَمْوَالِ ، وَمَا الْكَسَلَانُ الْمُتَرَدِّدُ فَإِنَّ الْفَضْلَ لَا يَصْحَبُهُ . وَقَدْ قِيلَ فِي أَشْيَاءَ لَيْسَ لَهَا ثَبَاتٌ وَلَا بَقَاءً : ظِلُّ الْغَيْمَةِ فِي الصِّيفِ ، وَخُلْةُ الْأَشْرَارِ ، وَأَنْبَاءُ عَلَى غَيْرِ أَسَاسٍ ، وَالْمَالُ الْكَثِيرُ :

(١) يمكن أن يكون ماحوذًا من المحلول وهو وسع الخعمال وبالـفـان كـلمـة خـاملـلـ لم تـرد صـريـحاـ إـلـاـ فيـ معـنىـ حـاخـلـ العـظـمـ أـخـذـ ماـ عـلـيـهـ منـ انـهـ وـالـخـاعـلـ مشـتقـ فهوـ يـشـعـرـ بـأـنـ لهـ فـعلـ وإنـ لمـ تـذـكـرـ كـهـ المـاعـجمـ لأـهـاـ لاـ تـعرـضـ لـالـقيـاسـ أوـ هـوـ مـاـ أـمـيـتـ مـنـ الـكلـمـ .

فَالْعَاقِلُ لَا يَحْزُنُ لِقْلَتِهِ ، وَإِنَّمَا مَا لِلْعَاقِلِ عَقْلُهُ ، وَمَا قَدَّمَ
مِنْ صَالِحٍ عَمَلَهُ ، فَهُوَ وَاثِقٌ بِأَنَّهُ لَا يُسْلِبُ مَا عَمِلَ ، وَلَا يُوَاحِدُ
بِشَيْءٍ لَمْ يَعْمَلْهُ ، وَهُوَ خَلِيقٌ إِلَّا يَغْفُلُ عَنْ أَمْرٍ آخِرَتِهِ : فَإِنَّ
الْمَوْتَ لَا يَأْتِي إِلَّا بَعْثَةً ، لَيْسَ لَهُ وَقْتٌ مُعِينٌ . وَأَنْتَ عَنْ
مَوْعِظَتِي غَنِيٌّ بِمَا عِنْدَكَ مِنَ الْعِلْمِ . وَلَكِنْ رَأَيْتُ أَنْ أُفْضِيَ
مَالِكَ مِنْ حَقِّ قَبْلَنَا : لِأَنَّكَ أَخْوَنَا ، وَمَا عِنْدَنَا مِنَ النَّصْحِ
مَبْذُولٌ لَكَ .

فَلَمَّا سَمِعَ الغُرَابُ كَلَامَ السَّلْحَفَاهِ لِجُرْدَ ، وَرَدَهَا عَلَيْهِ ،
وَمُلَاطَفَتَهَا إِيَاهُ فَرِحَ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : لَقَدْ سَرَرْتِنِي ، وَأَنْعَمْتِ
عَلَيَّ ، وَأَنْتِ جَدِيرَةً أَنْ تُسْرِي نَفْسَتِي بِمِثْلِ مَا سَرَرْتِنِي بِهِ . وَإِنَّ
أَوْلَى أَهْلِ الدُّنْيَا بِسِدَّةِ الشُّرُورِ مَنْ لَا يَزَالُ رَبِيعَهُ مِنْ إِخْوَانِهِ
وَأَصْدِقَائِهِ مِنَ الصَّالِحِينَ مَعْمُورًا ، وَلَا يَزَالُ عِنْدَهُ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ
يُسْرِهمْ وَيُسْرُونَهُ ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ أُمُورِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ
بِالْمَرْصادِ : فَإِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا عَطَرَ لَا يَأْخُذُ بِيَدِهِ إِلَّا الْكِرَامُ :
كَافِيلٌ إِذَا وَحَلَ لَا تُخْرِجُهُ إِلَّا الْفِيلَةُ .

فَبَيْنَمَا الْغُرَابُ فِي كَلَامِهِ ، إِذَا أَقْبَلَ نَحْوَهُمْ ظَبِّيُّ يَسْعَى ،
فَدُعِرَتْ مِنْهُ السُّلَحَفَاءُ ، فَغَاصَتْ فِي الْمَاءِ ، وَخَرَجَ الْجُرْذُ
إِلَى جُحْرِهِ ، وَطَارَ الْغُرَابُ ، فَوَقَعَ عَلَى شَجَرَةٍ . ثُمَّ إِنَّ الْغُرَابَ حَلَقَ
فِي السَّمَاءِ لِيَنْظُرَ هَلْ لِلظَّبِّيِّ طَالِبٌ ؟ فَنَظَرَ فَلَمْ يَرِ شَيْئًا ، فَنَادَى
الْجُرْذَ وَالسُّلَحَفَاءَ ، وَخَرَجَا ، فَقَالَتِ السُّلَحَفَاءُ لِلظَّبِّيِّ ، حِينَ
رَأَتْهُ يَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ : أَشَرَبْ إِنْ كَانَ بِكَ عَطْشٌ ، وَلَا تَخَفْ :
فَإِنَّهُ لَا خَوْفَ عَلَيْكَ . فَذَنَا الظَّبِّيُّ ، فَرَحِبَتْ بِهِ السُّلَحَفَاءُ
وَحْيَتْهُ ، وَقَالَتْ لَهُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَسْنَعُ
بِهِذِهِ الصَّحَارَى . فَلَمْ تَزَلِ الْأَسَاوِرَةُ تَطْرُدِنِي مِنْ مَكَانٍ إِلَى
مَكَانٍ . حَتَّى رَأَيْتُ الْيَوْمَ شَبَحًا . نَفَقْتُ أَنْ يَكُونَ قَانِصًا .
قَالَتْ : لَا تَخَفْ : فَإِنَّا لَمْ نَرَاهَا قَانِصًا قَطْ ، وَنَحْنُ نَبْذُ
لَكَ . وُدَّنَا وَمَكَانَنَا ، وَالْمَاءُ وَالْمَرْعَى كَثِيرَانِ عِنْدَنَا : فَارْغَبْ
فِي صُحبَتِنَا . فَأَقَامَ الظَّبِّيُّ مَعَهُمْ ، وَكَانَ لَهُمْ عَرِيشٌ يَجْتَمِعُونَ

(١) أَسْنَعُ مِنِ الصِّيدِ : مَا مَرَّ مِنْ الْمَاءِ إِلَى الْمَاءِ . وَالْبَارِجُ صَدَهُ ، وَالْمَرَادُ هُوَ مَطْلُقُ الرَّتْبَعِ .

(٢) بَعْضُ اسْوَارِهِ هُوَ الرَّائِي بِالسَّهَامِ .

(٣) مَكَانٌ يَسْتَظَلُ بِهِ .

فيه ، ويَتَذَكَّرُونَ الْأَحَادِيثُ وَالْأَخْبَارُ . فَبَيْنَمَا الْغُرَابُ وَالْجُرْدُ وَالسُّلَحَفَاءُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي الْعَرِيشِ ، غَابَ الظَّبَىُّ ، فَتَوَقَّعُوهُ سَاعَةً ، فَلَمْ يَأْتِ . فَلَمَّا أَبْطَأَ أَشْفَقُوا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَهُ عَنْتُ ، فَقَالَ الْجُرْدُ وَالسُّلَحَفَاءُ لِلْغُرَابِ : آنْظُرْ هَلْ تَرَى مَمَّا يَلِينَا شَيْئًا ؟ فَلَقَ الْغُرَابُ فِي السَّمَاءِ فَنَظَرَ : فَإِذَا الظَّبَىُّ فِي الْخَبَائِلِ مُقْتَنِصًا ، فَانْقَضَ مُسْرِعًا ، فَأَخْبَرَهُمَا بِذَلِكَ ، فَقَالَتِ السُّلَحَفَاءُ وَالْغُرَابُ لِلْجُرْدِ : هَذَا أَمْرٌ لَا يُرْجِحُ فِيهِ غَيْرُكَ ، فَأَغْتَثَ أَخَاكَ . فَسَعَى الْجُرْدُ مُسْرِعًا ، فَأَتَى الظَّبَىُّ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ وَقَعْتَ فِي هَذِهِ الْوَرْكَةِ وَأَنْتَ مِنَ الْأَنْكَاسِ ؟ قَالَ الظَّبَىُّ : هَلْ يُغْنِي الْكَيْنُ مَعَ الْمَقَادِيرِ شَيْئًا ، فَبَيْنَمَا هُمَا فِي الْخَدِيثِ إِذَا وَافَتُهُمَا السُّلَحَفَاءُ ، فَقَالَ هُمَا الظَّبَىُّ . مَا أَصَبَتِ بِمَجِيئِكِ إِلَيْنَا : فَإِنَّ الْقَانِصَ لَوِ انتَهَى إِلَيْنَا وَقَدْ قَطَعَ الْجُرْدُ الْخَبَائِلَ اسْتَبْقَتُهُ عَذْوًا ، وَلِلْجُرْدِ أَجَّارٌ كَثِيرَةٌ ، وَالْغُرَابُ يَطِيرُ ، وَأَنْتِ ثَقِيلَةٌ : لَا سَعْيَ لَكِ وَلَا حَرَكَةٌ ، وَأَخَافُ عَلَيْكِ الْقَانِصَ . قَالَتْ : لَا عَيْشَ مَعَ

(١) خافوا . (٢) وقوع في أمر شاق . (٣) جمع كيس وهو الفطن الظريف .

فِرَاقِ الْأَجْهَةِ، وَإِذَا فَارَقَ الْأَلِيفَ أَلِيفَهُ فَقَدْ سُلِّبَ فُوَادَهُ،
وَحِرْمَ سُرُورَهُ، وَغُشِّيَ بَصَرَهُ . فَلَمْ يَنْتَهِ كَلَامُهَا حَتَّى وَافَ
الْقَانِصُ؛ وَوَافَقَ ذَلِكَ فَرَاغَ الْجُرْدِ مِنْ قَطْعِ الشَّرِكِ؛ فَنَجَّا
الظَّبَىُّ بِنَفْسِهِ، وَطَارَ الْغَرَابُ مُحَلِّقًا، وَدَخَلَ الْجُرْدُ بَعْضَ
الْأَبْخَارِ، وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ السَّلَحْفَةِ؛ وَدَنَّا الصَّيَادُ فَوْجَدَ حِبَالَتَهُ
مُقْطَعَةً، فَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَاءً فَلَمْ يَجِدْ غَيْرَ السَّلَحْفَةِ تَدِبُّ، فَأَخَذَهَا
وَرَبَطَهَا، فَلَمْ يَلْبَثِ الْغَرَابُ وَالْجُرْدُ وَالظَّبَىُّ أَنْ اجْتَمَعُوا فَنَظَرُوا
الْقَانِصَ قَدْ رَبَطَ السَّلَحْفَةَ، فَاشْتَدَ حُزْنُهُمْ، وَقَالَ الْجُرْدُ :
مَا أَرَانَا نُجَاوِزُ عَقْبَةً مِنَ الْبَلَاءِ إِلَّا صِرَنَا فِي أَشَدِّ مِنْهَا . وَلَقَدْ
صَدَقَ الَّذِي قَالَ : لَا يَزَالُ الْإِنْسَانُ مُسْتَمِراً فِي إِقْبَالِهِ مَا لَمْ يَعْتَرُ ،
فَإِذَا عَثَرَ بِهِ الْعِثَارُ ، وَإِنْ مَشَى فِي جَدِّ الْأَرْضِ (٢) . وَحَدَرِي
عَلَى السَّلَحْفَةِ خَيْرِ الْأَصْدِيقَاتِ الَّتِي خُلِّتُهَا لَيْسَتْ لِلْمُجَازَةِ وَلَا
لِالْتِمَاسِ مُكَافَأَةً ، وَلِكِنَّهَا خُلَّةُ الْكَرَمِ وَالشَّرَفِ ، خُلَّةُ هِيَ

(١) تمامدي .

(٢) الأرض الغليظة المستوية .

(٣) الخلة: الصدفة .

أَفْضَلُ مِنْ خُلَّةِ الْوَالِدِ لِوَالِدِهِ، خُلَّةٌ لَا يُرِيكُلُهَا إِلَّا الْمَوْتُ . وَيَخْ
 لِهُذَا الْجَسَدِ الْمُوَكَّلُ بِهِ الْبَلَاءُ الَّذِي لَا يَزَالُ فِي تَصْرِيفٍ وَتَقْلِبٍ ،
 وَلَا يَدُومُ لَهُ شَيْءٌ ، وَلَا يَلْبَثُ مَعَهُ أَمْرٌ : كَمَا لَا يَدُومُ لِلطَّالِعِ
 مِنَ النُّجُومِ طُلُوعُ ، وَلَا لِلَّآفِلِ مِنْهَا أَفُولٌ ، لِكِنْ لَا يَزَالُ الطَّالِعُ
 مِنْهَا آفِلًا ، وَالآفِلُ طَالِعًا ، وَكَمَا تَكُونُ آلَامُ الْكُلُومِ وَانِتِقَاضُ
 الْحِرَاحَاتِ ، كَذَلِكَ مَنْ قَرَحَتْ كُلُومَهُ يَفْقَدُ إِخْوَانِهِ بَعْدَ
 اجْتِمَاعِهِ بِهِمْ . فَقَالَ الظَّبِيُّ وَالْغَرَابُ لِلْجُرْذِ : إِنَّ حَدَرَنَا وَحَدَرَكَ
 وَكَلَامَكَ ، وَإِنْ كَانَ بَلِيغاً ، كُلُّ مِنْهَا لَا يُغْنِي عَنِ السُّلْحَفَاءِ
 شَيْئاً . وَإِنَّهُ كَمَا يُقَالُ : إِنَّمَا يُخْتَبِرُ النَّاسُ عِنْدَ الْبَلَاءِ ، وَذُو
 الْأَمَانَةِ عِنْدَ الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ ، وَالْأَهْلُ وَالْوَلَدُ عِنْدَ الْفَاقَةِ ، كَذَلِكَ
 يُخْتَبِرُ الْإِخْوَانُ عِنْدَ النَّوَائِبِ . قَالَ الْجُرْذُ : أَرَى مِنْ الْحِيلَةِ أَنْ
 تَذَهَّبَ ، أَيَّهَا الظَّبِيُّ ، فَتَقَعَ بِمَنْتَظِرٍ مِنَ الْقَانِصِ : كَانَكَ جَرِيجٌ ،
 وَيَقَعُ الْغَرَابُ عَلَيْكَ كَانَهُ يَا كُلُّ مِنْكَ ، وَأَسْعَى أَنَا فَأَكُونُ قَرِيباً
 مِنَ الْقَانِصِ ، مُرَاقِبًا لَهُ ، فَعَلَهُ أَنْ يَرْمِي مَا مَعَهُ مِنَ الْآلَةِ ،

وَيَضَعُ السَّلَحْفَاءَ ، وَيَقْصِدُكَ طَامِعاً فِيكَ ، رَاجِيَا تَخْصِيلَكَ .
فَإِذَا دَنَا مِنْكَ فَقَرِّعَهُ رُوَيْداً : بِحَيْثُ لَا يَنْقَطِعُ طَمَعُهُ مِنْكَ ،
وَمَكَنَّهُ مِنْ أَخْذِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةً ، حَتَّى يَبْعُدَ عَنَّا ، وَأَنْجُ مِنْهُ
هَذَا النَّحْوَ مَا اسْتَطَعْتَ : فَلَيْسَ أَرْجُو أَلَا يَنْصَرِفَ إِلَّا وَقَدْ
قَطَعْتُ الْخَبَائِلَ عَنِ السَّلَحْفَاءِ ، وَأَنْجُوهَا . فَفَعَلَ الْغَرَابُ
وَالظَّبَى مَا أَمْرَهُمَا بِهِ الْحُرْدَ ، وَتَبَعَهُمَا الْقَانِصُ ، فَاسْتَجَرَهُ الظَّبَى ،
حَتَّى أَبْعَدَهُ عَنِ الْحُرْدِ وَالسَّلَحْفَاءِ ، وَالْحُرْدُ مُقْبِلٌ عَلَى قَطْعِ
الْخَبَائِلِ ، حَتَّى قَطَعَهَا ، وَنَجَّا بِالسَّلَحْفَاءِ ، وَعَادَ الْقَانِصُ
مَجْهُودًا لَا غَبَّا فَوْجَدَ حِبَالَتَهُ مُقْطَعَةً . فَفَكَرَ فِي أَمْرِهِ مَعَ الظَّبَى
الْمُتَظَالِعِ^(١) ، فَظَنَّ أَنَّهُ خُولِطَ فِي عَقْلِهِ ، وَفَكَرَ فِي أَمْرِ الظَّبَى
وَالْغَرَابِ الَّذِي كَانَهُ يَأْكُلُ مِنْهُ ، وَقَرِضَ حِبَالَتِهِ ، فَاسْتَوْحَشَ
مِنَ الْأَرْضِ وَقَالَ : هَذِهِ أَرْضُ جِنٍ أَوْ سَحَرَةً . فَرَجَعَ مُوَلِّيَا
لَا يَلْتَمِسُ شَيْئاً ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ . وَاجْتَمَعَ الْغَرَابُ وَالظَّبَى
وَالْحُرْدُ وَالسَّلَحْفَاءُ إِلَى عَرَشِهِمْ سَالِمِينَ آمِينِ كَأَخْسَرِ
مَا كَانُوا عَالَيْهِ .

(١) نَعْ . (٢) المُتَظَالِعُ بالظَّلَّمِ وهو مشى شبيه بالمرج .

فِإِذَا كَانَ هَذَا الْخَلْقُ مَعَ صَغِيرِهِ وَضَعْفِهِ قَدْ قَدَرَ عَلَى التَّخْلُصِ
مِنْ مَرَابِطِ الْهَلَكَةِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى بِمَوْدِتِهِ وَخُلُوصِهَا ، وَثَبَاتِ
قَلْبِهِ عَلَيْهَا ، وَاسْتِمْتَاعِهِ مَعَ أَخْصَابِهِ بَعْضِهِمْ بَعْضٌ ؛ فَإِنَّ إِنْسَانًا
الَّذِي قَدْ أُعْطِيَ الْعَقْلَ وَالْفَهْمَ . وَأَهْمِمُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ، وَمُنْحَنِّ
الْتَّمَيِّزَ وَالْمَعْرِفَةَ ، أَوْلَى وَآخْرَى بِالتَّوَاصِلِ وَالْتَّعَاضِدِ . فَهَذَا مَثَلُ
إِخْوَانَ الصَّفَاءِ وَأَتْلَافِهِمْ فِي الصَّحْبَةِ .

(اقصى باب الحامة المطوقة)

بَابُ الْبُومِ وَالْغَرْبَانِ

قَالَ دَبَشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفَ : قَدْ سَمِعْتُ مَثَلَ إِخْوَانِ
الصَّفَاءِ وَتَعَاوْنَيْهِمْ ، فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ الْعَدُوِ الَّذِي لَا يَتَبَغِي أَنْ
يُغَتَّرِ بِهِ ، وَإِنْ أَظْهَرَ تَضَرُّعًا وَمَلَقًا . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : مَنْ أَغْتَرَ
بِالْعَدُوِ الَّذِي لَمْ يَرَّ عَدُوًا ، أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الْبُومَ مِنَ الْغِرْبَانِ .
قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ بَيْدَبَا : رَأَمْتُ أَنَّهُ كَانَ فِي جَبَلٍ مِنَ الْجَبَالِ شَجَرَةً مِنْ شَجَرَةِ
الْدَّوْجَ (١) ، فِيهَا وَكْرُ الْفِيْغُرَابِ ، وَعَلَيْهِنَّ وَالِّيْمَانَ مِنْ أَنْفُسِهِنَّ ؛

(١) جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة .

وكان عند هذه الشجرة كهف فيه ألف بومة ، وعليهن وال منهن . خرج ملك البوم لبعض غدواته وروحاته ، وفي نفسه العداوة لملك الغربان ، وفي نفس الغربان ومملكتها مثل ذلك للبوم ، فاغار ملك البوم في أصحابه على الغربان في أوكرها ، فقتل وسي منها خلقاً كثيراً ، وكانت الغارة ليلاً ، فلما أصبحت الغربان اجتمعوا إلى مملكتها فقلن له : قد علمت ما لقينا الليلة من ملك البوم ، وما من إلا من أصبح قتيلاً أو بريحاً أو مكسوراً بالخناج أو متوفراً الرئيس أو مقطوف الذنب وأشد مما أصابنا ضراً علينا جراءتهن علينا ، وعلمنا بمكانتنا ، وهن عائدات إلينا غير منقطعات عننا : لعلهم بمكانتنا : فلما تحن لك ، ولكل الرأي ، أيها الملك ، فانظر لنا ولنفسك . وكان في الغربان خمسة معترف لهن بحسن الرأي ، يُسند إليهن في الأمور ، ويُلقي عليهن أزمة الأخوال . وكان الملك كثيراً ما يُساورهن في الأمور ، ويأخذ آرائهن في الخواص والنوافذ .

(١) جمع غدوة وهي الذهاب في الباكرة .

فَقَالَ الْمَلِكُ لِلْأَوَّلِ مِنَ الْخَمْسَةِ : مَا رَأَيْتَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ؟
 قَالَ : رَأَيْتَ قَدْ سَبَقْتَنَا إِلَيْهِ الْعُلَمَاءُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا : لَيْسَ
 لِلْعَدُوِ الْحَقِيقَ إِلَّا الْهَرَبُ مِنْهُ . قَالَ الْمَلِكُ لِلثَّانِي : مَا رَأَيْتَ
 أَنْتَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ؟ قَالَ : رَأَيْتَ مَا رَأَى هَذَا مِنَ الْهَرَبِ .
 قَالَ الْمَلِكُ : لَا أَرَى لَكُمْ ذَلِكَ رَأْيًا ، أَنْ تَرْجِلَ عَنْ أَوْطَانِنَا
 وَنَخْلِيَّهَا لِعَدُوِنَا مِنْ أَوَّلِ نَكْبَةٍ أَصَابَتْنَا مِنْهُ ، وَلَا يَنْبَغِي لَنَا ذَلِكَ ،
 وَلَكِنْ نُجْمِعُ أَمْرَنَا ، وَنَسْتَعِدُ لِعَدُوِنَا ، وَنُدْكِنِي نَارَ الْحَرَبِ فِيمَا
 بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِنَا ، وَنَخْتَرِسُ مِنَ الْغِرَةِ إِذَا أَقْبَلَ إِلَيْنَا ، فَنَلْقَاهُ
 مُسْتَعِدِينَ ، وَنُقَاتِلُهُ قِتَالًا غَيْرَ مُرَاجِعَيْنَ فِيهِ ، وَلَا مُفَصِّرِينَ
 عَنْهُ ، وَتَلْقَ أَطْرَافُنَا أَطْرَافَ الْعَدُوِ ، وَنَحْرَزُ بِحُصُونِنَا ، وَنَدَافِعُ
 عَدُوِنَا : بِالْأَنَاءِ مَرَّةً ، وَبِالنَّهَارِ أُخْرَى ، حَيْثُ نُصِيبُ فُرْصَتَنَا
 وَبُعْيَتَنَا ، وَقَدْ ثَنَيْنَا عَدُوِنَا عَنَّا .

فَتَمَّ قَالَ الْمَلِكُ لِلثَّالِثِ : مَا رَأَيْتَ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَا أَرَى مَا قَالَ أَوَّلًا
 رَأْيًا . وَلَكِنْ نَبْتُ الْعُيُونَ ، وَنَبْعَثُ الْجَوَاسِيسَ ، وَنُرْسِلُ

(١) المفاظ . (٢) نوقد . (٣) الفلة . (٤) المضاربة بالسيوف .

الظَّلَائِعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوَنَا ؛ فَنَعْلَمُ أَيْرِيدُ صُلْحَنَا أَمْ يُرِيدُ حَرْبَنَا
أَمْ يُرِيدُ الْفِدْيَةَ ؟ فَإِنْ رَأَيْنَا أَمْرَهُ أَمْرَ طَامِعٍ فِي مَالٍ ، لَمْ نَكُرْهُ
الصُّلْحَ عَلَى خَرَاجٍ نُودِيهِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، نَدْفَعُ بِهِ عَنْ أَنفُسِنَا.
وَنَظَمَنُ فِي أَوْطَانِنَا : فَإِنْ مِنْ آرَاءِ الْمُلُوكِ إِذَا اشْتَدَّتْ شَوْكَةُ
عَدُوِّهِمْ ، نَخَافُوهُ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَبِلَادِهِمْ ، أَنْ يَجْعَلُوا الْأَمْوَالَ
جُنَاحَ الْبِلَادِ وَالْمَلِكِ وَالرَّعْيَةِ . قَالَ الْمَلِكُ لِلرَّابِعِ : فَمَا رَأَيْكَ
فِي هَذَا الصُّلْحِ ؟ قَالَ لَا أَرَاهُ رَأْيًا ؛ بَلْ أَنْ نُفَارِقَ أَوْطَانَنَا
وَنَصِيرَ عَلَى الْغُرْبَةِ وَشِدَّةِ الْمَعِيشَةِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ نُضِيعَ أَحْسَابَنَا
وَنَخْضَعَ لِلْعَدُوِّ الَّذِي تَخْنُ أَشْرَفَ مِنْهُ ؛ مَعَ أَنَّ الْبُومَ لَوْ عَرَضَنَا
ذَلِكَ عَلَيْنَ مَا رَضِينَ مِنَّا إِلَّا يَا شَطَطٍ . وَيُقَالُ فِي الْأَمْثَالِ :
قَارِبٌ عَدُوَكَ بَعْضُ الْمُقَارَبَةِ : لِتَنَالَ حَاجَتَكَ . وَلَا تُقَارِبْهُ
كُلَّ الْمُقَارَبَةِ : فَيَجْتَرَى عَلَيْكَ ، وَيُضِعِفَ جُنْدَكَ ، وَتَذَلَّ
نَفْسُكَ . وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الْخَشَبَةِ الْمَنْصُوبَةِ فِي الشَّمْسِ : إِذَا

أَمْلَتْهَا قَلِيلًا زَادَ ظُلُّهَا، وَإِذَا جَاءَرْتَ بِهَا الْحَدَّ فِي إِمَالَتِهَا نَقَصَ الظُّلُّ . وَلَيْسَ عَدُونَا رَاضِيًّا مِنَّا بِالدُّوْنِ فِي الْمُقَارَبَةِ . فَالرَّأْيُ لَنَا وَلَكَ الْحُجَّارَةُ .

قَالَ الْمَلِكُ لِخَامِسٍ : مَا تَقُولُ أَنْتَ ؟ وَمَاذَا تَرَى : الْقِتَالُ أَمِ الصُّلُحُ أَمِ الْخَلَاءُ عَنِ الْوَطَنِ ؟ قَالَ : أَمَّا الْقِتَالُ فَلَا سَيِّلَ لِلْمَرْءِ إِلَى قِتَالٍ مَنْ لَا يَقْوِي عَلَيْهِ، وَقَدْ يُقَاتَلُ : إِنَّهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ نَفْسَهُ وَعَدُوَهُ ، وَقَاتَلَ مَنْ لَا يَقْوِي عَلَيْهِ ، حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى حَتْفِهَا ، مَعَ أَنَّ الْعَاقِلَ لَا يَسْتَضِغُ عَدُوًّا : فَإِنَّ مَنْ اسْتَضَغَ عَدُوَهُ اغْتَرَ بِهِ ، وَمَنْ اغْتَرَ بِعَدُوِّهِ لَمْ يَسْلِمْ مِنْهُ . وَأَنَا لِلْبُوْمِ شَدِيدٌ الْهَيَّةُ ، وَإِنَّ أَضْرَبَنَّ عَنْ قِتَالِنَا، وَقَدْ كُنْتُ أَهَابُهَا قَبْلَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْخَازِمَ لَا يَأْمُنُ عَدُوَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَإِنَّ كَانَ بَعِيدًا لَمْ يَأْمُنْ سَطْوَتَهُ ، وَإِنْ كَانَ مُكْثِبًا لَمْ يَأْمُنْ وَثْبَتَهُ، وَإِنْ كَانَ وَحِيدًا لَمْ يَأْمُنْ مَكْرَهُ . وَأَخْزَمُ الْأَقْوَامِ وَأَنْكِسْهُمْ مَنْ كَرِهَ الْقِتَالَ لِأَجْلِ النَّفَقَةِ فِيهِ : فَإِنَّ مَادُونَ الْقِتَالِ النَّفَقَةُ فِيهِ مِنَ الْأُمُوَالِ وَالْقَوْلِ

وَالْعَمَلُ ؛ وَالْقِتَالُ النَّفَقةُ فِيهِ مِنَ الْأَنْفُسِ وَالْأَبْدَانِ . فَلَا
يَكُونَنَّ الْقِتَالُ لِلْبُومِ مِنْ رَأْيِكَ ، أَيْهَا الْمَلِكُ : فَإِنَّ مَنْ قَاتَلَ
مَنْ لَا يَقْوِي عَلَيْهِ فَقَدْ غَرَرَ بِنَفْسِهِ . فَإِذَا كَانَ الْمَلِكُ مُحَصَّنًا
لِلْأَسْرَارِ ، مُتَخِيَّرًا لِلنُّورَاءِ ، مَهِيبًا فِي أَعْيُنِ النَّاسِ ، بَعِيدًا مِنَ
أَنْ يُقْدَرَ عَلَيْهِ ، كَانَ خَلِيقًا أَلَا يُسْلِبَ صَحِيحَ مَا أُوتِيَ مِنَ
الْخَيْرِ . وَأَنْتَ ، أَيْهَا الْمَلِكُ ، كَذَلِكَ . وَقَدْ اسْتَشَرْتَنِي فِي أَمْرٍ
جَوَابُكَ مِنْيَ عنْهُ ، فِي بَعْضِهِ عَلَانِيَةً ، وَفِي بَعْضِهِ سِرٌّ
وَلِلْأَسْرَارِ مَنَازِلُ : مِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهِ الرَّهْطُ ، وَمِنْهَا مَا يُسْتَعَانُ
فِيهِ بِالْقَوْمِ ، وَمِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهِ الرَّجُلَانِ . وَلَسْتُ أَرَى لِهَذَا
السُّرُّ عَلَى قَدِيرٍ مَنْزِلَتِهِ أَنْ يُسَارِكَ فِيهِ إِلَّا أَرْبَعُ آذَانٍ وَلِسَانَانِ .
فَنَهَضَ الْمَلِكُ مِنْ سَاعَتِهِ ، وَخَلَّا بِهِ ، فَاسْتَشَارَهُ ، فَكَانَ أَوَّلَ
مَا سَأَلَهُ عَنْهُ الْمَلِكُ أَنَّهُ قَالَ : هَلْ تَعْلَمُ أَبْتِداءَ عَدَاؤِ مَا بَيْنَنَا
وَبَيْنَ الْبُومِ ؟ قَالَ : نَعَمْ : كَلِمَةٌ تَكَلَّمُ بِهَا غُرَابٌ . قَالَ
الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْغُرَابُ : زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْكَرَابِ لَمْ يَكُنْ لَهَا مَلِكٌ ، فَأَبْحَثَتْ أَمْرَهَا عَلَى أَنْ يُمْلِكَنَ عَلَيْهِنَ مَلِكَ الْبُوْمِ ، فَبَيْنَمَا هِيَ فِي بَحْثِهَا إِذْ وَقَعَ لَهَا غُرَابٌ ، فَقَالَتْ : لَوْ جَاءَنَا هَذَا الْغُرَابُ لَا نَسْتَشْرِنَاهُ فِي أَمْرِنَا ، فَلَمْ يَلْبَثْ دُونَ أَنْ جَاءَهُنَّ الْغُرَابُ . فَاسْتَشَرَنَهُ ، فَقَالَ : لَوْ أَنَّ الطَّيْرَ بَادَتْ مِنَ الْأَقَالِيمِ ، وَفَقِدَ الطَّاوُسُ وَالْبَطْ وَالنَّعَامُ وَالْحَمَامُ مِنَ الْعَالَمِ لَمَّا أَضْطُرِرْتُنَّ إِلَى أَنْ يُمْلِكَنَ عَلَيْكَنَ الْبُوْمَ الَّتِي هِيَ أَقْبَحُ الطَّيْرِ مَنْظَرًا ، وَأَسْوَوْهَا خُلُقًا ، وَأَقْلَهَا عَقْلًا ، وَأَشَدَّهَا غَضَبًا ، وَأَبْعَدَهَا مِنْ كُلِّ رَحْمَةٍ ، مَعَ عَمَّا هَا وَمَا بِهَا مِنَ الْعَشَابِ الْمُهَارِ ، وَأَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ وَأَقْبَحُ أُمُورِهَا سَفَهُهَا وَسُوءُ أَخْلَاقِهَا ، إِلَّا أَنْ تَرَيْنَ أَنْ يُمْلِكَنَهَا وَتَكُنَّ أَنْتُنَ تُدَبِّرُنَ الْأُمُورَ دُونَهَا بِرَأْيِكُنَ وَعُقُولِكُنَ ، كَمَا فَعَلَتِ الْأَرْبُ الَّتِي زَعَمْتُ أَنَّ الْقَمَرَ مَلِكُهَا ، ثُمَّ عَمِلْتُ بِرَأْيِهَا . قَالَ الطَّيْرُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قال الغراب : زَعَمُوا أَنَّ أَرْضًا مِنْ أَرَاضِي الْفِيلَةِ تَتَابَعَتْ عَلَيْهَا
 السُّنُونَ ، وَأَجْدَبَتْ ، وَقَلَّ مَاوِهَا ، وَغَارَتْ عَيْنُهَا ، وَذَوَى
 نَبْتُهَا ، وَيَسَّ شَجَرُهَا ، فَأَصَابَ الْفِيلَةَ عَطْشٌ شَدِيدٌ : فَشَكَوْنَ
 ذَلِكَ إِلَى مَلِكِهِنَّ ، فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ رُسْلَهُ وَرُوَادَهُ فِي طَلَبِ
 الْمَاءِ ، فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ . فَرَجَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ الرُّسُلِ ، فَأَخْبَرَهُ
 إِنِّي قَدْ وَجَدْتُ بِمَكَانٍ كَذَا عَيْنًا يُقَالُ لَهَا عَيْنُ الْقَمَرِ ، كَثِيرَةُ
 الْمَاءِ . فَتَوَجَّهَ مَلِكُ الْفِيلَةِ بِأَخْحَابِهِ إِلَى تِلْكَ الْعَيْنِ لِيَشَرَبَ مِنْهَا
 هُوَ وَفِيلَتُهُ . وَكَانَتِ الْعَيْنُ فِي أَرْضِ الْأَرَانِبِ ، فَوَطِئَ
 الْأَرَانِبُ فِي أَحْجَارِهِنَّ ، فَأَهْلَكَنَّ مِنْهُنَّ كَثِيرًا . فَاجْتَمَعَتِ
 الْأَرَانِبُ إِلَى مَلِكِهَا فَقُلْنَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ مَا أَصَابَنَا مِنَ الْفِيلَةِ
 فَقَالَ : لِيُخْضِرَ مِنْكُنَّ كُلُّ ذِي رَأْيٍ رَأْيَهُ . فَتَقَدَّمَتْ أَرْبَعَ
 مِنَ الْأَرَانِبِ يُقَالُ لَهَا فَيْرُوزٌ . وَكَانَ الْمَلِكُ يَعْرِفُهُمَا بِحُسْنِ
 الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ ، فَقَاتَتْ : إِنَّ رَأْيَ الْمَلِكِ أَنْ يَبْعَثَنِي إِلَى الْفِيلَةِ
 وَيُرِسِّلَ مَعِي أَمِينًا ، لِيَرَى وَيَسْمَعَ مَا أُقُولُ ، وَيَرْفَعَهُ إِلَى الْمَلِكِ .
 فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ : أَنْتَ أَمِينَةُ ، وَنَرَضَى بِقَوْلِكِ ، فَانْطَلَقَتِ إِلَى

الفِيلَةِ ، وَبَلَغَى عَنِي مَا تُرِيدُينَ . وَاعْلَمَنِي أَنَّ الرَّسُولَ بِرَأْيِهِ
وَعَقْلِهِ ، وَلِيَنِيهِ وَفَضْلِهِ ، يُخْبِرُ عَنْ عَقْلِ الْمُرْسِلِ . فَعَلَيْكِ بِاللَّتِينِ
وَالرِّفِيقِ ، وَالْخَلْمِ وَالثَّائِي : فَإِنَّ الرَّسُولَ هُوَ الَّذِي يُلِينُ الصُّدُورَ
إِذَا رَفَقَ ، وَيُخَشِّنُ الصُّدُورَ إِذَا نَرَقَ . ثُمَّ إِنَّ الْأَرْبَابَ
انْطَلَقُوا فِي لَيْلَةِ قَرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، حَتَّى اتَّهَمْتُ إِلَيْهِ ، وَكَرِهْتُ أَنْ
تَدْنُوَ مِنْهُنَّ : مَخَافَةً أَنْ يَطَأْنَهَا بِأَرْجُلِهِنَّ ، فَيَقْتُلُنَّهَا ، وَإِنْ شَاءَ
غَيْرَ مُتَعَمِّدَاتِ . ثُمَّ أَشْرَفَتْ عَلَى الْجَبَلِ ، وَنَادَتْ مَلِكَ الْفِيلَةِ ،
وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ الْقَمَرَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ ؛ وَالرَّسُولُ غَيْرُ مَلُومٍ فِيهَا
يُبَلِّغُ ، وَإِنْ أَغْلَظَ فِي الْقَوْلِ . قَالَ مَلِكُ الْفِيلَةِ : فَمَا الرِّسَالَةُ ؟
قَالَتْ : يَقُولُ لَكَ : إِنَّ مَنْ عَرَفَ فَضْلَ قُوَّتِهِ عَلَى الْضُّعْفَاءِ ،
فَاغْتَرَ بِذَلِكَ فِي شَأْنِ الْأَقْوَيَاءِ ، قِيَاسًا لَهُمْ عَلَى الْضُّعْفَاءِ ، كَانَتْ
قُوَّتِهِ وَبَالًا عَلَيْهِ . وَأَنْتَ قَدْ عَرَفْتَ فَضْلَ قُوَّتِكَ عَلَى الدَّوَابِ ،
فَغَرَّكَ ذَلِكَ ؛ فَعَمَدْتَ إِلَى الْعَيْنِ الَّتِي تُسَمَّى بِاَسْمِي ، فَشَرِبتَ
مِنْهَا ، وَكَدَرْتَهَا . فَأَرْسَلَنِي إِلَيْكَ : فَأَنْذِرْكَ أَلَا تَعُودَ إِلَى مِثْلِ

ذلِكَ . وَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ أَغْشَ بَصَرَكَ ، وَأُثْلِفَ نَفْسَكَ .
وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍ مِنْ رِسَالَتِي ، فَهَلْمُ إِلَى الْعَيْنِ مِنْ سَاعَتِكَ :
فَإِنِّي مُوَافِيكَ بِهَا . فَعَجِبَ مَلِكُ الْفِيلَةِ مِنْ قَوْنِ الْأَرْنَبِ ،
فَانطَّلَقَ إِلَى الْعَيْنِ مَعَ فَيْرُوزَ الرَّسُولِ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا ، رَأَى
ضَوْءَ الْقَمَرِ فِيهَا . فَقَاتَ لَهُ فَيْرُوزُ الرَّسُولُ : حُذْ بِخْرُطُومِكَ
مِنَ الْمَاءِ فَاغْسِلْ بِهِ وَجْهَكَ ، وَاسْجُدْ لِلنَّقَمَرِ . فَادْخُلْ الْفِيلَ
بِخْرُطُومَهُ فِي الْمَاءِ ، فَتَحَرَّكَ نَفْيِلُ لِلنَّفِيلِ أَنَّ الْقَمَرَ آرْتَدَ .
فَقَالَ : مَا شَاءَ الْقَمَرُ آرْتَدَ ؟ أَتَرَاهُ غَضِيبَ مِنْ إِذْخَالِ
الْخْرُطُومَ فِي الْمَاءِ ؟ قَالَتْ فَيْرُوزُ الْأَرْنَبُ : نَعَمْ . فَسَجَدَ الْفِيلُ
لِلنَّقَمَرِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَتَابَ إِلَيْهِ مِمَّا صَنَعَ ، وَشَرَطَ لَا يَعُودَ
إِلَى مِثْلِ ذلِكَ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ فِيلَتِهِ . قَالَ الْغَرَابُ : وَمَعَ
مَاذَ كُنْتُ مِنْ أَمْرِ النُّبُومِ إِنَّ فِيهَا الْخَبَّ وَالْمَكْرَ وَالْخَدِيْعَةَ ، وَشَرَّ
الْمُلُوكِ الْخَادِيْعَ ؛ وَمَنْ ابْتَلَى بِسُلْطَانِ تُخَادِعَ ، وَخَدَمَهُ ، أَصَابَهُ
مَا أَصَابَ الْأَرْنَبَ وَالصِّفَرِيدَ حِينَ اخْتَكَاهُ إِلَى السُّنُورِ . قَالَتْ
الْكَرَائِيْ : وَكَيْفَ كَانَ ذلِكَ ؟

قال الغراب : كان لي جار من الصفاردة ، في أصل شجرة قريبة من وكري ، وكان يكثر مواليتي ، ثم فقدته ، فلم أعلم أين غاب ، وطافت غيبته عنى . بحثت أرب إلى مكان الصفرد . فسكنته ، فكرهت أن أخاصم الأرب ، فلئت فيه زمانا . ثم إن الصفرد عاد بعد زمان ، فأتي منزله ، فوجده فيه الأرب . فقال لها : هذا المكان لي ، فانتقلت عنه . قالت الأرب : المسكن لي ، وتحت يدي ؛ وأنت مدع له . فإن كان لك حق فاستعد يا شاته على . قال الصفرد : القاضي منا قريب : فهمي بنا إليه . قالت الأرب : ومن القاضي ؟ قال الصفرد : إن ساحل البحر سورا متبعدا ، يصوم النهار ، ويقوم الليل كله ؛ ولا يؤذى دابة ، ولا يهريق دما ، عيشه من الحشيش ومتى ينذر به إليه البحر . فإن أحببت تحاكمنا إليه ، ورضينا به . قالت الأرب : ما أرضنا به إذا كان كما وصفت ! فانطلقوا إليه ، فتبعدوهما لأنظر إلى حكومة القوام القوام . ثم إنهما ذهبوا إليه ، فلما بصر السنور بالأرب والصفرد

مُقْبِلَيْنِ نَحْوَهُ ، انتَصَبَ قَائِمًا يُصَلِّى ، وَأَظْهَرَ الْخُشُوعَ
وَالْتَّسْكُنَ . فَعَجِبَا لِمَا رَأَيَا مِنْ حَالِهِ ، وَدَنَوْا مِنْهُ هَائِيْنِ لَهُ ،
وَسَلَّمَا عَلَيْهِ ، وَسَأَلَاهُ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَهُمَا . فَأَمَرَهُمَا أَنْ يَقُصَا
عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَفَعَلَا . فَقَالَ لَهُمَا : قَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ ، وَثُقُلَتْ
أَذْنَائِي : فَادْنُوا مِنِّي ، فَأَسْمِعَانِي مَا تَقُولَاِنِ . فَدَنَوْا مِنْهُ ، وَأَعَادَا
عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، وَسَأَلَاهُ الْحُكْمَ . فَقَالَ قَدْ فَهِمْتُ مَا قُلْتُمَا ، وَأَنَا
مُبْدِئُكُمَا بِالنَّصِيحَةِ قَبْلَ الْحُكُومَةِ بَيْنَكُمَا : فَإِنَّا أَمْرُكُمَا بِتَفْوِي
اللَّهِ وَآلاَ تَظْلِمَا إِلَّا الْحَقَّ : فَإِنَّ طَالِبَ الْحَقِّ هُوَ الَّذِي يُفْلِحُ ،
وَإِنْ قُضِيَ عَلَيْهِ ، وَطَالِبُ الْبَاطِلِ مَحْصُومٌ ، وَإِنْ قُضِيَ لَهُ .
وَلَيْسَ لِصَاحِبِ الدُّنْيَا مِنْ دُنْيَاهُ شَيْءٌ ، لَا مَالٌ وَلَا صَدِيقٌ
سِوَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ يُقَدِّمُهُ ، فَذُو الْعَقْلِ حَقِيقٌ أَنْ يَكُونَ
سَعِيهُ فِي طَلَبِ مَا يَبْقَى وَيَعُودُ نَفْعَهُ عَلَيْهِ غَدًا ; وَأَنْ يُمْكَنَّ
بِسَعِيهِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا : فَإِنَّ مَنْزِلَةَ الْمَالِ عِنْدَ
الْعَاقِلِ بِمَنْزِلَةِ الْمَدْرِ، وَمَنْزِلَةَ النَّاسِ عِنْدَهُ فِيمَا يُحِبُّ لَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ
وَيَكْرَهُ مِنَ الشَّرِّ بِمَنْزِلَةِ نَفْسِهِ . ثُمَّ إِنَّ السَّنَورَ لَمْ يَزِلْ يَقُصُّ

(1) واحدة مدرة وهو قطع الطين اليابس والحجارة .

عَلَيْهِمَا مِنْ جِنْسِ هَذَا وَأَشْبَاهِهِ، حَتَّى أُنْسَا إِلَيْهِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ،
وَدَنَوا مِنْهُ، ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهِمَا فَقَتَلَهُمَا.

قَالَ الْغُرَابُ : ثُمَّ إِنَّ النُّبُومَ تَجْمَعُ - مَعَ مَا وَصَفْتُ لَكُنَّ
مِنَ الشَّوْمَ - سَائِرَ الْعُيُوبِ : فَلَا يَكُونَنَّ تَمْلِيكُ النُّبُومِ مِنْ
رَأْيِكُنَّ . فَلَمَّا سَمِعَ الْكَرَاجِيُّ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْغُرَابِ أَضَرَّ بِنَ
عَنْ تَمْلِيكِ النُّبُومِ . وَكَانَ هُنَاكَ بُومٌ حَاضِرٌ قَدْ سَمِعَ مَا قَالُوا ،
فَقَالَ لِلْغُرَابِ : لَقَدْ وَتَرَتَنِي أَعْظَمُ التِّرَةِ، وَلَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَلَفَ مِنِّي
إِلَيْكَ سُوءٌ أَوْ جَبَ هَذَا . وَبَعْدُ فَاعْلَمَ أَنَّ الْفَاسِ يُقْطَعُ بِهِ الشَّجَرُ ،
فَيَعُودُ يَنْبُتُ ؛ وَالسَّيْفَ يُقْطَعُ الْحَمَّ ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَنْدَمِلُ ؛ وَاللِّسَانَ
لَا يَنْدَمِلُ بُرْحَهُ وَلَا تُؤْسَى مَقَاطِعُهُ . وَالنَّصْلَ مِنَ السَّهْمِ
يَغِيبُ فِي الْحَمِّ ، ثُمَّ يُنْزَعُ فَيُخْرَجُ ؛ وَأَشْبَاهُ النَّصْلِ مِنَ الْكَلَامِ
إِذَا وَصَلَتْ إِلَى النَّقْلِ لَمْ تُنْزَعْ وَلَمْ تُسْتَخْرَجْ . وَلِكُلِّ حَرِيقٍ
مُظْفِيٌّ : فَلِلنَّارِ الْمَاءُ ، وَلِلْسُّمِ الدَّوَاءُ ، وَلِلْحَزَنِ الصَّبَرُ ؛ وَنَارُ
الْحَقْدِ لَا تَخْبُو أَبَدًا . وَقَدْ غَرَّتُمُّ ، مَعَاشِيرَ الْغِرْبَانِ ، بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ شَجَرَ الْحَقْدِ وَالْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ .

(١) أَسْبَقَ بِأَذْيَ عَظِيمٍ : جعل لك في قلبي عداوة لا تمحى وحقدا لا يزول . (٢) تداوى .

فَلَمَّا قَضَى الْبُومُ مَقَاتَتَهُ ، وَلِي مُغْضَبًا ، فَأَخْبَرَ مَلِكَ الْبُومِ
بِمَا جَرَى وَبِكُلِّ مَا كَانَ مِنْ قَوْلِ الْغُرَابِ ؛ ثُمَّ إِنَّ الْغُرَابَ نَدِمَ
عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ نَحْرُثْتُ فِي قَوْلِيَ الَّذِي
جَلَبَتُ بِهِ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ عَلَى نَفْسِي وَقَوْمِي ! وَلَيَتَنِي لَمْ أَخْبِرِ
الْكَرَاكِيَ بِهَذِهِ الْحَالِ ! وَلَا أَعْلَمُتُهَا بِهَذَا الْأَمْرِ ! وَلَعَلَّ أَكْثَرَ الطَّيْرِ
قَدْ رَأَى أَكْثَرَ مِمَّا رَأَيْتُ ، وَعَلِمَ أَضْعَافَ مَا عَلِمْتُ ، فَنَعَمَّا
مِنَ الْكَلَامِ يُمْثِلُ مَا تَكَلَّمَتُ اتْقَاءً مَا لَمْ أَتَقَ ، وَالنَّظرُ فِيمَا
لَمْ أَنْظُرْ فِيهِ مِنْ حِدَارِ الْعَاقِبِ ، لَا سِيمَاءً إِذَا كَانَ الْكَلَامُ أَفْطَعَ
كَلَامَ ، يَلْقَى مِنْهُ سَامِعُهُ وَقَائِلُهُ الْمُكْرُوهُ مِمَّا يُورِثُ الْحِقْدَةَ
وَالضَّغِينَةَ ، فَلَا يَنْبَغِي لِأَشْبَاهِ هَذَا الْكَلَامِ أَنْ تُسَمَّى كَلَامًا ،
وَلِكِنْ سِهَاماً . وَالْعَاقِلُ ، وَإِنْ كَانَ وَاثِقًا بِقُوَّتِهِ وَفَضْلِهِ ،
لَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْمِلَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَجْلِبَ الْعَدَاوَةَ عَلَى نَفْسِهِ اتْكَالًا
عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ الرَّأْيِ وَالْقُوَّةِ ؛ كَمَا أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ التَّرْيَاقُ
لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْرَبَ السُّمَ اتْكَالًا عَلَى مَا عِنْدَهُ . وَصَاحِبُ

حُسْنِ الْعَمَلِ، وَإِنْ قَصَرَ بِهِ الْقَوْلُ فِي مُسْتَقْبِلِ الْأَمْرِ، كَانَ فَضْلُهُ
بَيْنًا وَاضْحَا فِي النَّعَاقِبَةِ وَالاِخْتِبَارِ؛ وَصَاحِبُ حُسْنِ الْقَوْلِ،
وَإِنْ أَغْبَبَ النَّاسَ مِنْهُ حُسْنُ صِفَتِهِ لِلأُمُورِ، لَمْ تَمْحَدْ عَاقِبَةَ أَمْرِهِ.
وَأَنَا صَاحِبُ الْقَوْلِ الَّذِي لَا عَاقِبَةَ لَهُ مَحْمُودَةٌ . أَلِيسَ مِنْ
سَفَهِيَ اجْتِرَائِي عَلَى التَّكَلُّمِ فِي الْأَمْرِ الْجَسِيمِ لَا أَسْتَشِيرُ فِيهِ
أَحَدًا، وَلَمْ أَغْمِلْ فِيهِ رَأْيًا؟ وَمَنْ لَمْ يَسْتَشِرِ النَّصَحَاءَ الْأُولَيَاءَ،
وَعَمِلَ بِرَأْيِهِ مِنْ غَيْرِ تَكْرَارِ النَّظَرِ وَالرَّوِيَّةِ، لَمْ يَغْتَبِطْ بِمَا وَاقِعِ رَأْيِهِ.
فَمَا كَانَ أَغْنَانِي عَمَّا كَسَبْتُ يَوْمِ هَذَا، وَمَا وَقَعْتُ فِيهِ مِنَ الْهَمِّ !
وَعَاتَبَ الْغُرَابُ نَفْسَهُ بِهَذَا الْكَلَامِ وَأَشْبَاهِهِ وَذَهَبَ . فَهَذَا
مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ مِنْ ابْتِدَاءِ الْعَدَاؤِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبُومِ .

وَأَمَّا الْقِتَالُ فَقَدْ عَلِمْتَ رَأْيِي فِيهِ، وَكَرَاهَتِي لَهُ؛ وَلِكِنَّ عِنْدِي
مِنَ الرَّأْيِ وَالْحِيلَةِ غَيْرَ الْقِتَالِ مَا يَكُونُ فِيهِ الْفَرَجُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى : فَإِنَّهُ رَبُّ قَوْمٍ قَدْ أَخْتَالُوا بِأَرَائِيهِمْ حَتَّى ظَفَرُوا بِمَا
أَرَادُوا . وَمَنْ ذَلِكَ حَدِيثُ الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ ظَفَرُوا بِالنَّاسِيكِ ،
وَأَخْذُوا عَرَيْضَهُ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ النَّعْرَابُ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا اشْتَرَى عَرِيضًا ضَخْمًا لِيَجْعَلَهُ
قُرْبَانًا ، فَأَنْطَلَقَ إِلَيْهِ يَقُودُهُ . فَبَصَرَ رِبِّهِ قَوْمٌ مِنَ الْمَكَرَةِ ، فَأَتَمْرُوا
بِنَهْمَ أَنْ يَأْخُذُوهُ مِنَ النَّاسِكِ . فَعَرَضَ لَهُ أَحَدُهُمْ فَقَالَ لَهُ :
أَيْهَا النَّاسِكُ ، مَا هَذَا الْكَلْبُ الَّذِي مَعَكَ ؟ ثُمَّ عَرَضَ لَهُ الْآخَرُ
فَقَالَ لِصَاحِبِهِ : مَا هَذَا نَاسِكُ ؟ لِأَنَّ النَّاسِكَ لَا يَقُودُ كَلْبًا .
فَلَمْ يَزَالُوا مَعَ النَّاسِكِ عَلَى هَذَا وِمِثْلِهِ حَتَّى لَمْ يَشْكُ أَنَّ الَّذِي
يَقُودُهُ كَلْبٌ ، وَأَنَّ الَّذِي بَاعَهُ إِيَاهُ سُحْرٌ عَيْنَهُ ، فَأَطْلَقَهُ مِنْ يَدِهِ ؛
فَأَخَذَهُ الْجَمَاعَةُ الْمُخْتَالُونَ وَمَضَوْا بِهِ . وَإِنَّمَا صَرَبْتُ لَكَ هَذِ
الْمَثَلَ لِكَ أَرْجُو أَنْ نُصِيبَ مِنْ حَاجَتِنَا بِالرَّفِيقِ وَالْخِيلَةِ . وَإِنِّي
أَرِيدُ مِنَ الْمَلِكِ أَنْ يَنْقُرَنِي عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ ، وَيَنْتِفَ رِيشِي
وَذَنْبِي ؛ ثُمَّ يَطْرَحَنِي فِي أَصْلِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، وَيَرْتَحِلَ الْمَلِكُ هُوَ
وَجُنُودُهُ إِلَى مَكَانٍ كَذَا . فَأَرْجُو أَنِّي أَصْبِرُ وَأَطْلُعُ عَلَى أَحْوَاهِهِمْ
وَمَوَاضِعِ تَحْصِينِهِمْ وَأَبْوَابِهِمْ ، فَأَخَادُهُمْ وَآتَى إِلَيْكُمْ لِتَهْجُّ
عَلَيْهِمْ ، وَنَنَاءَ مِنْهُمْ غَرَضَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قَالَ الْمَلِكُ : أَتَطِيبُ نَفْسَكَ لِذَلِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَكَيْفَ
 لَا تَطِيبُ نَفْسِي لِذَلِكَ وَفِيهِ أَعْظَمُ الرَّاحَاتِ لِلْمَلِكِ وَجُنُودِهِ ؟
 فَفَعَلَ الْمَلِكُ بِالْغُرَابِ مَا ذَكَرَ ، ثُمَّ ارْتَحَلَ عَنْهُ . بَعْدَ الْغُرَابِ
 يَئِنْ وَيَهِمْسُ حَتَّى رَأَتِهِ النُّبُومُ وَسَمِعَتِهِ يَئِنْ ؛ فَأَخْبَرَنَ مَلِكَهُنَّ
 بِذَلِكَ ، فَقَصَدَ نَحْوَهُ لِيَسْأَلَهُ عَنِ الْغِرْبَانِ . فَلَمَّا دَنَاهُمْ أَمْرَ بُوْمَا
 أَنْ يَسْأَلَهُ فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ وَأَنْ أَنْ أَغْرِبَانُ ؟ فَقَالَ : أَمَّا أَنْتِي
 فَقُلَّانْ ، وَأَمَّا مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ فَإِنِّي أَخْسِبُكَ تَرَى أَنَّ حَالِ حَالُ
 مَنْ لَا يَعْلَمُ الْأَسْرَارَ . فَقِيلَ لِمَلِكِ النُّبُومِ : هَذَا وَزِيرُ مَلِكِ الْغِرْبَانِ
 وَصَاحِبُ رَأْيِهِ ؛ فَنَسَأَلَهُ بِأَيِّ ذَنْبٍ صُنِعَ بِهِ مَا صُنِعَ ؟ فَسُئِلَ
 الْغُرَابُ عَنْ أَمْرِهِ فَقَالَ : إِنَّ مَلِكَنَا اسْتَشَارَ جَمَاعَتَنَا فِي كُنْ :
 وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ بِخَضِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ ، فَقَالَ : أَيْهَا الْغِرْبَانُ ، مَا تَرَوْنَ
 فِي ذَلِكَ ؟ فَقُلْتُ : أَيْهَا الْمَلِكُ لَا طَاقَةَ لَنَا بِقِتَابِ النُّبُومِ : لَا تَهُنَّ
 أَشَدُ بَطْشًا ، وَأَحَدُ قَلْبًا مِنَّا . وَلَكِنْ أَرَى أَنَّ نَلْتَمِسَ الصلْحَ ،
 ثُمَّ نَبْذَلَ الْفِدْيَةَ فِي ذَلِكَ ؛ فَإِنْ قَبِلَتِ النُّبُومُ ذَلِكَ مِنَ ، وَإِلَّا

(١) الحمس : الصوت الخفيف .

هَرَبْنَا فِي الْبِلَادِ . وَإِذَا كَانَ الْقِتَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبُومِ كَانَ
خَيْرًا لَهُنَّ وَشَرًّا لَنَا ، فَالصَّلْحُ أَفْضَلُ مِنَ الْخُصُومَةِ . وَأَمْرَتُهُنَّ
بِالرُّجُوعِ عَنِ الْحَرْبِ ، وَضَرَبْتُ لَهُنَّ الْأَمْثَالَ فِي ذَلِكَ ، وَقُلْتُ
لَهُنَّ : إِنَّ الْعَدُوَ الشَّدِيدَ لَا يَرْدُ بَاسِهُ وَغَضَبَهُ مِثْلُ الْخُضُوعِ لَهُ :
الْأَتَرَيْنَ إِلَى الْحَشِيشِ كَيْفَ يَسْلُمُ مِنْ عَاصِفِ الرَّيحِ لِلْيَنِيهِ وَمَيْلِهِ
مَعَهَا حَيْثُ مَا لَتْ . فَعَصَيْتُنِي فِي ذَلِكَ ، وَزَعَمْتُ أَنَّهُنْ يُرْدَنُ
الْقِتَالَ وَأَتَهْمَنْتُ فِيهَا قُلْتُ ، وَقُلْنَ : إِنَّكَ قَدْ مَالَتِ الْبُومَ
عَلَيْنَا ، وَرَدَنَ قَوْلِي وَنِصِيَحَتِي ، وَعَذَبَنَتِي بِهَذَا الْعَذَابِ ، وَتَرَكَنَ
الْمَلِكُ وَجْنُودُهُ وَأَرْتَحَلَ . وَلَا يَعْلَمُ لِي جِنْ بَعْدَ ذَلِكَ :

فَلَمَّا سَمِعَ مَلِكُ الْبُومِ مَقَايِلَةَ الْغُرَابِ قَالَ لِبَعْضِ وَزَرَائِهِ :
مَا تَقُولُ فِي الْغُرَابِ ؟ وَمَا تَرَى فِيهِ ؟ قَالَ : مَا أَرَى إِلَّا الْمُعَاجِلَةَ
لَهُ بِالْقَتْلِ : فَإِنَّ هَذَا أَفْضَلُ عُدُدِ الْغِرَبَانِ ، وَفِي قَتْلِهِ لَنَا رَاحَةٌ
مِنْ مَكْرَهِ ، وَفَقْدُهُ عَلَى الْغِرَبَانِ شَدِيدٌ . وَيُقَالُ : مَنْ ظَفَرَ
بِالسَّاعَةِ الَّتِي فِيهَا يَنْجُحُ الْعَمَلُ ، ثُمَّ لَا يَعَاجِلُهُ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُ ،

فَلَيْسَ بِحَكِيمٍ . وَمَنْ طَلَبَ الْأَمْرَ الْجَسِيمَ ، فَأَمْكَنَهُ ذَلِكَ فَأَغْفَلَهُ . فَإِنَّهُ الْأَمْرُ ؛ وَهُوَ خَلِيقٌ أَلَا تَعُودَ لَهُ النُّفُرَصَةُ ثَانِيَةً . وَمَنْ وَجَدَ عَدُوَهُ ضَعِيفًا وَلَمْ يُنْجِزْ قَتْلَهُ ، نَدِمَ إِذَا اسْتَقَوْى وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ . قَالَ الْمَلِكُ لِوَزِيرٍ آخَرَ : مَا تَرَى أَنْتَ فِي هَذَا الْغُرَابِ ؟ قَالَ : أَرَى أَلَا تَقْتَلَهُ ؛ فَإِنَّ الْعَدُوَ الْذَّلِيلَ الَّذِي لَا نَاصِرَ لَهُ أَهْلٌ لِأَنَّ يُسْتَبِقُ وَيُرْحَمُ وَيُصْفَحُ عَنْهُ ، لَا سِيَّما الْمُسْتَجِيرُ الْخَائِفُ : فَإِنَّهُ أَهْلٌ لِأَنَّ يُوْمَنَ .

قَالَ مَلِكُ الْبُومِ لِوَزِيرٍ آخَرَ مِنْ وُزَرَائِهِ : مَا تَقُولُ فِي الْغُرَابِ ؟ قَالَ : أَرَى أَنَّ تَسْتَبِقِيهِ وَتُخْسِنَ إِلَيْهِ : فَإِنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَنْصَحِّكَ . وَالْعَاقِلُ يَرَى مُعَادَاهُ بَعْضُ أَعْدَائِهِ بَعْضًا ظَفَرًا حَسَنًا ؛ وَيَرَى أَشْتِغَالَ بَعْضِ الْأَعْدَاءِ بَعْضِ خَلَاصًا لِنَفْسِهِ مِنْهُمْ ، وَنَجَاهَةً كَنْجَاهَةِ النَّاسِكِ مِنَ الْلُّصُّ وَالشَّيْطَانِ حِينَ اخْتَلَفَا عَلَيْهِ . قَالَ الْمَلِكُ لَهُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْوَزِيرُ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا أَصَابَ مِنْ رَجُلٍ بَقَرَةَ حَلُوبًا ، فَأَنْطَلَقَ إِلَيْهَا يَقْوُدُهَا إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَعَرَضَ لَهُ لِصُّ أَرَادَ سَرِقَتَهَا ،

وَاتَّبَعَهُ شَيْطَانٌ يُرِيدُ اخْتِطَافَهُ . فَقَالَ الشَّيْطَانُ لِلَّصِّ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا الَّصُّ ، أُرِيدُ أَنْ أَسْرِقَ هَذِهِ الْبَقَرَةَ مِنَ النَّاسِكَ إِذَا نَامَ . فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا الشَّيْطَانُ أُرِيدُ اخْتِطَافَهُ إِذَا نَامَ وَأَذْهَبُ بِهِ . فَأَنْتَهِيَا عَلَى هَذَا إِلَى الْمَنْزِلِ ، فَدَخَلَ النَّاسِكَ مَنْزِلَهُ ، وَدَخَلَ خَلْفَهُ ، وَأَدْخَلَ الْبَقَرَةَ فَرَبَطَهَا فِي زَاوِيَةِ الْمَنْزِلِ ، وَتَعَشَّى وَنَامَ . فَأَقْبَلَ الَّصُّ وَالشَّيْطَانُ يَأْتِيَرَانِ فِيهِ ، وَأَخْتَلَفَا عَلَى مَنْ يَبْدَا يُشْغِلِهِ أَوْلًا ، فَقَالَ الشَّيْطَانُ لِلَّصِّ : إِنْ أَنْتَ بَدَأْتَ بِاَخْذِ الْبَقَرَةِ فَرُبَّمَا أَسْتَيقَظُ وَصَاحَ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ : فَلَا أَقْدِرُ عَلَى أَخْذِهِ . فَأَنْظَرَنِي رَبِّيَا أَخْذُهُ ، وَشَائِنَكَ وَمَا تُرِيدُ . فَأَشْفَقَ الَّصُّ إِنْ بَدَأَ الشَّيْطَانُ بِاَخْتِطَافِهِ فَرُبَّمَا أَسْتَيقَظُ ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى أَخْذِ الْبَقَرَةِ ، فَقَالَ : لَا ، بَلْ أَنْظَرَنِي أَنْتَ حَتَّى أَخْذَ الْبَقَرَةَ ، وَشَائِنَكَ وَمَا تُرِيدُ . فَلَمْ يَرَالَا فِي الْجُمَادَةِ هَكَذَا ، حَتَّى نَادَى الَّصُّ : أَيْهَا النَّاسِكُ أَنْتِهِ : فَهَذَا الشَّيْطَانُ يُرِيدُ اخْتِطَافَكَ ، وَنَادَى الشَّيْطَانُ : أَيْهَا النَّاسِكُ أَنْتِهِ : فَهَذَا الَّصُّ يُرِيدُ أَنْ يَسْرِقَ بَقَرَتَكَ . فَأَنْتَهِ النَّاسِكُ وَجِيرَانُهُ بِأَصْوَاتِهِمَا ،

وَهَرَبَ الْخَيْشَانِ . قَالَ الْوَزِيرُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِ
الْغُرَابِ : أَظُنُّ أَنَّ الْغُرَابَ قَدْ خَدَعَكُنَّ ، وَوَقَعَ كَلَامُهُ فِي نَفْسِ
الْغَيْبِ مِنْكُنَّ مَوْقِعَهُ ، فَتَرِدَنَّ أَنَّ تَضَعَنَ الرَّأْيَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ .
فَهَلَا مَهْلَلاً أَيْهَا الْمَلِكُ عَنْ هَذَا الرَّأْيِ . فَلَمْ يَلْتَفِتْ الْمَلِكُ
إِلَى قَوْلِهِ وَأَمْرَ بِالْغُرَابِ أَنْ يُحْمَلَ إِلَى مَنَازِلِ الْبُوْمِ ، وَيُنْكَرَ
وَيُسْتَوْصَى بِهِ خَيْرًا

ثُمَّ إِنَّ الْغُرَابَ قَالَ لِلْمَلِكِ يَوْمًا ، وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْبُوْمِ ،
وَفِيهِنَّ الْوَزِيرُ الَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِهِ : أَيْهَا الْمَلِكُ ، قَدْ عَلِمْتَ مَا جَرَى
عَلَى مِنَ الْغِرْبَانِ ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَرِيحُ قَلْبِي دُونَ أَخْذِي بِشَأْرِي
مِنْهُنَّ ؛ وَإِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي ذَلِكَ ، فَإِذَا بِي لَا أَقْدِرُ عَلَى مَا
رُمِّتُ : لِأَنِّي غُرَابٌ . وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُمْ قَالُوا :
مَنْ طَابَتْ نَفْسُهُ بِأَنْ يَخْرِقَهَا ، فَقَدْ قَرَبَ لِلَّهِ أَعْظَمَ الْقُرْبَانِ .
لَا يَدْعُو عِنْدَ ذَلِكَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ . فَإِنَّ رَأْيَ الْمَلِكِ
أَنْ يَأْمُرَنِي فَأَخْرِقَ نَفْسِي ، وَادْعُوَرَبِي أَنْ يُحَوِّلَنِي بُومًا ، فَأَكُونَ

(١) هذا في اعتقاد المتردّ الذين لم يستطعوا بنور الإسلام .

أشدَّ عَدَاؤَهُ وَأَقْوَى بَأْسًا عَلَى الْغِرْبَانِ ، لَعَلَى أَنْتَقِمُ مِنْهُنَّ ! قَالَ الْوَزِيرُ الَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِهِ : مَا أُشَبِّهُكَ فِي خَيْرٍ مَا تُظْهِرُ وَشَرُّ مَا تُخْفِي إِلَّا بِالْحَمْرَةِ الطَّيِّبَةِ الطَّعِيمِ وَالرُّيحِ الْمُنْقَعِ فِيهَا السُّمُّ . أَرَأَيْتَ لَوْ أَخْرَقْنَا جِسْمَكَ بِالنَّارِ كَانَ جَوْهَرُكَ وَطِبَاعُكَ مُتَغَيِّرٌ ؟ أَلَيْسَتِ أَخْلَاقُكَ تَدُورُ مَعَكَ حِينَما دُرْتَ ، وَتَصِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَصْلِكَ وَطَوِيلِكَ ؟ كَالْفَارَةِ الَّتِي خُرِبتَ فِي الْأَزْوَاجِ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالرُّوحِ وَالسَّحَابِ وَالْجَبَلِ فَلَمْ يَقْعُ اخْتِيَارُهَا إِلَّا عَلَى الْجُحْرَذِ . قِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ نَاسِكُ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ ، فَبَيْنَمَا هُوَذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ إِذْ مَرَّتْ بِهِ حَدَّةٌ فِي رِجْلِهَا ^(١) دِرْصٌ فَارِةٌ . فَوَقَعَتْ مِنْهَا عِنْدَ النَّاسِكِ ، وَادْرَكَتْهُ لَهَا رَحْمَةً ، فَأَخْدَهَا وَلَفَّهَا فِي وَرَقَةٍ ، وَذَهَبَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ ، ثُمَّ خَافَ أَنْ تَسْقَى عَلَى أَهْلِهِ تَرْبِيَتْهَا ، فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ يُحُولَهَا جَارِيَةً : فَتَحَوَّلَتْ جَارِيَةً حَسَنَاءً . فَأَنْطَلَقَ بِهَا إِلَى امْرَأَتِهِ ، فَقَالَ لَهَا : هَذِهِ ابْنَتِي ،

(١) ولد الفارة .

فَاصْنَعِي مَعَهَا صَنِيعَكِ بِوَلَدِي . فَلَمَّا كَبِرَتْ قَالَ لَهَا النَّاسِكُ :
 يَا بُنْيَةُ أَخْتَارِي مَنْ أَحْبَبْتِ حَتَّى أَزْوَجَكَ بِهِ . فَقَالَتْ ، أَمَّا إِذَ
 خَيَرَتِنِي فَإِنِّي أَخْتَارُ زَوْجًا يَكُونُ أَقْوَى الْأَشْيَاءِ . فَقَالَ النَّاسِكُ
 لَعَلَّكِ تُرِيدِينَ الشَّمْسَ ! ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الشَّمْسِ فَقَالَ : أَيُّهَا
 الْخَلْقُ الْعَظِيمُ ، لِي جَارِيَةٌ ، وَقَدْ طَلَبَتْ زَوْجًا يَكُونُ أَقْوَى
 الْأَشْيَاءِ ، فَهَلْ أَنْتَ مُتَزَوْجُهَا ؟ فَقَالَتِ الشَّمْسُ : أَنَا أَدْلُكَ
 عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي : السَّحَابُ الَّذِي يُغْطِينِي ، وَيُرِدُّ
 شَعَاعِي ، وَيُكَسِّفُ أَشْعَةَ أَنْوَارِي . فَذَهَبَ النَّاسِكُ إِلَى السَّحَابِ
 فَقَالَ لَهُ مَا قَالَ لِلشَّمْسِ ، فَقَالَ السَّحَابُ : وَأَنَا أَدْلُكَ عَلَى مَنْ
 هُوَ أَقْوَى مِنِّي : فَأَذْهَبُ إِلَى الرِّيحِ الَّتِي تُقْبِلُ بِي وَتُدْبِرُ ، وَتَذَهَّبُ
 بِي شَرْقًا وَغَرْبًا . بَفَاءُ النَّاسِكُ إِلَى الرِّيحِ فَقَالَ لَهَا كَقَوْلًا
 لِلسَّحَابِ . فَقَالَتْ : وَأَنَا أَدْلُكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي ، وَهُوَ
 الْجَبَلُ الَّذِي لَا أَقْدِرُ عَلَى تَخْرِيكِهِ . فَمَضَى إِلَى الْجَبَلِ فَقَالَ لَهُ
 الْقَوْلَ الْمَذُوْرَ . فَأَجَابَهُ الْجَبَلُ وَقَالَ لَهُ : أَنَا أَدْلُكَ عَلَى مَنْ هُوَ
 أَقْوَى مِنِّي : الْجَرْدُ الَّذِي لَا أَسْتَطِيعُ الْإِمْتِنَاعَ مِنْهُ إِذَا ثَقَبَنِي .

وَالْحَنْدِيْ مَسْكَنًا . فَانْطَلَقَ النَّاسِكُ إِلَى الْجُرْذِ فَقَالَ لَهُ : هَلْ أَنْتَ مَتْزَوْجٌ هُذِهِ الْجَارِيَةَ ؟ فَقَالَ : وَكَيْفَ أَتَزَوْجُهَا وَجُرْبِي ضَيْقٌ ؟ وَإِنَّمَا يَتَزَوْجُ الْجُرْذُ الْفَارَةَ . فَدَعَا النَّاسِكُ رَبَّهُ أَنْ يُحَوِّلَهَا فَارَةً كَمَا كَانَتْ وَذَلِكَ بِرِضاِ الْجَارِيَةِ ، فَأَعَادَهَا اللَّهُ إِلَى عَنْصُرِهَا الْأَوَّلِ فَانْطَلَقَتْ مَعَ الْجُرْذِ . فَهَذَا مَثَلُكَ : أَيُّهَا الْخَادِعُ . فَلَمْ يَلْتَفِتْ مَلِكُ الْبُوْمِ إِلَى ذَلِكَ الْقَوْلِ ، وَرَفَقَ بِالْغُرَابِ ، وَلَمْ يَزَدْ ذَلِكَ إِلَّا إِكْرَامًا ، حَتَّى إِذَا طَابَ عَيْشُهُ ، وَنَبَّتَ رِيشُهُ ، وَأَطْلَعَ عَلَى مَا أَرَادَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ ، رَاغَ رَوْغَةً . فَأَتَى أَصْحَابَهُ بِمَا رَأَى وَسَمِعَ . فَقَالَ لِلْمَلِكِ : إِنِّي قَدْ فَرَغْتُ مِمَّا كُنْتُ أُرِيدُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ ، قَالَ لَهُ : أَنَا وَالْحَنْدُ نَحْنُتَ أَمْرُكَ ، فَأَخْتَكِمْ كَيْفَ شِئْتَ .

قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّ الْبُوْمَ بِمَكَانِ كَذَا ، فِي جَبَلٍ كَثِيرٍ الْحَطَبِ ، وَفِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ قَطِيعٌ مِنَ الْغَنَمَ ، مَعَ رَجُلٍ رَاعِي ؛ وَنَحْنُ مُصِيبُونَ هُنَاكَ نَارًا ، وَنُلْقِيَاهَا فِي أَنْقَابِ الْبُوْمِ ، وَنَقْدِفُ عَلَيْهَا

(١) جمع ثقب أو ثقب يعني الثقب أو الطريق ، والمراد بها مساكن البويم .

مِنْ يَاهِسِ الْحَطَبِ ، وَنَتَرَاوَحُ عَلَيْهَا ضَرْبًا بِأَجْنِحَتِنَا ، حَتَّى
تَضْطَرِمَ النَّارُ فِي الْحَطَبِ : فَنَّ خَرَجَ مِنْهُنَّ احْتَرَقَ وَمَنْ لَمْ يَخْرُجْ
مَاتَ يَالْدَخَانِ مَوْضِعَهُ . فَفَعَلَ الْغِرْبَانُ ذَلِكَ : فَأَهْلَكَنَ الْبُومَ
فَاطِبَةً ، وَرَجَعَنَ إِلَى مَنَازِلِهِنَّ سَالِكَاتِ آمِنَاتٍ .

ثُمَّ إِنَّ مَلِكَ الْغِرْبَانِ قَالَ لِذَلِكَ الْغُرَابِ : كَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى
صُحبَةِ الْبُومِ ، وَلَا صَبَرَ لِلْأَخْيَارِ عَلَى صُحبَةِ الْأَشْرَارِ؟ فَقَالَ الْغُرَابُ :
إِنَّ مَا قُلْتَهُ ، أَئْهَا الْمَلِكُ لِكَذَلِكَ . وَلِكِنَّ الْعَاقِلَ إِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ
الْفَظِيعُ الْعَظِيمُ الَّذِي يَخَافُ مِنْ عَدَمِ تَحْمِيلِهِ الْجَائِحَةَ عَلَى نَفْسِهِ
وَقَوْمِهِ ، لَمْ يَجْزَعْ مِنْ شِدَّةِ الصَّبْرِ عَلَيْهِ ، لِمَا يَرْجُو مِنْ أَنْ يُعْقِبَهُ
صَبْرَهُ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ وَكَثِيرَ الْخَيْرِ فَلَمْ يَجِدْ لِذَلِكَ أَمَّا ، وَلَمْ
تَكُرِهْ نَفْسُهُ الْخُضُوعَ لِمَنْ هُوَ دُونَهُ ، حَتَّى يَبْلُغَ حَاجَتَهُ . فَيَغْتَبِطُ
بِخَاتِمَةِ أَمْرِهِ ، وَعَاقِبَةِ صَبْرِهِ . فَقَالَ الْمَلِكُ : أَخْبِرْنِي عَنْ عُقُولِ
الْبُومِ : قَالَ الْغُرَابُ : لَمْ أَجِدْ فِيهِنَّ عَاقِلاً إِلَّا الَّذِي كَانَ يَحْتَهُنَّ
عَلَى قَتْلِي ، وَكَانَ حَرَضَهُنَّ عَلَى ذَلِكَ مِرَارًا ، فَكُنَّ أَضْعَفَ شَيْءًا

رَأِيَا ! فَلَمْ يَنْظُرُنَّ فِي أَمْرِي ، وَيَذْكُرُنَّ أَنِّي قَدْ كُنْتُ ذَا مَنْزِلَةً
 فِي الْغِرْبَانِ ، وَأَنِّي أَعْدَّ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ ، وَلَمْ يَخْوَفْنَ مَكْرِي
 وَحِيلَتِي ، وَلَا قَيْلَنَ مِنَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ ، وَلَا أَخْفَيْنَ دُونِي
 أَسْرَارَهُنَّ . وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ : يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُحَصِّنَ أُمُورَهُ
 مِنْ أَهْلِ النَّمِيمَةِ ، وَلَا يُطْلِعَ أَحَدًا مِنْهُمْ عَلَى مَوَاضِعِ سِرِّهِ .
 فَقَالَ الْمَلِكُ : مَا أَهْلَكَ الْبُومَ فِي نَفْسِي إِلَّا الْبَغْيُ ، وَضَعْفُ رَأْيِ
 الْمَلِكِ ، وَمُوافَقَتُهُ وُزَرَاءُ السُّوءِ . فَقَالَ الْغُرَابُ : صَدَقْتَ أَيَّهَا
 الْمَلِكُ ، إِنَّهُ قَلَّمَا ظَفَرَ أَحَدٌ بِغَنِّي وَلَمْ يُطْعَنْ ، وَقَلَّ مَنْ أَكْثَرَ
 مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا أَمْرِضَ . وَقَلَّ مَنْ وَثَقَ بِوُزَرَاءِ السُّوءِ وَسَلِيمَ مِنْ
 أَنْ يَقَعَ فِي الْمَهَالِكِ . وَكَانَ يُقَالُ : لَا يَطْمَعَنَّ ذُو الْكِبْرِ
 فِي حُسْنِ النَّشَاءِ ، وَلَا اخْبَثَ فِي كَثْرَةِ الصَّدِيقِ ، وَلَا السَّيِّ
 الأَدَبِ فِي الشَّرْفِ ، وَلَا السَّيْحِيْجُ فِي الْبِرِّ ، وَلَا الْحَرِيْصُ
 فِي قِلَّةِ الذُّنُوبِ ، وَلَا الْمَلِكُ الْخُتَالُ ، الْمُتَهَاؤُنُ بِالْأُمُورِ ،
 الْضَّعِيفُ الْوُزَرَاءُ فِي ثَبَاتِ مُلْكِهِ ، وَصَلاْحُ رَعِيَّتِهِ . قَالَ
 الْمَلِكُ : لَقَدِ اخْتَمَّتْ مَشَقَّةً شَدِيدَةً فِي تَصَبِّعِكَ لِلْبُومِ ،

وَتَضْرِعُكَ لَهُنَّ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّهُ مَنِ احْتَمَلَ مَشْقَةً يَرْجُو
نَفْعَهَا ، وَنَحْنُ عَنْ نَفْسِهِ الْأَنْفَةُ وَالْجِيَّةُ ، وَوَطْنَهَا عَلَى الصَّبَرِ
^(١) حَمَدَ غَبَّ رَأْيِهِ ، كَمَا صَبَرَ الْأَسْوَدُ عَلَى حَمْلِ مَلِكِ الضَّفَادِعِ عَلَى
ظَهِيرِهِ ، وَشَيْعَ بِذِلِكَ وَعَاشَ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟
قَالَ الْغُرَابُ : زَعَمُوا أَنَّ أَسْوَدَ مِنَ الْحَيَاتِ كَبِيرٌ ، وَضَعُفَ
بَصْرُهُ . وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ : فَلَمْ يَسْتَطِعْ صَيْدًا ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى طَعَامٍ
وَأَنَّهُ أَنْسَابَ يَلْتَمِسُ شَيْئًا يَعِيشُ بِهِ ، حَتَّى انتَهَى إِلَى عَيْنٍ كَثِيرَةِ
الضَّفَادِعِ ، قَدْ كَانَ يَأْتِيهَا قَبْلَ ذَلِكَ ، فَيُصِيبُ مِنْ ضَفَادِعَهَا
رِزْقَهُ ، فَرَمَى نَفْسَهُ قَرِيبًا مِنْهُنَّ مُظْهِرًا لِلنَّكَابَةِ وَالْخُزْنِ . فَقَالَ لَهُ
^(٢) ضَفَادِعُ : مَا لِي أَرَاكَ ، أَيْهَا الْأَسْوَدُ ، كَيْبِيَا حَزِينًا ؟ قَالَ : وَمَنْ
أَخْرَى بِطُولِ الْخُزْنِ مِنِّي ! وَإِنَّمَا كَانَ أَكْثَرُ مَعِيشَتِي مِمَّا كُنْتُ
أَصِيبُ مِنَ الضَّفَادِعِ ، فَابْتُلِيتُ بِبَلَاءٍ ، وَحَرَمَتْ عَلَى الضَّفَادِعِ
مِنْ أَجْلِهِ ، حَتَّى إِنِّي إِذَا التَّقَيْتُ بِبَعْضِهَا ، لَا أَقْدِرُ عَلَى إِمسَاكِهِ .

(١) عَاقِبةٌ . (٢) بَكْسَرُ أَوْلَهُ وَثَالِثَهُ أَوْ فَتْحُهُمَا أَوْ ضَمُّ الْأَوَّلِ وَفَتْحُ الثَّالِثِ الْوَاحِدَةِ بِهَا .

وَاجْمَعْ ضَفَادِعٌ .

فَانطَلَقَ الضَّفْدِعُ إِلَى مَلِكِ الضَّفَادِعِ ، فَبَشَّرَهُ بِمَا سَمِعَ مِنَ
 الْأَسْوَدِ . فَأَتَى مَلِكُ الضَّفَادِعِ إِلَى الْأَسْوَدِ . فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ
 كَانَ أَمْرُكَ ؟ قَالَ : سَعَيْتُ مُنْذُ أَيَّامٍ فِي طَلَبِ ضَفْدِعٍ . وَذَلِكَ
 عِنْدَ الْمَسَاءِ ؛ فَاضْطَرَرْتُ إِلَى بَيْتِ نَاسِكٍ ، وَدَخَلْتُ فِي أَغْرِيهِ
 فِي الظُّلْمَةِ وَفِي الْبَيْتِ ابْنِ النَّاسِكِ ، فَاصْبَحْتُ إِصْبَعَهُ ، فَظَنَّتُ
 أَنَّهَا الضَّفْدِعُ ، فَلَدَعْتُهُ فَقَاتَ . نَخَرَجْتُ هَارِبًا ، فَتَبَعَّنِي
 النَّاسِكُ فِي أَغْرِيٍ ، وَدَعَاهُ عَلَىَّ ، وَلَعَنَّيْ . وَقَالَ : كَمَا قَتَلْتَ ابْنِي
 الْبَرِيَّ ظُلْمًا وَتَعْدِيَا ، أَدْعُوكَ أَنْ تَذَلَّ وَتَصِيرَ مِنْ كَمَا
 مَلِكِ الضَّفَادِعِ ، فَلَا تَسْتَطِعُ أَخْذَهَا ، وَلَا أَكْلَ شَيْئًا مِنْهَا ،
 إِلَّا مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْكَ مَلِكُهَا . فَأَتَيْتُ إِلَيْكَ لِتَرْكَبِنِي ، مُقْرًا
 بِذَلِكَ ، رَاضِيًّا بِهِ . فَرَغَبَ مَلِكُ الضَّفَادِعِ فِي رُكُوبِ الْأَسْوَدِ ،
 وَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ نَخْرُلَهُ وَشَرَفُ ، وَرِفْعَةٌ ، فَرَكِبَهُ وَأَسْتَطَابَ ذَلِكَ .
 فَقَالَ لَهُ الْأَسْوَدُ ، قَدْ عَلِمْتَ أَيْهَا الْمَلِكُ أَنِّي مَحْرُومٌ ، فَاجْعَلْ لِي
 رِزْقًا أَعِيشُ بِهِ . قَالَ مَلِكُ الضَّفَادِعِ : لَعَمْرِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ
 رِزْقٍ يَقُومُ بِكَ ، إِذْ كُنْتَ مَرْكَبِي . فَأَمْرَ لَهُ بِضَفْدِعَيْنِ

يُوْحَدَانِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَيُدْفَعَانِ إِلَيْهِ . فَعَاشَ بِذَلِكَ ، وَلَمْ يُضْرِهِ خُضُوعُهُ لِلْعَدُوِ الْذَّلِيلِ ؛ بَلِ اتَّفَعَ بِذَلِكَ ، وَصَارَ لَهُ رِزْقًا وَمَعِيشَةً . وَكَذَلِكَ كَانَ صَبَرِي عَلَى مَا صَبَرَتْ عَلَيْهِ ، التِّمَاسًا لِهَذَا النَّفْعِ الْعَظِيمِ الَّذِي اجْتَمَعَ لَنَا فِيهِ الْأَمْنُ وَالظَّفَرُ ، وَهَلَالُ الْعَدُوِ وَالرَّاحَةُ مِنْهُ . وَوَجَدْتُ صَرْعَةَ الَّذِينَ وَالرُّفْقِ أَسْرَعَ وَأَشَدَّ اسْتِصَالًا لِلْعَدُوِ مِنْ صَرْعَةِ الْمُكَابَرَةِ : فَإِنَّ النَّارَ لَا تَزِيدُ بِحِدَّتِهَا وَحَرَّهَا إِذَا أَصَابَتِ الشَّجَرَةَ عَلَى أَنْ تُخْرِقَ مَا فَوْقَ الْأَرْضِ مِنْهَا . وَالْمَاءُ يَرْدِهِ وَلِيْنِهِ يَسْتَأْصِلُ مَا تَحْتَ الْأَرْضِ مِنْهَا . وَيُقَالُ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءٌ لَا يُسْتَقْلُ قَلِيلُهَا : النَّارُ وَالْمَرْضُ وَالْعَدُوُ وَالدِّينُ . قَالَ الْغُرَابُ : وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ رَأْيِ الْمَلِكِ وَأَدَبِهِ وَسَعَادَةِ جَدِّهِ . وَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ : إِذَا طَلَبَ اثْنَانِ أَمْرًا ظَفَرَ بِهِ مِنْهُمَا أَفْضَلُهُمَا مُرْوَةً . فَإِنْ اعْتَدَلَا فِي الْمُرْوَةِ ، فَأَشَدُهُمَا عَزْمًا . فَإِنْ اسْتَوَيَا فِي الْعَزْمِ ، فَأَسْعَدُهُمَا جَدًا . وَكَانَ يُقَالُ : مَنْ حَارَبَ الْمَلِكَ الْحَازِمَ الْأَرِيبَ الْمُتَضَرِّعَ الَّذِي لَا تُبْطِرُهُ السَّرَّاءُ ، وَلَا تُدِهِشُهُ الضَّرَاءُ ، كَانَ هُوَ دَاعِيَ الْحَتْفِ إِلَى نَفْسِهِ ، وَلَا سِيمَا

إِذَا كَانَ مِثْلَكَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَالِمُ بِفُرُوضِ الْأَعْمَالِ ، وَمَوَاضِعِ
الشَّدَّةِ وَاللَّيْنِ ، وَالغَضَبِ وَالرُّضَا ، وَالْمُعَاجِلَةِ وَالْأَنَاءِ ، النَّاظِرُ
فِي أَمْرٍ يَوْمِهِ وَغَدِيرِهِ ، وَعَوَاقِبِ أَعْمَالِهِ . قَالَ الْمَلِكُ لِلنَّفَرِ :
بَلْ بِرَأْيِكَ وَعَقْلِكَ وَنَصِيحَتِكَ وَيُمْسِنْ طَالِعَكَ كَانَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ
رَأَى الرَّجُلُ الْوَاحِدُ ، الْعَاقِلُ الْحَازِمُ ، أَبْلَغُ فِي هَلَالِكَ الْعَدُوِّ مِنَ
الْخُنُودِ الْكَثِيرَةِ ، مِنْ ذَوِي الْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ ، وَالْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ .
وَإِنَّ مِنْ يَحِيبُ أَمْرِكَ عِنْدِي طُولَ لُبْثَكَ بَيْنَ ظَهَرَانِ الْبُوْمِ
تَسْمَعُ الْكَلَامَ الْغَلِيلَظَّ ، ثُمَّ لَمْ تَسْقُطْ بَيْنَهُنَّ بِكَلِمَةٍ ! قَالَ النَّفَرِ :
لَمْ أَزَلْ مُخَسِّكًا يَادِيكَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ : أَضَبَبُ الْبَعِيدَ وَالْقَرِيبَ ،
يَالْرُّفِيقِ وَاللَّيْنِ ، وَالْمُبَالَغَةِ وَالْمَوَاتَةِ . قَالَ الْمَلِكُ : أَصَبَحْتُ
وَقَدْ وَجَدْتُكَ صَاحِبَ الْعَمَلِ ، وَوَجَدْتُ غَيْرَكَ مِنَ الْوُزَارَاءِ
أَصْحَابَ أَقَاوِيلَ : لَيْسَ لَهَا عَاقِبَةٌ حَمِيلَةٌ فَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا
بِكَ مِنْهُ عَظِيمَةً لَمْ نَكُنْ قَبْلَهَا تَجِدُ لَذَّةَ الطَّعَامِ وَلَا الشَّرَابِ ،
وَلَا النَّوْمِ وَلَا الْقَرَارِ . وَكَانَ يُقَالُ : لَا يَجِدُ الْمَرِيضُ لَذَّةَ الطَّعَامِ
وَالنَّوْمَ حَتَّى يَبْرَا ، وَلَا الرَّجُلُ الشَّرِهُ الَّذِي قَدْ أَطْمَعَهُ سُلْطَانُهُ

فِي مَالٍ وَعَمَلٍ فِي يَدِهِ، حَتَّى يُنْجِزَهُ لَهُ؛ وَلَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدْ أَخَّرَ
عَلَيْهِ عَدُوَّهُ، وَهُوَ يَخَافُهُ صَبَاحًا وَمَسَاءً حَتَّى يَسْتَرِيحَ مِنْهُ قَلْبُهُ.
وَمَنْ وَضَعَ الْحِمْلَ الثَّقِيلَ عَنْ يَدِهِ أَرَأَحَ نَفْسَهُ. وَمَنْ أَمِنَ عَدُوَّهُ
ثُلَّجَ صَدْرَهُ .^(١)

قَالَ الْغُرَابُ : أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَهْلَكَ عَدُوَّكَ أَنْ يُمْتَعَكَ
بِسُلْطَانِكَ ، وَأَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ صَلَاحَ رَعِيَّتَكَ ، وَيُشْرِكُهُمْ
فِي قُرَّةِ الْعَيْنِ بِمُلْكِكَ ! فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مُلْكِهِ قُرَّةَ
عَيْوَنِ رَعِيَّتِهِ ، فَمُثِلُّهُ مُثَلُّ زَنْمَةِ الْعَنْزِ الَّتِي يَمْصُبُهَا ، وَهُوَ يَحْسِبُهَا
حَلَّةَ الضَّرْعِ ، فَلَا يُصَادِفُ فِيهَا خَيْرًا . قَالَ الْمَلِكُ : أَيَّهَا
الْوَزِيرُ الصَّالِحُ ، كَيْفَ كَانَتْ سِيرَةُ الْبُوْمِ وَمَلِكِهَا فِي حُرُوبِهَا ،
وَفِيهَا كَانَتْ فِيهِ مِنْ أُمُورِهَا ؟ قَالَ الْغُرَابُ : كَانَتْ سِيرَتُهُ سِيرَةَ
بَطَرِّ ، وَأَشَرِّ وَخُيَلَّةَ ، وَبَعْزِ ، وَنَفَرِّ ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الصَّفَاتِ
الْذَّمِيمَةِ . وَكُلُّ أَصْحَابِهِ وَوُزَرَائِهِ شَبِيهُ بِهِ ، إِلَّا الْوَزِيرُ الَّذِي
كَانَ يُشِيرُ عَلَيْهِ بِيُقْتَلِي : فَلِإِنَّهُ كَانَ حَكِيمًا أَرِيَّا ، فَيَلْسُوفًا حَازِمًا

(١) اطمأن . (٢) قطعة لم تتدلى من عنقه .

عَالَمًا ، قَلَّمَا يُرَى مِثْلُهُ فِي عُلُوِّ الْحِسْمَةِ ، وَكَالْعَقْلِ ، وَجَوْدَةِ الرَّأْيِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَأَىْ خَصْلَةٍ رَأَيْتَ مِنْهُ كَانَتْ أَدَلَّ عَلَى عَقْلِهِ ؟ قَالَ : خَلَّتَانِ : إِخْدَاهُمَا رَأَيْهُ فِي قَتْلِي ، وَالْأُخْرَى أَنَّهُ لَمْ يُكَنْ يَكْتُمْ صَاحِبَهُ نَصِيبَهُ ، وَإِنْ اسْتَقَلُّهَا ؛ وَلَمْ يُكَنْ كَلَامُهُ كَلَامَ عُنْفٍ وَقَسْوَةً ، وَلِكِبَّتِهِ كَلَامُ رِفْقٍ وَلِيُنِ حَتَّى إِنَّهُ رُبَّمَا أَخْبَرَ بِبَعْضِ عَيْوِبِهِ ، وَلَا يُصْرِحُ بِحَقْيَقَةِ الْحَالِ بَلْ يَضْرِبُ لَهُ الْأَمْثَالَ ، وَيَحْدُثُهُ بِعَيْبٍ غَيْرِهِ ، فَيَعْرِفُ عَيْبَهُ . فَلَا يَجِدُ مَلِكُهُ إِلَى الْغَضَبِ عَلَيْهِ سَبِيلًا . وَكَانَ مِمَّا سَمِعَتْهُ يَقُولُ مَلِكُهُ : إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَغْفُلَ عَنْ أَمْرِهِ . فَإِنَّهُ أَمْرٌ جَسِيمٌ ، لَا يَظْفَرُ بِهِ مِنَ النَّاسِ إِلَّا قَلِيلٌ ، وَلَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْحَزْمِ ؛ فَإِنَّ الْمَلِكَ عَزِيزٌ ، فَمَنْ ظَفَرَ بِهِ فَلَدُّهُ حِسْنٌ حِفْظَهُ وَتَحْصِينَهُ ، فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ : إِنَّهُ فِي قِلَّةِ بَقَائِهِ بِمَنْزِلَةِ قِلَّةِ بَقَاءِ الظُّلُلِ عَنْ وَرَقِ النَّيلُوفَرِ ؛ وَهُوَ فِي خَفَّةِ زَوَالِهِ ، وَسُرْعَةِ إِقْبَالِهِ وَإِدْبَارِهِ كَالرَّيْحِ ؛ وَفِي قِلَّةِ ثَبَائِهِ كَاللَّيْبِ بِمَعِ اللَّئَامِ ؛ وَفِي سُرْعَةِ اضْمَحْلَالِهِ كَحَبَابِ الْمَاءِ مِنْ وَقْعِ الْمَطَرِ . فَهَذَا مَثَلُ أَهْلِ الْعَدَاوَةِ الَّذِينَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُغْتَرِّبُوهُمْ ؛ وَإِنْ هُمْ أَظْهَرُوا تَوْدُداً وَتَضْرِعاً . (انقضى باب اليوم والغربان)

بَابُ الْقِرْدِ وَالْغَيْلَمِ^(١)

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيَاسُوفُ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْمَثَلَ ، فَأَضْرِبْ لِي مَثَلَ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ ، فَإِذَا ظَفَرَ بِهَا ، أَضَاعَهَا . قَالَ الْفَيَاسُوفُ : إِنَّ طَلَبَ الْحَاجَةِ أَهُونُ مِنَ الْاِخْتِفَاظِ بِهَا ، وَمَنْ ظَفَرَ بِحَاجَةٍ ثُمَّ لَمْ يُخْسِنِ الْقِيَامَ بِهَا ، أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الْغَيْلَمَ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا يُقَالُ لَهُ مَاهِرٌ ، كَانَ مَلِكَ الْقِرَدَةِ ، وَكَانَ قَدْ كَبِرَ وَهِرِمَ ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ قِرْدٌ شَابٌ مِنْ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ فَتَغلَّبَ عَلَيْهِ ، وَأَخْدَ مَكَانَهُ . نَفَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ ، حَتَّى انتَهَى إِلَى السَّاحِلِ ، فَوَجَدَ شَجَرَةً مِنْ شَجَرِ التَّينِ ، فَارْتَقَ إِلَيْهَا وَجَعَلَهَا مُقَامَهُ . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ ذَلِكَ التَّينِ ، إِذْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ تِينَةٌ فِي الْمَاءِ ، فَسَمِعَ لَهَا صَوْتًا وَإِيقَاعًا ، بَفَعَلَ يَأْكُلُ وَيَرْمِي فِي الْمَاءِ ، فَأَطْرَبَهُ ذَلِكَ : فَأَكْثَرَ مِنْ طَرْجِ التَّينِ فِي الْمَاءِ ، وَثُمَّ غَيْلَمَ ، كُلَّمَا وَقَعَتْ تِينَةٌ أَكَلَهَا . فَلَمَّا

كثُرَ ذلِكَ ظَنَّ أَنَّ الْقِرْدَ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذلِكَ لِأَجْلِهِ ، فَرَغَبَ
 فِي مُصَادَقَتِهِ ، وَأَنْسَ إِلَيْهِ ، وَكَلَمَهُ ، وَأَلِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
 صَاحِبَهُ . وَطَالَتْ غَيْبَةُ الْغَيْلَمَ عَنْ زَوْجَتِهِ : بَخْرَعَتْ عَلَيْهِ ،
 وَشَكَتْ ذلِكَ إِلَى جَارَةِ هَا ، وَقَاتَ : قَدْ خَفْتُ أَنْ يَكُونَ
 قَدْ عَرَضَ لَهُ عَارِضُ سُوءٍ فَاغْتَالَهُ . فَقَاتَتْ هَا : إِنَّ زَوْجَكَ
 بِالسَّاحِلِ قَدْ أَلِفَ قِرْدًا وَأَلِفَهُ الْقِرْدُ : فَهُوَ مُواكِلُهُ وَمُشَارِبُهُ ،
 وَهُوَ الَّذِي قَطَعَهُ عَنِكِ ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُقْيِمَ عِنْدَكِ حَتَّى تَخْتَالِي
 لِهَلَالِكِ الْقِرْدِ . قَاتَ : وَكَيْفَ أَصْنَعُ؟ . قَاتَ جَارَتَهَا : إِذَا
 وَصَلَ إِلَيْكِ فَتَمَارِضِي ، فَإِذَا سَأَلَكِ عَنْ حَالِكِ فَقُولِي : إِنَّ
 الْحُكْمَاءَ وَصَفُوا لِي قَلْبَ قِرْدٍ . ثُمَّ إِنَّ الْغَيْلَمَ انْطَلَقَ بَعْدَ مُدَّةٍ
 إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةَ الْحَالِ مَهْمُومَةً ، فَقَالَ هَا
 الْغَيْلَمُ : مَا لِي أَرَاكِ هَذَا ، فَأَجَابَتْهُ جَارَتُهَا ، وَقَاتَ : إِنَّ
 زَوْجَكَ مَرِيضَةٌ مِسْكِينَةٌ . وَقَدْ وَصَفَ لَهَا الْأَطْبَاءُ قَلْبَ قِرْدٍ ،
 وَلَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ سِوَاهُ . قَالَ الْغَيْلَمُ : هَذَا أَمْرٌ عَسِيرٌ . مِنْ أَينَ
 لَنَا قَلْبُ قِرْدٍ ، وَنَحْنُ فِي الْمَاءِ؟ لِكِنْ سَأَخْتَالُ لِصَدِيقِي .

ثُمَّ انطَلَقَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ : فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ يَا أَنِّي ، مَا حَبَسَكَ عَنِّي ؟ قَالَ لَهُ الْغَيْلَمُ : مَا حَبَسَنِي عَنْكَ إِلَّا حَيَايِّي : فَلَمَّا أَعْرِفَ كَيْفَ أُجَازِيَكَ عَلَى إِحْسَانِكَ إِلَيَّ ؟ وَأَرِيدُ أَنْ تُتَمَّ إِحْسَانَكَ إِلَيَّ بِزِيَارَتِكَ لِي فِي مَنْزِلِي : فَإِنِّي سَاكِنٌ فِي جَزِيرَةِ طَيِّبَةِ الْفَاكِهَةِ . فَأَرَكَبَ ظَهْرِي لِأَسْبَحَ يَكَ . فَرَغَبَ الْقِرْدُ فِي ذَلِكَ ، وَنَزَّلَ فَرَكَبَ ظَهْرَ الْغَيْلَمِ ، فَسَبَحَ بِهِ ، حَتَّى إِذَا سَبَحَ بِهِ ، عَرَضَ لَهُ قُبُحُ مَا أَصْبَرَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْغَدَرِ ، فَنَكَسَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : مَا لِي أَرَكَ مُهْتَمًّا ؟ قَالَ الْغَيْلَمُ : إِنِّي هُمُّ لِأَنِّي ذَكَرْتُ أَنَّ زَوْجَي شَدِيدَةَ الْمَرَضِ ، وَذَلِكَ يَمْنَعُنِي مِنْ كَثِيرِ مِمَّا أَرِيدُ أَنْ أَبْلُغَهُ مِنْ كَرَامَتِكَ وَمُلاطَفَتِكَ . قَالَ الْقِرْدُ : إِنَّ الَّذِي أَعْرِفُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى كَرَامَتِي يَكْفِيكَ مَوْنَةَ التَّكْلِيفِ . قَالَ الْغَيْلَمُ : أَجَلْ . وَمَضَى يَالْقِرْدِ سَاعَةً ، ثُمَّ تَوَقَّفَ بِهِ ثَانِيَةً : فَسَاءَ ظُنُونُ الْقِرْدِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا احْتِبَاسُ الْغَيْلَمِ وَإِبْطَاوُهُ إِلَّا لَأَمْرٌ ! وَلَسْتُ آمِنًا أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ قَدْ تَغَيَّرَ لِي ، وَحَالَ عَنْ مَوَدَّتِي ، فَأَرَادَ بِي سُوءًا : فَلِإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَخْفُ وَأَسْرَعُ تَقْلِيبًا

مِنَ الْقَلْبِ . وَقَدْ يُقَالُ : يَنْبَغِي لِلْعَاوِلِ أَلَا يَغْفُلَ عَنِ التِّمَاسِ مَا فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ ، عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ ، وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَكَلْمَةٍ ، وَعِنْدَ الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ يَشَهُدُ عَلَى مَا فِي الْقُلُوبِ . وَقَدْ قَاتَ الْعُلَمَاءُ إِذَا دَخَلَ قَلْبَ الصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رِبَيْةً فَلْيَأْخُذْ بِالْحَزْمِ فِي التَّحْفِظِ مِنْهُ ، وَلَيَتَفَقَّدْ ذَلِكَ فِي لَحْظَاتِ وَحَالَاتِهِ . فَإِنْ كَانَ مَا يَظْنُ حَقًّا ظَفِيرًا بِالسَّلَامَةِ ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا ظَفِيرًا بِالْحَزْمِ ، وَلَمْ يَضُرْهُ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمَ : مَا الَّذِي يَحْسُسُكَ ؟ وَمَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا ، كَائِنَكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى ؟ قَالَ : يَهْنِي أَنَّكَ تَأْتِي مَنْزِلِي فَلَا تَجِدُ أَمْرِي كَمَا أَحِبْ : لِأَنَّ زَوْجَتِي مَرِيضَةً . قَالَ الْقِرْدُ : لَا تَهْتَمْ ، فَإِنَّ الْهَمَّ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَلَكِنْ التِّمَسْ مَا يُصْلِحُ زَوْجَتَكَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْذِيَةِ : فَإِنَّهُ يُقَالُ لِيَبْذُلْ ذُو الْمَالِ مَالَهُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ : فِي الصَّدَقَةِ ، وَفِي وَقْتِ الْحَاجَةِ ، وَعَلَى الْبَنِينَ ، وَعَلَى الْأَزْوَاجِ . قَالَ الغَيْلَمَ : صَدَقْتَ . وَقَدْ قَاتَ الْأَطْبَاءُ : إِنَّهُ لَا دَوَاءَ لَهَا إِلَّا قَلْبٌ قِرْدٌ . فَقَالَ الْقِرْدُ فِي نَفْسِهِ : وَآسْفَاهُ ! لَقَدْ أَدْرَكَنِي الْخَرْصُ

وَالشَّرَهُ عَلَى كَبِيرِ سِنِيْ : حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ وَرَطَةٍ ! وَلَقَدْ صَدَقَ الَّذِي قَالَ : يَعِيشُ الْقَانِعُ الرَّاضِيُّ مُسْتَرِيحًا مُظْمَئِنًا ، وَذُو الْخِرْصِ وَالشَّرَهِ يَعِيشُ مَا عَاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ . وَإِنِّي قَدِ احْتَجْتُ إِلَى عَقْلِي فِي التِّمَاسِ الْخَرَجِ مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ .

ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمَ : وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْلِمَنِي عِنْدَ مَنْزِلِي ، حَتَّى كُنْتَ أَخْمَلُ قَلْبِي مَعِي ؟ فَهَذِهِ سُنَّةٌ فِينَا ، مَعَاشِرَ الْقِرَدَةِ ، إِذَا نَرَجَ أَحَدُنَا لِزِيَارَةِ صَدِيقٍ ، خَلَفَ قَلْبَهُ عِنْدَ أَهْلِهِ ، أَوْ فِي مَوْضِعِهِ ، لِيَنْتَظِرَ إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرْمِ الْمَزُورِ وَلَيْسَ قُلُوبُنَا مَعَنَا . قَالَ الْغَيْلَمُ : وَأَيْنَ قَلْبُكَ إِلَآنَ ؟ قَالَ : خَلَفَتُهُ فِي الشَّجَرَةِ . فَإِنْ شِئْتَ فَارْجِعْ بِي إِلَى الشَّجَرَةِ ، حَتَّى آتِيكَ بِهِ . فَفَرَّحَ الْغَيْلَمُ بِذَلِكَ .

وَقَالَ : لَقَدْ وَافَقَنِي صَاحِبِي بِدُونِ أَنْ أَغْدِرَ بِهِ . ثُمَّ رَجَعَ بِالْقِرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ السَّاحِلَ ، وَثَبَ عَنْ ظَهِيرِهِ ، فَأَرْتَقَ الشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى الْغَيْلَمَ ، نَادَاهُ : يَا خَلِيلِي ، اخْمَلْ قَلْبَكَ وَانْزِلْ ، فَقَدْ حَبَسْتَنِي . فَقَالَ الْقِرْدُ : هَيَّاهاتَ ! أَتَظْنَ أَنِّي كَالْحِمَارِ الَّذِي زَعَمَ أَبْنُ آوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَلْبٌ وَلَا أَذْنَانَ ؟

قَالَ الْغَيْلَمُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْقِرْدُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ أَسَدًا فِي أَجْمَةٍ ، وَكَانَ مَعَهُ ابْنُ آوَى يَأْكُلُ مِنْ فَوَاضِلِ طَعَامِهِ ، فَأَصَابَ الْأَسَدَ بَرَبُّ ، وَضَعَفَ شَدِيدٌ ، وَجَهَدٌ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ الصَّيْدَ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ آوَى : مَا بَالَكَ ، يَا سَيِّدَ السَّبَاعِ ، قَدْ تَغَيَّرَتْ أَحْوَالُكَ ؟
 قَالَ : هَذَا الْحَرَبُ الَّذِي قَدْ أَجْهَدَنِي ، وَلَنِسَ لَهُ دَوَائِهِ إِلَّا قَاتِبُ حَمَارٍ وَأَذْنَاهُ . قَالَ ابْنُ آوَى : مَا أَيْسَرَ هَذَا ! وَقَدْ عَرَفْتُ بِمَكَانِ كَذَا حَمَارًا مَعَ قَصَارٍ يَحْمُلُ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ ، وَأَنَا آتَيْتُكَ بِهِ ، ثُمَّ دَلَفَ إِلَى الْحِمَارِ فَأَتَاهُ وَسَلَمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : مَا لِي أَرَاكَ مَهْزُولًا ؟
 قَالَ مَا يُطْعِمُنِي صَاحِبِي شَيْئًا . فَقَبَالَ لَهُ : وَكَيْفَ تَرْضَى الْمُقَامَ مَعَهُ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ : فَمَا لِي حِيلَةٌ فِي الْهَرَبِ مِنْهُ ، لَسْتُ أَتَوَجَّهُ إِلَى جِهَةٍ إِلَّا أَضَرَّ بِإِنْسَانٍ فَكَدَنِي وَأَجَاعَنِي . قَالَ ابْنُ آوَى : فَأَنَا أَدْلُكَ عَلَى مَكَانٍ مَعْزُولٍ عَنِ النَّاسِ ، لَا يَمْرُّ بِهِ إِنْسَانٌ ، خَصِيبُ الْمَرْعَى ، فِيهِ قَطِيعٌ مِنْ الْحُمُرِ لَمْ تَرَعِنْ مِثْلَهَا حُسْنًا وَسِنَنًا . قَالَ الْحِمَارُ : وَمَا يَخْبِسُنَا عَنْهَا ؟ فَانطَلَقَ

بِنَا إِلَيْهَا ، فَانطَلَقَ بِهِ ابْنُ آوَى نَحْوَ الْأَسَدِ ، وَتَقَدَّمَ ابْنُ آوَى ،
وَدَخَلَ الْغَابَةَ عَلَى الْأَسَدِ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَكَانِ الْحِمَارِ . نَفَرَجَ إِلَيْهِ
وَأَرَادَ أَنْ يَذْبَعَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِضَعْفِهِ ، وَنَخَلَصَ الْحِمَارُ
مِنْهُ . فَأَفْلَتَ هَلْعًا عَلَى وَجْهِهِ . فَلَمَّا رَأَى ابْنُ آوَى أَنَّ الْأَسَدَ
لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْحِمَارِ ، قَالَ لَهُ : أَبْعَزْتَ يَا سَيِّدَ السَّبَاعِ إِلَى هَذِهِ
الْغَایَةِ ؟ فَقَالَ لَهُ : إِنْ جِئْتَنِي بِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، فَلَنْ يَنْجُو مِنِّي
أَبَدًا . فَضَى ابْنُ آوَى إِلَى الْحِمَارِ فَقَالَ لَهُ : مَا الَّذِي جَرَى
عَلَيْكَ ؟ إِنَّ أَحَدَ الْحُمُرِ رَأَكَ غَرِيبًا ، نَفَرَجَ يَتَلَقَّاكَ مُرْجِبًا إِلَيْكَ ،
وَلَوْ ثَبَتَ لَهُ لَا تَسْكَنَ ، وَمَضَى إِلَيْكَ إِلَى أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ
الْحِمَارُ كَلَامَ ابْنِ آوَى ، وَلَمْ يَكُنْ رَأَى أَسَدًا قَطُّ ، صَدَقَهُ ،
وَأَخَدَ طَرِيقَهُ إِلَى الْأَسَدِ ، فَسَبَقَهُ ابْنُ آوَى إِلَى الْأَسَدِ ، وَأَعْلَمَهُ
بِمَكَانِهِ . وَقَالَ لَهُ : اسْتَعِدْ لَهُ ، فَقَدْ خَدَعْتُكَ : فَلَا يُدْرِكُنَّكَ
الضَّعْفُ فِي هَذِهِ التَّوْبَةِ : فَإِنَّهُ إِنْ أَفْلَتَ فَلَنْ يَعُودَ مَعِيَ أَبَدًا .
(٢) بِعَاشَ جَائِشُ الْأَسَدِ لِتَحْرِيضِ ابْنِ آوَى لَهُ ، وَنَفَرَجَ إِلَى مَوْضِعِ

(١) أَهْلُعُ : أَخْشَى الْجَزَعَ . (٢) غَلِي وَالْجَاهِشُ ، وَقَدْ لَا يَهْمِزُ ، مِنْ مَعَانِيهِ النَّفْسِ .

الْحِمَارِ . فَلَمَّا بَصَرَهُ عَاجِلَهُ بِوَثْبَةٍ افْتَرَسَهُ إِلَيْهَا . ثُمَّ قَالَ : قَدْ ذَكَرْتِ الْأَطِبَاءَ أَنَّهُ لَا يُؤْكَلُ إِلَّا بَعْدَ الْغَسْلِ وَالظَّهُورِ : فَاحْتَفِظْ بِهِ حَتَّى أَعُودَ فَأَكُلَّ قَلْبَهُ وَأَذْنِيهِ ، وَأَتْرُكَ مَا سِوَى ذَلِكَ قُوتًا لَكَ . فَلَمَّا ذَهَبَ الْأَسَدُ لِيَغْتَسِلَ ، عَمَّادُ ابْنُ آوَى إِلَى الْحِمَارِ فَأَكَلَ قَلْبَهُ وَأَذْنِيهِ ، رَجَاءً أَنْ يَتَطَيِّرَ الْأَسَدُ مِنْهُ ، فَلَا يَأْكُلُ مِنْهُ شَيْئًا . ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ رَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ ، فَقَالَ لِابْنِ آوَى : أَينَ قَلْبُ الْحِمَارِ وَأَذْنَاهُ ؟ قَالَ ابْنُ آوَى : أَلمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ يَفْقَهُ بِهِ ، وَأَذْنَانٍ يَسْمَعُ بِهِمَا ، لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْكَ بَعْدَ مَا أَفَاتَ وَنَجَّا مِنَ الْمَلَكَةِ :

وَإِنَّمَا ضَرَبَتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنِّي لَسْتُ كَذَلِكَ الْحِمَارِ الَّذِي زَعَمَ ابْنُ آوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَلْبٌ وَأَذْنَانٌ ، وَلِكِنَّكَ اخْتَلَتْ عَلَيَّ ، وَخَدَعْتَنِي ، نَفَدَ عَنْكَ يَمِثْلِ خَدِيعَتِكَ ، وَاسْتَدَرَكْتُ فَارِطَ أَمْرِي . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ الَّذِي يُفْسِدُ الْخَلْمَ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْعِلْمُ . قَالَ الْغَيْلَمُ : صَدَقْتَ ، إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يَعْتَرِفُ بِزَلَّتِهِ ، وَإِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا لَمْ يَسْتَحِيْ أَنْ يُوَدَّبَ :

لصِدْقِهِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، وَإِنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ أُمْكِنَتُهُ التَّخَلُّصُ مِنْهَا بِحِيلَتِهِ وَعَقْلِهِ : كَالرَّجُلِ الَّذِي يَعْثُرُ عَلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ يَنْهَضُ عَلَيْهَا مُعْتَمِدًا . فَهُذَا مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفَرَ بِهَا أَضَاعَهَا .

(انقضى باب القرد والغيم)

باب الناسك وابن عزّس

قَالَ دَبَشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْذَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْمَثَلَ . فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ الرَّجُلِ الْعَجَلَانِ فِي أَمْرِهِ ، مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ وَلَا نَظَرٍ فِي الْعَوَاقِبِ . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي أَمْرِهِ مُتَبَثِّتاً ، لَمْ يَرْزَلْ نَادِيًّا ، وَيَصِيرُ أَمْرُهُ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ النَّاسِكُ مِنْ قَتْلِ ابْنِ عِزْسٍ . وَقَدْ كَانَ لَهُ وَدُودًا . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا مِنَ النَّسَاكِ كَانَ بِأَرْضِ بُرْجَانَ^(١) وَكَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ ، فَكَثَّا زَمَانًا لَمْ يُرْزَقَا وَلَدًا ،

(١) بلد بفارس .

ثُمَّ حَمَلَتْ مِنْهُ بَعْدَ الإِيَاسِ . فَسَرَّتِ الْمَرْأَةُ وَسُرَّ النَّاسِكُ بِذَلِكَ ، فَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَكُونَ الْحَمْلُ ذَكْرًا . وَقَالَ لِزَوْجِهِ : أَبْشِرِي : فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ غُلَامًا ، لَنَا فِيهِ مَنَافِعُ ، وَقُرْةُ عَيْنٍ ، اخْتارُهُ أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ ، وَأَخْضُرُهُ سَائِرَ الْأَدْبَاءِ . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : مَا يَحْمِلُكَ أَيْهَا الرَّجُلُ عَلَى أَنْ شَكَلَمْ بِمَا لَا تَدْرِي أَيْكُونُ أُمًّا لَا ؟ وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ النَّاسِكَ الَّذِي أَرَاقَ عَلَى رَأْسِهِ السَّمْنَ وَالْعَسْلَ . قَالَ لَهَا : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَتْ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا كَانَ يَجْرِي عَالَيْهِ مِنْ بَيْتِ رَجُلٍ تَاجِرٍ ، فِي كُلِّ يَوْمٍ ، رِزْقٌ مِنَ السَّمْنِ وَالْعَسْلِ ، وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْهُ قُوَّتَهُ وَحَاجَتَهُ ، وَيَرْفَعُ الْبَاقِي ، وَيَجْعَلُهُ فِي جَرَّةٍ ، فَيَعْلُقُهَا فِي وَدِدٍ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ ، حَتَّى امْتَلَأَتْ . فَبَيْنَمَا النَّاسِكُ ذَاتَ يَوْمٍ مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهِيرَهِ ، وَالْعُكَازَةُ فِي يَدِهِ ، وَالْجَرَّةُ مُعْلَقَةٌ عَلَى رَأْسِهِ ، تَفَكَّرَ فِي غَلَاءِ السَّمْنِ وَالْعَسْلِ ، فَقَالَ : سَأَبْيَعُ مَا فِي هَذِهِ الْجَرَّةِ بِدِينَارٍ ، وَأَشْتَرِي بِهِ عَشْرَةَ أَعْوَزٍ ؛ فَيُحْبَلَنَّ وَيَلِدُنَّ

فِي كُلِّ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ بَطْنًا ، وَلَا تَلْبَثُ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى تَصِيرَ غَنَمًا كَثِيرَةً ، إِذَا وَلَدَتْ أُولَادُهَا ؛ ثُمَّ حَرَرَ عَلَى هُذَا النَّحْوِ بِسِينِينَ فَوَجَدَ ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِ مِائَةِ عَنْزٍ ؛ فَقَالَ : أَنَا أَشْتَرِي بِهَا مِائَةً مِنَ الْبَقَرِ ، بِكُلِّ أَرْبَعَةِ أَعْنَزٍ ثُورًا أَوْ بَقَرَةً ، وَأَشْتَرِي أَرْضًا وَبَدْرًا ، وَأَسْتَأْخِرُ أَكْرَةً وَازْرَعُ عَلَى الشَّিرَانِ ، وَأَنْتَفِعُ بِأَلْبَانِ الْإِنَاثِ وَنِسَاجِهَا فَلَا يَأْتِي عَلَى خَمْسِ سِينِينَ إِلَّا وَقَدْ أَصَبَتُ مِنَ الزَّرْعِ مَا لَا كَثِيرًا : فَأَبْنَى بَيْتًا فَانْحَرَ ، وَأَشْتَرِي إِمَاءً وَعَيْدَا ؛ وَأَتَرْزَعُ امْرَأَةً جَمِيلَةً ذَاتَ حُسْنٍ ؛ ثُمَّ تَأْتِي بِغُلَامٍ سَرِيْ تَحِيبُ ؛ فَأَخْتَارُ لَهُ أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ ؛ فَإِذَا تَرَعَّرَ أَدْبَتُهُ ، وَأَحْسَنْتُ تَأْدِيهَ ، وَأَشَدَّدُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، فَإِنْ يَقْبَلْ مِنِّي ، وَإِلَّا ضَرَبْتُهُ بِهِذِهِ الْمُكَازَةِ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْحَرَّةِ فَكَسَرَهَا ، فَسَأَلَ مَا كَانَ فِيهَا عَلَى وَجْهِهِ . وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هُذَا الْمُثَلَّ لِكَيْ لَا تَعْجَلَ بِذِكْرِ مَا لَا يَنْبَغِي ذِكْرُهُ ، وَمَا لَا تَدْرِي أَيْ صِحْ أَمْ لَا يَصِحُّ . فَأَتَعَظَ النَّاسِكُ بِهَا حَكَتْ زَوْجَتَهُ . ثُمَّ إِنَّ الْمَرْأَةَ وَلَدَتْ غُلَامًا

بِحَمِيلًا فَفَرَحَ بِهِ أَبُوهُ . وَبَعْدَ أَيَّامٍ حَانَ لَهَا أَنْ تَتَطَهَّرَ فَقَالَتِ
الْمَرْأَةُ لِلنَّاسِكَ : اقْعُدْ عِنْدَ أَبْنِكَ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى الْحَمَّامِ فَأَغْتَسِلَ
وَأَعُودَ . ثُمَّ إِنَّهَا أَنْطَلَقَتْ إِلَى الْحَمَّامِ ، وَخَلَفَتْ زَوْجَهَا وَالْغَلَامَ .
فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَهُ رَسُولُ الْمَلَكِ يَسْتَدِعِيهِ ، وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَخْلُفُهُ
عِنْدَ أَبْنِهِ ، غَيْرَ أَبْنِ عَرِيسٍ دَاجِنٍ عِنْدَهُ ، كَانَ قَدْ رَبَاهُ صَغِيرًا
^(١)

فَهُوَ عِنْدَهُ عَدِيلٌ وَلَدِيهِ . فَتَرَكَهُ النَّاسِكُ عِنْدَ الصَّبِيِّ ، وَأَغْلَقَ
عَلَيْهِمَا الْبَيْتَ ، وَذَهَبَ مَعَ الرَّسُولِ . نَفَرَجَ مِنْ بَعْضِ أَجْهَارِ
الْبَيْتِ حَيَّةً سَوْدَاءً ، فَدَنَتْ مِنَ الْغَلَامِ ، فَضَرَبَهَا أَبْنُ عَرِيسٍ ،
ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا ، ثُمَّ قَطَعَهَا وَأَمْتَلَّهُ مِنْ دَمِهَا ، ثُمَّ جَاءَ
النَّاسِكُ ، وَفَتَحَ الْبَابَ ، فَأَتَتْهَا أَبْنُ عَرِيسٍ ، كَالْمُبَشِّرِ لَهُ بِمَا
صَنَعَ مِنْ قَتْلِ الْحَيَّةِ . فَلَمَّا رَأَهُ مُلْوَثًا بِالدِّمْ ، وَهُوَ مَذْعُورٌ ،
طَارَ عَقْلُهُ ، وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ خَنَقَ وَلَدَهُ . وَلَمْ يَتَبَثَّ فِي أَمْرِهِ ،
وَلَمْ يَتَرَوْ فِيهِ ، حَتَّى يَعْلَمَ حَقِيقَةَ الْحَالِ ، وَيَعْمَلَ بِغَيْرِ مَا ظَنَّ
مِنْ ذَلِكَ . وَلِكِنْ بَعْلَمَ عَلَى أَبْنِ عَرِيسٍ ، وَضَرَبَهُ بِعُكَازَةٍ كَاتَنَ

فِي يَدِهِ ، عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ ، فَمَا تَرَى . وَدَخَلَ النَّاسِكُ فَرَأَى الْغُلَامَ سَلِيمًا حَيًّا ، وَعِنْدَهُ أَسْوَدُ مُقْطَعٌ . فَلَمَّا عَرَفَ الْقِصَّةَ ، وَتَبَيَّنَ لَهُ سُوءُ فِعْلِهِ فِي الْعَجَلَةِ ، لَطَمَ عَلَى رَأْسِهِ . وَقَالَ : لَيْتَنِي لَمْ أُرْزَقْ هَذَا الْوَلَدَ ، وَلَمْ أَغْدِرْ هَذَا الْغَدَرَ ! وَدَخَلَتْ امْرَأَتُهُ ، فَوَجَدَتْهُ عَلَى تِلْكَ الْحَيَالِ . فَقَاتَتْ لَهُ : مَا شَانُكَ ؟ فَأَخْبَرَهَا بِالْخَبَرِ مِنْ حُسْنِ فِعْلِ ابْنِ عَرْسٍ وَسُوءِ مُكَافَأَتِهِ لَهُ . فَقَاتَتْ : هَذِهِ ثَمَرَةُ الْعَجَلَةِ ! فَهَذَا مَثَلُ مَنْ لَا يَتَبَيَّنُ فِي أَمْرِهِ ، بَلْ يَفْعَلُ أَغْرَاضَهُ بِالسُّرْعَةِ وَالْعَجَلَةِ .

(القصى باب الناسك وابن عرس)

بَابُ الْجُرْدِ وَالسَّنُورِ

قَالَ دَبْشِيلِيمُ الْمَلِكُ لِيَبِيدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْمَثَلَ ، فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ رَجُلٍ كَثُرَ أَعْدَاؤُهُ ، وَاحْدَقُوا بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ؛ فَأَشْرَفَ مَعَهُمْ عَلَى الْهَلَالِكَ ، فَالْتَّمَسَ النَّجَاةَ وَالْمَخْرَجَ بِمُوَالَةِ بَعْضِ أَعْدَائِهِ وَمُصَالَحتِهِ ، فَسَلِيمٌ مِنَ الْخَوْفِ وَآمِنٌ ؛ ثُمَّ وَقَى لِمَنْ صَالَحَهُ مِنْهُمْ . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : إِنَّ الْمَوْدَةَ وَالْعَدَاؤَ

لَا تَبْتَأِنْ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ أَبَدًا . وَرُبَّمَا حَالَتِ الْمَوَدَّةُ إِلَى
 الْعَدَاؤِ ، وَصَارَتِ الْعَدَاؤُ وَلَايَةً وَصَدَاقَةً . وَهِذَا حَوَادِثُ
 وَعِلَّلُ وَتَجَارِبُ ، وَذُو الرَّأْيِ يُحْدِثُ لِكُلِّ مَا يُحْدِثُ مِنْ ذَلِكَ
 رَأْيًا جَدِيدًا : أَمَّا مِنْ قِبْلِ الْعَدُوِ فِي الْبَأْسِ ، وَأَمَّا مِنْ قِبْلِ الصَّدِيقِ
 فِي الْإِسْتِئْنَاسِ . وَلَا تَمْنَعُ ذَا الْعَقْلِ عَدَاؤَهُ كَانَتْ فِي نَفْسِهِ لِعَدُوِهِ
 مِنْ مُقَارَبَتِهِ وَالْإِسْتِنْجَادِ بِهِ عَلَى دَفْعِ مَخْوِفٍ أَوْ بَرْهَنِ غُوبِ .
 وَمَنْ عَمِلَ فِي ذَلِكَ بِالْحَزْمِ ظَفَرَ بِحَاجَتِهِ . وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ
 الْجُرْذِ وَالسُّنُورِ حِينَ وَقَعَا فِي الْوَرْطَةِ ، فَنَجَوا بِاصْطِلَاحِهِمَا
 بِجَمِيعِهِمَا مِنَ الْوَرْطَةِ وَالشَّدَّةِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟
 قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّ شَجَرَةً عَظِيمَةً كَانَ فِي أَصْلِهَا جُحْرُسُنُورٌ
 يُقَالُ لَهُ رُومِي ، وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ جُحْرُجُرْدِ يُقَالُ لَهُ فِرِيدُونُ ،
 وَكَانَ الصَّيَادُونَ كَثِيرًا يَتَدَأَلُونَ ذَلِكَ الْمَكَانَ ، يَصِيدُونَ فِيهِ
 الْوَخْشَ وَالْطَّيْرَ ، فَنَزَلَ ذَاتَ يَوْمٍ صَيَادٌ ، فَنَصَبَ حِبَاَتَهُ
 قَرِيبًا مِنْ مَوْضِعِ رُومِي ، فَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ وَقَعَ فِيهَا . نَخْرَجَ الْجُرْذَ
 يَدِبَّ ، وَيَطْلُبُ مَا يَأْغُلُ ، وَهُوَ حَذَرٌ مِنْ رُومِي . فَبَيْنَمَا هُوَ

يَسْعَى إِذْ بَصَرَهُ فِي الشَّرِكِ ، فَسُرَّ وَأَسْبَشَرَ . ثُمَّ التَّفَتَ فَرَأَى
خَلْفَهُ ابْنَ عَرْسٍ ، يُرِيدُ أَخْذَهُ ؛ وَفِي الشَّجَرَةِ بُومًا ، يُرِيدُ
اخْتِطَافَهُ ؛ فَتَحِيرَ فِي أَمْرِهِ ، وَخَافَ إِنْ رَجَعَ وَرَاءَهُ أَخْذَهُ ابْنُ
عَرْسٍ ، وَإِنْ ذَهَبَ يَمْبَيْنَا أَوْ شِمَالًا اخْتَطَفَهُ الْبُومُ ، وَإِنْ تَقْدَمَ
أَمَامَهُ أَفْتَرَسَهُ السُّنُورُ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : هَذَا بَلَاءٌ قَدِ اكْتَنَفَنِي ،
وَشُرُورٌ تَظَاهَرَتْ عَلَيَّ ، وَمَحْنٌ قَدْ أَحَاطَتْ بِي . وَبَعْدَ ذَلِكَ
فَعَى عَقْلِي ، فَلَا يُفْزِعُنِي أَمْرِي ، وَلَا يَهُولُنِي شَأْنِي ، وَلَا يَلْحَقُنِي
الدَّهْشُ ، وَلَا يَذْهَبُ قَلْبِي شَعَاعًا : فَالْعَاقِلُ لَا يَفْرَقُ عِنْدَ سَدَادٍ
رَأْيِهِ ، وَلَا يَعْزِبُ عَنْهُ ذِهْنُهُ عَلَى حَالٍ . وَإِنَّمَا الْعَقْلُ شَيْئِهِ
بِالْبَحْرِ الَّذِي لَا يُدْرِكُ غَورُهُ . وَلَا يَبْلُغُ الْبَلَاءُ مِنْ ذِي الرَّأْيِ
مَجْهُودُهُ فِيهِ لَكَهُ ، وَتَحْقِيقُ الرَّجَاءِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَبْلُغَ مِنْهُ مَبْلَغًا
يُبْطِرُهُ وَيُسْكِرُهُ : فَيَعْمَى عَلَيْهِ أَمْرُهُ . وَلَسْتُ أَرَى لِي مِنْ هَذَا
الْبَلَاءِ مَخْلَصًا إِلَّا مُصَالَحةَ السُّنُورِ : فَإِنَّهُ قَدْ نَزَّلَ بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ
مِثْلُ مَا قَدْ نَزَّلَ بِي أَوْ بَعْضُهُ . وَلَعْلَهُ إِنْ سَمِعَ كَلَامِيَ الَّذِي أَكْلَمَهُ بِهِ ،

وَوَعَى عَى فَصِيحَ حَطَابِي ، وَمَحْضَ صِدْقِ الدِّى لَا خِلَافَ فِيهِ ،
وَلَا خِدَاعَ مَعَهُ فَفَهَمَهُ ، وَطَمِعَ فِي مَعْوَنَتِي إِيَاهُ ، تَخَلُّصٌ
جَمِيعًا .

ثُمَّ إِنَّ الْجُرْذَ دَنَا مِنَ السُّنُورِ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ حَالُكَ ؟ قَالَ لَهُ
السُّنُورُ : كَمَا تُحِبُّ : فِي ضَنْكٍ وَضِيقٍ . قَالَ : وَأَنَا الْيَوْمَ
شَرِيكُكَ فِي الْبَلَاءِ ، وَلَسْتُ أَرْجُو لِنَفْسِي خَلَاصًا إِلَّا بِالَّذِي
أَرْجُو لَكَ فِيهِ الْخَلَاصَ . وَكَلَامِي هَذَا لَيْسَ فِيهِ كَذِبٌ وَلَا
خَدِيْعَةٌ . وَابْنُ عِزِّيْسٍ هَا هُوَ كَامِنٌ لِي ، وَالْبُومُ يَرْصُدُنِي ،
وَكَلَاهُمَا لِي وَلَكَ عَدُوٌّ . فَإِنْ جَعَلْتَ لِي الْأَمَانَ ، قَطَعْتُ
حَبَائِلَكَ ، وَخَلَصْتُكَ مِنْ هَذِهِ الْوَرَظَةِ . فَلَيْذَا كَانَ ذَلِكَ تَخَلَّصَ
مُثْلِ وَاحِدٍ مِنَا بِسَبَبِ صَاحِبِهِ : كَالسَّفِينَةِ وَالرَّكَابِ فِي الْبَحْرِ :
فِي السَّفِينَةِ يَنْجُونَ ، وَبِرِّهِمْ تَنْجُو السَّفِينَةُ . فَلَمَّا سَمِعَ السُّنُورُ
كَلَامَ الْجُرْذِ ، وَعَرَفَ أَنَّهُ صَادِقٌ ، قَالَ لَهُ : إِنَّ قَوْلَكَ هَذَا
لَشَيْءٍ بِالْحَقِّ ، وَأَنَا أَيْضًا رَاغِبٌ فِيهَا أَرْجُو لَكَ وَلِنَفْسِي بِهِ

الخلاص . ثم إنك إن فعلت ذلك فسأشكر لك ما بقيت .
قال الجرذ : فإني سادنُ منك ، فاقطع الحبائل كلها إلا حبلاً واحداً أبقىيه لاستوثق لنفسي منك . ثم أخذ في قرض حبائله ثم إن اليوم وابن عرس لما رأيا دنو الجرذ من السنور أيس منه وانصرفَا . ثم إن الجرذ أبطأ على رومي في قطع الحبائل فقال له : مالي لا أراك مجداً في قطع حبائيلي ؟ فإن كنت قد ظفرت بحاجتك : فتغيرت عمما كنت عليه ، وتوانت في حاجتي ، فـ ذلك من فعل الصالحين : فإن الكـريم لا يتـوانـي في حق صاحبه . وقد كان لك في سابق موـديـ منـ الفـائـدةـ والنـفعـ ماـ قدـ رـأـيـتـ . وـأـنـتـ حـقـيقـ أـنـ تـكـافـئـيـ بـذـلـكـ ، وـلـاـ تـذـكـرـ العـدـاوـةـ الـتـيـ بـيـنـيـ وـبـيـنـكـ : فالـذـىـ حدـثـ بـيـنـيـ وـبـيـنـكـ مـنـ الصـالـحـ حـقـيقـ أـنـ يـتـسـيكـ ذـلـكـ ، معـ مـاـ فـيـ الـوـفـاءـ مـنـ الـفـضـلـ وـالـأـجـرـ ، وـمـاـ فـيـ الـغـدـرـ مـنـ سـوءـ الـعـاقـبـةـ : فإنـ الـكـريـمـ لاـ يـكـونـ إـلـاـ شـكـورـاـ غـيرـ حـقـودـ ، تـسـيـهـ الـخـلـةـ الـوـاحـدـةـ مـنـ الـإـحـسانـ

(١) شكر ونصح : تعديهما باللام أفعى : من تعديهما بنفسهما .

الْخَلَالُ الْكَثِيرَةُ مِنَ الْإِسَاءَةِ . وَقَدْ يُقَالُ : إِنَّ أَبْغَلَ الْعُقوَبَةِ
 عُقوَبَةُ الْغَدَرِ . وَمَنْ إِذَا تُضْرِعَ إِلَيْهِ ، وَسُئَلَ الْعَفْوَ ، فَلَمْ يَرْحَمْ ،
 وَلَمْ يَعْفُ ، فَقَدْ غَدَرَ ، قَالَ الْجُرْدُ : إِنَّ الصَّدِيقَ صَدِيقَانِ :
 طَائِعٌ وَمُضْطَرٌ . وَكَلَّا هُمَا يَلْتَمِسَانِ الْمَنْفَعَةَ ، وَيَحْتَرِسَانِ مِنَ
 الْمَضَرَّةِ . فَأَمَّا الطَّائِعُ فَيُسْتَرَسِلُ إِلَيْهِ ، وَيَوْمَ فِي جَمِيعِ
 الْأَحْوَالِ . وَأَمَّا الْمُضْطَرُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ يُسْتَرَسِلُ إِلَيْهِ ،
 وَفِي بَعْضِهَا يُخَدِّرُ مِنْهُ . وَلَا يَزَالُ الْعَاقِلُ يَرْتَهِنُ مِنْهُ بَعْضَ حَاجَاتِهِ ،
 لِبَعْضِ مَا يَتَقَى وَيَخَافُ . وَلَنِسْ عَاقِبَةُ التَّوَاصِلِ مِنَ الْمُتَوَاصِلِ
 إِلَّا طَلَبَ عَاجِلَ النَّفْعِ وَبُلُوغَ مَأْمُولِهِ . وَأَنَا وَافِ لَكَ بِمَا
 جَعَلْتُ لَكَ ، وَمُحْتَرِسٌ مِنْكَ مَعَ ذَلِكَ ، مِنْ حَيْثُ أَخَافُكَ
 تَخْوِفًا أَنْ يُصِيبَنِي مِنْكَ مَا أَبْخَانِي خَوْفُهُ إِلَى مُصَالِحَتِكَ ، وَأَبْخَاكَ
 إِلَى قَبْوِ ذَلِكَ مِنْيُ : فَإِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ حِينًا . فَمَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ
 فِي حِينِهِ ، فَلَا حُسْنٌ لِعَاقِبَتِهِ . وَأَنَا قَاطِعُ حَبَائِلَكَ كُلُّهَا ، غَيْرُ
 أَنِّي تَارِكٌ عُقدَةً وَاحِدَةً أَرْتَهُنُكَ بِهَا ، وَلَا أَقْطَعُهَا إِلَّا فِي السَّاعَةِ
 الَّتِي أَعْلَمُ أَنَّكَ فِيهَا عَنِّي مَشْغُولٌ : وَذَلِكَ عِنْدَ مُعَايِنَتِي الصَّيَادَ .

ثُمَّ إِنَّ الْجُرْذَ أَخْذَ فِي قَطْعِ حَبَائِلِ السُّنُورِ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذِلِكَ
إِذْ وَافَ الصَّيَادُ ، فَقَالَ لَهُ السُّنُورُ : الآن جَاءَ الْجُرْذُ فِي قَطْعِ
حَبَائِلِي . فَأَجْهَدَ الْجُرْذَ نَفْسَهُ فِي الْقَرِضِ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ
وَثَبَ السُّنُورُ إِلَى الشَّجَرَةِ عَلَى دَهْشٍ مِنَ الصَّيَادِ ، وَدَخَلَ
الْجُرْذُ بَعْضَ الْأَجْهَارِ ، وَجَاءَ الصَّيَادُ فَأَخْذَ حَبَائِلَهُ مُقْطَعَةً ،
ثُمَّ انْصَرَفَ خَائِبًا .

ثُمَّ إِنَّ الْجُرْذَ نَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَكِرَهَ أَنْ يَدْرُو مِنَ السُّنُورِ ،
فَنَادَاهُ السُّنُورُ : أَيَّهَا الصَّدِيقُ النَّاصِحُ ، ذُو الْبَلَاءِ الْخَسِينِ
عِنْدِي ، مَا مَنَعَكَ مِنَ الدُّنُوِّ إِلَيَّ ، لِأَجْازِيَكَ بِأَحْسَنِ مَا أَسْدَيْتَ
إِلَيَّ ، هَلْمُ إِلَى وَلَا تَقْطَعُ إِخْانِي : فَإِنَّهُ مِنَ الْخَذَ صَدِيقًا ، وَقَطَعَ
إِخَاءَهُ ، وَأَضَاعَ صَدَاقَتَهُ ، حُرِمَ ثَمَرَةَ إِخَانِهِ ، وَأَيْسَ مِنْ نَفْعِهِ
الإخْرَانُ وَالْأَصْدِقَاءُ . وَإِنَّ يَدَكَ عِنْدِي لَا تُنْسَى ، وَأَنْتَ
حَقِيقٌ أَنْ تَلْتَمِسَ مُكَافَأَةً ذَلِكَ مِنِّي وَمِنْ إِخْرَانِي وَأَصْدِقَائِي .
وَلَا تَحَافَنَ مِنِّي شَيْئًا . وَاعْلَمَ أَنَّ مَا قِبَلِي لَكَ مَبْدُولٌ . ثُمَّ حَلَفَ
وَاجْتَهَدَ عَلَى صِدْقَهِ فِيمَا قَالَ . فَنَادَاهُ الْجُرْذُ : رُبَّ صَدَاقَةٍ
ظَاهِرَةٍ بَاطِنَهَا عَدَاؤُ كَامِنَةٍ . وَهِيَ أَشَدُّ مِنَ الْعَدَاؤِ الظَّاهِرَةِ .

وَمَنْ لَمْ يَحْتَرِسْ مِنْهَا ، وَقَعَ مَوْقِعَ الرَّجُلِ الَّذِي يُرْكِبُ نَابَ الْفِيلِ
 الْمُغْتَلِمِ ، ثُمَّ يَغْلِبُهُ النُّعَاصُ ، فَيَسْتَيْقِظُ تَحْتَ فَرَاسِينَ الْفِيلِ ،
 فِي دُوْسَهُ وَيَقْتَلُهُ . وَإِنَّمَا سُمِّيَ الصَّدِيقُ صَدِيقًا : لِمَا يُرْجِي
 مِنْ نَفْعِهِ ، وَسُمِّيَ الْعَدُوُّ عَدُوًا : لِمَا يُخَافُ مِنْ ضَرَرِهِ . وَالْعَاقِلُ
 إِذَا رَجَأَ نَفْعَ الْعَدُوِّ أَظْهَرَ لَهُ الصَّدَاقَةَ ، وَإِذَا خَافَ ضُرُّ الصَّدِيقِ
 أَظْهَرَ لَهُ الْعَدَاوَةَ . أَلَا تَرَى ؟ تَتَبَعُ الْبَهَائِمُ أَمْهَاتِهِ بِارْجَاءِ الْبَانِيَّةِ ،
 فَإِذَا انْقَطَعَ ذَلِكَ انْصَرَفَتْ عَنْهَا . وَرُبَّمَا قَطَعَ الصَّدِيقُ عَنْ
 صَدِيقِهِ بَعْضَ مَا كَانَ يَصِلُّهُ ، فَلَمْ يَخْفِ شَرَهُ : لِأَنَّ أَصْلَ
 أَمْرِهِ لَمْ يُكُنْ عَدَاؤَهُ . فَأَمَّا مَنْ كَانَ أَصْلُ أَمْرِهِ عَدَاؤَ جَوْهَرِيَّةِ ،
 ثُمَّ أَحْدَثَ صَدَاقَةً لِحَاجَةِ حَمَلَتْهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ إِذَا زَالَتِ
 الْحَاجَةُ الَّتِي حَمَلَتْهُ عَلَى ذَلِكَ ، زَالَتْ صَدَاقَتُهُ ، فَتَحَوَّلَتِ
 عَدَاوَةً ، وَصَارَ إِلَى أَصْلِ أَمْرِهِ : كَلْمَاءُ الَّذِي يُسَخِّنُ بِالنَّارِ ،
 فَإِذَا رُفِعَ عَنْهَا عَادَ بَارِدًا . وَلَيْسَ مِنْ أَعْدَائِي عَدُوٌّ أَضْرَبَ
 مِنْكَ . وَقَدْ اضْطَرَّنِي وَإِيَّاكَ حَاجَةً إِلَى مَا أَحْدَثَنَا مِنَ الْمُصَالَحةِ .
 وَقَدْ ذَهَبَ الْأَمْرُ الَّذِي اخْتَرَجَ إِلَيَّ وَاخْتَرَجْتُ إِلَيْكَ فِيهِ ،

(١) جمع فِرْسَنٍ وهو عزلة الحافر .

وأَخَافُ أَنْ يَكُونَ مَعَ ذَهَابِهِ عَوْدُ الْعَدَاوَةِ . وَلَا خَيْرٌ لِلضَّعِيفِ
فِي قُرْبِ الْعَدُوِ الْقَوِيِّ ، وَلَا لِلذَّلِيلِ فِي قُرْبِ الْعَدُوِ الْعَزِيزِ .
وَلَا أَعْلَمُ لَكَ قَبْلَ حَاجَةً ؛ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تُرِيدُ أَنْتِي ؛ وَلَا أَعْلَمُ
لِي قَبْلَكَ حَاجَةً ، وَلَيْسَ عِنْدِي بِكَ ثِقَةً : فَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ
أَنَّ الضَّعِيفَ الْمُحْتَرِسَ مِنَ الْعَدُوِ الْقَوِيِّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ
مِنَ الْقَوِيِّ إِذَا اغْتَرَ بِالضَّعِيفِ وَاسْتَرْسَلَ إِلَيْهِ . وَالْعَاقِلُ
يُصَالِحُ عَدُوَهُ إِذَا اضْطُرَّ إِلَيْهِ ، وَيُصَانِعُهُ ، وَيُظْهِرُ لَهُ وُدُّهُ ؛
وَيُرِيهِ مِنْ نَفْسِهِ الْاسْتِرِسَالَ إِلَيْهِ إِذَا لَمْ يَجِدْ مِنْ ذَلِكَ بُدُّا ،
ثُمَّ يُعَجِّلُ الْإِنْصَارَافَ عَنْهُ ، حِينَ يَجِدُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا . وَأَعْلَمُ أَنَّ
سَرِيعَ الْاسْتِرِسَالِ لَا تُقَاتِلُ عَثَرَتُهُ . وَالْعَاقِلُ يَفِي لِمَنْ صَالَحَهُ
مِنْ أَعْدَائِهِ بِمَا جَعَلَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَلَا يَشْقِي بِهِ كُلَّ الثِّقَةِ ،
وَلَا يَأْمُنُهُ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ الْقُرْبِ مِنْهُ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَبْعَدَ عَنْهُ
مَا اسْتَطَاعَ . وَأَنَا أَوْدُكَ مِنْ بَعِيدٍ ، وَأَحِبُّ لَكَ مِنَ الْبَقَاءِ
وَالسَّلَامَةِ ، مَا لَمْ أَكُنْ أُحِبُّهُ لَكَ مِنْ قَبْلُ . وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تُجَازِيَنِي
عَلَى صَنيِعِي إِلَّا يُمْثِلُ ذَلِكَ : إِذْ لَا سَبِيلَ إِلَى اجْتِمَاعِنَا وَالسَّلَامُ .

بَابُ ابْنِ الْمَلِكِ وَالطَّائِرِ فَزْنَةٍ

قَالَ دَبَشِيلُمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيَاسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
 الْمَثَلَ ، فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ أَهْلَ التُّرَاثِ الدِّينَ لَا بُدَّ لِبَعْضِهِمِ
 مِنْ اتِّقَاءِ بَعْضٍ . (١) قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْهِنْدِ
 كَانَ يُقَالُ لَهُ بَرِيدُونُ ، وَكَانَ لَهُ طَائِرٌ يُقَالُ لَهُ فَزْنَةُ ، وَكَانَ لَهُ فَرْخٌ
 وَكَانَ هَذَا الطَّائِرُ وَفَرْخُهُ يَنْطِقانِ بِأَحْسَنِ مَنْطِقٍ ، وَكَانَ الْمَلِكُ
 بِهِمَا مُعْجِبًا . فَأَمَرَ بِهِمَا أَنْ يُجْعَلَا عِنْدَ امْرَأَتِهِ ، وَأَمَرَهَا بِالْحُفَاظَةِ
 عَلَيْهِمَا . وَاتَّفَقَ أَنَّ امْرَأَةَ الْمَلِكِ وَلَدَتْ غُلَامًا ، فَأَلِفَ الْفَرْخُ
 الغُلَامَ . وَكَلَاهَا طِفَلَانِ يَلْعَبَانِ بِجِيْعًا . وَكَانَ فَزْنَةُ يَذْهُبُ
 إِلَى الْجَبَلِ كُلَّ يَوْمٍ ، فَيَأْتِي بِفَسَاكِهِ لَا تُعْرَفُ ، فَيُطْعِمُ
 ابْنَ الْمَلِكِ شَطْرَهَا ، وَيُطْعِمُ فَرْخَهُ شَطْرَهَا . فَأَسْرَعَ ذَلِكَ
 فِي شَأْنِهِمَا ، وَزَادَ فِي شَبَابِهِمَا ، وَبَانَ عَلَيْهِمَا أَثْرُهُ عِنْدَ الْمَلِكِ :
 فَازْدَادَ لِفَزْنَةَ إِكْرَامًا وَتَعْظِيْمًا وَحَمَّةً ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ مِنَ
 الْأَيَّامِ وَفَزْنَةُ غَائِبٌ فِي اجْتِنَاءِ الثَّمَرَةِ ، وَفَرْخُهُ فِي چُبْرِ الْغُلَامِ ،

(١) جمع زنة وهي الثمار .

ذَرَقَ فِي جَنَّرِهِ ؛ فَغَضِبَ الْغُلَامُ ، وَأَخَذَ الْفَرْخَ فَصَرَبَ بِهِ
 الْأَرْضَ فَتَأَتَ . ثُمَّ إِنَّ فَنْزَةً أَقْبَلَ فَوَجَدَ فَرْخَهُ مَقْتُولًا ،
 فَصَاحَ وَحَزَنَ ، وَقَالَ : قُبْحًا لِلْمُلُوكِ الَّذِينَ لَا عَهْدَ لَهُمْ وَلَا وَفَاءَ !
 وَيْلٌ لِمَنِ ابْتَلَى بِصُحْبَةِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ لَا حَمِيمَةَ لَهُمْ وَلَا حُرْمَةَ ،
 وَلَا يُحِبُّونَ أَحَدًا وَلَا يَكْرُمُ عَلَيْهِمْ إِلَّا إِذَا طَمِعُوا فِيهَا عِنْدَهُ مِنْ
 غَنَّائِهِ ، وَأَخْتَاجُوا إِلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ عِلْمٍ : فَيُنْكِرُ مُونَهُ لِذَلِكَ ،
 فَإِذَا ظَفَرُوا بِحَاجَتِهِمْ مِنْهُ ، فَلَا وُدَّ ، وَلَا إِخَاءَ ، وَلَا إِحْسَانَ ،
 وَلَا غُفرَانَ ذَنْبٍ ، وَلَا مَعْرِفَةَ حَقٍّ ! هُمُ الَّذِينَ أَمْرُهُمْ مَبْنَى
 عَلَى الرِّيَاءِ وَالْفُجُورِ . وَهُمْ يَسْتَصْغِرُونَ مَا يَرْتَكِبُونَهُ مِنْ عَظِيمِ
 الذُّنُوبِ ، وَيَسْتَعْظِمُونَ الْيَسِيرَ إِذَا خُوْلِفَتْ فِيهِ أَهْوَاهُمْ .
 وَمِنْهُمْ هَذَا الْكُفُورُ الَّذِي لَا رَحْمَةَ لَهُ ، الْغَادِرُ بِالْيَقِيْهِ وَأَخْيَهِ .
 لَمْ وَثِبَ فِي شِدَّةِ حَنَقِيْهِ عَلَى وَجْهِ الْغَلَامِ فَفَقَأَ عَيْنَهُ ، وَطَارَ فَوَقَعَ
 عَلَى شُرْفَةِ الْمَنْزِلِ . ثُمَّ إِنَّهُ بَلَغَ الْمَلِكَ ذَلِكَ ، بَخْرَعَ أَشَدَّ الْجَنَّزَعِ ،
 ثُمَّ طَمِعَ أَنْ يَخْتَالَ لَهُ ، فَوَقَفَ قَرِيبًا مِنْهُ ، وَنَادَاهُ ، وَقَالَ لَهُ :
 إِنَّكَ آمِنٌ ، فَأَنْزِلْ يَا فَنْزَةً . فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ الْغَادِرَ

مَا خُوذَ بِغَدْرِهِ ، وَإِنَّهُ إِنْ أَخْطَاهُ عَاجِلُ الْعُقُوبَةِ ، لَمْ يُخْطِئْهُ
الْأَجِلُ ؛ حَتَّىٰ إِنَّهُ يُدْرِكُ الْأَعْقَابَ وَأَعْقَابَ الْأَعْقَابِ . وَإِنَّ
ابنَكَ غَدَرَ بِابنِي ، فَعَجَلْتُ لَهُ الْعُقُوبَةِ . قَالَ الْمَلِكُ : لَعَمْرِي
قَدْ غَدَرْنَا بِابنِكَ ، فَأَنْتَقَمْتَ مِنِّي : فَلَيْسَ لَكَ قِبَلَنَا ، وَلَا لَنَا
قِبَلَكَ وَتُرْ مَطْلُوبٌ . فَارْجِعْ إِلَيْنَا آمِنًا . قَالَ فَزَّةُ : لَسْتُ
بِرَاجِعٍ إِلَيْكَ أَبَدًا : فَإِنَّ ذَوِي الرَّأْيِ قَدْ نَهَا عَنْ قُرْبِ الْمَوْتِ
فَإِنَّهُ لَا يَزِيدُكَ لُطْفُ الْحَقُودِ وَلَيْنُهُ وَتَكْرِمَتُهُ إِيَّاكَ إِلَّا وَحْشَةً
مِنْهُ ، وَسُوءَ ظَنِّي بِهِ : فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ لِلْحَقُودِ الْمَوْتُورِ أَمَانًا هُوَ
أَوْثَقُ لَكَ مِنَ الدُّعْرِ مِنْهُ ، وَلَا أَجُودُ مِنَ الْبُعْدِ عَنْهُ ،
وَالإِحْرَاسُ مِنْهُ أَوْلَى . وَقَدْ كَانَ يُقَالُ : إِنَّ الْعَاقِلَ يَعْدُ أَبُوِيهِ
أَصْدِقَاءَ ، وَالإِخْوَةَ رُفَقَاءَ ، وَالْأَزْوَاجَ أَلْفَاءَ ، وَالْبَنِينَ ذِكْرًا ،
وَالْبَنَاتِ خُصْمَاءَ ، وَالْأَقْارِبَ غُرَمَاءَ وَيَعْدُ نَفْسَهُ فَرِيدًا . وَأَنَا
الْفَرِيدُ الْوَحِيدُ الْغَرِيبُ الطَّرِيدُ ، قَدْ تَزَوَّدْتُ مِنْ عِنْدِكُمْ مِنَ
الْحُزْنِ عِبْدًا ثَقِيلًا ، لَا يَحْمِلُهُ مَعِيْ أَحَدٌ . وَأَنَا ذَاهِبٌ . فَعَلَيْكَ
مِنِّي السَّلَامُ .

(١) من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه .

قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : إِنَّكَ لَوْلَمْ تَكُنْ أَجْتَزَيْتَ مِنَا فِيهَا صَنَعَنَا
إِنَّكَ ، بَلْ كَانَ صَنَعُكَ بِنَا مِنْ غَيْرِ آبْتِدَاءٍ مِنَّا بِالْغَدَرِ ، كَانَ
الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتَ . وَأَمَّا إِذْ كُنَّا نَحْنُ بَدَانَاكَ ، فَمَا ذَنَبْتَكَ ؟
وَمَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنَ الثُّقَةِ بِنَا ؟ هُلْمَ فَأَرْجِعْ : فَإِنَّكَ آمِنٌ .
قَالَ فَنَزَةٌ : أَعْلَمُ أَنَّ الْأَحْقَادَ لَهَا فِي الْقُلُوبِ مَوَاقِعُ مُمْكَنَةٌ
مُوجَعَةٌ . فَالْأَلْسُونُ لَا تَصْدُقُ فِي خَبَرِهَا عَنِ الْقُلُوبِ ،
وَالْقَلْبُ أَعْدَلُ شَهَادَةً مِنَ اللِّسَانِ عَلَى الْقَلْبِ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ
قَلْبِي لَا يَشَهِّدُ لِلْسَّانِكَ ، وَلَا قَلْبُكَ لِلْسَّانِي . قَالَ الْمَلِكُ : أَلَمْ
تَعْلَمْ أَنَّ الضَّغَائِنَ وَالْأَحْقَادَ تَكُونُ بَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ : فَنَّ
كَانَ ذَا عَقْلٍ ، كَانَ عَلَى إِمَاتَةِ الْخِفْدَأَ حَرَصَ مِنْهُ عَلَى تَرْبِيَتِهِ .
قَالَ فَنَزَةٌ : إِنَّ ذَلِكَ لَكَمَا ذَكَرْتَ ، وَلَكِنْ لَيْسَ يَنْبَغِي لِذِي
الرَّأْيِ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَظْنَ أَنَّ الْمَوْتَوْرَ الْحَقُودَ نَاسٌ مَا وُرِيَّهُ ،
مَصْرُوفٌ عَنْهُ فِكْرُهُ فِيهِ . وَذُو الرَّأْيِ يَخْوَفُ الْمُكْرَ وَالْخَدِيَعَةَ
وَالْخِيلَ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعَدُوِّ لَا يُسْتَطَاعُ بِالشُّدَّةِ

وَالْمُكَبِّرَةِ ؛ حَتَّى يُصَادَ بِالرُّفْقِ وَالْمُلَايَنَةِ : كَمَا يُصَادُ الْفِيلُ
الْوَحِشِيُّ بِالْفِيلِ الدَّاجِنِ . قَالَ الْمَلِكُ : إِنَّ الْعَاقِلَ الْكَرِيمَ
لَا يَتَرُكُ إِلَفَهُ ، وَلَا يَقْطَعُ إِنْخَوَانَهُ وَلَا يُضَيِّعُ الْخِفَاظَ ، وَإِنَّ
هُوَ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ ؛ حَتَّى إِنَّ هَذَا النَّحْلَقَ يَكُونُ فِي أَوْضَعِ
الدَّوَابِ مَنْزِلَةً : فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْلَّعَابِينَ يَلْعَبُونَ بِالْكِلَابِ ،
ثُمَّ يَذْجُونَهَا وَيَأْكُلُونَهَا . وَيَرَى الْكِلَابُ الَّذِي قَدْ أَفْهَمُمْ ذَلِكَ ،
فَلَا يَدْعُوهُ إِلَى مُفَارَّقَتِهِمْ ، وَلَا يَمْسِعُهُ مِنْ أَفْتَاهِهِ إِيَّاهُمْ .
قَالَ فَزْنَةُ : إِنَّ الْأَخْقَادَ مَخْوَفَةٌ حِينَماً كَانَتْ . فَأَخْوَفُهَا وَأَشَدُّهَا
مَا كَانَ فِي أَنْفُسِ الْمُلُوكِ : فَإِنَّ الْمُلُوكَ يَدِينُونَ بِالْأَنْتِقَامِ ،
وَيَرَوْنَ الدَّرْكَ وَالظَّلَابَ بِالْوِتْرِ مَكْرُمَةً وَنَخْرًا . وَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَغْتَرُ
بِسُكُونِ الْخِفْدِ إِذَا سَكَنَ فَلَمَّا مَثَلَ الْخِفْدُ فِي الْقَلْبِ ، إِذَا لَمْ
يَجِدْ مُحَرَّكًا ، مَثَلَ الْجَمْرِ الْمَكْنُونِ ، مَا لَمْ يَجِدْ حَطَبًا ، فَلَيَسْ
يَنْفَكُ الْخِفْدُ مُتَطَلِّعًا إِلَى الْعِلَلِ ، كَمَا تَبَتَّغِي النَّارُ الْحَطَبَ :
فَإِذَا وَجَدَ عِلَّةً اسْتَعَرَ اسْتِعَارَ النَّارِ : فَلَا يُطْفِئُهُ حُسْنُ كَلَامِ ،
وَلَا لِينٌ وَلَا رِفْقٌ ، وَلَا خُضُوعٌ وَلَا تَضَرُّعٌ وَلَا مُصَانَعَةٌ ، وَلَا شَيْءٌ

دُونَ تَلَفِ الْأَنْفُسِ . مَعَ أَنَّهُ رَبٌ وَاتِّرٍ يَطْمَعُ فِي مَرَاجِعَةِ
الْمَوْتُورِ بِمَا يَرْجُو أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ مِنَ النَّفْعِ لَهُ ، وَالدَّفْعَ عَنْهُ .
وَلِكِنِّي أَنَا أَضْعَفُ عَنْ أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ يَذَهَّبُ بِهِ مَا فِي
نَفْسِكَ . وَلَوْ كَانَتْ نَفْسُكَ مُنْظَوِيَّةً لِي عَلَى مَا تَقُولُ مَا كَانَ
ذَلِكَ عَنِي مُغْنِيًّا . وَلَا أَزَالُ فِي خَوْفٍ وَوَحْشَةً ، وَسُوءِ ظَنِّ ،
مَا اصْطَطَحْبَنَا . فَلَمَّا سَأَلَ الرَّأْيُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِلَّا الْفِرَاقَ .
وَأَنَا أَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ .

قَالَ الْمَلِكُ : لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ لِأَحَدٍ ضَرًا
وَلَا نَفْعًا ، وَأَنَّهُ لَا شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا ، يُصِيبُ
أَحَدًا ، إِلَّا بِقَضَاءٍ وَقَدْرٍ مَعْلُومٍ . وَكَمَا أَنَّ خَلْقَ مَا يُخْلَقُ ،
وَوِلَادَةَ مَا يُولَدُ ، وَبَقَاءَ مَا يَبْقَى ، لَيْسَ إِلَى الْخَلَالِ عِنْ مِنْهُ
شَيْءٌ ؛ كَذَلِكَ فَنَاءُ مَا يَفْنَى ، وَهَلَاكُ مَا يَهْلِكُ . وَلَيْسَ لَكَ
فِي الَّذِي صَنَعْتَ بِإِبْنِي ذَنْبٌ ، وَلَا لِابْنِي فِيمَا صَنَعَ بِإِبْنِكَ ذَنْبٌ .
إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ قَدْرًا مَقْدُورًا ، وَكِلَانَا لَهُ عِلْمٌ : فَلَا
نُؤْخَذُ بِمَا أَتَانَا بِهِ الْقَدْرُ . قَالَ فَزَّةٌ : إِنَّ الْقَدْرَ لَكُمَا ذَعْنَتْ ،
لِكِنْ لَا يَمْنَعُ ذَلِكَ الْخَارِمَ مِنْ تَوْقِي الْخَاوِفِ ، وَالاِخْتِرَاسِ

مِنَ الْمَكَارِهِ . وَلِكِنَّهُ يَجْمَعُ تَصْدِيقًا بِالْقَدْرِ وَأَخْذًا بِالْحَزْمِ
وَالْقُوَّةِ . وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ تُكَلِّمُنِي بِغَيْرِ مَا فِي نَفْسِكَ . وَالْأَمْرُ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرُ صَغِيرٍ : لَأَنَّ ابْنَكَ قَتَلَ آبَنِي ، وَأَنَا فَقَاتُ عَيْنَ
ابْنِكَ ، وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَسْتَفِي بِقَتْلِي ، وَتَخْتَلِنِي عَنْ نَفْسِي ؛
وَالنَّفْسُ تَائِي الْمَوْتَ . وَقَدْ كَانَ يُقَالُ : الْفَاقَةُ بَلَاءُ ، وَالْحُزْنُ
بَلَاءُ ، وَقُرْبُ الْعَدُوِّ بَلَاءُ ، وَفِرَاقُ الْأَحْبَةِ بَلَاءُ ، وَالسَّقْمُ بَلَاءُ ،
وَالْهَرَمُ بَلَاءُ ؛ وَرَأْسُ الْبَلَادِ يَا كُلُّهَا الْمَوْتُ . وَلَيْسَ أَحَدٌ يَأْلَمُ
بِمَا فِي نَفْسِهِ عَالِمٌ بِمَا فِي نَفْسِكَ : لِلْمَثَلِ الَّذِي عِنْدِي مِنْ
ذَلِكَ . وَلَا خَيْرٌ لِي فِي صُحْبَتِكَ : فَإِنَّكَ لَنْ تَتَذَكَّرَ صَنِيعِي
بِابْنِكَ ، وَلَنْ تَذَكَّرَ صَنِيعَ آبِنِكَ بِابْنِي ، إِلَّا أَخْدَثَ ذَلِكَ
لِقُلُوبِنَا تَغْيِيرًا .

قَالَ الْمَلِكُ : لَا خَيْرٌ فِيمَنْ لَا يَسْتَطِعُ الْإِغْرَاضَ عَمَّا
فِي نَفْسِهِ ، وَيَنْسَاهُ وَيَهْمِلُهُ ، حَتَّى لَا يَذَكُرَ مِنْهُ شَيْئًا ، وَلَا يَكُونَ
لَهُ فِي نَفْسِهِ مَوْقِعٌ . قَالَ فَزَّةُ : إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي فِي بَاطِنِ

قدّمه قرحة ، إن هو حرص على المنشى ، فلابد أنه لا يزال
يشتكي قرحته . والرجل الأرمد العين إذا استقبل بها الريح ،
تعرض لأن تزداد رمدا . وكذلك الواتر إذا دنا من المذود ،
فقد عرض نفسه للهلاك . ولا ينبغي لصاحب الدنيا
إلا توق المهالك والمتاليف ، وتقدير الأمور وقتل الآتكال
على الحول والقوه ، وقلة الاغترار بمن لا يأمن : فإنه من
اتكل على قوته ، فحمله ذلك على أن يسلك الطريق الخوف ،
فقد سعى في حتف نفسه . ومن لا يقدر لطاقته طعامه
وشرابه ، وحمل نفسه ما لا تطيق ولا تحمل ، فقد قتل نفسه .
ومن لا يقدر لقنته ، وعظمها فوق ما يسع فوه ، فربما
غص بها فمات . ومن اغتر بكلام عدوه ، وانخدع له ،
وضياع الخزم ، فهو أعدى لنفسه من عدوه . وليس لأحد
النظر في القدر الذي لا يدرى ما يأتيه منه ولا ما يصرف
عنه ، ولكن عليه العمل بالخزم والأخذ بالقوه ومحاسبة نفسه
في ذلك . والعاقل لا يشق يأخذ ما استطاع ، ولا يقيم على
خوف وهو يجد عنه مذهبًا . وأنا كثير المذاهب ، وأرجو

أَلَا أَذَهَبَ وَجْهًا إِلَّا أَصَبَتُ فِيهِ مَا يُغْنِيَنِي : فَإِنَّ خِلَالًا نَحْمَسَا
 مِنْ تَزَوَّدَهُنَّ كَفِينَهُ فِي كُلِّ وَجْهٍ ، وَأَنْسَنَهُ فِي كُلِّ غُرْبَةٍ ،
 وَقَرَبَنَ لَهُ الْبَعِيدَ ، وَأَكْسَبَنَهُ الْمَعَاشَ وَالْإِخْوَانَ : أَوْهُنَّ كَفُ
 الْأَذَى ، وَالثَّانِيَةُ حُسْنُ الْأَدَبِ ، وَالثَّالِثَةُ مُجَانَّبَةُ الرِّيبِ ،
 وَالرَّابِعَةُ كَرَمُ الْخُلُقِ ، وَالخَامِسَةُ النِّبْلُ فِي الْعَمَلِ . وَإِذَا خَافَ
 الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا طَابَتْ نَفْسُهُ عَنِ الْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ
 وَالْوَطَنِ : فَإِنَّهُ يَرْجُو الْخَلْفَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلَا يَرْجُو عَنِ النَّفْسِ
 خَلْفًا . وَشَرُّ الْمَالِ مَا لَا إِنْفَاقَ مِنْهُ ، وَشَرُّ الْأَزْوَاجِ الَّتِي
 لَا تُؤْتِي بَعْلَهَا ، وَشَرُّ الْوَلَدِ الْعَاصِي الْعَاقِ لِوَالِدَيْهِ ، وَشَرُّ
 الْإِخْوَانِ الْخَادِلُ لِأَخِيهِ عِنْدَ النَّكَاتِ وَالشَّدَائِدِ ، وَشَرُّ الْمُلُوكِ
 الَّذِي يَخَافُهُ الْبَرِيءُ ، وَلَا يُواْظِبُ عَلَى حِفْظِ أَهْلِ مَلَكَتِهِ ،
 وَشَرُّ الْبِلَادِ بِلَادٌ لَا خِضْبَ فِيهَا وَلَا أَمْنَ ، وَإِنَّهُ لَا أَمْنَ لِ
 عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَلَا طَمَائِنَةَ لِي فِي جَوَارِكَ . ثُمَّ وَدَعَ الْمَلِكُ
 وَطَارَ . فَهَذَا مَثَلُ ذَوِي الْأُوتَارِ الَّذِينَ لَا يَنْبَغِي لِبَعْضِهِمْ أَنْ
 يَشْقَ بَعْضًا .

بَابُ الْأَسَدِ وَالشَّغَبِ النَّاسِكِ وَهُوَ ابْنُ آوَى

قَالَ دَبَشْلِيمُ الْمَلِكُ لِيَيْدَبَا الْفَيْلِسُوفَ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
الْمَثَلَ ، فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ الْمَلِكِ الَّذِي يُرَاجِعُ مِنْ أَصَابَتْهُ مِنْهُ عُقُوبَةً
مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ ، أَوْ جَفْوَةً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ . قَالَ الْفَيْلِسُوفُ :
إِنَّ الْمَلِكَ لَوْلَمْ يُرَاجِعْ مِنْ أَصَابَتْهُ مِنْهُ جَفْوَةً عَنْ ذَنْبٍ أَوْ عَنْ
غَيْرِ ذَنْبٍ ، ظُلْمٌ أَوْ لَمْ يُظْلَمْ ، لَا يَضُرُّ ذَلِكَ بِالْأُمُورِ ، وَلِكِنَّ الْمَلِكَ
حَقِيقٌ أَنْ يَنْتَظِرَ فِي حَالِ مَنِ ابْتُلِيَ بِذَلِكَ ، وَيَخْبُرَ مَا عِنْدَهُ مِنْ
الْمَنَافِعِ : فَإِنْ كَانَ مِنْ يُوْثَقُ بِهِ فِي رَأْيِهِ وَأَمَانَتِهِ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ
حَقِيقٌ بِالْحِرْصِ عَلَى مُرَاجِعَتِهِ : فَإِنَّ الْمَلِكَ لَا يُسْتَطِعُ ضَبْطُهُ
إِلَّا مَعَ ذَوِي الرَّأْيِ وَهُمُ الْوُزَراءُ وَالْأَعْوَانُ وَلَا يُنْتَفَعُ بِالْوُزَراءِ
وَالْأَعْوَانِ إِلَّا بِالْمُوَدَّةِ وَالنِّصِيحةِ ، وَلَا مَوَدَّةَ وَلَا نِصِيحةً إِلَّا لِذَوِي
الرَّأْيِ وَالْعَفَافِ . وَأَعْمَالُ السُّلْطَانِ كَثِيرَةٌ ، وَالَّذِينَ يُحْتَاجُ إِلَيْهِمْ
مِنَ الْعُمَالِ وَالْأَعْوَانِ كَثِيرُونَ . وَمَنْ يَجْمَعُ مِنْهُمْ مَا ذَكَرْتُ مِنْ
النِّصِيحةِ وَالْعَفَافِ قَلِيلٌ . وَالْمَثَلَ فِي ذَلِكَ مَثَلُ الْأَسَدِ
وَابْنِ آوَى . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قالَ الْفِيلِسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ ابْنَ آوَى كَانَ يَسْكُنُ فِي بَعْضِ
 الدُّحَالِ ، وَكَانَ مُتَزَهِّدًا مُتَعَفِّفًا ، مَعَ بَنَاتِ آوَى وَذِئَابِ
 وَثَعَالِبَ . وَلَمْ يَكُنْ يَصْنَعُ مَا يَصْنَعُنَّ ، وَلَا يُغَيِّرُ كَايْغِرْنَ ،
 وَلَا يَهْرِيقُ دَمًا ، وَلَا يَأْكُلُ لَبَّاً . خَاصَّةً تِلْكَ السَّبَاعُ ، وَقُانَ :
 لَا نَرَضَى بِسِيرَتِكَ وَلَا رَأَيْكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ تَزَهَّدِكَ :
 مَعَ أَنَّ تَزَهَّدَكَ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَأَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُونَ
 إِلَّا كَاحِدَنَا : تَسْعَى مَعَنَا ، وَتَفْعَلُ فِعْلَنَا فَقَادَ الَّذِي كَفَكَ عَنِ
 الْدَّمَاءِ وَعَنِ اَكْلِ اللَّحْمِ ؟ قَالَ ابْنُ آوَى : إِنَّ صُحْبَتِي إِيَّاهُمْ
 لَا تُؤْمِنُنِي إِذَا لَمْ أُوْشِمْ نَفْسِي : لِأَنَّ الْآثَامَ لَيْسَتْ مِنْ قِبَلِ
 الْأَمَاكِنِ وَالْأَخْصَابِ ، وَلَكِنَّهَا مِنْ قِبَلِ الْقُلُوبِ وَالْأَعْمَالِ .
 وَلَوْ كَانَ صَاحِبُ الْمَكَانِ الصَّالِحُ يَكُونُ عَمَلُهُ فِيهِ صَالِحًا ،
 وَصَاحِبُ الْمَكَانِ السَّيِّئُ يَكُونُ عَمَلُهُ فِيهِ سَيِّئًا ، كَانَ حِينَئِذٍ
 مَنْ قُتِلَ النَّاسِكَ فِي مِحْرَابِهِ لَمْ يَأْتِمْ ، وَمَنْ اسْتَحْيَاهُ فِي مَعرَكَةِ
 الْقِتَالِ أَئْمَمْ . وَإِنِّي إِنَّمَا صَحِبِتُكُنَّ بِنَفْسِي ، وَلَمْ أَصْحِبِكُنَّ بِقُلُوبِي
 وَأَعْمَالِي : لِأَنِّي أَعْرِفُ نَمَرَةَ الْأَعْمَالِ : فَلَزِمْتُ حَالِي . وَثَبَتَ

(١) نَقْبُ صَيْقَفَهُ ، مَنْسَعُ أَسْفَلِهِ .

ابن آوى على حاله تلك ، وأشتهر بالنسك والتزهد ، حتى بلغ ذلك أسدًا كان ملك تلك الناحية ، فرغب فيه : لما بلغه عنه من العفاف والنزاهة والزهد والأمانة ، فأرسل إليه يستدعيه .

فلما حضر كلامه وآتته فوجده في جميع الأمور وفق غرضه .

ثم دعاه بعد أيام إلى صحبته وقال له : تعلم أن عمالي كثير ، وأعوانى جم غفير ، وأنا مع ذلك إلى الأعوان محتاج . وقد بلغني عنك عفاف وآدب وعقل ودين ، فازدادت فيك رغبة .

وأنا موليك من عملي جسيماً ورافعك إلى منزلة شريقة ، وجاعلك من خاصتي . قال ابن آوى : إن الملوك أحقء باختيار الأعوان فيما يهتمون به من أعمالهم وأمورهم . وهم أحرى إلا يكرهوا على ذلك أحداً : فإن المكره لا يستطيع المبالغة في العمل . وإن لعمل السلطان كاره . وليس لي به تجربة ، ولا بالسلطان رفق .

وأنت ملك السابع ، وعندك من الجناس الوحوش عد كثير ، فيهم أهل نبل وقوة ، ولهם على العمل حرص ، وعندتهم به وبالسلطان رفق : فإن استعملتهم أغروا عنك ، وأغبطوا لأنفسهم

يَا أَصَابَهُمْ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ الْأَسَدُ : دَعْ عَنْكَ هَذَا : فَإِنِّي غَيْرُ
مُغْفِيكَ مِنَ الْعَمَلِ . قَالَ ابْنُ آوَى : إِنَّمَا يَسْتَطِيعُ خِدْمَةَ
السُّلْطَانِ رَجُلًا لَنْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا : إِنَّمَا فَاجِرُ مُصَانِعَ ، يَنَالُ
حَاجَتَهُ بِفُجُورِهِ ، وَيَسْلُمُ بِمُصَانَعَتِهِ ، وَإِنَّمَا مُغَافِلٌ لَا يَحْسُدُهُ
أَحَدٌ . فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْدُمَ السُّلْطَانَ بِالصَّدْقِ وَالْعَفَافِ فَلَا يَخْلُطُ
ذَلِكَ بِمُصَانَاعَتِهِ ، وَحِينَئِذٍ قَلَّ أَنْ يَسْلُمَ عَلَى ذَلِكَ : لِأَنَّهُ يَجْتَمِعُ
عَلَيْهِ عَدُوُّ السُّلْطَانِ وَصَدِيقُهُ بِالْعَدَاؤِ وَالْحَسَدِ . أَمَّا الصَّدِيقُ
فَيَنْفَسُهُ فِي مَنْزِلَتِهِ ، وَيَبْغِي عَلَيْهِ فِيهَا ، وَيُعَادِيهِ لِأَجْلِهَا ،
وَأَمَّا عَدُوُّ السُّلْطَانِ فَيَضْطَغِنُ عَلَيْهِ ، لِبِصِيرَتِهِ لِسُلْطَانِهِ ، وَإِغْنَائِهِ
عَنْهُ . فَإِذَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ هَذَا النِّصْنَفَانِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْهَلاَكِ .
قَالَ الْأَسَدُ : لَا يَكُونَ بَنِي أَصْحَابِي عَلَيْكَ ، وَحَسَدُهُمْ إِيَّاكَ
مِمَّا يَعْرِضُ فِي نَفْسِكَ : فَأَنْتَ مَعِي ، وَأَنَا أَنْكِفِيكَ ذَلِكَ ،
وَابْلُغُ بِكَ مِنْ دَرَجَاتِ الْكَرَامَةِ وَالْإِحْسَانِ عَلَى قَدْرِ هَمَّتِكَ .
قَالَ ابْنُ آوَى : إِنْ كَانَ الْمَلِكُ يُرِيدُ الْإِحْسَانَ إِلَيَّ ، فَلَمْ يَدْعُنِي
فِي هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ أَعِيشُ آمِنًا ، قَلِيلَ الْهَمَّ ، رَاضِيًّا بِعَيْشِيِّ مِنَ الْمَاءِ

والعشب : فلما قدر علمنت أن صاحب السلطان يصل إليه من الأذى وأنخوف في ساعة واحدة ما لا يصل إلى غيره في طول عمره ؛ وإن قليلاً من العيش في أمن وطمأنينة خير من كثير من العيش في خوف ونصب . قال الأسد : قد سمعت مقاولتك ، فلا تخاف شيئاً مما أراك تخاف منه . ولست أجد بعدها من الاستعانة بك في أمري . قال ابن آوى : أما إذا أبي الملك إلا ذلك فليجعل لي عهداً ، إن بغى على أحد من أصحابه عنده ، من هو فوق : مخافة على منزلته ، أو من هو دوني : ليس ازعني في منزلتي ، فذاك عند الملك منهم ذاك يلسانه ، أو على لسان غيره ما يريد به تحمل الملك على ، إلا يجعل في أمري ، وأن يتثبت فيما يرفع إليه ويذكر عنده من ذلك ، ويفحص عنه ، ثم ليصنع ما بدا له . فإذا وثقت منه بذلك ، أعتنه بنفسه فيما يحب ، وعملت له فيما أولاني بتصحية واجتهاد ، وحرضت على إلا أجعل له على نفسه سبيلاً . قال الأسد : لك ذلك على وزرادة . ثم ولاه نحزنه ، وأختص به دون أصحابه ، وزاد في كرامته .

فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُ الْأَسَدِ ذَلِكَ ، غَاظُهُمْ وَسَاءَهُمْ . فَاجْمَعُوا
 كَيْدَهُمْ ، وَاتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَن يَحْمِلُوا عَلَيْهِ الْأَسَدَ . وَكَانَ الْأَسَدُ
 قَدْ اسْتَطَابَ لَهُ فَعَزَّلَ مِنْهُ مِقْدَارًا ، وَأَمْرَهُ بِالاحْتِفَاظِ بِهِ ،
 وَأَن يَرْفَعَهُ فِي أَحْصَنِ مَوْضِعٍ طَعَامِهِ وَأَحْرَزِهِ : لِيُعَادَ عَلَيْهِ ،
 فَأَخْذُوهُ مِنْ مَوْضِعِهِ ، وَجَمِلُوهُ إِلَى بَيْتِ ابْنِ آوَى ، نَفَّبُثُوهُ فِيهِ ،
 وَلَا عِلْمَ لَهُ بِهِ ، ثُمَّ حَضَرُوا يُكَذِّبُونَهُ إِنْ جَرَتْ فِي ذَلِكَ حَالٌ .
 فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ ، وَدَعَا الْأَسَدُ بِغَدَائِهِ ، فَقَدِ دَلِكَ اللَّهُمَّ ،
 فَالْتَّمَسَهُ وَلَمْ يَجِدْهُ ، وَابْنُ آوَى لَمْ يَسْعُرِبْهَا صُنْحَ فِي حَقِّهِ مِنَ
 الْمَكِيدَةِ . فَخَضَرَ الَّذِينَ عَمِلُوا الْمَكِيدَةَ ، وَقَعَدُوا فِي الْجَلِيسِ .
 ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ سَأَلَ عَنِ اللَّهُمَّ ، وَسَدَّدَ فِيهِ ، وَفِي الْمَسَالَةِ عَنْهُ ،
 فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ قَوْلَ الْخُبِيرِ النَّاصِحِ :
 إِنَّهُ لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نُخْبِرَ الْمَلِكَ بِمَا يَضُرُّهُ وَيَنْفَعُهُ ، وَإِنْ شَوَّ
 ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشُّقُ عَلَيْهِ . وَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ آوَى هُوَ الَّذِي
 ذَهَبَ بِاللَّهُمَّ إِلَى مَنْزِلِهِ . قَالَ الْآخَرُ : لَا أَرَاهُ يَفْعَلُ هَذَا ، وَلَكِنْ
 انْظُرُوا وَاقْتُصُوا : فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْخَلَائِقِ شَأْيَةً . فَقَالَ الْآخَرُ :

لَعَمْرِي مَا تَكَادُ السَّرَّايرُ تُعْرَفُ ، وَأَظُنُّكُمْ إِنْ خَصْتُمْ عَنْ هَذَا
وَجَدْتُمُ اللَّهَمَ بَيْتَ ابْنِ آوَى ؛ وَكُلُّ شَيْءٍ يُذَكَّرُ مِنْ عَيْوَبِهِ وَخِيَانَتِهِ
نَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نُصَدِّقَهُ . قَالَ الْآخَرُ : لَئِنْ وَجَدْنَا هَذَا حَقًّا
فَلَيَسْتَ بِالْخِيَانَةِ فَقَطْ ، وَلَكِنْ مَعَ الْخِيَانَةِ كُفْرُ النِّعْمَةِ، وَابْحَرَاءُ
عَلَى الْمَلِكِ . قَالَ الْآخَرُ : أَنْتُمْ أَهْلُ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ ، لَا أَسْتَطِعُ
أَنْ أَكَذِّبَكُمْ ، وَلَكِنْ سَيِّئِينُ هَذَا لَوْ أَرْسَلَ الْمَلِكُ إِلَيَّ بَيْتِهِ مَنْ
يُفْتَشِهُ . قَالَ آخَرُ : إِنْ كَانَ الْمَلِكُ مُفْتَشًا مَنْزِلَهُ فَلَيُعَجِّلْ :
إِنَّ عَيْونَهُ وَجَوَاسِيَّهُ مَبْثُوتَةٌ بِكُلِّ مَكَانٍ . وَلَمْ يَرَأْ لَوْا فِي هَذَا
الْكَلَامِ وَأَشْبَاهِهِ ، حَتَّى وَقَعَ فِي نَفْسِ الْأَسَدِ ذَلِكَ ؛ فَأَمَرَ بِابْنِ
آوَى فَضَرَّ، فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ اللَّهُمَّ الَّذِي أَمْرَتُكَ بِالاِحْتِفَاظِ بِهِ ،
قَالَ : دَفَعْتُهُ إِلَى صَاحِبِ الطَّعَامِ لِيُقْرَبَ إِلَى الْمَلِكِ . فَدَعَا
الْأَسَدُ بِصَاحِبِ الطَّعَامِ ، وَكَانَ مِنْ شَائِعَ وَبَايَعَ مَعَ الْقَوْمِ عَلَى
ابْنِ آوَى . فَقَالَ : مَا دَفَعَ إِلَى شَيْئًا . فَأَرْسَلَ الْأَسَدُ أَمِينًا إِلَيَّ بَيْتِ
ابْنِ آوَى لِيُفْتَشِهُ ، فَوَجَدَ فِيهِ ذَلِكَ اللَّهُمَّ ، فَأَتَى بِهِ الْأَسَدَ .
فَدَنَّا مِنَ الْأَسَدِ ذِئْبٌ لَمْ يَكُنْ تَكَلَّمَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ . وَكَانَ

يُظْهِرُ أَنَّهُ مِنَ الْعُدُولِ الَّذِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ فِيهَا لَا يَعْلَمُونَ ، حَتَّى
 يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ . فَقَالَ : بَعْدَ أَنْ اطَّلَعَ الْمَلِكُ عَلَى خِيَانَةِ ابْنِ
 آوَى فَلَا يَعْفُونَ عَنْهُ : فَإِنَّهُ إِنْ عَفَاهُ لَمْ يَطَّلِعْ الْمَلِكُ بَعْدَهَا
 عَلَى خِيَانَةِ خَائِنٍ ، وَلَا ذَنْبٌ مُذْنِبٌ . فَأَمَرَ الْأَسَدُ بِابْنِ آوَى أَنْ
 يُخْرِجَ ، وَيُحْتَفَظَ بِهِ . فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَاءِ الْمَلِكِ : إِنِّي لَا يَجِدُ
 مِنْ رَأْيِ الْمَلِكِ وَمَعْرِفَتِهِ بِالْأُمُورِ كَيْفَ يَحْفَنِي عَلَيْهِ أَمْرُ هَذَا ،
 وَلَمْ يَعْرِفْ خَبَهُ وَمَحَادِعَتَهُ ؟ وَأَبْحَبُ مِنْ هَذَا أَنِّي أَرَاهُ سَيَصْفَحُ
 عَنْهُ ، بَعْدَ الَّذِي ظَهَرَ مِنْهُ . فَأَرْسَلَ الْأَسَدُ بَعْضَهُمْ رَسُولاً إِلَى
 ابْنِ آوَى يَلْتَمِسُ مِنْهُ الْعُذْرَ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ بِرِسَالَةٍ كَادِبَةٍ
 اخْتَرَعَهَا ، فَغَضِبَ الْأَسَدُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَمَرَ بِابْنِ آوَى أَنْ يُقْتَلَ .
 فَعَلِمَتْ أُمُّ الْأَسَدِ أَنَّهُ قَدْ بَعْلَمَ فِي أَمْرِهِ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى الَّذِينَ أَمْرُوا
 بِيُقْتَلِهِ أَنْ يُؤْخِرُوهُ ، وَدَخَلَتْ عَلَى ابْنِهَا ، فَقَالَتْ : يَا بُنْيَانِي أَنْتِ ذَنْبِ
 أَمْرَتَ بِيُقْتَلِ ابْنِ آوَى ؟ فَأَخْبَرَهَا بِالْأَمْرِ . فَقَالَتْ : يَا بُنْيَانِي
 بَعْلَمْتَ . وَإِنَّمَا يَسْلُمُ الْعَاقِلُ مِنَ النَّدَامَةِ بِتَرْكِ الْعَجَلةِ
 وَبِالثَّبِيتِ . وَالْعَجَلةُ لَا يَزَالُ صَاحِبُهَا يَجْتَنِي ثَمَرَةَ النَّدَامَةِ ،

يُسَبِّبُ ضَعْفَ الرَّأْيِ . وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحْوَجَ إِلَى التَّوْدَةِ وَالتَّثْبِتِ مِنَ الْمُلُوكِ : فَإِنَّ الْمَرْأَةَ بِزَوْجِهَا ، وَالْوَلَدَ بِوَالِدِيهِ ، وَالْمُتَعَلِّمَ بِالْمُعَلِّمِ ، وَالْخُنْدَ بِالْقَائِدِ ، وَالنَّاسِكَ بِالَّذِينِ ، وَالْعَامَةَ بِالْمُلُوكِ ، وَالْمُلُوكَ بِالْتَّقْوَى ، وَالْتَّقْوَى بِالْعَقْلِ ، وَالْعَقْلَ بِالْتَّثْبِتِ وَالْأَنَاءِ ؛ وَرَأْسُ الْكُلِّ الْحَزْمُ ، وَرَأْسُ الْحَزْمِ لِلْمَلِكِ مَعْرِفَةً أَصْحَابِهِ ، وَإِنَّهُمْ مَنَازِلُهُمْ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ ، وَاتِّهَامُهُمْ بِعَضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ . فَإِنَّهُ لَوْ وَجَدَ بَعْضُهُمْ إِلَى هَلَالِكِ بَعْضٍ سَيِّلًا لِفَعْلٍ . وَقَدْ جَرَبَتْ ابْنَ آوَى ، وَبَلُوتْ رَأْيَهُ وَأَمَانَتَهُ وَمَرْوَةَهُ ، شُمْ لَمْ تَرَلْ مَادِحًا لَهُ رَاضِيًّا عَنْهُ . وَلَيْسَ يَتَبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُخْبُونَهُ بَعْدَ ارْتِضَائِهِ إِيَّاهُ وَأَنْتَانِهِ لَهُ ؛ وَمِنْدَ مَجِيئِهِ إِلَى الْآنَ لَمْ يُطَلَّعْ لَهُ عَلَى خِيَانَةٍ إِلَّا عَلَى النِّعْفَةِ وَالنِّصِيْحَةِ . وَمَا كَانَ رَأْيُ الْمَلِكِ أَنْ يُعَجِّلَ عَلَيْهِ لِأَجْلِ طَابِقِ لَحْمِ . وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلَكُ حَقِيقٌ أَنْ تَنْظُرَ فِي حَالِ ابْنِ آوَى : لِتَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَتَعَرَّضَ لِلَّحْمِ اسْتَوْدَعَتْهُ إِيَّاهُ . وَلَعَلَّ الْمَلِكَ إِنْ خَصَّ عَنْ ذَلِكَ ظَهَرَ لَهُ أَنَّ ابْنَ آوَى لَهُ خُصْمَاءٌ هُمُ الَّذِينَ أَمْرُوا بِهَذَا الْأَمْرِ . وَهُمُ الَّذِينَ

ذَهَبُوا بِالنَّحْمٍ إِلَى بَيْتِهِ فَوَضَعُوهُ فِيهِ : فَإِنَّ الْخِدَاةَ إِذَا كَانَ
فِي رِجْلِهَا قِطْعَةُ لَحْمٍ أَجْتَمَعَ عَلَيْهَا سَائِرُ الطَّيْرِ ، وَالْكَلْبَ إِذَا
كَانَ مَعَهُ عَظِيمٌ أَجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ النِّكَلَابُ . وَابْنُ آوَى مُنْذُ كَانَ
إِلَى الْيَوْمِ نَافِعٌ ، وَكَانَ مُخْتَمِلًا لِكُلِّ ضَرَرٍ فِي جَنْبِ مَنْفَعَةِ
تَصِيلُ إِلَيْكَ ، وَلِكُلِّ عَنَاءٍ يَكُونُ لَكَ فِيهِ رَاحَةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ
يَطْوِي دُونَكَ سِرًا .

فَبَيْنَمَا أُمُّ الْأَسَدِ تَقْصُّ عَلَيْهِ هَذِهِ الْمَقَالَةَ ، إِذْ دَخَلَ عَلَى
الْأَسَدِ بَعْضُ ثَقَاهِهِ ، فَأَخْبَرَهُ بِرَأْءَةِ ابْنِ آوَى . فَقَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ ،
بَعْدَ أَنْ أَطَّلَعَ الْمَلِكُ عَلَى بِرَأْءَةِ ابْنِ آوَى : إِنَّ الْمَلِكَ حَقِيقٌ أَلَا
يُرْخَصَ لِمَنْ سَعَى بِهِ لِثَلَاثَ يَعْجِزُهُمْ وَا عَلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ،
بَلْ يُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهِ لِكَيْ لَا يَعُودُوا إِلَى مِثْلِهِ : فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ
أَنْ يُرَاجِعَ فِي أَمْرِ الْكَفُورِ لِلْحُسْنَى ، الْحَرَى ؛ عَلَى الْغَذْرِ ،
الْزَّاهِدِ فِي الْخَيْرِ ، الَّذِي لَا يُوقِنُ بِالْآخِرَةِ . وَيَنْبَغِي أَنْ يُجْزِي
بِعَمَلِهِ ، وَقَدْ عَرَفَتْ سُرْعَةَ الغَضَبِ وَفَرَطَ الْهَفْوَةِ ؛ وَمَنْ سَخِطَ
بِالْيَسِيرِ لَمْ يَبْلُغْ رَضَاهُ بِالْكَثِيرِ . وَالْأَوْلَى لَكَ أَنْ تُرَاجِعَ ابْنَ آوَى ،

وَتَعْطِفَ عَلَيْهِ ؛ وَلَا يُوَسِّنَكَ مِنْ مُنَاصَحَتِهِ مَا فَرَطَ مِنْكَ إِلَيْهِ
مِنَ الْإِسَاءَةِ : فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ عَلَى حَالٍ مِنَ
الْأَخْوَالِ ، وَهُوَ مَنْ عُرِفَ بِالصَّلَاحِ وَالْكَرَمِ وَحُسْنِ الْعَهْدِ
وَالشُّكْرِ وَالْوَفَاءِ وَالْمَحَبَّةِ لِلنَّاسِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْحَسَدِ وَالْبُعْدِ
مِنَ الْأَذَى وَالاِحْتِمَالِ لِلأَخْوَانِ وَالْأَخْصَابِ وَإِنْ شَقَّتْ عَلَيْهِ
مِنْهُمُ الْمُؤْنَةُ . وَآمَّا مَنْ يَنْبَغِي تَرْكُهُ فَهُوَ مَنْ عُرِفَ بِالشَّرَاسَةِ وَلُومِ
الْعَهْدِ وَقِيلَةِ الشُّكْرِ وَالْوَفَاءِ وَالْبُعْدِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْوَرَاعِ ، وَاتَّصَفَ
بِالْجُحُودِ لِثَوَابِ الْآخِرَةِ وَعِقَابِهَا . وَقَدْ عَرَفَتْ ابْنَ آوَى وَجَرِبَتْهُ
وَأَنْتَ حَقِيقٌ بِمُوَاصِلَتِهِ .

فَدَعَا الْأَسَدُ بِابْنِ آوَى وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِمَّا كَانَ مِنْهُ وَوَعَدَهُ
خَيْرًا ، وَقَالَ : إِنِّي مُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ وَرَادِكَ إِلَى مَنْزِلَتِكَ . فَقَالَ
ابْنُ آوَى : إِنَّ شَرَّ الْأَخْلَالِ مَنِ الْتَّمَسَ مَنْفَعَةَ نَفْسِهِ بِضُرِّ أَخِيهِ ،
وَمَنْ كَانَ غَيْرَ نَاظِرٍ لَهُ كَنَظَرِهِ لِنَفْسِهِ ، أَوْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُرِضِيَهُ
بِغَيْرِ الْحَقِّ لِأَجْلِ اتِّبَاعِ هَوَاهُ . وَكَثِيرًا مَا يَقْعُ ذَلِكَ بَيْنَ

الأَخْلَاءِ . وَقَدْ كَانَ مِنَ الْمَلِكِ إِلَىٰ مَا عَلِمَ ، فَلَا يَغْلُظُنَّ عَلَىٰ
 نَفْسِهِ مَا أَخْبَرَهُ بِهِ أَنِّي بِهِ غَيْرُ وَاثِقٍ ، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَصْبَحَهُ :
 فَإِنَّ الْمُلُوكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَصْبِحُوا مَنْ عَاقَبُوهُ أَشَدَّ الْعِقَابِ ،
 وَلَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَرْفُضُوهُ أَصْلًا : فَإِنَّ ذَا السُّلْطَانِ إِذَا عُزِّلَ
 كَانَ مُسْتَحِقًا لِلنَّ كَرَامَةِ فِي حَالَةِ إِبْعَادِهِ وَالْإِفْسَادِ لَهُ . فَلَمْ يَلْتَهِتِ
 الْأَسَدُ إِلَىٰ كَلَامِهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ بَلَوْتُ طِبَاعَكَ
 وَأَخْلَاقَكَ ، وَجَرَبْتُ أَمَانَتَكَ وَوَفَاءَكَ وَصِدْقَكَ ، وَعَرَفْتُ
 كَذَبَ مَنْ تَمَحَّلَ الْحِيلَ لِتَحْمِلِي عَلَيْكَ . وَإِنِّي مُنْزِلُكَ مِنْ نَفْسِي
 مُنْزِلَةَ الْأَخْيَارِ الْكُرَمَاءِ ، وَالْكَرِيمُ تُذَسِّيْهِ الْخَلَةُ الْوَاحِدَةُ مِنَ
 الْإِحْسَانِ ، إِنْخَلَالُ الْكَثِيرَةِ مِنَ الْإِسَاءَةِ . وَقَدْ عَذَنَا إِلَى التَّقْةِ
 بِكَ ، فَعُذْ إِلَى التَّقْةِ بِنَا : فَإِنَّ لَنَا وَلَكَ بِذَلِكَ غِبْطَةً وَسُرُورًا .
 فَعَادَ ابْنُ آوَى إِلَىٰ وِلَايَةِ مَا كَانَ يَلِي ، وَضَاعَفَ لَهُ الْمَلِكُ
 الْكَرَامَةُ ، وَلَمْ تَرِدْهُ الْأَيَّامُ إِلَّا تَقْرَبًا مِنَ السُّلْطَانِ .

بَابُ إِيَلَادَ وَبِلَادَ وَأَيْرَاخْتَ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا النَّفِيلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
الْمَثَلَ ، فَاضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَجْبُ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ
يُلْزِمَ بِهَا نَفْسَهُ ، وَيَحْفَظَ مُنْكَهُ وَيُثْبِتَ سُلْطَانَهُ ، وَيَكُونَ ذَلِكَ
رَأْسَ أَمْرِهِ وَمِلَاكَهُ : أَيْلَخْلَمُ أَمْ بِالْمُرُوَّةِ أَمْ بِالشَّجَاعَةِ أَمْ
بِالْحُودِ ؟ قَالَ بَيْدَبَا : إِنَّ أَحَقَّ مَا يَحْفَظُ بِهِ الْمَلِكُ مُنْكَهُ
الْخَلْمُ ، وَبِهِ تَبَثُّ السَّلَطَنَةُ ، وَالْخَلْمُ رَأْسُ الْأُمُورِ وَمِلَاكُهَا ،
وَأَجَوْدُ مَا كَانَ فِي الْمُلُوكِ : كَالَّذِي زَعَمُوا مِنْ أَنَّهُ كَانَ مَلِكٌ يُدْعَى
بِلَادَ ، وَكَانَ لَهُ وَزِيرٌ يُدْعَى إِيَلَادَ . وَكَانَ مُتَبَعِّدًا نَاسِكًا .
فَنَامَ الْمَلِكُ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَرَأَى فِي مَنَامِهِ ثَمَانِيَةَ أَحَدَامٍ أَفْزَعَهُهُ ،
فَاسْتَيقَظَ مَرْعُوبًا . فَدَعَا الْبَرَاهِمَةَ ، وَهُمُ النَّسَاكُ لِيَعْبُرُوا
رُؤْيَاهُ . فَلَمَّا حَضَرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ قَصَّ عَلَيْهِمْ مَا رَأَى . فَقَالُوا
يَا جَمِيعَهُمْ : لَبَدَّ رَأَى الْمَلِكُ بَعْجَبًا فَإِنْ أَمْهَلْنَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ جِئْنَاهُ
بِتَأْوِيلِهِ . قَالَ الْمَلِكُ : قَدْ أَمْهَلْتُكُمْ نَفْرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ

ثُمَّ اجْتَمَعُوا فِي مَنْزِلٍ أَحَدِهِمْ وَأَتَمْرَوْا بِيَنْهُمْ . وَقَالُوا : قَدْ وَجَدْتُمْ عِلْمًا وَاسِعًا تُدْرِكُونَ بِهِ ثَارَكُمْ وَتَبْتَقِمُونَ بِهِ مِنْ عَدُوكُمْ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ قَتَلَ مِنَ الْأَمْسِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا . وَهَا هُوَ قَدْ أَطْلَعْنَا عَلَى سِرِّهِ وَسَأَلَنَا تَفْسِيرَ رُؤْيَاهُ : فَهَلْمُوا نُغْلِظُ لَهُ الْقَوْلَ وَنُخَوِّفُهُ حَتَّى يَخْلُلَهُ الْفَرَقُ وَالْحَزَرُ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ الدِّيْنُ نُرِيدُ وَنَامِرُ . فَنَقُولُ : ادْفَعْ إِلَيْنَا أَحِبَّاءَكَ وَمَنْ يَكُرُّمُ عَلَيْكَ حَتَّى نُقْتَلَهُمْ : فَإِنَّا قَدْ نَظَرْنَا فِي كُتُبِنَا فَلَمْ نَرَ أَنْ يُدْفَعَ عَنْكَ مَا رَأَيْتَ لِنَفْسِكَ وَمَا وَقَعَتْ فِيهِ مِنْ هَذَا الشَّرِّ إِلَّا يُقْتَلُ مَنْ نُسْمِي لَكَ . فَإِنْ قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا تُرِيدُونَ أَنْ تَقْتُلُوا ؟ سَمُّوْهُمْ لِي . قُلْنَا : نُرِيدُ الْمَلِكَةَ إِيمَرَأَخْتَ أَمَّ جَوِيرَ الْحَمْوَدَةَ أَكْرَمَ نِسَائِكَ عَلَيْكَ . وَنُرِيدُ جَوِيرَ أَحَبَّ بَنِيَكَ إِلَيْكَ وَأَفْضَلَهُمْ عِنْدَكَ . وَنُرِيدُ أَبْنَ أَخِيكَ الْكَرِيمَ ، وَإِيَّا لَذَّ خَلِيلَكَ وَصَاحِبَ أَمْرِكَ . وَنُرِيدُ كَالَا الْكَاتِبَ صَاحِبَ سِرْكَ وَسَيفَكَ الدِّيْنِ لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ ، وَالْفِيلَ الْأَبِيَضَ الدِّيْنِ لَا تَلْحَقُهُ الْخَيْلُ ، وَالْفَرَسَ الدِّيْنِ هُوَ مِرْكَبَ فِي الْقَتَالِ . وَنُرِيدُ الْفِيَالِينِ الْأَخْرَيِينِ الْعَظِيمِينِ الَّذِينِ يَكُونُنَّ

مَعَ الفِيلِ الدَّكَرَ . وَنُرِيدُ الْبُخْتِيَ السَّرِيعَ الْقَوِيَّ . وَنُرِيدُ
كَبَارِيُونَ الْحَكِيمَ الْفَاضِلَ الْعَالِمَ بِالْأُمُورِ لِنَتَقْرِيمَ مِنْهُ إِمَّا فَعَلَ بِنَا .
ثُمَّ نَقُولُ : إِنَّمَا يَنْبَغِي لَكَ أَيْهَا الْمَلِكُ أَنْ تَقْتُلَ هَوْلَاءَ الَّذِينَ
سَمَّيْنَا هُمْ لَكَ ، ثُمَّ تَجْعَلَ دِمَاءَهُمْ فِي حَوْضٍ تَمْلَوْهُ ، ثُمَّ تَقْعُدَ فِيهِ .
فَإِذَا خَرَجْتَ مِنَ الْحَوْضِ أَجْتَمَعْنَا نَحْنُ مَعَاشِرَ الْبَرَاهِيمَةِ مِنَ
الْآفَاقِ الْأَرْبَعَةِ نَجُولُ حَوْلَكَ فَنَرْقِيكَ وَنَتَفْلُ عَلَيْكَ وَنَمْسَحُ
عَنْكَ الدَّمَ وَنَغْسِلُكَ بِالْمَاءِ وَالدُّهْنِ الطَّيِّبِ . ثُمَّ تَقُومُ إِلَى مَنْزِلِكَ
الْبَهِيَّ فَيَدْفَعُ اللَّهُ بِذَلِكَ الْبَلَاءَ الَّذِي تَخَوَّفُهُ عَلَيْكَ . فَإِنْ
صَبَرْتَ ، أَيْهَا الْمَلِكُ ، وَطَابَتْ نَفْسُكَ عَنْ أَحِبَّاِكَ الَّذِينَ ذَكَرْنَا
لَكَ ، وَجَعَلْتَهُمْ فِدَاءَكَ ، تَخَلَّصْتَ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَاسْتَقَامَ لَكَ
مُلْكُكَ وَسُلْطَانُكَ ، وَاسْتَخَلَفْتَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ أَحِبَّتَ .
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ تَخَوَّفَنَا عَلَيْكَ أَنْ يُغَصِّبَ مُلْكُكَ أَوْ تَهْلِكَ
فَإِنْ هُوَ أَطَاعَنَا فِيهَا نَأْمَرْهُ قَتَلَنَاهُ أَيَّ قِتْلَةٍ شِئْنَا .

فَلَمَّا أَجْمَعُوا عَلَى مَا أَتَمْرَوا بِهِ رَجَعُوا إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ .
وَقَالُوا لَهُ : أَيْهَا الْمَلِكُ ، إِنَّا نَظَرْنَا فِي كُتُبِنَا فِي تَفْسِيرِ مَا رَأَيْتَ ،
وَفَصَنَّا عَنِ الرَّأْيِ فِيهَا بَيْتَنَا . فَلَتَكُنْ لَكَ أَيْهَا الْمَلِكُ الطَّاهِرُ

الصالِحُ الْكَرَامَةُ . وَلَسْنَا نَقْدِرُ أَنْ نُعْلِمَكَ بِمَا رَأَيْنَا إِلَّا أَنْ
 تَخْلُوَ بِنَا . فَأَخْرَجَ الْمَلِكُ مِنْ كَانَ عِنْدَهُ وَخَلَّ بِهِمْ . فَقَدَّمُوا
 بِالذِّي اتَّهَرُوا بِهِ . فَقَالَ لَهُمْ : الْمَوْتُ خَيْرٌ لِي مِنَ الْحَيَاةِ
 إِنْ أَنَا قَتَلْتُ هُولَاءِ الدِّينَ هُمْ عَدِيلُ نَفْسِي . وَأَنَا مَيْتٌ لَا مَحَالَةَ ،
 وَالْحَيَاةُ قَصِيرَةٌ ، وَلَسْتُ كُلَّ الدَّهْرِ مَلِكًا ، وَإِنَّ الْمَوْتَ عِنْدِي
 وَفِرَاقَ الْأَحِبَّاءِ سَوَاءٌ . قَالَ لَهُ الْبَرَاهِيمُ : إِنْ أَنْتَ لَمْ تَغْضَبْ
 أَخْبَرَنَاكَ . فَأَذِنْ لَهُمْ . فَقَالُوا : أَيْهَا الْمَلِكُ إِنَّكَ لَمْ تَقْلُ
 صَوَابًا حِينَ تَجْعَلُ نَفْسَ غَيْرِكَ أَعْزَزَ عِنْدَكَ مِنْ نَفْسِكَ . فَاخْتَفِظْ
 بِنَفْسِكَ وَمُلْكِكَ ، وَاعْمَلْ هَذَا الذِّي لَكَ فِيهِ الرَّجَاءُ الْعَظِيمُ
 عَلَى ثِقَةٍ وَيَقِينٍ . وَقَرَ عَيْنَا بِمُلْكِكَ فِي وُجُوهِ أَهْلِ مُلْكِكَ
 الَّذِينَ شَرُفتَ وَكَرُمتَ بِهِمْ . وَلَا تَدْعَ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ وَتَأْخُذْ
 بِالضَّعِيفِ فَتَهْلِكَ نَفْسَكَ إِيْشَارًا لِمَنْ يُحِبْ . وَاعْلَمْ أَيْهَا الْمَلِكُ
 أَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا يُحِبُّ الْحَيَاةَ مَحْبَةً لِنَفْسِهِ . وَإِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 مَنْ أَحَبَّ مِنَ الْأَحْبَابِ إِلَّا لِيَتَمَّتَعَ بِهِمْ فِي حَيَاةِهِ . وَإِنَّمَا
 قِوَامُ نَفْسِكَ بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِمُلْكِكَ . وَإِنَّكَ لَمْ تَنْلُ مُلْكَكَ

إِلَّا بِالْمَشَقَةِ وَالْعَنَاءِ الْكَثِيرِ فِي الشُّهُورِ وَالسَّنِينَ . وَلَيْسَ
 يَنْبَغِي أَنْ تَرْفُضَهُ وَيَهُونَ عَلَيْكَ . فَاسْتَمِعْ كَلَامَنَا . فَانظُرْ
 لِنَفْسِكَ مُنَاهًا ، وَدَعْ مَا سِوَاهَا : فَإِنَّهُ لَا خَطَارَ لَهُ . فَلَمَّا
 رَأَى الْمَلِكُ أَنَّ الْبَرَاهِيمَةَ قَدْ أَغْلَظُوا لَهُ فِي الْقَوْلِ وَاجْتَرَمُوا
 عَلَيْهِ فِي الْكَلَامِ اشْتَدَّ غَمَّهُ وَحُزْنُهُ . وَقَامَ مِنْ بَيْنِ ظَهَرَانَيْهِمْ
 وَدَخَلَ إِلَى جُحْرَتِهِ نَفَرَ عَلَى وَجْهِهِ يَبْكِي وَيَتَقَلَّبُ كَمَا تَتَقَلَّبُ
 السَّمَكَةُ إِذَا نَرَجَتْ مِنَ الْمَاءِ ، وَجَعَلَ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ :
 مَا أَدْرِي أَيِّ الْأَمْرَيْنِ أَعْظَمُ فِي نَفْسِي ؟ الْمَمْلَكَةُ أَمْ قَتْلُ أَحِبَّائِي ؟
 وَلَنْ أَنَا الْفَرَحَ مَا عَشْتُ . وَلَيْسَ مُلْكِي بِبَاقِي عَلَى
 إِلَى الْأَبَدِ . وَلَسْتُ بِالْمُصِيبِ سُؤْلِي فِي مُلْكِي . وَإِنِّي لَزَاهِدٌ
 فِي الْحَيَاةِ إِذَا لَمْ أَرَ إِيمَانَخَتَ . وَكَيْفَ أَفْدِرُ عَلَى الْقِيَامِ بِمُلْكِي
 إِذَا هَلَكَ وَزَرِي إِيلَادُ ؟ وَكَيْفَ أَضْبِطُ أَمْرِي إِذَا هَلَكَ فِيلِي
 الْأَبِيسُ وَفَرِسِي الْخَوَادُ ؟ وَكَيْفَ أَدْعَ مِلِكًا وَقَدْ قَتَنَتْ
 مَنْ أَشَارَ الْبَرَاهِيمَةُ بِقَتْلِهِ ؟ وَمَا أَصْنَعُ بِالْدُنْيَا بَعْدَهُمْ ؟ ثُمَّ إِنَّ
 الْخَدِيثَ فَشَا فِي الْأَرْضِ بِحُزْنِ الْمَلِكِ وَهَمَّهِ . فَلَمَّا رَأَى

إِيَّا لَذُ مَا نَالَ الْمَلَكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْخُزْنِ فَكَرَّ بِحِكْمَتِهِ وَنَظَرَ وَقَالَ :
 مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَسْتَقِيلَ الْمَلِكَ فَأَسْأَلَهُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ
 نَالَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْعُونِي . ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى إِيرَاخْتَ فَقَالَ :
 إِنِّي مُنْذُ خَدَمْتُ الْمَلِكَ إِلَى الْآنَ لَمْ يَعْمَلْ عَمَلاً إِلَّا بِمَشْوَرَتِي
 وَرَأِيِ . وَأَرَاهُ يَكْتُمُ عَنِّي أَمْرًا لَا أَعْلَمُ مَا هُوَ . وَلَا أَرَاهُ
 يُظْهِرُ مِنْهُ شَيْئًا . وَإِنِّي رَأَيْتُهُ خَالِيَا مَعَ جَمَاعَةِ الْبَرَّهَمِيَّينَ
 مُنْذُ لَيَالِي . وَقَدْ احْتَجَبَ عَنَّا فِيهَا . وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يَكُونَ
 قَدْ أَطْلَعَهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَسْرَارِهِ . فَلَسْتُ آمِنُهُمْ أَنْ يُشِيرُوا
 عَلَيْهِ بِمَا يَضُرُّهُ وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْهُ السُّوءُ . فَقُوِّمِي وَادْخُلِي
 عَلَيْهِ فَاسْأَلِيهِ عَنْ أَمْرِهِ وَشَانِهِ . وَأَخْبِرِنِي بِمَا هُوَ عَلَيْهِ
 وَأَعْلَمِنِي : فَإِنِّي لَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى الدُّخُولِ عَلَيْهِ . فَلَعَلَّ الْبَرَّهَمِيَّينَ
 قَدْ زَيَّنُوا لَهُ أَمْرًا أَوْ حَمَلُوهُ عَلَى خُطَّةٍ قَبِيحةٍ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مِنْ
 خُلُقِ الْمَلَكِ أَنَّهُ إِذَا غَضِبَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا . وَسَوَاءٌ عِنْدَهُ صَغِيرٌ
 أَمْوَارٌ وَكَبِيرُهَا . فَقَاتَتْ إِيرَاخْتُ : إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَلَكِ
 بَعْضُ الْعِتَابِ فَلَسْتُ بِدَاخِلَةٍ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْخَانِ . فَقَالَ لَهَا
 إِيَّا لَذُ : لَا تَنْهَمِلِي عَلَيْهِ الْحِقْدَةُ فِي مِثْلِ هَذَا . وَلَا يَخْطُرَنَّ ذَلِكُ

عَلَى بَالِكَ فَلَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى الدُّخُوبِ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَاكِ . وَقَدْ سَمِعْتُهُ كَثِيرًا يَقُولُ : مَا اشْتَدَّ غَمِّيْ وَدَخَلْتُ عَلَى إِيرَاخْتُ إِلَّا سُرِّيْ عَنِّيْ ، فَقُوْمِيْ إِلَيْهِ وَأَصْفَحِيْ عَنِّهِ . وَكَلْمِيْهِ بِمَا تَعْلَمِينَ أَنَّهُ تَطِيبُ بِهِ نَفْسُهُ وَيَذْهَبُ الَّذِي يَجْدُهُ . وَأَعْلَمِيْنِي بِمَا يَكُونُ جَوَابَهُ : فَإِنَّهُ لَنَا وَلِأَهْلِ الْمَمْلَكَةِ أَعْظَمُ الرَّاحَةِ . فَانْطَلَقَتْ إِيرَاخْتُ فَدَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ بَخَلَسَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ . فَقَالَتْ : مَا الَّذِي بِكَ أَيْثَابَ الْمَلِكُ الْمَحْمُودُ ؟ وَمَا الَّذِي سَمِعْتَ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ ؟ فَلَيْسَ أَرَاكَ مَحْزُونًا . فَأَعْلَمِنِي مَا بِكَ ، فَقَدْ يَتَبَغِي لَنَا أَنْ نَحْزَنَ مَعَكَ وَنُواسِيكَ بِأَنفُسِنَا . فَقَالَ الْمَلِكُ : أَيْتُهَا السَّيْدَةُ لَا تَسْأَلِنِي عَنْ أَمْرِي فَتَزِيدِنِي غَمًا وَحُزْنًا : فَإِنَّهُ أَمْرٌ لَا يَتَبَغِي أَنْ تَسْأَلِنِي عَنْهُ . قَالَتْ : أَوَ قَدْ نَزَلْتُ عِنْدَكَ مَنْزِلَةً مَنْ يَسْتَحْقُ هَذَا ؟ إِنَّمَا أَحَمَّ النَّاسِ عَقْلًا مَنْ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ النَّازِلَةُ كَانَ لِنَفْسِهِ أَشَدَّ ضَبْطًا ، وَأَكْثَرُهُمْ اسْتِمَاعًا مِنْ أَهْلِ النَّصْحِ حَتَّى يَنْجُو مِنْ تِلْكَ النَّازِلَةِ بِالْحِيلَةِ وَالْعَقْلِ وَالْبَحْثِ وَالْمَشَاوَرَةِ . فَعَظِيمُ الذَّنْبِ لَا يَقْنَطُ مِنَ الرَّحْمَةِ . وَلَا تُدْخِلَنَ عَلَيْكَ شَيْئًا مِنَ الْهَمِ وَالْحَزَنِ . فَلَيْسَهُمَا لَا يَرْدَانِ شَيْئًا مَفْضِلًا . إِلَّا أَنَّهُمَا يُخْلَانَ

الجِسْمَ وَيَسْفِيَانَ الْعَدُوَّ . قَالَ لَهَا الْمَلِكُ : لَا تَسْأَلِينِي عَنْ
 شَيْءٍ فَقَدْ شَقَقْتِ عَلَيَّ ^(١) . وَالَّذِي تَسْأَلِينِي عَنْهُ لَا خَيْرَ فِيهِ :
 لِأَنَّ عَاقِبَتَهُ هَلَالٌ كَوَافِرُهُ وَهَلَالُكَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ مَدَارِكِي
 وَمَنْ هُوَ عَدِيلٌ نَفْسِي . وَذَاكِ أَنَّ الْبَرَاهِيمَةَ زَعَمُوا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ
 قَتْلِكَ وَقَتْلِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ مَوَدَّتِي . وَلَا خَيْرَ فِي العِيشِ
 بَعْدَكُمْ . وَهَلْ أَحَدٌ يَسْمَعُ بِهَذَا إِلَّا اعْتَرَاهُ الْخُزْنُ ؟

فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ إِرَاخْتُ بَرِزَعَتْ . وَمَنَعَهَا عَقْلُهَا أَنْ تُظْهِرَ
 لِلْمَلِكِ بَرِزَاعًا . فَقَاتَتْ : أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا تَجْزَعْ فَنَحْنُ لَكَ الْفِدَاءِ .
 وَلَكَ فِي سِوَائِي وَمِثْلِي مِنَ الْجَوَارِي مَا تَقْرِبُهُ عَيْنُكَ . وَلَكِنِّي
 أَطْلُبُ مِنْكَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ ، حَاجَةً يَخْمُلُنِي عَلَى طَلَبِهَا حُبِّي لَكَ
 وَإِيَشَارِي إِيَّاكَ . وَهِيَ نَصِيحَتِي لَكَ . قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا هِيَ ؟
 قَاتَتْ : أَطْلُبُ مِنْكَ أَلَا تَشَقَّ بَعْدَهَا بِأَحَدٍ مِنَ الْبَرَاهِيمَةِ . وَلَا
 تُشَاوِرُهُمْ فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَشَبَّهَ فِي أَمْرِكَ . ثُمَّ تُشَاوِرَ فِيهِ ثُقَاتِكَ
 مِرَارًا : فَإِنَّ الْقَتْلَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وَلَنْتَ تَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ تُخْبِيَ مَنْ

قَتَلَتْ . وَقَدْ قِيلَ فِي الْحَدِيثِ : إِذَا لَقِيتَ جَوَهْرًا لَا خَيْرَ فِيهِ
 فَلَا تُلْقِهِ مِنْ يَدِكَ حَتَّى تُرِيهِ مَنْ يَعْرِفُهُ . وَأَنْتَ أَيْهَا الْمَلِكُ
 لَا تَعْرِفُ أَعْدَاءَكَ . وَاعْلَمُ أَنَّ الْبَرَاهِيمَةَ لَا يُحِبُّونَكَ . وَقَدْ قَتَلَتْ
 مِنْهُمْ بِالْأَمْسِ اثْنَيْ عَشَرَ الْفَأْ . وَلَا تَظُنَ أَنَّ هُولَاءِ لَيْسُوا مِنْ
 أُولَئِكَ . وَلَعَمْرِي مَا كُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تُخْبِرُهُمْ بِرُؤْيَاكَ ، وَلَا أَنْ
 تُطْلِعَهُمْ عَلَيْهَا . وَإِنَّمَا قَالُوا لَكَ مَا قَالُوا لِأَجْلِ الْخِفْدِ الدَّى
 بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ : لَعَلَّهُمْ يَهْلِكُونَكَ وَيُهْلِكُونَ أَحْبَاءَكَ وَوَزِيرَكَ :
 فَيَبْلُغُوا قَصْدَهُمْ مِنْكَ . فَأَظْنَكَ لَوْ قَبِيلَتْ مِنْهُمْ فَقَتَلَتْ مِنْ
 أَشَارُوا بِقَتْلِهِ ظَفِرُوا بِكَ وَغَلَبُوكَ عَلَى مُنْكِكَ ، فَيَعُودُ الْمُلْكُ
 إِلَيْهِمْ كَمَا كَانَ . فَانطَلَقَ إِلَى كَبَارِيُونَ الْحَكِيمِ ، فَهُوَ عَالِمٌ فَطِنْ ،
 فَأَخْبِرْهُ عَمَّا رَأَيْتَ فِي رُؤْيَاكَ وَاسْأَلْهُ عَنْ وَجْهِهِمَا وَتَأْوِيلِهِمَا .
 فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ سُرِّى عَنْهُ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ الْغَمِّ .
 فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ فَأَسْرَجَ فَرَكِبَهُ شُمُّ انْطَلَقَ إِلَى كَبَارِيُونَ الْحَكِيمِ .
 فَلَمَّا انتَهَى إِلَيْهِ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَسَجَدَ لَهُ ، وَقَامَ مُطَاطِئًا
 الرَّأْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ : مَا بِالْكَ أَيْهَا الْمَلِكُ ؟ وَمَا لِ

أَرَاكَ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ؟ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ ثَمَانِيَةً
أَحَلَامٍ فَقَصَصْتُهَا عَلَى الْبَرَاهِيمَةِ . وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ
ذَلِكَ عَظِيمٌ أَمْ مِمَّا سَمِعْتُ مِنْ تَعْبِيرِهِمْ لِرُؤْيَايَ . وَأَخْشَى أَنْ
يُغَصِّبَ مِنِّي مُلْكِي أَوْ أَنْ أُغْلَبَ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ : إِنْ
شِئْتَ فَاقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى . فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ الْمَلِكُ رُؤْيَاهُ .
قَالَ : لَا يَحْزُنْكَ أَيْهَا الْمَلِكُ هَذَا الْأَمْرُ وَلَا تَحْفَ مِنْهُ : أَمَّا
السَّمَكَاتِنِ الْخَمْرَاوَانِ الْلَّتَانِ رَأَيْتُهُمَا قَائِمَتَيْنِ عَلَى أَذْنَابِهِمَا
فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ رَسُولٌ مِنْ مَلِكٍ نَهَا وَنَدَ بِعُلْبَةٍ فِيهَا عِقدَانِ مِنَ الدُّرِّ
وَالْبَيْاقُوتِ الْأَحْمَرِ ، قِيمَتُهُمَا أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِطْلٍ مِنْ ذَهَبٍ فَيَقُومُ
بَيْنَ يَدَيْكَ . وَأَمَّا الْوَزَّانِ الْلَّتَانِ رَأَيْتُهُمَا طَارَتَا مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِكَ
فَوَقَعْتَا بَيْنَ يَدَيْكَ : فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكٍ بَلْخٍ فَرَسَانٌ لَيْسَ عَلَى
الْأَرْضِ مِثْلُهُمَا فَيَقُومَانِ بَيْنَ يَدَيْكَ . وَأَمَّا الْحَيَّةُ الَّتِي رَأَيْتَهَا
تَدِبُّ عَلَى رِجْلِكَ الْيُسْرَى : فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكٍ صِنْجِينَ مَنْ
يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِسَيْفٍ خَالِصٍ الْحَدِيدِ لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ .
وَأَمَّا الدَّمُ الَّذِي رَأَيْتَ كَانَهُ خُضْبَ بِهِ جَسَدُكَ : فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ
مَلِكٍ كَازَرُونَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِلِبَاسٍ مُعِجِّبٍ يُسْمَى حَلَةَ

أَرْجُو أَنْ يُضِيَّ فِي الظُّلْمَةِ . وَأَمَا مَا رَأَيْتَ مِنْ غَسْلِكَ جِسْمَكَ
 بِالْمَاءِ : فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ رِهْزِينَ مِنْ يَوْمٍ بَيْنَ يَدَيْكَ
 بِثِيَابٍ كَانَ مِنْ لِبَاسِ الْمُلُوكِ . وَأَمَا مَا رَأَيْتَ مِنْ أَنَّكَ
 عَلَى جَبَلٍ أَبْيَضَ : فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكٍ كَيْدُورَ مِنْ يَقُومُ بَيْنَ
 يَدَيْكَ بِفِيلٍ أَبْيَضَ لَا تَلْحَقُهُ الْخَيْلُ . وَأَمَا مَا رَأَيْتَ عَلَى رَأْسِكَ
 شَيْهًا بِالنَّارِ : فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكٍ أَرْزَنَ مِنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ
 بِلِائِكِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ بِالدُّرِّ وَأَلْيَاقوْتِ . وَأَمَا الطَّيْرُ الَّذِي
 رَأَيْتَهُ ضَرَبَ رَأْسَكَ بِعِنْقَارِهِ : فَلَمَسْتُ مُفَسِّرًا ذُلِّكَ الْيَوْمَ .
 وَلَيْسَ بِضَارَكَ ، فَلَا تَوْجَلْنَ مِنْهُ . وَلِكِنْ فِيهِ بَعْضُ السُّخْطِ
 وَالْإِعْرَاضِ عَمَّنْ تُحِبُّهُ : فَهَذَا تَفْسِيرُ رُؤْيَاكَ أَيْهَا الْمَلِكُ ، وَأَمَا
 هُذِّهِ الرَّسُولُ وَالْبَرْدُ فَلِنَهُمْ يَا تُونَكَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ بَجِيعًا فَيَقُومُونَ
 بَيْنَ يَدَيْكَ . فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذُلِّكَ سَجَدَ لِكَجَارِيُونَ وَرَجَعَ إِلَيْهِ
 مَنْزِلِهِ .

(١) إِحْرَاءُ ذَهْنِكَةَ عَلَى وزنِ فَعليل أو فَعلين كقطمير وغسلين ليكون لها نظير في العربية هو الذي دعا إلى ضبطها هكذا ومتلها صنفين .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ جَاءَتِ الْبَشَارَاتُ يُقْدُومُ الرَّسُولُ نَفَرَّجَ
 الْمَلِكُ بَفَلَسَ عَلَى التَّخْتِ ، وَأَذْنَ لِلأشْرَافِ ، وَجَاءَتْهُ الْمَهَادِيَا
 كَأَخْبَرَهُ بَكَارِيُونُ الْحَكِيمُ . فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكَ ذَلِكَ اشْتَدَّ عَجَبُهُ
 وَفَرَحَهُ مِنْ عِلْمِ بَكَارِيُونَ . وَقَالَ : مَا وُفِّقْتُ حِينَ قَصَضْتُ
 رُؤْيَايَ عَلَى الْبَرَاهِيمَةِ فَأَمْرُونِي بِمَا أَمْرُونِي بِهِ . وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ
 تَعَالَى تَدَارَكَنِي بِرَحْمَتِهِ لَكُنْتُ قَدْ هَلَكْتُ وَأَهْلَكْتُ ، وَكَذِلِكَ
 لَا يَنْبَغِي لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَسْمَعَ إِلَّا مِنَ الْأَخْلَاءِ ذَوِي الْعُقُولِ .
 وَإِنَّ إِيرَاخْتَ أَشَارَتْ بِالْخَيْرِ فَقَبِيلَتُهُ . وَرَأَيْتُ بِهِ النَّجَاحَ . فَضَعُوا
 الْمَهِيدِيَّةَ بَيْنَ يَدَيْهَا لِتَأْخُذَ مِنْهَا مَا أَخْتَارَتْ . ثُمَّ قَالَ لِإِيَلَادَ :
 خُذِ الْإِنْكِلِيلَ وَالثِّيَابَ وَأَخْمِلَهَا وَاتَّبِعْنِي بِهَا إِلَى مَجْلِسِ النِّسَاءِ .
 ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ دَعَا إِيرَاخْتَ وَحُورَقَنَاهُ أَنْكَرَمَ نِسَائِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ .
 فَقَالَ لِإِيَلَادَ : ضَعِ الْكُنْسَوَةَ وَالْإِنْكِلِيلَ بَيْنَ يَدَيِّي إِيرَاخْتَ
 لِتَأْخُذَ أَيْهَا شَاءَتْ . فَوَضَعَتِ الْمَهَادِيَا بَيْنَ يَدَيِّي إِيرَاخْتَ .
 فَأَخْدَثَتِ مِنْهَا الْإِنْكِلِيلَ ، وَأَخْدَثَتْ حُورَقَنَاهُ كُنْسَوَةً مِنْ أَنْقَرِ
 الثِّيَابِ وَأَخْسَنَهَا . وَكَانَ مِنْ عَادَةِ الْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ لَيْلَةً عِنْدَ

إِيْرَاخْتَ وَلَيْلَةً عِنْدَ حُورَقَنَاهُ . وَكَانَ مِنْ سُنَّةِ الْمَلِكِ أَنْ تَهْبَى لَهُ
 الْمَرْأَةُ الَّتِي يَكُونُ عِنْدَهَا فِي لَيْلَتِهَا أَرْزًا بِحَلَاؤَةٍ فَتُطْعَمُهُ إِيَّاهُ .
 فَأَتَى الْمَلِكُ إِيْرَاخْتَ فِي نَوْبَتِهَا . وَقَدْ صَنَعَتْ لَهُ أَرْزًا . فَدَخَلَتْ
 عَلَيْهِ بِالصَّحْفَةِ وَالِإِكْلِيلِ عَلَى رَأْسِهَا . فَعَلِمَتْ حُورَقَنَاهُ بِذَلِكَ
 فَغَارَتْ مِنْ إِيْرَاخْتَ . فَلَبِسَتْ تِلْكَ الْكُسُوَّةَ . وَمَرَثَ بَيْنَ
 يَدَيِ الْمَلِكِ وَتِلْكَ الثِّيَابُ تُضِيءُ عَلَيْهَا مَعَ نُورِ وَجْهِهَا
 كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ . فَلَمَّا رَأَهَا الْمَلِكُ أَعْجَبَتْهُ . ثُمَّ التَّفَتَ
 إِلَى إِيْرَاخْتَ فَقَالَ : إِنِّي جَاهِلَةٌ حِينَ أَخْذُ إِلَيْكِي وَتَرَكْتِ
 الْكُسُوَّةَ الَّتِي لَيْسَ فِي خَرَائِنِنَا مِثْلُهَا . فَلَمَّا سَمِعَتْ إِيْرَاخْتُ
 مَدْحَ الْمَلِكِ لِحُورَقَنَاهُ وَثَنَاءَهُ عَلَيْهَا وَتَجْهِيلَهَا هِيَ وَذَمَّ رَأْيَهَا
 أَخْذَهَا مِنْ ذَلِكَ الْغَيْرَةِ وَالْغَيْظِ . فَضَرَبَتْ بِالصَّحْفَةِ رَأْسَ الْمَلِكِ .
 فَسَأَلَ الْأَرْزُ عَلَى وَجْهِهِ . فَقَامَ الْمَلِكُ مِنْ مَكَانِهِ وَدَعَا إِيَّاهُ لَادَّ .
 فَقَالَ لَهُ : أَلَا رَأَى ، وَأَنَا مَلِكُ الْعَالَمِ ، كَيْفَ حَقَرَتِنِي هَذِهِ
 الْجَاهِلَةُ ، وَفَعَلَتْ بِي مَا تَرَى ؟ فَأَنْطَلَقَ إِلَيْهَا فَاقْتُلَهَا وَلَا
 تَرْحَمَهَا . نَفَرَجَ إِيَّاهُ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ وَقَالَ : لَا أَفْتُلَهَا حَتَّى
 يَسْكُنَ عَنْهُ الْغَضَبُ . فَالْمَرْأَةُ عَاقِلَةٌ سَدِيدَةُ الرَّأْيِ مِنَ الْمَلِكَاتِ

التي ليس لها عديل في النساء ، وليس الملك يصادر عنها . وقد خلصته من الموت ، وعملت أعملاً صالحة . ورجأونا فيها عظيم . ولست آمنه أن يقول : لم لم تؤخر قتلها حتى تراجعني ؟ فلست قاتلها حتى أنظر رأي الملك فيها ثانية : فإن رأيته نادما حزينا على ما صنع بحث بها حية . وكنت قد عملت عملاً عظيماً . وأنجيت إيراخت من القتل . وحفظت قلب الملك . وأخذت عند عامه الناس بذلك يداً . وإن رأيته فرحاً مسيراً يحاماً مصوباً رأيه في الذي فعله وأمر به فقتلها لا يفوت .

ثم انطلق بها إلى منزله ، و وكل بها خادماً من امنائه ، وأمره بخدمتها وحراستها ، حتى ينظر ما يكون من أمرها وأمر الملك . ثم خضب سيفه بالدم ودخل على الملك كان كثيب الخزين . فقال إليها الملك : إن قد أمضيت أمرك في إيراخت . فلم يلبث الملك أن سكن عنه الغضب ، وذكر جمال إيراخت وحسنها . وأشتد أسفه عليها . وجعل يعزى نفسه عنها . ويتجدد وهو مع ذلك يستحي أن يسأل إيلاده : أحقاً أمضي

أَمْرُهُ فِيهَا أَمْ لَا ؟ وَرَجَأ - لِمَا عَرَفَ مِنْ عَقْلٍ إِيَّلَادَ -
 أَلَا يَكُونَ قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ . وَنَظَرَ إِلَيْهِ إِيَّلَادُ بِفَضْلِ عَقْلِهِ فَعَلِمَ
 الَّذِي بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : لَا تَهْتَمْ وَلَا تَحْزَنْ أَيْهَا الْمَلِكُ : فَلِإِنَّهُ لَيْسَ
 فِي الْهَمْ وَالْخُزْنِ مَنْفَعَةً . وَلَكِنْهُمَا يُخْلَانِ الْخُسْنَ وَيُفْسِدَانِهِ .
 فَأَصْبِرْ أَيْهَا الْمَلِكُ عَلَى مَا لَسْتَ بِقَادِرٍ عَلَيْهِ أَبَدًا . وَإِنْ أَحَبَّ
 الْمَلِكُ حَدَثَتْهُ بِحَدِيثٍ يُسْلِيهِ . قَالَ : حَدَثَنِي .

قَالَ إِيَّلَادُ : زَعَمُوا أَنَّ حَامَتَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى مَلَأَ عُشَّهُمَا مِنَ
 الْخِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ . فَقَالَ الدَّكُرُ لِلْأُنْثَى : إِنَّا إِذَا وَجَدْنَا فِي الصَّحَارَى
 مَا نَعِيشُ بِهِ فَلَسْنَا نَأْكُلُ مِمَّا هَا هُنَا شَيْئًا . فَإِذَا جَاءَ الشَّتَاءُ
 وَلَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَارَى شَيْئًا رَجَعْنَا إِلَى مَا فِي عُشَّنَا فَأَكَلْنَاهُ .
 فَرَضِيَتِ الْأُنْثَى بِذَلِكَ . وَقَاتَتْ لَهُ : نِعَمْ مَا رَأَيْتَ . وَكَانَ ذَلِكَ
 الْحَبُّ نَدِيًّا حِينَ وَضَعَاهُ فِي عُشَّهُمَا . فَانْطَلَقَ الدَّكُرُ فَغَابَ .
 فَلَمَّا جَاءَ الصَّيفُ يَسَّرَ الْحَبُّ وَانْضَمَرَ . فَلَمَّا رَجَعَ الدَّكُرُ رَأَى
 الْحَبَّ نَاقِصًا . فَقَالَ لَهَا : أَلَيْسَ مُكَانًا أَجْمَعْنَا رَأَيْنَا عَلَى أَلَا
 نَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا ؟ فَلِمَ أَكَلْتِهِ ؟ بَخَعَلْتَ تَخْلِفُ أَنَّهَا مَا أَكَلْتَ مِنْهُ

(١) ذهب ماؤه ولم يذكروا الاتصال من ضمر إلا في هذا المعنى .

شيئاً . وَجَعَلَتْ تَعْتَذِرُ إِلَيْهِ . فَلَمْ يُصَدِّقْهَا . وَجَعَلَ يَنْقُرُهَا حَتَّى مَاتَتْ . فَلَمَّا جَاءَتِ الْأَمْطَارُ وَدَخَلَ الشَّتَاءُ تَنَدَّى الْحَبَّ وَأَمْتَلَّا النُّعشَ كَمَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى الذَّكْرُ ذَلِكَ نَدَمَ . ثُمَّ أَضْطَبَجَعَ إِلَى جَانِبِ حَمَامِتِهِ وَقَالَ : مَا يَنْفَعُنِي الْحَبُّ وَالْعَيْشُ بَعْدَكِ إِذَا طَلَبْتُكِ فَلَمْ أَجِدْكِ ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْكِ ، وَإِذَا فَكَرْتُ فِي أَمْرِكِ وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُكِ ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى تَدَارُكِ مَا فَاتَ . ثُمَّ أَسْتَمَرَ عَلَى حُزْنِهِ فَلَمْ يَطْعَمْ طَعَاماً وَلَا شَرَاباً حَتَّى مَاتَ إِلَى جَانِبِهَا . وَالْعَاقِلُ لَا يَعْجَلُ فِي الْعَذَابِ وَالْعُقوبةِ ، وَلَا سِيمَا مَنْ يَخَافُ النَّدَامَةَ ، كَمَا نَدَمَ الْحَمَامُ الذَّكْرُ . وَقَدْ سَمِعْتُ أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْجَبَلَ وَعَلَى رَأْسِهِ كَارَةً^{الْكَارَةُ} مِنَ الْعَدَسِ فَوَضَعَ الْكَارَةَ عَنْ ظَهِيرَهِ لِيَسْتَرِيحَ . فَنَزَّلَ قِرْدٌ مِنْ شَجَرَةٍ فَأَخْدَى مِلْءَ كَفْهِ مِنَ الْعَدَسِ وَصَعَدَ إِلَى الشَّجَرَةِ . فَسَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ حَبَّةً فَنَزَّلَ فِي طَلَبِهَا فَلَمْ يَجِدْهَا . وَأَنْتَرَ مَا كَانَ فِي يَدِهِ مِنَ الْعَدَسِ أَجْمَعُ . وَأَنْتَ أَيْضًا أَيْمَانًا الْمَلِكِ عِنْدَكَ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ اَمْرَأَةً تَدَعُ أَنْ تَلْهُوَ بِهِنَّ وَتَتَطَلُّبُ الَّتِي لَا تَجِدُ ! فَلَمَّا سَمِعَ

الْمَلَكُ ذَلِكَ خَشِيَ أَنْ تَكُونَ إِيرَاخْتُ قَدْ هَلَكَتْ . فَقَالَ
إِيلَادُ : لَمْ لَا تَأْنِيَتْ وَتَثْبِتَ ؟ بَلْ أَسْرَعَتْ عِنْدَ سَمَاعِ كَلِمَةِ
وَاحِدَةٍ فَتَعَلَّقَتْ بِهَا ، وَفَعَلَتْ مَا أَمْرَتُكَ بِهِ مِنْ سَاعَتِكَ ؟
قَالَ إِيلَادُ : إِنَّ الَّذِي قَوْلُهُ وَاحِدٌ لَا يَخْتَلِفُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي
لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَا آخْتِلَافَ لِقَوْلِهِ . قَالَ الْمَلَكُ : لَقَدْ
أَفْسَدَتْ أَمْرِي وَشَدَّدْتَ حُزْنِي يُقْتَلُ إِيرَاخْتَ . قَالَ إِيلَادُ :
إِنَّهَا يَنْبَغِي لَهُمَا أَنْ يَحْزَنَا : الَّذِي يَعْمَلُ الْإِثْمَ فِي كُلِّ يَوْمٍ ،
وَالَّذِي لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ : لِأَنَّ فَرَحَهُمَا فِي الدُّنْيَا وَنَعِيمُهَا
قَلِيلٌ . وَنَدَامَتْهُمَا إِذْ يُعايَنُونَ الْجَنَّاءَ طَوِيلَةً لَا يُسْتَطَاعُ
إِحْصاؤُهَا . قَالَ الْمَلَكُ : لَكِنْ رَأَيْتُ إِيرَاخْتَ حَيَّةً لَا أَحْزَنُ عَلَى
شَيْءٍ أَبَدًا . قَالَ إِيلَادُ : إِنَّهَا لَا يَنْبَغِي لَهُمَا أَنْ يَحْزَنَا :
الْمُجْتَهِدُ فِي الْبَرِّ كُلَّ يَوْمٍ ، وَالَّذِي لَمْ يَأْتِمْ قَطُّ . قَالَ الْمَلَكُ :
مَا أَنَا بِنَاظِرٍ إِلَى إِيرَاخْتَ أَكْثَرَ مِمَّا نَظَرْتُ . قَالَ إِيلَادُ : إِنَّهَا
لَا يَنْظُرَانِ : الْأَغْمَى وَالَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ . وَكَمَا أَنَّ الْأَغْمَى لَا يَنْظُرُ
السَّمَاءَ وَنَجْوَمَهَا وَأَرْضَهَا وَلَا يَنْظُرُ الْقُرْبَ وَالْبُعدَ ، كَذَلِكَ الَّذِي
لَا عَقْلَ لَهُ لَا يَعْرِفُ الْحَسَنَ مِنَ الْقَبِيعِ وَلَا الْمُحْسِنَ مِنَ الْمُسِيءِ .
قَالَ الْمَلَكُ : لَوْ رَأَيْتُ إِيرَاخْتَ لَا شَتَّدَ فَرْحَى . قَالَ إِيلَادُ : إِنَّهَا

هُمَا الْفَرِحَانُ : الْبَصِيرُ وَالْعَالَمُ . فَكَمَا أَنَّ الْبَصِيرَ يُبَصِّرُ أُمُورَ الْعَالَمِ
وَمَا فِيهِ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ وَالقَرِيبِ وَالبَعِيدِ ، فَكَذَلِكَ الْعَالَمُ
يُبَصِّرُ الْبَرَّ وَالْإِثْمَ ، وَيَعْرِفُ عَمَلَ الْآخِرَةِ ، وَيَتَبَيَّنُ لَهُ نَجَاتُهُ ،
وَيَهْتَدِي إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ . قَالَ الْمَلِكُ : يَنْبَغِي لَنَا أَنْ
نَتَبَاعَدَ مِنْكَ يَإِيلَادُ وَنَأْخُذَ الْخَدَرَ وَنَلْزَمَ الْإِتْقَاءَ . قَالَ إِيلَادُ :
أَشَنَّا يَنْبَغِي أَنْ يُتَبَاعَدَ مِنْهُمَا : الَّذِي يَقُولُ لَا بِرَّ وَلَا إِثْمَ وَلَا
عِقَابَ وَلَا ثَوَابَ وَلَا شَيْءَ عَلَىٰ مَمَّا أَنَا فِيهِ ، وَالَّذِي لَا يَكَادُ
يَصْرِفُ بَصَرَهُ عَمَّا لَيْسَ لَهُ بِعَحْرِمٍ ، وَلَا أَذْنُهُ عَنِ اسْتِمَاعِ
السُّوءِ ، وَلَا قَلْبُهُ عَمَّا تَهْمِمُ بِهِ نَفْسُهُ مِنَ الْإِثْمِ وَالْخِرْصِ .
قَالَ الْمَلِكُ : صَارَتْ يَدِي مِنْ يَإِيرَاخْتَ صِفَرًا . قَالَ إِيلَادُ :
ثَلَاثَةُ أَشْيَاءُ أَضَفَارُ : النَّهْرُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مَاءً ، وَالْأَرْضُ
الَّتِي لَيْسَ فِيهَا مَلَكٌ ، وَالْمَرْأَةُ الَّتِي لَيْسَ لَهَا بَعْلٌ . قَالَ الْمَلِكُ :
إِنَّكَ يَإِيلَادُ لَتُنْلِقُ بِالْخَوَابِ . قَالَ إِيلَادُ : ثَلَاثَةُ يُلْقُونَ
بِالْخَوَابِ : الْمَلِكُ الَّذِي يُعْطِي وَيَقْسِمُ مِنْ خَزَائِنِهِ ، وَالْمَرْأَةُ
الْمُهْدَاهُ إِلَى مَنْ تَهْوَى مِنْ ذَوِي الْحَسَبِ ، وَالرَّجُلُ الْعَالَمُ
الْمُوْفَقُ لِلْخَيْرِ .

(١) تُحَاجِي بِهِ أَوْ تُوْسِعُ بِهِ وَتُوْسِعُ إِلَيْهِ .

فَمَمْ إِنَّ إِيَلَادَ لَمَّا رَأَى الْمَلِكَ اشْتَدَّ بِهِ الْأَمْرُ، قَالَ : أَيُّهَا
 الْمَلِكُ ، إِنَّ إِيَرَاخْتَ يَا لِحَيَاةِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ اشْتَدَّ
 فَرَحَهُ . وَقَالَ يَا إِيَلَادُ : إِنَّمَا مَنْعَنِي مِنَ الغَضَبِ مَا أَعْرِفُ
 مِنْ نَصِيبَحِنَكَ وَصِدْقِ حَدِيثِكَ . وَكُنْتُ أَرْجُو لِعْرِفَتِي يُعْلِمُكَ
 أَلَا تَكُونَ قَدْ قَتَلْتَ إِيَرَاخْتَ . فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ أَتَتْ عَظِيمًا
 وَأَغْلَظَتْ فِي الْقَوْلِ فَلَمْ تَأْتِهِ عَدَاوَةً وَلَا طَلَبَ مَضَرَّةً ، وَلَكِنَّهَا
 فَعَلَتْ ذَلِكَ لِلْغَيْرِ . وَقَدْ كَانَ يَتَبَغِي لِي أَنْ أُغْرِضَ عَنْ ذَلِكَ
 وَاحْتِمَلَهُ . وَلَكِنَّكَ يَا إِيَلَادَ أَرَدْتَ أَنْ تَخْتَبِرَنِي وَتَتَرَكَنِي فِي شَيْءٍ
 مِنْ أَمْرِهَا . وَقَدْ اتَّخَذْتَ عِنْدِي أَفْضَلَ الْأَيْدِي . وَأَنَا لَكَ
 شَاكِرٌ . فَأَنْطَلَقَ فَأَتَيْتَنِي بِهَا . نَفَرَجَ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ فَأَتَى إِيَرَاخْتَ
 وَأَمْرَهَا أَنْ تَزَينَ فَفَعَلَتْ ذَلِكَ . وَأَنْطَلَقَ بِهَا إِلَى الْمَلِكِ .
 فَلَمَّا دَخَلَتْ سَجَدَتْ لَهُ . فَمَمْ قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَقَالَتْ : أَهْمَدُ
 اللَّهَ تَعَالَى فَمَمْ أَهْمَدُ الْمَلِكَ الَّذِي أَخْسَنَ إِلَيَّ : قَدْ أَذْنَبْتُ الدَّنَبَ
 الْعَظِيمَ الَّذِي لَمْ أُكُنْ لِلْبَقَاءِ أَهْلًا بَعْدَهُ ، فَوَسِعَهُ حِلْمُهُ وَكَرَمُ طَبْعِيهِ
 وَرَأْفَتِهِ ؛ فَمَمْ أَهْمَدُ إِيَلَادَ الَّذِي أَنْهَ أَمْرِي ، وَأَنْجَانِي مِنَ الْمَلَكَةِ ،

لِعِلْمِهِ بِرَأْفَةِ الْمَلِكِ وَسَعَةِ حَلْمِهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِ جَوْهَرِهِ وَوَفَاءِ
 عَهْدِهِ . وَقَالَ الْمَلِكُ لِإِيَلَادَ : مَا أَعْظَمَ يَدَكَ عِنْدِي وَعِنْدَ
 إِيرَاخْتَ وَعِنْدَ الْعَامَّةِ : إِذْ قَدْ أَخْيَيْتَهَا بَعْدَ مَا أَمْرَتَ بِقَتْلِهَا :
 فَأَنْتَ الَّذِي وَهَبَّهَا لِي الْيَوْمَ : فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ وَاثِقًا بِنَصِيبِكَ
 وَتَدْبِيرِكَ . وَقَدْ ازْدَدْتَ الْيَوْمَ عِنْدِي كَرَامَةً وَتَعْظِيمًا . وَأَنْتَ
 مُحْكَمٌ فِي مُلْكِي تَفْعَلُ فِيهِ بِمَا تَرَى ، وَتَحْكُمُ عَلَيْهِ بِمَا تُرِيدُ .
 فَقَدْ جَعَلْتُ ذَلِكَ إِلَيْكَ وَوَثِقْتُ بِكَ . قَالَ إِيَلَادُ : أَدَمَ اللَّهُ
 لَكَ أَيْهَا الْمَلِكُ الْمُلْكَ وَالسُّرُورَ . فَلَسْتُ بِمُحْمُودٍ عَلَى ذَلِكَ .
 فَلِئَمَّا أَنَا عَبْدُكَ . لَكِنْ حَاجَتِي أَلَا يَعْجَلَ الْمَلِكُ فِي الْأَمْرِ
 الْجَسِيمِ الَّذِي يَنْدَمُ عَلَى فِعْلِهِ ، وَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ الْغَمَّ وَالْحَزَنَ ،
 وَلَا سِيمَا فِي مِثْلِ هُذِهِ الْمَلِكَةِ النَّاصِحةِ الْمُشْفِقَةِ الَّتِي لَا يُوجَدُ
 فِي الْأَرْضِ مِثْلُهَا : فَقَالَ الْمَلِكُ بِحَقِّ قُلْتَ يَإِيَلَادُ ، وَقَدْ
 قِيلَتْ قَوْلَكَ ، وَلَنْتُ عَامِلًا بَعْدَهَا عَمَّلًا صَغِيرًا وَلَا كِيرًا ،
 فَضْلًا عَنْ مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي مَا سَلِمْتُ مِنْهُ ، إِلَّا بَعْدَ
 الْمُؤَامَّةِ وَالنَّظَرِ وَالتَّرَدُّدِ إِلَى ذَوِي الْعُقُولِ وَمُشَاوِرَةِ أَهْلِ الْمَوَدَّةِ

وَالرَّأْيِ . ثُمَّ أَخْسَنَ الْمَلِكُ جَائِزَةً إِيلَادَ ، وَمَكَنَهُ مِنْ أُولَئِكَ
الْبَرَاهِمَةِ الَّذِينَ أَشَارُوا بِقَتْلِ أَحْبَابِهِ ، فَأَطْلَقَ فِيهِمُ السَّيْفَ ،
وَقَرَّتْ عَيْنُ الْمَلِكِ وَعَيْنُ عُظَمَاءِ أَهْلِ مَلَكَتِهِ ، وَحَمَدُوا اللَّهَ
وَأَشْنَوْا عَلَى بَكَارِيُونَ بِسَعَةِ عِلْمِهِ وَفَضْلِ حِكْمَتِهِ : لِأَنَّهُ يُعْلِمُ
خَلْصَ الْمَلِكَ وَوَزِيرَهُ الصَّالِحَ وَأَمْرَاتَهُ الصَّالِحةَ .

(انقضى باب إيلاد وبالذ وماراخت)

بابُ الْلَّبُوَةِ وَالإِسْوَارِ وَالشَّغْبِ^(١)

قَالَ دَبَشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفِيَلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا المَثَلَ :
فَأَضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي شَأنِ مَنْ يَدْعُ ضُرَّ غَيْرِهِ إِذَا قَدَرَ عَلَيْهِ لِمَا
يُصِيبُهُ مِنَ الضُّرِّ ، وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا يَنْزِلُ بِهِ وَاعْظُ وَزَاجِرُ عنِ
أَرْتِكَابِ الظُّلْمِ وَالعَدَاؤَةِ لِغَيْرِهِ . قَالَ الْفِيَلَسُوفُ : إِنَّهُ لَا يُقْدِمُ
عَلَى طَلَبِ مَا يَضُرُّ بِالنَّاسِ وَمَا يُسُوءُهُمْ إِلَّا أَهْلُ الْجَهَالَةِ وَالسَّفَهِ
وَسُوءُ النَّظَرِ فِي الْعَوَاقِبِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَقِلَّةُ الْعِلْمِ

(١) الأسد وهي مهموزة وغير مهموزة . (٢) قائد الفرس .

يُمَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ مِنْ حُلُولِ النُّقْمَةِ ؛ وَبِمَا يَلْزَمُهُمْ مِنْ تَبَعَةِ مَا اكْتَسَبُوا. مِمَّا لَا تُحِيطُ بِهِ الْعُقُولُ . وَإِنْ سَلِمَ بَعْضُهُمْ مِنْ ضَرَرِ بَعْضٍ بِمَنِيَّةٍ عَرَضَتْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ وَبَالْ مَا صَنَعَ : فَإِنَّ مَنْ لَمْ يُفَكِّرْ فِي الْعَوَاقِبِ لَمْ يَأْمُرْ الْمَصَابَ ، وَحَقِيقٌ أَلَا يَسْلِمَ مِنَ الْمَعَاطِبِ . وَرُبَّمَا اتَّعَظَ الْجَاهِلُ وَاعْتَبَرَ يُمَا يُصِيبُهُ مِنَ الْمُضَرَّةِ مِنْ غَيْرِهِ ، فَارْتَدَعَ عَنْ أَنْ يَغْشَى أَحَدًا بِمِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدُوانِ ، وَحَصَلَ لَهُ نَفْعٌ مَا كَفَ عَنْهُ مِنْ ضَرَرِهِ لِغَيْرِهِ فِي الْعَاقِبَةِ ؛ فَنَظِيرُ ذَلِكَ حَدِيثُ الْأَسْبُوَةِ وَالْإِسْوَارِ وَالشَّغْبِرِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ لَبُوَّةَ كَانَتِ فِي غَيْضَةٍ ، وَهَذَا شِبَالَانِ ، وَأَنَّهَا نَرَجَتْ فِي طَلَبِ الصَّيْدِ وَخَلَفَتُهُمَا فِي كَهْفِهِمَا ، فَرَرَّ بِهِمَا إِسْوَارٌ قَمَلَ عَلَيْهِمَا وَرَمَاهُمَا فَقَتَلَهُمَا ، وَسَلَخَ جَلَدَيْهِمَا فَأَخْتَقَبُهُمَا ، وَأَنْصَرَفَ بِهِمَا إِلَى مَنْزِلِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا رَجَعَتْ . فَلَمَّا رَأَتْ مَا حَلَّ بِهِمَا مِنَ الْأَمْرِ الْفَظِيعِ اضْطَرَبَتْ ظَهْرًا لِبَطْنِهِ وَصَاحَتْ

(١) أَبْعَةٌ . (٢) رَبَطُهُمَا فِي مَوْنَرِ الرَّحْلِ أَوِ الْقَتْبِ .

وَضَجَّتْ . وَكَانَ إِلَى جَنِبِهَا شَغَبُّ . فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ صِيَاحِهَا قَالَ لَهَا : مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ ؟ وَمَا نَزَّلَ بِكِ ؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِهِ . قَاتَ اللَّبُوَّةُ شِبْلَائِي مَرْبِهِمَا إِسْوَارٌ فَقَتَلَهُمَا ، وَسَلَخَ جَلْدَهُمَا فَاحْتَقَبَهُمَا ، وَنَبَذَهُمَا بِالْعَرَاءِ . قَالَ لَهَا الشَّغَبُ : لَا تَضِجُّ وَأَنْصِفِي مِنْ نَفْسِكِ ، وَاعْلَمِي أَنَّ هَذَا الْإِسْوَارَ لَمْ يَأْتِ إِلَيْكِ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ كُنْتِ تَفْعَلِينَ بِغَيْرِكِ مِثْلِهِ ، وَتَأْتِينَ إِلَى غَيْرِ وَاحِدٍ مِثْلَ ذَلِكَ ، مَمْنَ كَانَ يَجْدُ بِحَمِيمِهِ وَمَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا تَجْدِينَ بِشِبْلَيِكِ . فَاصْبِرِي عَلَى فِعْلِ غَيْرِكِ كَمَا صَبَرَ غَيْرُكِ عَلَى فِعْلِكِ : فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ : كَمَا تَدِينُ تُدَانُ . وَلِكُلِّ عَمَلٍ ثَمَرَةٌ مِنَ التَّوَابِ وَالْعِقَابِ . وَهُمَا عَلَى قَدْرِهِ فِي الْكَثْرَةِ وَالْقِلَّةِ . كَالرَّزْعِ إِذَا حَضَرَ الْحَصَادُ أَعْطَى عَلَى حَسْبِ بَذْرِهِ . قَاتَ اللَّبُوَّةُ : بَيْنَ لِي مَا تَقُولُ ، وَأَفْصِحْ لِي عَنْ إِشَارَتِهِ . قَالَ الشَّغَبُ : كُمْ أَئَى لَكِ مِنَ الْعُمُرِ ؟ قَاتَ اللَّبُوَّةُ : مِائَةُ سَنَةٍ . قَالَ الشَّغَبُ : مَا كَانَ قُوْتُكِ ؟ قَاتَ اللَّبُوَّةُ : لَحْمُ الْوَحْشِ . قَالَ الشَّغَبُ : مَنْ كَانَ

يُطْعِمُكَ إِيَّاهُ؟ قَالَتِ الْلَّبُوَّةُ : كُنْتُ أَصِيدُ الْوَحْشَ وَاكْلُهُ . قَالَ الشَّغَبُ : أَرَأَيْتِ الْوُحُوشَ الَّتِي كُنْتِ تَأْكِلِينَ ، أَمَا كَانَ لَهَا آبَاءٌ وَأَمْهَاتٌ؟ قَالَتِ : بَلَّ . قَالَ الشَّغَبُ : فَإِنَّمَا لَا أَرَى وَلَا أَسْمَعُ لِتِلْكَ الْآبَاءِ وَالْأَمْهَاتِ مِنَ الْجَزَعِ وَالضَّجِيجِ مَا أَرَى وَأَسْمَعُ لَكِ؟ أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ إِلَيْكِ مَا نَزَّلَ إِلَّا لِسُوءِ نَظَرٍ^(١) فِي الْعَاقِبَةِ وَقِلَّةٌ تَفَكِّرُكَ فِيهَا ، وَجَهَاهَا تِلْكَ بِمَا يَرْجُعُ عَلَيْكَ مِنْ ضُرُّهَا . فَلَمَّا سَمِعَتِ الْلَّبُوَّةُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الشَّغَبِ عَرَفَتْ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا جَنَّتْ عَلَى نَفْسِهَا ، وَأَنَّ عَمَلَهَا كَانَ جَوْرًا وَظُلْمًا ، فَتَرَكَتِ الصَّيْدَ ، وَانْصَرَفَتْ عَنْ أَكْلِ اللَّحْمِ إِلَى الثُّمَارِ وَالثُّسْكِ وَالْعِبَادَةِ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ وَرَشَانُ^(١) (كَانَ صَاحِبَ تِلْكَ الْغَيْضَةِ وَكَانَ عَيْشُهُ مِنَ الثُّمَارِ) قَالَ لَهَا : قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الشَّجَرَ عَامَنَا هَذَا لَمْ نَحْمِلْ : لِقِلَّةِ الْمَاءِ ، فَلَمَّا أَبْصَرْتِكِ تَأْكِلِينَهَا ، وَأَنْتِ أَكْلَةُ اللَّحْمِ ، فَتَرَكْتِ رِزْقَكِ وَطَعَامَكِ وَمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ ،

(١) طائر شبه الحامة والأنيق ورشانة وبجهه ورشان ورواشين .

وَنَحَوْلَتِ إِلَى رِزْقِ غَيْرِكَ فَأَنْتَقَضَتِهِ ، وَدَخَلْتِ عَلَيْهِ فِيهِ -
 عَلِمْتُ أَنَّ الشَّجَرَ الْعَامَ أَمْرَتْ كَمَا كَانَتْ تُخْرُقَ قَبْلَ الْيَوْمِ ، وَإِنَّمَا
 أَتَتْ قِلَّةُ الشَّمَرِ مِنْ جِهَتِكَ . فَوَيْلٌ لِلشَّجَرِ وَوَيْلٌ لِلشَّمَارِ وَوَيْلٌ
 لِمَنْ عَيْشَهُ مِنْهَا ! مَا أَسْرَعَ هَلَالَ كَهْمٍ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِمْ فِي أَرْزَاقِهِمْ ،
 وَغَلَبَهُمْ عَلَيْهَا مَنْ لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَظٌّ وَلَمْ يَكُنْ مُعْتَادًا لِأَكْلِهَا !
 فَلَمَّا سَمِعَتِ اللَّبْوَةُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْوَرَشَانِ تَرَكَتْ أَكْلَ الشَّمَارِ
 وَأَقْبَلَتْ عَلَى أَكْلِ الْخَشِيشِ وَالْعِبَادَةِ . وَإِنَّمَا ضَرَبَتْ لَكَ
 هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْجَاهِلَ رُبَّمَا أَنْصَرَفَ بِضُرِّ يُصِيبُهُ عَنْ ضُرِّ
 النَّاسِ ؛ كَاللَّبْوَةِ الَّتِي أَنْصَرَفَتْ مِمَّا لَقِيتِ فِي شِبَابِهَا عَنْ أَكْلِ
 الْخَمْرِ مُمَّا عَنْ أَكْلِ الشَّمَارِ يَقُولُ الْوَرَشَانِ ، وَأَقْبَلَتْ عَلَى النُّسُكِ
 وَالْعِبَادَةِ . وَالنَّاسُ أَحَقُّ بِالْحُسْنِ النَّظَرِ فِي ذَلِكَ : فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ
 مَا لَا تَرَضَاهُ لِنَفْسِكَ لَا تُصْنَعُهُ لِغَيْرِكَ : فَإِنَّ فِي ذَلِكَ الْعَدْلَ :
 وَفِي الْعَدْلِ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَا النَّاسِ .

(انتقضى باب البوة والإسوار والشغب)

بَابُ النَّاسِكِ وَالضَّيْفِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفِيلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
الْمَثَلَ . فَأَضْرِبْ لِي مَثَلَ الَّذِي يَدْعُ صُنْعَهُ الَّذِي يَلْبِقُ بِهِ
وَيُشَاكِلُهُ ، وَيَطْلُبُ غَيْرَهُ فَلَا يُدْرِكُهُ : فَيَبْقِي حِيرَانًا مُتَرَدِّدًا .
قَالَ الْفِيلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ يَأْرِضُ الْكَرْخَ نَاسِكٌ عَابِدٌ
مُجْتَهِدٌ . فَنَزَّلَ بِهِ ضَيْفٌ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَدَعَا النَّاسِكَ لِضَيْفِهِ بِتَمْرٍ :
لِيُطْرِفَهُ بِهِ . فَأَكَلَ مِنْهُ جَمِيعًا . ثُمَّ قَالَ الضَّيْفُ : مَا أَخْلَى
هَذَا التَّمَرُ وَأَطْيَبُهُ ! فَلَيْسَ هُوَ فِي بِلَادِي الَّتِي أَسْكَنْهَا ،
وَلَيْتَهُ كَانَ فِيهَا ! ثُمَّ قَالَ : أَرَى أَنْ تُسَاعِدَنِي عَلَى أَنْ آخُذَ
مِنْهُ مَا أَغْرِسَهُ فِي أَرْضِنَا : فَإِنِّي لَسْتُ عَارِفًا بِشَمَارِ أَرْضِنَا هَذِهِ
وَلَا بِمَوَاضِعِهَا . فَقَالَ لَهُ النَّاسِكُ : لَيْسَ لَكَ فِي ذَلِكَ رَاحَةً :
فَإِنَّ ذَلِكَ يَتَقْلُلُ عَلَيْكَ . وَلَعَلَّ ذَلِكَ لَا يُوَافِقُ أَرْضَنَا ، مَعَ أَنَّ
بِلَادَنَا كَثِيرَةُ الْأَنْمَارِ فَمَا حَاجَتَهَا مَعَ كَثْرَةِ نِمَارِهَا إِلَى التَّمَرِ
مَعَ وَحَامِتِهِ وَقِلَّةِ مُوَافَقَتِهِ لِلْجَسَدِ ؟ ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّاسِكُ : إِنَّهُ لَا يُعَدُ
حَكِيمًا مَنْ طَلَبَ مَا لَا يَجِدُ . وَإِنَّكَ سَعِيدٌ بِالْخَدْ إِذَا قَنَعْتَ
بِالَّذِي تَجِدُ ، وَزَهَدْتَ فِيمَا لَا تَجِدُ . وَكَانَ هَذَا النَّاسِكُ يَتَكَلَّمُ

بِالْعِبرَانِيَّةِ . فَاسْتَخْسَنَ الضَّيْفُ كَلَامَهُ وَأَعْجَبَهُ ، فَتَكَلَّفَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ ، وَعَابَحَ فِي ذَلِكَ نَفْسَهُ أَيَّامًا . فَقَالَ النَّاسِكُ لِضَيْفِهِ : مَا أَخْلَقَكَ أَنْ تَقْعَدِمِّا تَرَكْتَ مِنْ كَلَامِكَ ، وَتَكَلَّفْتَ مِنْ كَلَامِ الْعِبرَانِيَّةِ ، فِي مِثْلِ مَا وَقَعَ فِيهِ الْغُرَابُ ! قَالَ الضَّيْفُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ النَّاسِكُ : زَعْمُوا أَنَّ غُرَابًا رَأَى جَمْلَةً تَدْرُجُ وَتَمْشِي ، فَأَعْجَبَتْهُ مِشْيَتُهَا ، وَطَمَعَ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا . فَرَاضَ عَلَى ذَلِكَ نَفْسَهُ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِحْكَامِهَا ، وَأَيْسَ مِنْهَا . وَأَرَادَ أَنْ يَعُودَ إِلَى مِشْيَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا : فَإِذَا هُوَ قَدْ اخْتَلَطَ وَتَخَلَّعَ فِي مِشْيَتِهِ، وَصَارَ أَقْبَعَ الطَّيْرِ مِشْيَاً ، وَإِنَّمَا ضَرَبَتْ لَكَ هَذَا المَنْلَلَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ أَنَّكَ تَرَكْتَ لِسَانَكَ الَّذِي طُبِعَتْ عَلَيْهِ ، وَأَقْبَلَتْ عَلَى لِسَانِ الْعِبرَانِيَّةِ ، وَهُوَ لَا يُشَكِّلُكَ ، وَأَخَافُ أَلَا تُدْرِكُهُ ، وَتَنْسِي لِسَانَكَ ، وَتَرْجِعَ إِلَى أَهْلِكَ وَأَنْتَ شَرِهُمْ لِسَانًا : فَإِنَّهُ قَدْ قَيِّلَ : إِنَّهُ يُعَذِّبُ جَاهِلًا مَنْ تَكَلَّفَ مِنَ الْأُمُورِ مَا لَا يُشَكِّلُهُ ، وَلَيْسَ مِنْ عَمَلِهِ وَلَمْ يُوَدِّبْهُ عَلَيْهِ آبَاؤُهُ وَاجْدَادُهُ مِنْ قَبْلُ .

(انقضى باب الناسك والضيف)

بَابُ السَّائِعِ وَالصَّائِغِ

قَالَ دَبْشِلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْنَدَبَا الْفِيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
الْمَثَلَ . فَأَضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي شَأنِ الدِّيْنِ يَضَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ
مَوْضِعِهِ ، وَيَرْجُو الشُّكْرَ عَلَيْهِ . قَالَ الْفِيْلَسُوفُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ
إِنَّ طَبَائِعَ الْخَلْقِ مُخْتَلِفَةٌ . وَلَيْسَ مِمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا
مِمَّا يَكْتَشِي عَلَى أَرْبَعِ أَوْ عَلَى رِجْلَيْنِ أَوْ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْنِ شَيْءٌ
هُوَ أَفْضَلُ مِنْ إِلَيْسَانٍ ؛ وَلَكِنْ مِنَ النَّاسِ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ .
وَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ الْبَهَائِمِ وَالسَّبَاعِ وَالظَّيْرِ مَا هُوَ أَوْفَ مِنْهُ ذِمَّةً ،
وَأَشَدُّ مُحَاجَمَةً عَلَى حُرْمَهِ ، وَأَشَكْرُ لِلْمَعْرُوفِ ، وَأَقْوَمُ بِهِ . وَحِينَئِذٍ
يَحْبُّ عَلَى ذَوِي الْعَقْلِ مِنَ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ أَنْ يَضَعُوا مَعْرُوفَهُمْ
مَوَاضِعَهُ ؛ وَلَا يَضَعُوهُ عِنْدَ مَنْ لَا يَحْتَمِلُهُ . وَلَا يَقُومُ بِشُكْرِهِ ؛
وَلَا يَصْطَطِنُوا أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ اخْتِبَرَتِهِ بِطَرَائِقِهِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِوَفَائِهِ
وَمُودَّتِهِ وَشُكْرِهِ . وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَصُوا بِذَلِكَ قَرِيبًا لِقَرَابَتِهِ ،
إِذَا كَانَ غَيْرَ مُحْتَمِلٍ لِلصَّنِيَّعَةِ ، وَلَا أَنْ يَمْنَعُوا مَعْرُوفَهُمْ وَرِفْدَهُمْ
لِلْبَعِيدِ ، إِذَا كَانَ يَقِيمُونَ بِنَفْسِهِ وَمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ : لِأَنَّهُ يَكُونُ

حِينَئِذٍ عَارِفًا بِحَقٍّ مَا اضْطُنْعَ إِلَيْهِ مُؤْدِيًّا لِشُكْرٍ مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ ،
 مَحْمُودًا بِالنَّصْحِ ، مَعْرُوفًا بِالْخَيْرِ ، صَدُوقًا عَارِفًا ، مُؤْثِرًا
 لِحَمْدِ الْفَعَالِ وَالْقَوْلِ . وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ عُرِفَ بِالْخَصَالِ
 الْمَحْمُودَةِ وَوَثِيقَ مِنْهُ بِهَا ، كَانَ لِلْمَعْرُوفِ مَوْضِعًا ، وَلِتَقْرِيبِهِ
 وَأَضْطِنَاعِهِ أَهْلًا : فَإِنَّ الطَّيِّبَ الرَّفِيقَ الْعَاقِلَ لَا يَقْدِرُ
 عَلَى مُدَاوَاهِ الْمَرِيضِ إِلَّا بَعْدَ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَالْجَسْسِ لِعُرُوقِهِ وَمَعْرِفَةِ
 طَبِيعَتِهِ وَسَبَبِ عِلْتِهِ ، فَإِذَا عَرَفَ ذَلِكَ كُلَّهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ أَقْدَمَ
 عَلَى مُدَاوَاهِهِ . فَكَذَلِكَ الْعَاقِلُ : لَا يَتَبَغِي لَهُ أَنْ يَضْطَفِ
 أَحَدًا ، وَلَا يَسْتَخْلِصُهُ إِلَّا بَعْدَ إِنْخِبَرَةِ : فَإِنَّ مَنْ أَقْدَمَ عَلَى
 مَشْهُورِ الْعَدَالَةِ مِنْ غَيْرِ اخْتِبَارٍ كَانَ مُحَاطِرًا فِي ذَلِكَ وَمُشِرِّفًا
 مِنْهُ عَلَى هَلَالِ وَفَسَادٍ . وَمَعَ ذَلِكَ رُبَّمَا صَنَعَ الْإِنْسَانُ الْمَعْرُوفَ
 مَعَ الضَّعِيفِ الَّذِي لَمْ يُجْرِبْ شُكْرَهُ ، وَلَمْ يَعْرِفْ حَالَهُ
 فِي طَبَائِعِهِ فَيَقُومُ بِشُكْرٍ ذَلِكَ وَيُكَافِيُ عَلَيْهِ أَحْسَنَ الْمُكَافَأَةِ .
 وَرَبَّمَا حَذَرَ الْعَاقِلُ النَّاسَ وَلَمْ يَأْمُنْ عَلَى نَفْسِهِ أَحَدًا مِنْهُمْ .

وَقَدْ يَأْخُذُ ابْنَ عِرْسٍ فَيُدْخِلُهُ فِي مُكَهٍ وَيُخْرِجُهُ مِنَ الْآخَرِ، كَالَّذِي يَحْمِلُ الطَّائِرَ عَلَى يَدِهِ، فَإِذَا صَادَ شَيْئاً اتَّفَعَ بِهِ، وَمَطْعَمُهُ مِنْهُ.

وَقَدْ قِيلَ : لَا يَتَبَغِي لِذِي الْعَقْلِ أَنْ يَخْتَرَ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا مِنَ النَّاسِ وَلَا مِنَ الْبَهَائِمِ، وَلِكِنَّهُ جَدِيرٌ بِأَنْ يَبْلُوْهُمْ، وَيَكُونَ مَا يَصْنَعُ لَمَّا يَهْبِطُ عَلَى قَدْرِ مَا يَرَى مِنْهُمْ . وَقَدْ مَضَى فِي ذَلِكَ مَثَلُ ضَرَبَهُ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْفَιلِسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً احْتَفَرُوا رَكِيَّةً فَوَقَعَ فِيهَا رَجُلٌ صَائِغٌ وَحَيَّةٌ وَقِرْدٌ وَبَرْ، وَمِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلٌ سَائِحٌ، فَأَشَرَّفَ عَلَى الرَّكِيَّةِ، فَبَصَرَ بِالرَّجُلِ وَالْحَيَّةِ وَالْبَرِّ وَالْقِرْدِ . فَفَكَرَ فِي نَفْسِهِ، وَقَالَ : لَسْتُ أَعْمَلُ لِآنِحَرِي عَمَلاً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ أُخْلُصَ هَذَا الرَّجُلَ مِنْ بَيْنِ هُولَاءِ الْأَعْدَاءِ . فَأَخْذَ حَبْلًا، وَأَدْلَاهُ إِلَى الْبَرِّ فَتَعَلَّقَ بِهِ الْقِرْدُ لِحَفَّتِهِ نَفَرَجَ . ثُمَّ دَلَّاهُ ثَانِيَةً، فَالْتَّفَتَ بِهِ الْحَيَّةُ نَفَرَجَتْ . ثُمَّ دَلَّاهُ ثَالِثَةً، فَتَعَلَّقَ بِهِ الْبَرِّ فَأَخْرَجَهُ . فَشَكَرَنَّ لَهُ صَنِيعَهُ . وَقُلْنَ لَهُ : لَا تَخْرُجْ هَذَا الرَّجُلَ

مِنَ الرَّكِيَّةِ : فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَقْلَ شُكْرًا مِنَ الْإِنْسَانِ .
 هُمْ هُذَا الرَّجُلُ خَاصَّةً . ثُمَّ قَالَ لَهُ الْقِرْدُ : إِنَّ مَنْزِلِي فِي جَبَلٍ
 قَرِيبٌ مِنْ مَدِينَةِ يُقَالُ لَهَا : نَوَادِرَخْتُ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيرُ :
 أَنَا أَيْضًا فِي أَجْمَةِ إِلَى جَانِبِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ . قَاتَلَتِ الْحَيَّةُ :
 أَنَا أَيْضًا فِي سُورِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ . فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِنَا يَوْمًا
 مِنَ الدَّهْرِ ، وَاحْتَجَتَ إِلَيْنَا فَصَوْتٌ عَلَيْنَا حَتَّى نَأْتِيكَ فَنَجْزِيَكَ
 بِمَا أَسْدَيْتَ إِلَيْنَا مِنَ الْمَعْرُوفِ . فَلَمْ يَلْتَفِتِ السَّائِحُ
 إِلَى مَا ذَكَرُوا لَهُ مِنْ قِلَّةِ شُكْرِ الْإِنْسَانِ ، وَأَدْلَى الْحَبْلَ ،
 فَأَخْرَجَ الصَّائِغَ ، فَسَجَدَ لَهُ ، وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ أَوْلَيْتَنِي
 مَعْرُوفًا . فَإِنْ أَتَيْتَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ بِمَدِينَةِ نَوَادِرَخْتَ فَاسْأَلْ
 عَنْ مَنْزِلِي : فَإِنَّ رَجُلَ صَائِغٍ لَعَلَى أَكَافِئِكَ بِمَا صَنَعْتَ
 إِلَيَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ . فَانطَلَقَ الصَّائِغُ إِلَى مَدِينَتِهِ وَانطَلَقَ السَّائِحُ
 إِلَى جَانِيهِ . فَعَرَضَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ السَّائِحَ اتَّفَقَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى
 تِلْكَ الْمَدِينَةِ ، فَانطَلَقَ ، فَاسْتَقْبَلَهُ الْقِرْدُ ، فَسَجَدَ لَهُ وَقَبَّلَ
 رِجْلَيْهِ . وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : إِنَّ الْقُرُودَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا ،
 وَلِكِنْ أَفْعُدْ حَتَّى آتِيكَ . وَانطَلَقَ الْقِرْدُ ، وَأَتَاهُ بِفَارِكَهَةِ

طَيِّبَةٍ ، فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَكَلَ مِنْهَا حَاجَتَهُ . ثُمَّ إِنَّ السَّائِحَ
أَنْطَلَقَ حَتَّى دَنَا مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ فَاسْتَقْبَلَهُ الْبَيْرُ ، نَفَرَ لَهُ
سَاجِدًا وَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ قَدْ أَوْلَيْتَنِي مَعْرُوفًا . فَأَطْمَئِنَّ
سَاعَةً حَتَّى آتِيكَ . فَانْطَلَقَ الْبَيْرُ فَدَخَلَ فِي بَعْضِ الْخِيَطَانِ
إِلَى بَنْتِ الْمَلِكِ فَقَتَلَهَا ، وَأَخْذَ حَلَيْهَا ، فَأَتَاهُ بِهَا ، مِنْ غَيْرِ
أَنْ يَعْلَمَ السَّائِحُ مِنْ أَيْنَ هُوَ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : هَذِهِ النَّهَائِمُ
قَدْ أَوْلَتَنِي هَذَا الْخَزَاءَ ، فَكَيْفَ لَوْ قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الصَّائِغِ
فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ مُعِسِّرًا لَا يَمْلِكُ شَيْئًا فَسَيَبِيعُ هَذَا الْخَلَى فَيَسْتَوِي
ثُمَّنَهُ . فَيُعْطِينِي بَعْضَهُ ، وَيَأْخُذُ بَعْضَهُ ، وَهُوَ أَعْرَفُ بِثُمَّنِهِ .
فَانْطَلَقَ السَّائِحُ ، فَأَتَى إِلَى الصَّائِغِ . فَلَمَّا رَأَاهُ رَحَبَ بِهِ وَأَدْخَلَهُ
إِلَى بَيْتِهِ . فَلَمَّا بَصَرَ بِالْخَلَى مَعَهُ ، عَرَفَهُ وَكَانَ هُوَ الَّذِي
صَاغَهُ لَا بَنَةَ الْمَلِكِ . فَقَالَ لِالسَّائِحِ : اطْمَئِنْ حَتَّى آتِيكَ
بِطَعَامٍ فَلَسْتُ أَرْضَى لَكَ مَا فِي الْبَيْتِ . ثُمَّ نَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ :
قَدْ أَصَبْتُ فُرْصَتِي : أَرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى الْمَلِكِ وَأَدْلُهُ عَلَى ذَلِكَ ،
فَتَحْسَنَ مَنْزِلَتِي عِنْدَهُ . فَانْطَلَقَ إِلَى بَابِ الْمَلِكِ ، فَأَرْسَلَ

إِلَيْهِ : إِنَّ الَّذِي قَتَلَ ابْنَتَكَ وَأَخَذَ حَلِيَّاً عِنْدِي .
 فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ وَأَتَى بِالسَّائِحِ فَلَمَّا نَظَرَ الْخَلِّيَّ مَعَهُ لَمْ يَمْهُلْهُ ،
 وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُعَذَّبَ وَيُطَافَ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَيُصْلَبَ .
 فَلَمَّا فَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ جَعَلَ السَّائِحُ يَبْكِي وَيَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ :
 لَوْأَنِي أَطَعْتُ الْقِرْدَ وَالْحَيَّةَ وَالْبَيْرَ فِيمَا أَمْرَنَتِي بِهِ وَأَخْبَرْتِي
 مِنْ قِلَّةِ شُكْرِ الْإِنْسَانِ لَمْ يَصِرْ أَمْرِي إِلَى هَذَا الْبَلَاءِ ، وَجَعَلَ
 يُكَرِّرُ هَذَا الْقَوْلَ . فَسَمِعَتْ مَقَاتِلَتَهُ تِلْكَ الْحَيَّةُ نَفَرَّجَتْ مِنْ
 بُحْرِهَا فَعَرَفَتْهُ ، فَاشتَدَّ عَلَيْهَا أَمْرُهُ ، بَفَعَلَتْ تَحْتَالُ فِي خَلَاصِهِ .
 فَانْطَلَقَتْ حَتَّى لَدَغَتْ ابْنَ الْمَلِكِ ، فَدَعَا الْمَلِكُ أَهْلَ الْعِلْمِ
 فَرَقَوْهُ لِيَشْفُوهُ فَلَمْ يُغْنُوا عَنْهُ شَيْئًا . ثُمَّ مَضَيَّتِ الْحَيَّةُ إِلَى أَخْتِ
 لَهَا مِنَ الْجِنِّ ، فَأَخْبَرَتْهَا بِمَا صَنَعَ السَّائِحُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَعْرُوفِ ،
 وَمَا وَقَعَ فِيهِ . فَرَقَتْ لَهُ ، وَانْطَلَقَتْ إِلَى ابْنِ الْمَلِكِ ، وَتَخَاهَيَاتْ لَهُ .
 وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ لَا تَبْرُأُ حَتَّى يَرْقِيكَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدْ
 عَاقَبْتُمُوهُ ظُلْمًا . وَانْطَلَقَتِ الْحَيَّةُ إِلَى السَّائِحِ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ
 السَّجْنَ ، وَقَالَتْ لَهُ : هَذَا الَّذِي كُنْتُ نَهِيَّتُكَ عَنْهُ مِنَ اصْطِنَاعِ
 الْمَعْرُوفِ إِلَى هَذَا الْإِنْسَانِ : وَلَمْ تُطْعِنِي . وَأَتَتْهُ بِوَرَقٍ يَنْفَعُ

مِنْ سُمْهَا . وَقَالَتْ لَهُ : إِذَا جَاءَوَا يُكَ لِتَرْقِيَ ابْنَ الْمَلِكِ فَاسْتَهِ مِنْ مَاءَ هَذَا الْوَرَقِ : فَإِنَّهُ يَبْرَأُ . وَإِذَا سَأَلَكَ الْمَلِكُ عَنْ حَالِكَ فَاصْدُقُهُ : فَإِنَّكَ تَنْجُو إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَإِنَّ ابْنَ الْمَلِكِ أَخْبَرَ الْمَلِكَ أَنَّهُ سَمِيعٌ قَائِلًا يَقُولُ : إِنَّكَ لَنْ تَبْرَأَ حَتَّى يَرْقِيكَ هَذَا السَّائِحُ الَّذِي حُسْنَ ظُلْمًا . فَدَعَ الْمَلِكُ بِالسَّائِحِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْقِيَ وَلَدَهُ . فَقَالَ : لَا أَخْسِنُ الرُّقَّ ، وَلَكِنْ أَسْقِيهِ مِنْ مَاءِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَيَبْرَأُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى . فَسَقَاهُ فَبَرِئَ الْغُلَامُ . فَفَرَّحَ الْمَلِكُ بِذَلِكَ : وَسَأَلَهُ عَنْ قِصَّتِهِ ، فَأَخْبَرَهُ . فَشَكَرَهُ الْمَلِكُ ، وَأَعْطَاهُ عَطِيَّةً حَسَنَةً ، وَأَمَرَ بِالصَّائِغِ أَنْ يُضْلَبَ . فَصَلَبُوهُ لِكَذِبِهِ وَأَنْحِرَافِهِ عَنِ الشُّكْرِ وَمُجَازَاتِهِ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ بِالقَبِيجِ . ثُمَّ قَالَ الْفِيْلُسُوفُ لِلْمَلِكِ : فِي صَنْيِعِ الصَّائِغِ بِالسَّائِحِ ، وَكُفْرِهِ لَهُ بَعْدَ اسْتِنْقَادِهِ إِيَّاهُ ، وَشُكْرِ الْبَهَائِمِ لَهُ ، وَتَحْلِيقِ بَعْضِهَا إِيَّاهُ ، عِبْرَةِ لِمَنْ اعْتَبَرَ ، وَفِكْرَةِ لِمَنْ تَفَكَّرَ ، وَأَدَبٌ فِي وَضْعِ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ عِنْدَ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ ، قَرُبُوا أَوْ بَعْدُوا لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ صَوَابِ الرَّأْيِ وَجَلْبِ الْخَيْرِ وَصَرْفِ الْمَكْرُوهِ .

(انقضى باب السائع والصائغ)

بَابُ ابْنِ الْمَلِكِ وَأَخْصَابِهِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا المَثَلَ . فَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَا يُصِيبُ الْخَيْرَ إِلَّا بِعَقْلِهِ وَرَأْيِهِ وَتَثْبِيْتِهِ فِي الْأُمُورِ كَمَا يَزْعُمُونَ ، فَكَمَا أَنَّ الرَّجُلِ الْخَاهِلِ يُصِيبُ الرُّفَعَةَ وَالْخَيْرَ ، وَالرَّجُلِ الْحَكِيمِ الْعَاقِلِ قَدْ يُصِيبُ الْبَلَاءَ وَالضَّرَّ ? . قَالَ بَيْدَبَا : كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُؤْصِرُ إِلَّا بِعَيْنَيْهِ وَلَا يَسْمَعُ إِلَّا بِأَذْنَيْهِ ، كَذَلِكَ الْعَمَلُ ، إِنَّمَا هُوَ بِالْخَلْمِ وَالْعَقْلِ وَالتَّثْبِيْتِ ، غَيْرَ أَنَّ الْقَضَاءَ وَالْقَدْرَ يَغْلِبَا عَلَى ذَلِكَ . وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ ابْنِ الْمَلِكِ وَأَخْصَابِهِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ اضْطَحَبُوا فِي طَرِيقٍ وَاحِدَةٍ ، أَحَدُهُمْ ابْنُ مَلِكٍ وَالثَّانِي ابْنُ تَاجِرٍ وَالثَّالِثُ ابْنُ شَرِيفٍ دُوْجَمَالٍ وَالرَّابِعُ ابْنُ أَكَارٍ . وَكَانُوا جَمِيعًا مُخْتَاجِينَ ،

(١) الأَكَار : الحرات وجدها أَكَّة كأنه جمع أَكَر .

وَقَدْ أَصَابُهُمْ ضَرٌّ وَجَهْدٌ شَدِيدٌ فِي مَوْضِعٍ غُرْبَةٍ لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا مَا عَلَيْهِمْ مِنَ الشَّيْبِ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَعْشُونَ إِذْ فَكَرُوا فِي أَمْرِهِمْ وَكَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ رَاجِعًا إِلَى طِبَاعِهِ وَمَا كَانَ يَأْتِيهِ مِنْهُ الْخَيْرُ : قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : إِنَّ أَمْرَ الدُّنْيَا كُلَّهُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ ، وَالَّذِي قُدِرَ عَلَى الْإِنْسَانِ يَأْتِيهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَالصَّابِرُ لِلنَّقْضَاءِ وَالْقَدْرِ وَإِنْتِظَارُهُمَا أَفْضَلُ الْأُمُورِ . وَقَالَ ابْنُ التَّاجِرِ : الْعَقْلُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَقَالَ ابْنُ الشَّرِيفِ : الْجَمَالُ أَفْضَلُ مِمَّا ذَكَرْتُمْ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ الْأَئْكَارِ : لَيْسَ فِي الدُّنْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْإِجْتِهَادِ فِي الْعَمَلِ . فَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا مَطْرُونُ ، جَلَسُوا فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا يَتَشاوَرُونَ : فَقَالُوا لِابْنِ الْأَئْكَارِ : انْطَلِقْ فَاكْتَسِبْ لَنَا بِإِجْتِهَادِكَ طَعَامًا لِيَوْمِنَا هَذَا . فَانْطَلَقَ ابْنُ الْأَئْكَارِ ، وَسَأَلَ عَنْ عَمَلٍ إِذَا عَمِلَهُ الْإِنْسَانُ يَكْتَسِبُ فِيهِ طَعَامًا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ فَعَرَفُوهُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي تِلْكِ الْمَدِينَةِ شَيْءٌ أَعْزَزُ مِنَ الْحَطَبِ ، وَكَانَ الْحَطَبُ مِنْهَا عَلَى فَرَسِيجٍ . فَانْطَلَقَ ابْنُ الْأَئْكَارِ فَاخْتَطَبَ طُنَّا مِنَ الْحَطَبِ ، وَأَتَيَ بِهِ الْمَدِينَةَ

فَبَاعَهُ بِدِرْهَمٍ وَأَشْتَرَى بِهِ طَعَامًا وَكَتَبَ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ :
 عَمِلَ يَوْمًا وَاحِدًا إِذَا أَجْهَدَ فِيهِ الرَّجُلُ بَدْنَهُ قِيمَتُهُ دِرْهَمٌ .
 ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِالطَّعَامِ فَأَكَلُوا . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ :
 قَالُوا يَتَبَغِي لِلَّذِي قَالَ إِنَّهُ لَيْسَ شَيْئًا أَعَزَّ مِنَ الْجَمَالِ
 أَنْ تَكُونَ نُوبَتُهُ . فَانْطَلَقَ ابْنُ الشَّرِيفِ لِيَأْتِيَ الْمَدِينَةَ ،
 فَفَكَرَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ : أَنَا لَسْتُ أَخْسِنُ عَمَلًا فَمَا يُدْخِلُنِي
 الْمَدِينَةَ ؟ ثُمَّ أَسْتَحْيَا أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِغَيْرِ طَعَامٍ ، وَهُم
 يُسْفَارُونَ تِبْيَانَهُمْ . فَانْطَلَقَ حَتَّى أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى شَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ ،
 فَغَلَبَهُ النَّوْمُ فَنَامَ . فَهَرَبَهُ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمَدِينَةِ فَرَآهُ
 بِحَمَالَهُ وَتَوَسَّمَ فِيهِ شَرْفَ النُّجَارِ فَرَقَ لَهُ وَمَنَحَهُ خَمْسِيَّةً دِرْهَمٌ .
 فَكَتَبَ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ : بِحَمَالٍ يَوْمًا وَاحِدًا يُسَاوِي
 خَمْسِيَّةً دِرْهَمٌ . وَأَتَى بِالدَّرَاهِمِ إِلَى أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا
 فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، قَالُوا لِابْنِ التَّاجِرِ : انْطَلِقْ أَنْتَ فَاطْلُبْ
 لَنَا بِعْثَالَكَ وَتِجَارَتِكَ لِيَوْمِنَا هَذَا شَيْئًا . فَانْطَلَقَ ابْنُ التَّاجِرِ

فَلَمْ يَرِدْ حَتَّى بَصَرَ بِسَفِينَةٍ مِنْ سُفُنِ الْبَحْرِ كَثِيرَةِ الْمَتَاعِ
قَدْ قَدِمَتْ إِلَى السَّاحِلِ، نَفَرَجَ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ التُّجَارِ يُرِيدُونَ
أَنْ يَتَابَاعُوا مَمَّا فِيهَا مِنَ الْمَتَاعِ. بَخَلَسُوا يَتَشَاءُرُونَ فِي نَاحِيَةٍ
مِنَ الْمَرْكَبِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَرْجِعُوا يَوْمَنَا هَذَا
لَا تَشَرِّى مِنْهُمْ شَيْئًا حَتَّى يَكْسُدَ الْمَتَاعُ عَلَيْهِمْ فَيُرِخْصُوهُ
عَلَيْنَا، مَعَ أَنَّا مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَسَيِّرْ خُصُّ. فَخَالَفَ الطَّرِيقَ
وَجَاءَ إِلَى أَصْحَابِ الْمَرْكَبِ، فَابْتَاعَ مِنْهُمْ مَا فِيهِ بِمِائَةِ أَلْفِ
دِينَارٍ نَسِيَّةً وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُلَ مَتَاعَهُ إِلَى مَدِينَةٍ أُخْرَى.^(١)
فَلَمَّا سَمِعَ التُّجَارُ ذَلِكَ خَافُوا أَنْ يَذْهَبَ ذَلِكَ الْمَتَاعُ مِنْ أَيْدِيهِمْ،
فَأَرْبَحُوهُ عَلَى مَا اشْتَرَاهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَأَحَالَ عَلَيْهِمْ أَصْحَابُ
الْمَرْكَبِ بِالْبَاقِي، وَحَمَلَ رِبْحَهُ إِلَى أَصْحَابِهِ وَكَتَبَ عَلَى بَابِ
الْمَدِينَةِ : عَقْلُ يَوْمٍ وَاحِدٌ ثَمَنُهُ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَلَمَّا كَانَ
الْيَوْمُ الرَّابِعُ قَالُوا لِابْنِ الْمَلِكِ : انْطَلِقْ أَنْتَ وَأَكْتَسِبْ لَنَا
يُقَضَّى إِلَكَ وَقَدَرِكَ . فَانْطَلَقَ ابْنُ الْمَلِكِ حَتَّى أَتَى إِلَى بَابِ

(١) إِلَى أَجْلٍ . (٢) أَى مَا خَذَ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَحَالَ إِلَيْهِ .

لِمَدِينَةِ بَخْلَسَ عَلَى مُتَّكَأٍ فِي بَابِ الْمَدِينَةِ ، وَاتَّفَقَ أَنَّ مَلِكَ
تِلْكَ النَّاحِيَةِ مَاتَ وَلَمْ يُخْلِفْ وَلَدًا وَلَا أَحَدًا ذَا قَرَابَةٍ .
فَرَوَاهُ عَلَيْهِ بِجَنَازَةِ الْمَلِكِ وَلَمْ يُخْرِزْهُ وَكُلُّهُمْ يَخْرُزُونَ . فَانْكَرُوا
حَالَهُ وَشَتَّمُوهُ الْبَوَابُ ، وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ يَا هَذَا ؟ وَمَا يُجْلِسُكَ
عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ وَلَا نَرَاكَ تَخْرُزَ لِمَوْتِ الْمَلِكِ ؟ وَطَرَدَهُ الْبَوَابُ
عَنِ الْبَابِ فَلَمَّا ذَهَبُوا عَادَ الْغُلَامُ بَخْلَسَ مَكَانَهُ . فَلَمَّا
دَفَنُوا الْمَلِكَ وَرَجَعُوا بَصَرَ بِهِ الْبَوَابُ فَغَضِبَ وَقَالَ لَهُ :
أَلَمْ أَنْهَكَ عَنِ الْخُلُوسِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ؟ وَأَخَذَهُ فَبَسَهُ .
فَلَمَّا كَانَ الْغَدْرُ اجْتَمَعَ أَهْلُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ يَتَشَاءُرُونَ فِيمَنْ
يُمْكِنُهُ عَلَيْهِمْ ، وَكُلُّ مِنْهُمْ يَتَطَاوَلُ يَنْظُرُ صَاحِبَهُ ، وَيَخْتَلِفُونَ
بِيَنْهُمْ . فَقَالَ لَهُمُ الْبَوَابُ : إِنِّي رَأَيْتُ أَمْسِ غُلَامًا جَاءَ لِسَا
عَلَى الْبَابِ ، وَلَمْ أَرَهُ يَخْرُزَ لِخْرِنَّا ، فَكَلَمْتُهُ فَلَمْ يُجْبِنِي ،
فَطَرَدْتُهُ عَنِ الْبَابِ . فَلَمَّا عُذْتُ رَأَيْتُهُ جَاءَ لِسَا ، فَأَدْخَلْتُهُ
السُّجْنَ مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ عَيْنًا . فَبَعْثَتْ أَشْرَافُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
إِلَى الْغُلَامِ بِقَاءُوا بِهِ ، وَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ ، وَمَا أَقْدَمَهُ

إِلَى مَدِينَتِهِمْ . فَقَالَ : أَنَا ابْنُ مَلِكٍ فَوَيْرَانَ ، وَإِنَّهُ لَمَّا مَاتَ وَالِدِي غَلَبَنِي أَخِي عَلَى الْمُلْكِ ، فَهَرَبَتُ مِنْ يَدِهِ حَذَرًا عَلَى نَفْسِي حَتَّى انتَهَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ . فَلَمَّا ذَكَرَ الْغُلَامُ مَا ذَكَرَ مِنْ أَمْرِهِ عَرَفَهُ مَنْ كَانَ يَغْشَى أَرْضَ أَبِيهِ مِنْهُمْ ، وَأَثْنَوا عَلَى أَبِيهِ خَيْرًا . ثُمَّ إِنَّ الْأَشْرَافَ اخْتَارُوا الْغُلَامَ أَنْ يُكَوِّهَ عَلَيْهِمْ وَرَضُوا بِهِ . وَكَانَ لِأَهْلِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ سُنَّةٌ إِذَا مَلَكُوا عَلَيْهِمْ مَلِكًا حَمَلُوهُ عَلَى فِيلٍ أَبْيَضَ ، وَطَافُوا بِهِ حَوْالَيِ الْمَدِينَةِ . فَلَمَّا فَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ مَرَّ بِبَابِ الْمَدِينَةِ فَرَأَى الْكَلَابَةَ عَلَى الْبَابِ فَأَمَرَ أَنْ يُنَكِّبَ : إِنَّ الْإِجْتِهَادَ وَالْجَنَاحَ وَالْعَقْلَ وَمَا أَصَابَ الرَّجُلُ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍ إِنَّمَا هُوَ يَقْضَاءُ وَقَدْرٍ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَقَدِ ازْدَدَتْ فِي ذَلِكَ اغْتِبَارًا بِمَا سَاقَ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالْخَيْرِ .

ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى مَجْلِسِهِ بِخَلْسَ عَلَى سَرِيرٍ مُنْكِهٍ وَأَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانَ مَعَهُمْ فَأَخْضَرَهُمْ ، فَاشْرَكَ صَاحِبَ الْعَقْلِ مَعَ الْوُزَّارَاءِ ، وَضَمَّ صَاحِبَ الْإِجْتِهَادِ إِلَى أَصْحَابِ الزَّرْعِ ،

وَأَمْرَ لِصَاحِبِ الْجَمَالِ بِمَا لَيْسَ كَثِيرًا ثُمَّ نَفَاهُ كَيْ لَا يُفْتَنَ بِهِ .

ثُمَّ جَمَعَ عُلَمَاءَ أَرْضِهِ وَذُوِ الرَّأْيِ مِنْهُمْ وَقَالَ لَهُمْ : أَمَّا أَخْحَابِي
فَقَدْ تَيَقَّنُوا أَنَّ الَّذِي رَزَقَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ الْحَمْزَرِ
إِنَّمَا هُوَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ ؛ وَإِنَّمَا أَحِبُّ أَنْ تَعْلَمُوا ذَلِكَ
وَتَسْتَيْقِنُوهُ ؛ فَإِنَّ الَّذِي مَنَحَنِيَ اللَّهُ وَهَيَاهُ لِي إِنَّمَا كَانَ بِقَدْرِ ،
وَلَمْ يَكُنْ بِجَمَالٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا اجْتِهادٍ . وَمَا كُنْتُ أَرْجُو إِذْ
طَرَدَنِي أَخِي أَنْ يُصِيبَنِي مَا يُعِيشُنِي مِنَ الْقُوَّتِ فَضْلًا عَنْ أَنْ
أُصِيبَ هَذِهِ الْمُنْزَلَةَ ، وَمَا كُنْتُ أَوْمَلُ أَنْ أَكُونَ بِهَا : لِأَنِّي
قَدْ رَأَيْتُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي حُسْنًا وَجَمَالًا ،
وَأَشَدُ اجْتِهادًا وَأَسَدُ رَأْيًا ، فَسَاقَنِيَ الْقَضَاءُ إِلَى أَنِّي اغْتَرَّتُ
بِقَدْرِ مِنَ اللَّهِ ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْجَمِيعِ شَيْخٌ فَنَهَضَ حَتَّى اسْتَوَى
قَائِمًا ، وَقَالَ : إِنَّكَ قَدْ تَكَلَّمَتِ بِكَلَامٍ كَامِلٍ عَقْلٍ وَحِكْمَةً ،
وَإِنَّ الَّذِي بَلَغَ إِلَكَ ذَلِكَ وُفُورُ عَقْلِكَ وَحُسْنُ ظَنْكَ ،
وَقَدْ حَقَّقْتَ ظَنَّنَا فِيكَ وَرَجَاءَنَا لَكَ . وَقَدْ عَرَفْنَا مَا ذَكَرْتَ ،

وَصَدَقْنَاكَ فِيهَا وَصَفَتَ . وَالَّذِي سَاقَ اللَّهُ إِلَيْكَ مِنَ الْمُلْكِ
 وَالْكَرَامَةِ كُنْتَ أَهْلًا لَهُ ، لِمَا بَقَسَمَ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ مِنَ الْعَقْلِ
 وَالرَّأْيِ . وَإِنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ رَزْقِهِ اللَّهِ
 رَأْيًا وَعَقْلًا . وَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْنَا إِذْ وَفَقَكَ لَنَا عِنْدَ مَوْتِ
 مَلِكِنَا وَكَرَمَنَا بِكَ . ثُمَّ قَامَ شَيْخُ آنَّرُ سَائِعٌ حَمَدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
 وَأَئْتَنِي عَلَيْهِ وَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ أَخْدُمُ وَأَنَا غُلَامٌ قَبْلَ أَنْ أَكُونَ
 سَائِحًا ، رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ . فَلَمَّا بَدَأْتُ بِرَفْضِ الدُّنْيَا
 فَارَقْتُ ذَلِكَ الرَّجُلَ ، وَقَدْ كَانَ أَعْطَانِي مِنْ أُجْرِي دِينَارَيْنِ ،
 فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدِّقَ بِأَحَدِهِمَا ، وَأَسْتَبِقَ الْآخَرَ ، فَاتَّتَّ
 السُّوقَ ، فَوَجَدْتُ مَعَ رَجُلٍ مِنَ الصَّيَادِينَ زَوْجَ هُدُودٍ ،
 فَسَاوَمْتُهُ فِيهِمَا فَأَبَى الصَّيَادُ أَنْ يَبْيَعَهُمَا إِلَّا بِدِينَارَيْنِ ؛
 فَاجْتَهَدْتُ أَنْ يَبْيَعَنِيهِمَا بِدِينَارٍ وَاحِدٍ فَأَبَى . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي :
 اشْتَرِي أَحَدَهُمَا وَاتْرُكُ الْآخَرَ . ثُمَّ فَكَرْتُ وَقُلْتُ لَعْلَهُمَا
 يَكُونَا نِزَاجَيْنِ ذَكَرًا وَانْثَيْ فَافْرَقَ بَيْنَهُمَا ، فَادْرَكَنِي لَهُمَا رَحْمَةً

فَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ وَابْتَعَثْتُهُمَا بِدِينَارَيْنِ وَأَشْفَقْتُ إِنْ أَرْسَلْتُهُمَا
 فِي أَرْضِ عَامِرَةٍ أَنْ يُصَادَا ، وَلَا يَسْتَطِيعَا أَنْ يَطِيرَا مِمَّا لَقِيَا
 مِنَ الْجِنْوَعِ وَالْهُزَالِ ، وَلَمْ آمِنْ عَلَيْهِمَا الْآفَاتِ . فَانْطَلَقْتُ
 إِلَيْهِمَا إِلَى مَكَانٍ كَثِيرٍ الْمَرْعَى وَالْأَشْجَارِ بَعِيدٍ عَنِ النَّاسِ
 وَالْعُمْرَانِ ، فَأَرْسَلْتُهُمَا ؛ فَطَارَا وَوَقَعا عَلَى شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ .
 فَلَمَّا صَارَا فِي أَعْلَاهَا شَكَارِي ، وَسَمِعْتُ أَحَدَهُمَا يَقُولُ
 لِلْآخَرِ : لَقَدْ خَلَصْنَا هَذَا السَّائِعُ مِنَ الْبَلَاءِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ ،
 وَاسْتَنْقَدْنَا وَنَجَانَا مِنَ الْهَلَكَةِ . وَإِنَّا لِخَلِيقَانِ أَنْ نُكَافِعَهُ
 بِفِعْلِهِ . وَإِنَّ فِي أَصْلِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ بَرَّةً مَمْلُوَةً دَنَانِيرَ .
 أَفَلَا نَدْلُهُ عَلَيْهَا فَيَأْخُذُهَا ؟ فَقُلْتُ لَهُمَا : كَيْفَ تَدْلَانِي
 عَلَى كَنْزٍ لَمْ تَرَهُ الْعَيُونُ وَأَنْتُمَا لَمْ تُبِصِّرَا الشَّبَكَةَ ؟ فَقَالَا :
 إِنَّ الْقَضَاءَ إِذَا نَزَّلَ صَرَفَ الْعَيُونَ عَنْ مَوْضِعِ الشَّيْءِ وَغَشَّى
 الْبَصَرَ . وَإِنَّ صَرَفَ الْقَضَاءَ أَعْيَنَنَا عَنِ الشَّرَكِ وَلَمْ يَصْرِفْهَا
 عَنْ هَذَا الْكَنْزِ . فَاخْتَفَرْتُ وَاسْتَخْرَجْتُ الْبَرْزِينَيَّةَ وَهِيَ

مَمْلُوَّةً دَنَانِيرًا ، فَدَعَوْتُ لَهُمَا بِالْعَافِيَةِ ، وَقُلْتُ لَهُمَا :
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلِمَكُمَا مَا لَمْ تَعْلَمُوا ، وَأَنْتُمْ تَطِيرَانِ فِي السَّمَاءِ ،
 وَأَخْبِرْتُكُمَا بِمَا تَحْتَ الْأَرْضِ . فَقَالَا لِي : أَيُّهَا الْعَاقِلُ ،
 أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الْقَدَرَ غَالِبٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ
 أَنْ يَجْحَوْزَهُ . وَأَنَا أَخْبِرُ الْمَلِكَ بِذِلِّكَ الَّذِي رَأَيْتُهُ : فَإِنْ أَمْرَ
 الْمَلِكُ أَتَيْتُهُ بِالْمَالِ فَأَوْدَعْتُهُ فِي نَحَرِائِنِهِ . فَقَالَ الْمَلِكُ
 ذَلِكَ لَكَ ، وَمُوفَرٌ عَلَيْكَ .

(انتهى باب ابن الملك وأصحابه)

• بَابُ الْحَمَامَةِ وَالثَّعَلَبِ وَمَالِكِ الْخَرَينِ

وَهُوَ بَابُ مَنْ يَرَى الرَّأْيَ لِغَيْرِهِ وَلَا يَرَاهُ لِنَفْسِهِ . قَالَ الْمَلِكُ لِلْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْمَثَلَ فَاضْرِبْ لِي مَثَلًا
 فِي شَاءِ الرَّجُلِ الَّذِي يَرَى الرَّأْيَ لِغَيْرِهِ وَلَا يَرَاهُ لِنَفْسِهِ .
 قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : إِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ الْحَمَامَةِ وَالثَّعَلَبِ وَمَالِكِ
 الْخَرَينِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا مَثَلُهُنَّ ؟

قَالَ الْفِيلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَةً كَانَتْ تُفْرِخُ فِي رَأْسِ
نَخْلَةٍ طَوِيلَةٍ ذَاهِبَةٍ فِي السَّمَاءِ ، فَكَانَتِ الْحَمَامَةُ تَشْرَعُ فِي نَقْلِ
الْعُشِّ إِلَى رَأْسِ تِلْكَ النَّخْلَةِ ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَنْقُلَ مَا تَنْقُلُ
مِنَ الْعُشِّ وَتَجْعَلَهُ تَحْتَ النَّبَيْضِ إِلَّا بَعْدَ شِدَّةٍ وَتَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ :
لِطُولِ النَّخْلَةِ وَسُخْقِهَا ، فَإِذَا فَرَغَتْ مِنَ النَّقْلِ بَاضَتْ
ثُمَّ حَضَنَتْ بَيْضَهَا ، فَإِذَا فَقَسَتْ وَأَدْرَكَ فِرَاخُهَا جَاءَهَا ثَعَلْبُ
قَدْ تَعَااهَدَ ذَلِكَ مِنْهَا لِوقْتٍ قَدْ عَلِمَهُ بِقَدْرٍ مَا يَنْهَضُ فِرَاخُهَا ،
فَيَقِنُ أَصْلِ النَّخْلَةِ فَيَصِحُّ بِهَا وَيَتَوَعَّدُهَا أَنْ يَرْقَى إِلَيْهَا
فَتُلْقَى إِلَيْهِ فِرَاخُهَا . فَبَيْنَمَا هِيَ ذَاتَ يَوْمٍ قَدْ أَدْرَكَ لَهَا فَرْخَانٍ
إِذَا أَقْبَلَ مَالِكُ الْحَرِينُ فَوَقَعَ عَلَى النَّخْلَةِ . فَلَمَّا رَأَى الْحَمَامَةَ
كَثِيرَةً حَزِينَةً شَدِيدَةً أَهْمَمْ قَالَ لَهَا مَالِكُ الْحَرِينُ : يَا حَمَامَةُ ،
مَا لِ أَرَاكِ كَاسِفَةَ اللَّوْنِ سَيِّئَةَ الْحَيَالِ ؟ فَقَالَتْ لَهُ : يَا مَالِكُ
الْحَرِينَ ، إِنَّ ثَعَلْبًا دُهِيتْ بِهِ كُلَّمَا كَانَ لِي فَرْخَانٍ جَاءَنِي يُهَدِّدُنِي
وَيَصِحُّ فِي أَصْلِ النَّخْلَةِ ، فَأَفْرَقْتُ مِنْهُ فَأَطْرَحُ إِلَيْهِ فَرَخَى .
قَالَ لَهَا مَالِكُ الْحَرِينُ : إِذَا أَتَاكِ لِيَفْعَلَ مَا تَقُولِينَ فَقُولِي لَهُ :

لَا أُنْقِي إِلَيْكَ فَرْحَنِي ، فَأَرْقَ إِلَيْهِ وَغَرَّ بِنَفْسِكَ . فَإِذَا فَعَلْتَ
 ذَلِكَ وَأَكْلَتَ فَرْحَنِي ، طِرْتُ عَنْكَ وَنَجَوْتُ بِنَفْسِي . فَلَمَّا عَلِمَهَا
 مَالِكُ الْخَزِيرَنُ هُذِهِ الْخِيلَةَ طَارَ فَوَقَعَ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ . فَأَقْبَلَ
 الشَّعْلُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي عَرَفَ ، فَوَقَفَ تَحْتَهَا ، ثُمَّ صَاحَ كَمَا كَانَ
 يَفْعَلُ . فَأَجَابَتْهُ الْحَمَامَةُ بِمَا عَلِمَهَا مَالِكُ الْخَزِيرَنُ . فَقَالَ لَهَا
 الشَّعْلُ : أَخْبِرِنِي مَنْ عَلِمَكِ هَذَا ؟ قَالَتْ : عَلِمَنِي مَالِكُ
 الْخَزِيرَنُ . فَتَوَجَّهَ الشَّعْلُ حَتَّىٰ أَتَىٰ مَالِكًا الْخَزِيرَنَ عَلَى شَاطِئِ
 النَّهْرِ ، فَوَجَدَهُ وَاقِفًا . فَقَالَ لَهُ الشَّعْلُ : يَا مَالِكُ الْخَزِيرَنَ :
 إِذَا أَتَتْكَ الرِّيحُ عَنْ يَمِينِكَ فَأَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ ؟ قَالَ : عَنْ
 شِمَائِلِي . قَالَ : فَإِذَا أَتَتْكَ عَنْ شِمَالِكَ فَأَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ ؟
 قَالَ : أَجْعَلُهُ عَنْ يَمِينِي أَوْ خَلْفِي . قَالَ : فَإِذَا أَتَتْكَ الرِّيحُ مِنْ
 كُلِّ مَكَانٍ وَكُلِّ نَاحِيَةٍ فَأَيْنَ تَجْعَلُهُ ؟ قَالَ : أَجْعَلُهُ تَحْتَ جَنَاحِي .
 قَالَ : وَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَهُ تَحْتَ جَنَاحِكَ ؟ مَا أَرَاهُ يَتَهَيَّأُ لَكَ .
 قَالَ : بَلَى : قَالَ : فَأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ ؟ فَلَعَمَرِي يَا مَعْشَرَ
 الطَّيْرِ لَقَدْ فَضَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْنَا . إِنَّكُنَّ تَدْرِيَنَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِثْلَ

مَا نَدِرَى فِي سَنَةٍ ، وَتَبْلُغُنَ مَا لَا تَبْلُغُ ، وَتُدْخِلَنَ رُؤْسَكُنَ تَحْتَ أَجْنِحَتِكُنَ مِنَ الْبَرِّ وَالرِّيحِ . فَهَنِئْشَا لَكُنَ فَأْرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ . فَأَدْخَلَ الطَّائِرُ رَأْسَهُ تَحْتَ جَنَاحِهِ ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ الشَّعَلُ بِمَكَانِهِ فَأَخَذَهُ فَهَمْزَهُ هَمْزَةً دَقَّتْ عُنْقَهُ . ثُمَّ قَالَ : يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ ، تَرَى الرَّأْيَ لِلْحَمَامَةِ ، وَتَعْلِمُهَا الْحِيلَةَ لِنَفْسِهَا ، وَتَعْجِزُ عَنْ ذَلِكَ لِنَفْسِكَ ، حَتَّى يَسْتَمِكِنَ مِنْكَ عَدُوكَ ، ثُمَّ أَجْهَزَ عَلَيْهِ وَأَكَلَهُ .

فَلَمَّا انتَهَى الْمَنْطِقُ لِلْمَلِكِ وَالْفَيْلَسُوفِ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ سَكَتَ الْمَلِكُ . فَقَالَ لَهُ الْفَيْلَسُوفُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، عِشْتَ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَمَكَنْتَ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ ، وَأُعْطِيْتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ، مَعَ وُفُورِ سُرُورِكَ وَقُرَّةِ عَيْنِ رَعِيَّتِكَ بِكَ ، وَمُسَاعَدَةِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ لَكَ ، فَإِنَّهُ قَدْ كُلَّ فِيكَ الْخِلْمُ وَالْعِلْمُ ، وَزَكَا مِنْكَ الْعَقْلُ وَالْقَوْلُ وَالنِّيَّةُ ؛ فَلَا يُوجَدُ فِي رَأْيِكَ نَفْصُ ، وَلَا فِي قَوْلِكَ سَقَطٌ وَلَا عَيْبٌ . وَقَدْ جَمَعْتَ النَّجَدةَ وَاللَّيْنَ ، فَلَا تُوجَدُ جَبَانًا عِنْدَ الْلِقَاءِ ، وَلَا ضَيْقَ الصَّدْرِ عِنْدَ مَا يَنُوبُكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ . وَقَدْ جَمَعْتُ لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ شَمْلًا بَيَانًا

الأمور، وَشَرَحْتُ لَكَ جَوَابَ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ مِنْهَا ، فَأَبْلَغْتُكَ
 في ذَلِكَ غَايَةَ نُصْحِى ، وَاجْتَهَدْتُ فِيهِ بِرَأْيِي وَنَظَارِي وَمَبْلَغَ
 فِطْنَتِي ، التِّمَاسًا لِقَضَاءِ حَقْكَ وَحُسْنِ النِّيَّةِ مِنْكَ . يَأْعَمَ الْ
 الْفِكْرَةَ وَالْعَقْلِ . بِخَاءَ كَمَا وَصَفْتُ لَكَ مِنَ النِّصِيحَةِ وَالْمَوْعِظَةِ،
 مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ الْأَمْرُ بِالْخَيْرِ يَأْسَدَ مِنَ الْمُطْبِعِ لَهُ فِيهِ ،
 وَلَا النَّاصِحُ يَأْوِي بِالنِّصِيحَةِ مِنَ الْمَنْصُوحِ ، وَلَا الْمُعْلَمُ بِالْخَيْرِ
 يَأْسَدَ مِنْ مُتَعَلِّمِهِ مِنْهُ . فَافْهَمْ ذَلِكَ أَيْهَا الْمَلِكُ ، وَلَا حَوْلَ
 وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

(اتهت الطبيعة السابعة عشرة)

١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م

تم طبع هذا الكتاب بالمطبعة الأميرية ببراق
في يوم الأربعاء ٢٠ من ربى الأول سنة ١٣٥٥
(١٠ من يونيو سنة ١٩٣٦)

مدير المطبعة الأميرية
محمد مين فتحي

الطبعة الأولى - ١٩٣٦ - ٣٤٢ - ٦٠٠

وزارة المعارف العمومية

كتاب
كليلة و دمنة

تأليف
بيدبا الفيلسوف الهندي

ترجمه الى العربية في صدر الدولة العباسية
عبد الله بن المقفع

فردت وزارة المعارف العمومية بتاريخ ٤ من ربیع الأول
سنة ١٣٢٠ (١٠ من يونيو سنة ١٩٠٢ رقم ٨٩٦)
طبع هذا الكتاب على تفقتها وتدریسه بالمدارس الاميرية

القاهرة
طبع بالطبعة الاميرية ببولاق
١٩٣٧

في سـ ٢١ ، كليلة ودمنة

صفحة

خطبة الكتاب ...	١
باب مقدمة الكتاب ...	٩
« يعتن بِرزوبيه إلى بلاد الهند ...	٤٢
« عرض الكتاب — ترجمة عبد الله بن المقفع ...	٥٨
« بِرزوبيه — ترجمة بزر جمیر بن البختكان ...	٧٤
« الأسد والثور — وهو أول الكتاب ...	٩١
« الفحص عن أمر دمنة ...	١٥٤
« الحمام المطوقة ...	١٧٧
« البوم والغربان ...	٢٠٠
« القرد والغيلم ...	٢٣٢
« الناسك وأبن عرس ...	٢٤٠
« الحرف والستور ...	٢٤٤
« ابن الملك والطائر فقرة ...	٢٥٣
« الأسد والشغب الناسك وهو ابن آوى ...	٢٦٢
« ايلاذ وبالاذ وايراخت ...	٢٧٤
« اللبؤة والإسوار والشغب ...	٢٩٤
« الناسك والضيف ...	٢٩٩
« السائح والصائغ ...	٣٠١
« ابن الملك وأصحابه ...	٣٠٨
« الحمام والنعلب ومالك الحزين ...	٣١٧